

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

العدد : ٢-١

المجلد : ٣٩

١٩٨٨م

عدد ممتاز

بمناسبة المئوية الأولى لمولد
مولانا أبي الكلام آزاد
(١٩٥٨م - ١٨٨٨م)

الجزء الأول



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيودلهي
الهند

مجلة ثقافة الهند فصلية

المجلد ٣٩ - العدد ١ - ٢

محتويات هذا العدد :

- ٦ - ١ المثنوية الأولى لمولد أبي الكلام آزاد
كلبة من المحرر
- ١٣ - ٧ مولانا أبو الكلام آزاد - منيع الذكاء
- د / شنكر ديال شرما
(نائب رئيس الجمهورية)
- ١٨ - ١٤ رائد القوم
- محمد عثمان عارف النقشبندى
(الحاكم لولاية اترابرايش)
- ٣٠ - ١٩ مولانا أبو الكلام آزاد
- أبو الحسن علي الحسنى الندوى
- ٤٢ - ٣١ حياة مولانا أبي الكلام آزاد
- عبد القوى الدسنوى
- ١٠٨ - ٤٣ حياة مولانا أبي الكلام آزاد :
[جدول التواريخ الدقيقة وفقاً
لتسلسلها الزمنى]
د/عبد اللطيف الاعظمى
- ١١٦ - ١٠٩ أبو الكلام آزاد
- جكن نات آزاد

The Editor,
Indian Council for Cultural
Relations,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate,
New Delhi - 110002

و حقوق جميع المقالات المنشورة
فى ثقافة الهند محفوظة
فلا يمكن نشرها بدون الاذن،
و الآراء المظهرة فى المقالات هى
للمساهمين و الكتاب، و لاتعكس
سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك

عدد واحد - ٥ روبيات، £ 1.00 - \$ 2.50
سنوياً - ٢٠ روبية، £ 4.00 - \$ 10.00
٢ سنوات - ٥٠ روبية، £ 10.00 - \$ 25.00

نشرها و طبعها،
سكرتير المجلس الهندى
للعلاقات الثقافية، آزاد بوان،
نيو دلهى - الهند. طبعت
فى مطبعة فاب انتربراستيز
جرين بارك ، نيو دلهى.

إن المجلس الهندى للعلاقات
الثقافية منظمة حرة تحت
وزارة الشئون الخارجية
للحكومة الهندية، أنشئت عام
١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات
الثقافية و التفاهم المتبادل بين
الهند و البلدان الأخرى، و كجزء
من برنامج مطبوعاته الموجه
لتحقيق هذا الحوار الثقافى بين
الهند و البلدان الأخرى،
ينشر، بين ما ينشر،
عدة مجلات ففى
الانكليزية "Indian Horizons"
و "Africa Quarterly" و فى
الفرنسية "Rencontre Avec l'Inde"
و فى الاسبانية "Papeles de la India"
و فى الهندية "Gagananchal" كلها
تصدر أربع مرات فى السنة.
وبدل الاشتراك السنوى
للمجلات فى الانكليزية و فى
الهندية مطبوع فى العمود
المقابل إلا ان مجلات المجلس فى
اللغات العربية و الفرنسية
و الاسبانية توزع مجاناً .
و المراسلات المتعلقة ببديل
الاشتراك و دفع الثمن
و بشئون الطباعة و النشر
توجه إلى :

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى

| | |
|--|-----------|
| النزعة السياسية فى حياة مولانا آزاد و أفكاره | ٢٧٧-٢٨٣ |
| د/سيد احتشام أحمد الندوى مولانا أبو الكلام آزاد : | ٢٨٤-٢٩٤ ✓ |
| الرائد فى حركة تحرير الوطن خورشيد مصطفى رضوى | ٢٩٥-٣٠٣ |
| فردية مولانا أبى الكلام آزاد السيد شهاب الدين الدسنوى | ٣٠٤-٣١١ |
| جوانب من عبقرية مولانا أبى الكلام آزاد | ٣١٢-٣٢٠ ✓ |
| شمس تبريز خان المولانا أبو الكلام آزاد فى مرآة مؤلفاته | ٣٢١-٣٣٢ |
| رياض الرحمن الشيروانى إبداعية أبى الكلام آزاد فى علم الالهييات | ٣٣٣-٣٣٨ |
| أصفى على المهندس مولانا أبو الكلام آزاد : | ٣٣٩-٣٤٣ |
| شخصية ذات أبعاد متعددة تارا تشاند رستوجى | ٣٤٤-٣٤٦ |
| لقاءات مع مولانا آزاد كنور مهنذر سينغ بيدي | |
| بعض الانطباعات الخالدة س - ن - ج - اوا | |

| | |
|--|---------|
| نظرة على العلاقات بين المولانا آزاد و جواهر لال نهرو | ١٢٧-١١٧ |
| مولانا أبوالكلام آزاد و صلته بالعلامة شبلى نعمانى | ١٣٨-١٢٨ |
| مولانا أبوالكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان الندوى | ١٥٧-١٣٩ |
| أبو الكلام آزاد و معاصره شاعر الشرق محمد اقبال | ١٧١-١٥٨ |
| مولانا أبوالكلام آزاد و مساهمته فى مجلة " الندوة " | ١٩١-١٧٢ |
| كلمة الرئاسة فى الاجتماع الخاص لحزب المؤتمر الوطنى - دلهى ، (١٥ ديسمبر ١٩٢٣ م) | ٢٢٩-١٩٢ |
| مولانا أبوالكلام آزاد | ٢٤٨-٢٣٠ |
| شخصية ثورية فذة | ٢٦٠-٢٤٩ |
| دعوة أبى الكلام آزاد للتحرير و الاتحاد | ٢٧٦-٢٦١ |
| أول اعتقال لمولانا أبى الكلام آزاد | |
| عبد القوى الدسنوى | |



PRIME MINISTER

MESSAGE

With his deep understanding of the roots of Indian civilization, Maulana Azad had a deep understanding of the needs and aspiration of the Indian people. Dedicated to secularism and the unity of the country, he strove hard to promote these. An educationist of vision and perception, Maulana Azad was one of the greatest builders of new India.

The decision of the ICCR to publish a special number of their Arabic Journal dedicated to Maulana Azad's life and achievements is a befitting tribute to a great Son of India.

New Delhi
December 15, 1988



उच्च-एकपरीक्षा भारत
नई दिल्ली
VICE-PRESIDENT
INDIA
NEW DELHI
October 31, 1988

M E S S A G E

I note with pleasure that a special number of Arabic journal 'Thaqafat al-Hind' founded by Maulana Abul Kalam Azad himself is being dedicated to the glorious achievements of this great son of India on the eve of his first birth centenary.

Through the pages of the special number, I pay my humble homage to the memory of Maulana Abul Kalam Azad whose manifold contributions in various fields of nation-building activity shall ever be remembered by a grateful nation. His dedication and sense of service will remain a perennial source of inspiration to the succeeding generations.

S. D. Sharma
(Shanker Dayal Sharma)

كلمة من الحرر :

المثوية الأولى لمولد أبى الكلام آزاد

يحتل مولانا أبو الكلام آزاد مكانة بارزة في صفوف المجاهدين للحرية ولكن هذا الاسم ليس لزيم سياسيّ فحسب، بل إنه كان نجماً لامعاً متألقاً طلع على أفق الهند لينادي بطلوع صبح الحرية والاستقلال و يبشر بأن الحياة تتقلب إلى جنب جديد، فالיום الطالع سيكون يوم الانتصار للمظلومين، ويوم الذلة والهزيمة للظالمين، كان شعلة جوّالة قهرت الظلمات، ذلك هو الرجل الذي لم تزل أطراف قلبه تطلق وتلهب النار طيلة نصف قرن تقريباً، وحوّلت مدافع الاستعماريين وبنادقهم إلى أكوام من التراب، بينما أحدث لسانه سيلاً عارماً صعب للإستعمار فيه أن يجدف سفينته إلى ساحل النجاة وشاطئ الفلاح.

كان مولانا أبو الكلام آزاد وليد المنتصف الآخر من القرن المنصرم، وظل مسيطراً على النصف الأول من القرن المعاصر، وعن طريق ذلك فانه ترعرع وتربى في الأمهاد الجديدة والقديمة لكلا القرنين، كان القديم تناوله بالتزئين بينما كان الجديد جلّاه ونضره، لم تكن الحدة وحدها في ذهنه بل الابتكار كذلك كان الأخيلة فضة طرية، والأفكار ملتقى للعلوم الاجتماعية والفلسفة والدين، وقد امتزجت فيها مجارى الشرق والغرب بحيث كان لكن من شأن القدامة وأبهة الحداثة شأن ومجال واسع، ودعه يقول عن نفسه :

" ما كان القديم فقد ورثته، و ما كان الجديد فقد ابتكرت الطريق نحوه لنفسى، كما أننى لم أزل أمشى على الطرق القديمة للوقت، كذلك طرقه الجديدة معروفة لدى، وإننى رفضت القناعة من أول يوم على

"وا أسفاه ! ليس فيكم من يفهم لغتي، ليس فيكم من يعرفني، أقول والحق أقول، أننى مخذول غريب وسط مجتمعات بلادكم أجمع، أسفاً عليكم أنكم لاتحبون الناصحين، ولاتحبون القائلين بالصدق والحق، أنتم عبدة الظواهر والمظاهر، توابع الصضب والضجة وناشئة العواطف الزائلة الفورية والثورة والانفجار، لاتحملون البصيرة ولا السليقة لاتعلمون ولاتعرفون، إنكم كما تأتون مسرعين تفرون مسرعين" وفى مناسبة أخرى قدم شكواه :

" إن غاية مشكلة حياتى، أننى لم أكن صالحاً لذلك المنصب والمكانة التى فوضت لى "

وفى شهر أكتوبر من ١٩٤٧م ارتفع دوى صوته من خلال منبر المسجد الجامع بدلهى، ظهر أبو الكلام فيه فى غاية من الجمال والكمال، وبعد ذلك فلم تظهر حماسته وفورانه فى أى مناسبة، ولم يتخط حدود الكلمات التقليدية، تعالوا نسمع كلماته المؤثرة الرقيقة فى ذلك الوقت :

" الواقع أننى جمود، وهتاف فى الصحراء قد قضى فى وطنه حياة النفس والشرذ، ولايعنى ذلك أن المكانة التى احتلتها لنفسى فى أول يوم قطعت ريشتها أو جناحها، أو لم يبق مكان لوكرى، بل أقول : إن ذيلى يشكو اعتداءات أياديكم، إن شعورى جريح، و قلبى متألم تفكروا قليلا ما، أى طريق انتهجتموه وأين وصلتكم؟ وأين أنتم واقفون الآن؟ ألا تذكر ذلك الوقت حين قلت لكم قبل مدة أن تصور الشعبين يكون بمثابة مرض الموت للحياة المعنوية فتخلوا عنه، إن هذا العماد الذى اكتئتم عليها تنكسر بسرعة مذهلة، ولكنكم أهملتكم، وظلتم فى هذا الوضع، ولم تفكروا أن الوقت وسيره السريع لايمكن أن يغيرا ضابطتهما للمرور، لقد كان وقت حين ناديتكم اشعارا بالحصول على استقلال الهند، وقلت لكم : لا يستطيع شعب من الشعوب بشؤمه أن يمنع من الوقوع ما هو كائن، لقد تم تسجيل الثورة السياسية فى حظ الهند، وتنقطع

معطيات الدراسة الأسرية والمجتمع، ولم تكن قيود
التقليد عقبةً لى فى أى ناحية، ولم يترك عطش البحث
والتحقيق صمبى فى أى مجال من المجالات"

تعلم العربية والفارسية على الطراز الذى كان شائعاً آنذاك * و درس
الحضارة والثقافة الاسلاميتين والعلوم الدينية دراسة نقدية، واكتسب
بصيرة عميقة فى الدراسات القرآنية، ومع ذلك لم يزل يكتسب الخبرة عن
الأدب الانجليزى والأدب الفرنسى فى آخر عمره، وكان أودع ملكة الفكر
الاجتهادى من المنبع الفياض، وقد عاد من أوائل عمره نداً ثورياً،
وهتافاً ثائراً لكسر جمود البيئة وخمودها، وتلك هى العاطفة التى دفعته
إلى مساحة السياسة، حتى بدأ يسحر بأشهب قلمه وخطابته اللهيبية طيلة
نصف قرن تقريباً، وتمكن من هز ضامائر الهنود المرسفين بقيود التبعية
والمقيدين بسلاسل العبودية، وأثار فيهم غيراً وعزيمة حتى يكسروا تلك
القيود والسلاسل ويضموا بركب شعوب العالم فى منازل الرقى، متقدماً
نحو ميدان الحرية والاستقلال *

كانت نظرته فى السياسة، نظرة الوطنية البحتة والقومية المتحدة، إنه
كان درس الدين دراسة عميقة ولم يرض قط بتعريف نفسه خارجاً عن
نطاق الدين، ولكن لم يدع الدين يتقلب على نظراته السياسية، ولم يدع
المصلحة القومية الرئيسية تذهب ضحية الضيق الدينى، إنه لم يقتحم فى
مجال السياسة للمصلحة الذاتية أو للسمعة والصيت - كما قال غالب فى
بيته الفارسى : "إننى لا أقرض الشعر بحكم رغبتي، ولكن الشعر هو الذى
رغب فى أن يصبح فناً لى" *

وكذلك فإن مجال السياسة جذبته إليها، وإن لم يكن ذلك عهد التبعية
والعبودية ولم يكن أهل البلاد يعيشون حياة الذل والمهانة والاستغلال
لم يكن هو فى أى حال أن يتجه نحو السياسة، بل وعاش فى عالم فكره
وفلسفته ويطرب فيه، ولكنه قدم تضحية كبيرة لتحرير البلاد ولم يتمكن
من اتمام مآثرته العلمية الجليلة الأنيقة، بل وتركها ناقصة، ولاشك فإنها
خسارة وسوء حظ لدنيا العلم، ما لا يمكن استدراكها فى أى حال *

إنه احتفظ بأقدامه ثابتة على الرصيد النظرى التى وضعها فى أول يومه
وصانها بدقة من العثرة والتزلزل، فلم يكتسب باهمال الأغيار، ولم يتألم
بخيانة الأقرباء، إلا أن مرة اجتمعت فى قلبه قروح وكلوم أدت إلى انفجاره

قائلاً :

كلمة من المور

رغم أنه ظل ناقصا بسبب أشغاله مظهر واقعي لأناقته وشأنه الفذ، ولا شك فإن تفسيره لسورة الفاتحة اضافة مؤثرة يفتخر بها في ذخيرة العلوم القرآنية .

كان مولانا في الحقيقة عبقرى وشخصية فذة، ومفكراً فريداً، وقد أتى في أواخر الزمان بما لم يأت به الأوائل كما قال المعري :

وانى وان كنت الأخير زمانه
لأت بما لم تستطعه الأوائل

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ولم يكن في ذلك العصر أى قيمة للفضلاء . فكان مولانا آزاد وأمثلة العقلاء في كساد، وكان " عنق الحمار " آنذاك يعتبر أجدر " بالعقد الذهبي " .
قال المتنبي :

يعنى أن العاقل لا يزال فريسة الكآبة المعنوية رغم أنه يعيش في خضم الآلا، والنعيم، ولكن جاهلاً يقضى حياة رغيدة طيبة، رغم أنه تحيط به المصائب والآلام . ومن هذا المنطلق فإنه لا يصعب علينا تقدير مدى قلقه الفكرى من كتاباته . إنه ضحى حياته لمهمة قومية عظيمة، وقضى جزءاً ذهبياً من حياته خلف قضبان السجن، وقدم نفسه في كل مناسبة للتضحية والايثار، وبالرغم من أنه قضى حياة شاملة كاملة، ودّع الدنيا وهو ينفض ذيله، لا يملك من الدنيا شيئاً، كدرويش يذهب ناقصاً ذيله، ومما لا شك فيه أنه كان قلقاً على انفصال البلاد رغم محاولات لمنع البلاد من الانفصال مما أسفر عن تشرد مآت من الألوف وأصبحوا بدون مأوى، ولكنه ظل حاملاً كبيراً للواء الأمن والسلام وداعياً إلى الصلح والهدنة والتوحد بعد الانفصال كذلك، إنه لعب دوراً هاماً في نشأة البلاد الجديدة وتشكيل مستقبل البلاد وإن كان خلف الستار، كان هو أكبر ثقة عند نهرو، لأنه كان يشعر بأن بلداً كالهند . حيث تنطق بها مآت من اللغات، ويعيش في ظلها أديان، مختلفة وتقاليد متعددة، ولها تاريخ طويل للحضارة والثقافة ، فانه لا يمكن جمع شملها إلا على أساس الوحدة القومية والعلمانية والتسامح المتبادل، وتحقيقاً لذلك فانه رسم خطوطاً أساسية كذلك، ولكن سم الطائفية لم يزل يقض على جميع خطوطه، الذى ضاعف من قلقه الفكرى والمعنوى في آخر حياته، وإن كان زمام الحكومة في يد

أغلاد تبعيتها بعواصف الاستقلال للقرن العشرين،
و فعلاً فإن علم الهند يرفرف اليوم بكامل حشمتيه
وسطوته، ذلك هو العلم الذى كانت النفخات المؤلمة
للفوة الحاكمة تستهزئ بطيرانه

اختار مولانا آزاد للسياسة طريق الصحافة " فالهلال " والبلاغ " ليس فى
الأردية فحسب بل فى تاريخ الصحافة الهندية تتمتعان بحياة الخلود
والبقاء الدائم كانت الهلال قد طلعت كشعاع للنور فى ظلمات مطبقة،
وقد هزت قلوب الخاصة وأذهانهم * وألهبت دماء العامة، وإذا تناسينا
خدمات " الهلال " فى تاريخ استقلال الهند * فلا شئ، يكون أكبر نكران
للجميل من هذا *

كان مولانا مفكراً، كانت له نظرة عميقة على القضايا العصرية، كان
ثورياً عاطفياً للغاية فى خطابه، ولكن تصوراتة السياسية لم تكن وليدة
العواطف، كان يحلل القضايا بعقل منطقى رزين، ولا يندفع مع الحماس
الفورى، كان ذوق جماله فذاً مرهفاً، ورغم أنه كان عالماً دينياً كان خبيراً
برموز الموسيقى والتصوير ويمكن تقدير ذلك بدراسة " غبار خاطر " كان
يتمتع بدوق نزهة ناضر للشعر العربى والفارسى والأردى، وكان يرصع
الأبيات فى كتاباته كما يرصع الفص، كان أسلوب نشره فذاً فريداً *
امترجت فيه صلابة النطق الهندى وخشونته، وحلاوة الفارسية وجاذبيته،
وجلال العربية وسطوته بغاية من الدقة والبراعة، وهبه الله نظرة حكيم
وعقل فيلسوف، وشعور شاعر وطبيعة درويش، كان يتكلم أو يكتب فكانت
الأفكار تخفر عواطفه " ما وراء الكلام " كالوميض، وكان يبدو أن الكلمات
تندفع فى سيل أفكاره كالفتاء، إن تاريخ الهند السياسى لم ينجب خطيباً
أعظم منه * كان صوته يصطدم مع نواحي القلب البعيدة، وقد أقام علمه
وفضله، وفكره وفلسفته حصاراً حوله للرزانة والمتانة، الذى منعه من
ظهوره فى مسرح العامة " كزعيم شعبى " ولم تكن علاقته بالعامة مباشرة
كفاندى وبندت جواهر لال نهرو، ولا شك فإن مولانا آزاد كان بمثابة
" العقل " فى حركة الاستقلال وكان غاندى ضميرها، وبندت نهرو قلبها *

إنه ليس من اليسير ابتكار طريق الاجتهاد فى الدين بل هو أصعب
وأخطر للغاية * ولكن الشأن الاجتهادى يترشح فى فكره الدينى، إنه
كتب حول القضايا والمباحث الدينية ببصيرة وفكر عميقين، إنه قد ألف
حتى الآن مآت من التفاسير للقرآن الكريم ولكن تفسيره " ترجمان القرآن "

مولانا أبو الكلام آزاد - منبع الذكاء

بقلم : د/ شنكر ديال شرما

نائب رئيس الجمهورية

ينبغي لفهم ما قام به مولانا آزاد من خدمات جليلة من أجل الوحدة القومية والوطنية، أن نفهم أولاً عقله ونحله * ذكره المستر جواهر لال نهرو الذى عرف مولانا آزاد عن قريب و منذ سنوات فى أسلوبه الخاص * حيث قال :

" كان مولانا آزاد ينبوعاً للذكاء و كانت تختفى فيه
كفاءات لأتحص و كانت له يد طولى و قدرة
استثنائية على حل المشاكل و المسائل المعقدة *
إننى استخدمت كلمة " ينبوع الذكاء " و اعتبر أن
هذه الكلمة أنسب وأليق لبيان ما كان قد أوتى من
سعة فى العقل و الذكاء "

إن هذا التحليل لعقل مولانا آزاد، قد جاء من قبل شخص يعتبر من بين كبار فلاسفة هذا العصر و ستحفظه الأجيال القادمة دائماً إن شاء الله *
إن أفكار وآراء مولانا آزاد أثرت فى البيئة القومية والوطنية كثيراً و لكنى ندرك مدى تأثير هذه الآراء و مستواها الحقيقى لابد لنا أن نغير اهتماماً لتحليل المستر نهرو و هو خير من يعرف مولانا آزاد و ذكاهه *

كان مولانا آزاد بوصفه الشخصى نتاج الحضارة الاسلامية و التمدن الاسلامى العظيم * رتب مولانا فى طفوليته و فى عنفوان شبابه فى اللغات الثلاث العربية و الفارسية و الأردوية و آدابها و تتفقا على طراز قديم * و كان بارعاً وخبيراً فى العلوم الاسلامية و الفلسفة العامة و فلسفة ماوراء الطبيعة * و كان قد فرغ و أكمل منهج و مقررات الدراسات النظامية و هو

الأجانب لكان هو أن يقتحم في الساحة مرة أخرى، و لكن الحكومة هي التي ساهم نفسه في تكوينها ونشأها أو إلى من كان هو أن يستغيث ! حتى بدأ يقتصر في عزلته وعاد كما قال نفسه "نداءاً في الصمراء" •
و لكن إن سمعنا بأذان الشعور نجد أن نداء ذلك المجاهد البعيد لا يزال يرنّ في الفضاء حتى اليوم • تلك الشعلة لا تزال تخطف إلى قلوبنا حتى اليوم، و لكننا أغلقنا منافذ قلوبنا وأذهاننا، نداء يأتينا ليهزنا ثم يرجع كالصدى، وإذا كان أحد لم يعرفه في حياته، فمن ذا الذي يعرفه بعد انقضاء ثلاثة أجيال متتالية، حتى أصبحت حجاباً دونه، و من يسمع الآن إذا لم يسمع أحد حين كان يهتف وينادي ؟

وهكذا كنت في أهلى وفى وطنى
إنّ النفيس غريب حيثما كانا

د/ نثار أحمد الفاروقى

و الفلسفية الحساسة للغاية والمحبة للحياة دخلتها

أو قلبتها وعمله هذا ينال أهمية كبرى"

لقب مولانا آزاد بإمام الهند - وليس هذا اللقب بأمر مدهش ومحير* لأن مولانا آزاد لم يدرس الاسلام بنظرة عميقة فحسب بل درس مبادئ كبار الديانات الأخرى دراسة شاملة أيضاً

لذا فمن الضروري لنا في خلفية الوحدة الوطنية والمبادئ القومية، أن نبلف العامة آراء مولانا آزاد التي وردت عنه عن التسامح الدينى إننا نجد فى تفسير سورة الفاتحة، بقلم مولانا آزاد، فى "ترجمان القرآن" نموذجاً رفيعاً لعقله وفهمه* يستطلع مولانا آزاد فى تفسير سورة الفاتحة عن الفكر النفسى لذلك الرجل الذى يؤمن بكلمات سورة الفاتحة ومعانيها إيماناً كاملاً* ويوضح قائلا: إن مثل هذا الشخص يذكر الله ويحمده ويثنى عليه بكل اخلاص ومن اعماق قلبه* وليس إلهاً تدعى عنه مختلف الفرق والأمم والديانات بأنه لها وحدها بل الله الذى هو الرحمن والرحيم والذى هو خالق الكائنات ورحمته تغشى وتعمّ العالمين ثم هو يدعو الله أن يوفقه ويهديه إلى الصراط المستقيم وأن يسلك المسلك الصحيح القويم* لا يستطيع لسانه إلا أن يدعو الله به و هل هو الطريق السوى والصحيح الذى لا يلتوى؟ هل هو طريق أمة أو طائفة وطبقة من الناس؟ لا إنه طريق عادى معبد ظل يسلكه كبار قادة وزعماء الدين الواقفين بالانسانية

و جميع عبّاد الصدق والباحثين عن الحق والهاثمين له فى جميع أنحاء العالم* مهما اختلفت عصورهم ومهما كانت الأمم التى كانوا ينتمون إليها* كذلك فانه يقول فى دعائه: اللهم احفظنى وانقذنى من الشر* ولكن لا يذكر هنا أيضاً عن قبيلة أو طائفة خاصة أو مولى خاص أو أمة خاصة بل فيه ذكر لأولئك الذين ابتعدوا عن الله سبحانه و هادوا عن الطريق القويم* وهكذا يدعو للخير البشرى العميم ويلجّ فيه* فى أى قالب يكون قلب مثل هذا الرجل قد صاغ يا ترى؟ إنه يعبد الله الذى يرحم العالمين بأسرها ولا يوجد فيه اثر لقبيلة أو طائفة إنه يكون مملوءاً بالعاطفة الانسانية والاخوة العالمية*

وقد أكدّ مولانا آزاد فى مقالاته على ما جاء فى القرآن الكريم : من التصريح الواضح الذى يقول : "ولكل قوم هاد" أى ما من بلد أو بضعة فى العالم إلا وقد أتاها رسول* فينبغى لنا أن نوّمن بهم جميعاً أو لانوّمن بأحد ونرفضهم جميعاً* لأنهم جميعاً كانوا مرسلين من إله واحد وهو الله* وقد

فى السنة السادسة عشرة من عمره • وبقدرما أعلم إنه يدل على ذكاه الإستثنائى وهو مما لا يوجد له نظير يومنا هذا • كان مولانا رجلاً غير عادى يسلك عقلاً وذكاءً نادريين من طفولته • وكما كان فاره البال وثرى أيضاً، وهكذا كان قد أصبح خزانة للعلوم والمعلومات وركز أفكاره فيما بعد على أهم القضايا السياسية لبلادنا •

وإنه ليجدر بالذكر فى صدد الوحدة الوطنية والقومية أن آراء مولانا آزاد كانت أرفع فيما يتصل بالفلسفة والدين والعلم • وكانت مبنية على أسس الفكر المتينة • لقد حصلت آراء مولانا آزاد المليئة باللباب حول القضايا العديدة عن طريق اتصاله بالدين اتصالاً وثيقاً • وكان من ضمنها العديد من المسائل والقضايا الجديدة للغاية • التى ظهرت أمامه فى حياته • كان منبع الحب للعقل فى مولانا آزاد يرجع إلى دينه الاسلام الذى توجد فيه قوة دافعة وحركية كبيرة لتنشيط الأفراد • ويقول مولانا آزاد بأن الذين لا يستعملون العقل الذى وهبه الله هم من كفر الحق وجاحديه ويكتب فى المجلد الثانى من "ترجمان القرآن" أنه من قانون الله الطبيعى الذى لا يتغير أنك إذا لم تفتح عينيك فافهم أن غطاءً مظلماً سوف يفسده • إذا أنت لم تستعمل اذنك فانك ستصبح مثل الأصم اذا أنت أبييت التفكير فان نور عقلك سيتضاءل ويصبح مظلماً • إن قول مولانا آزاد المذكور هذا سيعاون ويساعد فى فهم حبه للعقل ذاك الذى ظهر على وجه خاص وبوضوح فى ترجمان القرآن • لعل هذا الكتاب أكبر شهادة لأفكاره الإسلامية وأهم تفسير للإسلام فى العصر الحديث • وعلى عكس العلماء الآخرين وضع مولانا آزاد أساس إيمانه وإيقانه على التحليل والدراسة والتفكير فى أدق الجوانب لكل مدرسة فكرية بدلاً من أن يضعه على التقليد والتوارث • يمكن التقدير بأسلوب مولانا آزاد فى الفكر بجمله وردت فى كتاب ترجمته الذاتية المعروف بـ "التذكرة" فقد كتب :

"إننى أبيت منذ اليوم الأول بالذات، أن أطمئن إلى جميع تلك الأشياء التى ورثتها من أسرتى وثقافتى ومجتمعى وفى أى جهة لم أتقيد بسلاسل التقاليد ولم اتنازل عن العطش للصدق أبداً • • وليس إيقان فى قلبى لم أثقبه بأشواك الريب والشك • لم يكن فى روحى تصور لم أحكه على محك التشكيك • وهكذا دخلت حدود العقيدة العقلية

..... منبع الذكاء

عليها ثلاثة عشر قرناً* إننى لغفور بكونى هندیاً- إننى جزء لا يتجزأ من الوحدة التى لا تقبل الإقسام ومن الوحدة القومية الهندية* إننى ركن وعمود هام فى هذا البناء الفخم وإن هذا البناء الفخم غير مكتمل من د. ن. كما يحق لأى هندوكى أن يقول بفخر إنه هندى ويؤمن بالديانة الهندوكية* كذلك يحق لنا أيضاً أن نقول بمثل هذا القدر من الفخر أننا من أبناء الهند ونؤمن بالإسلام إيماناً لا يتزعزع لقد صاغت حياة الوطام والانسجام التى مرت عليها آلاف السنين فى قالب للقومية المتساوية* لقد اكتمل القلب الآن وقد وضعت الطبيعة ختامها عليه .. ولا يمكن تصور أى خطة ومكيدة شريرة لإحداث الشقاق والفصل بحيث يلحق أى ضرر بهذه الوحدة القومية والوطنية"

كان مولانا آزاد مسلماً صادقاً ومخلصاً ولذا كان وطنياً صادقاً أيضاً* وقد عمل مولانا آزاد بوصفه عالماً وكاتباً ومفكراً أو بوصفه عضواً فى حزب المؤتمر أو فى البرلمان أو بوصفه وزيراً أو بوصفه صديقاً عزيزاً وغالياً لجواهر لال نهرو وقائداً كبيراً للشعب الهندى من أجل الوحدة القومية والوطنية بجرأة استثنائية وطموح غير عادى للعمل الفعال وفقاً لآراءه وليت الناس يتأملون ما قاله إلى مدى أكثر ولو فعلوا لكان تاريخنا الحاضر مثار فخر واعتزاز لنا أكثر من دى قبل*

لقد ذكرت آراء وأفكار مولانا آزاد هنا لغرض وهدف خاص ففى مثل هذا الوقت الذى يواجه فيه المجتمع الانحطاط والإنهيار، يصبح ذكر هذه الأحاديث والآراء ضرورياً، وينبغى لنا ألا نفعل عن أفكار ونظريات التعصب، لأنها قد أصبحت قضية أساسية اليوم* يجب علينا أن ندرس أسباب القضايا والمشاكل الرئيسة دراسة عميقة ونفهم ما فى مثل هذه الأفكار من مساوى قاتلة فهماً كاملاً ثم نخبر الآخرين عنها أيضاً* لأنها تؤثر فى حياتنا اليومية وتعرقل تقدم البلاد وتحدث الفوضى فيها* إن هذه المساوى القاتلة تبعدنا عن مبادئنا وأهدافنا القومية* لذا فإن عمل تسليط الأضواء على حقيقة وأصالة مثل هذه النظريات* ينبغى أن يكون ضمن واجبات المفكرين والباحثين ولم أجراً أن أقول شيئاً حول هذا الموضوع إلا لهذا السبب بالذات* إننى أحس أن أتحدث إليكم وألقى بعض الكلمات بمناسبة احتفالات الذكرى المئوية لمولد مولانا أبى الكلام آزاد ، التى تكون أنسب لترويج هذا الهدف المنشود*

قال رئيس الوزراء الراحل جواهر لال نهرو وهو أقرب أصدقاء مولانا آزاد :

وردت فقرة هامة أخرى أيضا فى مقالات مولانا آزاد أريد أن أذكرها على الوجه الأخص و هى أن عنصر ضيق القلب هو أكبر عائق فى تقدم البلدان • فيجب علينا أن نبعد أنفسنا عن هذا الداء فى عصر الاستقلال الجديد الذى بدأ عهده آنفًا • ولا يوجد داء آخر أخطر منه لتقدم الحياة القومية وازدهارها • يعترى هذا الداء • ويتواجد هذا المرض فى كل حقل من حقول الفكر والعمل • إنه يعمل عمله مخفيا • ومحتجبا بالقناع مثل الفنان • فى نطاق الدين يأتى أماننا فى شكل التقليد الأعمى • ويريد أن يخدعنا بإسم الأعراف والتقاليد القديمة وفى نطاق العلم والحضارة يتخذ شكل الحب والعبادة لكل ما هو قديم ويفرنا • وما أحسن وأليق بنا أن لا نقع فى هذا الخداع •

و باستثناء أناس لا صلة لهم بالعقل و عددهم قليل جداً يقبل جميع الناس تلك الأفكار للأخوة و الانسانية العالمية التى هى قوام و أساس العلمانية* و يعلم من هذا مدى ما حققناه من تقدم فى مجال الوحدة الوطنية و القومية خلال الأربعين عاما الماضية* لقد اختار أبناء وطننا المعانى الصحيحة و القومية للدين و للحب و العبادة للتقديم ببطء و بالتدرج و لكن على نطاق كبير و هم يحفظونها و قد ازدادت بلادنا قوة بهذه و تلك و أصبحت الحياة القومية أقوى* إذا رأينا سنين و عقود ما قبل الاستقلال و انقسام البلاد ذكرناه و يذكر معنى كثير من السادة المستمعين الحاضرين هذه الحفلة — أن البيئة كانت مسمومة جداً آنذاك* كانت هذه البيئة قد أفسدت و سممت عمداً بمبادئ الاستعمار و بذلت محاولة لتعميم و نشر هذه السياسية بالقوة الطاغية و إلى أن أثارت و أقامت هذه السياسة جاراُ ضد جاره و أخا ضد أخيه و أصبحت الحياة الانسانية القديمة التى يرجع عندها إلى آلاف السنين ضحية للجنون الطائفى*

نفس مثل هذه الأحوال والظروف، نورث أفكار وآراء مولانا آزاد عقول الناس ليعودوا إلى الصواب ويفيقوا إلى الوعي ويقوموا على أرجلهم وتعتبر الأفكار التي عبر عنها مولانا آزاد في خطابه الرئاسي الذي ألقاه في اجتماع المؤتمر الوطني الثالث والخمسين الذي انعقد في رام كـ—ره (Ram Garh) في سنة ألف وتسعمائة وأربعين نموذجاً أعلى لمبادئ الوحدة الوطنية والقومية الأساسية • فقد أعلن فيه قائلاً : " إنني مسلم وإنني لغفور بأنني ، شئت التنازل الاستثنائية الرفيعة والغفمة التي مضى

من أجل استقلال أمته وشعبه ولأجل الحصول على الاستقلال ولتشجيده على أسس وطيدة وطيبة بعد الحصول عليه * إنه أثبت أن العلم ليس شعوزة و ليس مما يُخدع به الناس و لكنه نور يستطيع الانسان أن ينير به الطريق للآخرين *"

أرى أن أكبر خدمة قام بها مولانا آزاد هي أنه قال أن روح الدين هي روح وثام و انسجام إن روح الدين هي روح تعارف بعضهم البعض إن روح الدين هي روح الخدمة * إن روح الدين هي روح النضحية بالنفس من أجل الآخرين * إن روح الدين هي روح الإيمان بالوحدة بل وروح الإيمان بوحدة الحياة كلها * وانه لدرس ينبغي أن تتلقن وتتلمه كافة الجماعات الدينية وجميع أولئك الذين يريدون تشكيل وإنشاء فئات ومجموعات صغيرة الذين يريدون القضاء على وحدة حياتنا بتشكيل فرق وفئات على أساس اللغة أو على أساس الاقليم والولاية أو على أساس قبيلة وطائفة أو على أساس دين * إن أكبر داء في بلادنا في هذا الوقت هو أن ما يوجد عندنا من ولاءات صغيرة و ولاءات ضيقة هي قوية جدا * إننا ننتمى إلى فئات و فرق صغيرة ونرتبط بها إلى حد أكثر ولا نفهم الفئات والأحزاب الكبيرة حق فهمها * فينبغي لنا أن نجعل ولاءاتنا الصغيرة خاضعة لهذا الولاء الكبير * من دون الحاجة إلى قطع الولاءات الصغيرة * لا يلزم لأحد أن يقطع صلته بالديانة السيخية أو بدين الاسلام وبالهندوكية أو بالزرداشتية و المجوسية * ولكن ينبغي له أن يكون خادما لهذه البلاد أولاً وخادماً للبشرية جمعاء ثانيا : اذن يقال بأنه مسلم صادق أو هندوكى صادق أو مسيحي صادق أو سيخي صادق أو مجوسى و زاردشتى صادق * نتلقى هذا الدرس من حياة مولانا آزاد بوضوح

تعريب : محمد رضا خان الندوى

" كان مولانا آزاد من بين الذين نشأوا وترعرعوا مع الحركة الوطنية والقومية خلال مدة تزيد على نصف قرن و كان قد رأى عهودا مختلفة للحركة الوطنية والقومية و ساهم فيها و شارك فى جهودها و فى النضال من أجلها أقص ما كانت تصبو و تتوق إليه * إنه كان جزءا هاما من هذه الحركة و تولى تنظيمها وتنسيقها إلى مدى أكبر * إلا أنه ظل عالما راسخا و محبا للتفرد والفردية بل كان وفدة بين جماهير الشعب الهندى * إنه سيظل يحتفظ بمنزلة رفيعة و خالدة فى تاريخنا القومى والوطنى بفضل قيادته الرشيدة للحركة القومية والوطنية أثناء هذه المدة الطويلة *"

قال جواهر لال نهرو أيضا :

" كانت شخصيته تملك ميزة علمية غير عادية و ذكاء محيراً للعقول * لم تقدر العواطف أو التعصب على أن تتغلب عليهما أبداً * و ما يفوق كل هذا و ذاك هو أن شخصيته كانت مرآة توجد فيها انعكاسات هذه الحضارة الهندية المتنوعة التى أثر فيها العديد من الاتجاهات الأجنبية و جعلها ثرية كان أسلوبه فى التفكير جديداً من بعض النواحي و من الأساس و فى بعض الأشياء الأخرى كانت صلتته بالماضى وثيقة جداً و كان انعكاساً لإحساس ذلك العصر الذى يسمى عصر التنوير * و بالإجمال كان شخصا غير عادى له الهدف الذى ظل يناضل من أجله مدى الحياة و ذا مكانة بارزة و ذلك أيضا بطريقة و فى أسلوب لا يمكن لأحد أن يضارعه و يضاهيه *"

و قال الدكتور ذاكر حسين : و هو الخبير البارز فى التعليم و التربية، "لقد أوضح مولانا بنموذج حياته أنه يستطيع أن يقض حياته كلها كمجاهد

والتراجم والتاريخ كذلك. أحدثت بصيرته النافذة، ولبتكاره ودقته انقلاباً في سياسة البلاد، وكان كبار الزعماء السياسيين أمثال غاندى وجواهر لال نهرو والراجلين يستشيرون منه في القضايا السياسية المعقدة، كان يمثل شخصية تاريخية نموذجية حققت إنجازات تاريخية عديدة لكنه فوق ذلك قام بخدمات تصنع التاريخ وتعدّ معجزات، إن تفنن هذه الإنجازات وفرتها تبعث على حيرة المؤرخين وتثير استعجابهم، كثيراً ما نرى أن الشخصيات التاريخية تحدد نشاطاتها في نطاق واحد ولكن مولانا آزاد خاض في كل مجال من مجالات السياسة والصحافة والأدب والتاريخ والفلسفة وصنع معجزات وخوارق تبهر العيون وتدهش العقول، كان إسمه التاريخي " فيروز بخت " وكان والده أصدر تاريخ ميلاده بالشطر التالي :

" جوان بخت وجوان طالع، جوان باد "

(أى جعله الله شاباً، سعيداً، نجيباً)

هذا الشطر صورة صادقة لحياته، وكانت أسرته قد اجتمعت فيها ثلاث أسر مختلفة كلها تعد من أكرم وأفضل أسر الحجاز، ومن الله تعالى إذا أفاض على أسرته من مكارم الإرشاد والتوجيه ومحاسن العلوم والمعارف ما يفوق العدّ والحصر.

كانت قد خاض في محيط الصحافة والأدب منذ نعومة أظفاره حيث كتب أول مقالة له في سنة ١٨٩٩م وهو من عمره إحدى عشرة سنة، ومنذ ١٩٠٢م بدأت مقالاته وبحوثه تحتل مكانها من النشر في المجلة الشهيرة "مفزن" الصادرة من لاهور، وفي سنة ١٩٠٣م أصدر صحيفته "لسان الصدق" الأردنية من كلكتا شرقى الهند، وقد نالت إعجاب كبار العلماء والباحثين أمثال العلامة شبلى النعمانى والعلامة حالى والشيخ نذير أحمد وفي تلك الأيام لما عرف به مولانا وحيد الدين سليم للعلامة حالى قائلاً إنه رئيس تحرير لصحيفة "لسان الصدق" فكاد حالى يقض منه العجب ولم يتيقنه وبقي يظن أنه ابن رئيس تحرير "لسان الصدق". وقام برئاسة تحرير مجلة "الندوة" الصادرة في لكتاؤ من أكتوبر ١٩٠٥م إلى ١٩٠٦م، والإنتاجات الأدبية والعلمية التي دهبها يراعه خلال هذه المدة رفعته إلى ذروة العظمة والشهرة، ثم قضى بعد ذلك مدة وجيزة في جريدة "وكيل" الصادرة في أمرتسر ببنجاب، ولكن عبقريته العلمية والأدبية والصحافية ترجع إلى "الهلال" و"البلاغ" و"التذكرة" و"الهلال" في مرحلتها الثانية و"ترجمان القرآن" و"غبار خاطر"،

رائد القوم

بقلم : محمد عثمان عارف النقشبندى
الحاكم لولاية اترا برديش

إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد - هو الشخصية العبقريّة التي حازت قبولها ونالت شهرتها كأديب كبير، وكاتب مترسل مبدع، وصحافي بارع، وسياسي مهنك، ومفسر ممتاز، ومحدث جليل، ومفكر نابغ، وبطل شهير للاستقلال، والواقع أن شخصيته كانت جامعة بين أذواق متنوعة ومشارب شتى، إنه أنجز بذكائه الحاد وبصيرته النافذة واستعداده الموهوب من الآثار الباهرة الخالدة على البواضيع الثقافية والأدبية والصحافية والسياسية والاجتماعية والدينية من بساط الصداقة ومنصة الخطابة ما يندر نظيره في هذا العصر.

إن شخصيته شخصية ألمعية فذة قلما يجود الزمان بمثلهما، ولد الانسان منذ مئات آلاف من السنين وستستمر هذه السلسلة حتى تقوم الساعة ولكن هذا الحشد الهائل من الأنام كم يبرز منهم من عرفهم الناس كقائد ركب أورايد جيل، وخلعت عليهم القدرة الإلهية من المحاسن والمكرمات ما أشار إليه شاعر الشرق الدكتور إقبال قائلا :

" النظر الثاقب والحديث الساحر الأخاذ والروح
الملتاعة هذه الزاد لرائد الركب"

لو وضعنا مولانا آزاد على هذا المحك لوجدنا أن شخصيته تمثل هذه المحاسن في طول الخط ونهاية المطاف، فقد كان في طليعة القواد الوطنيين الذين يجمعون بين القول والسلوك. ولم يكن مفكرا عظيما، عالما متبحرا، وخطيبا مصقعا، وكاتبا قديرا، وأديبا مبتكرا، وصاحبا فريدا فحسب بل كان نسيج وحده في الفلسفة والحكمة والشعر والأدب

و الوعي الدينى و السياسى فى الجماهير، و معالجة القضايا و حل العقود السياسية ليس إلا مدينا لحبه و هيامه بالنبي صلى الله عليه وسلم، كان قد بدأ يبذل جهوده و يقدم خدماته و تضحياته فى معارضة الحكومة الوافدة و التحرر من يدها قبل أن تبتدأ حركة الاستقلال بنظام، بدأت مجلة الهلال تصدر فى ١٩١٢م، و صودرت فى ١٩١٥م، و لأجل هذه المعارضة الشديدة تم نفيه من بنغالة، ولما أطلق سراحه سنة ١٩٢٠م بعد ما قضى أربع سنوات معتقلا فى رانجى (RANCHI) بولاية بهيار، قابل غاندى لأول مرة، و انضم فى نفس السنة " بحركة عدم الولا " التى قادها غاندى، و من هنا نشأ بينهما من أواصر المحبة و الصداقة و الاحترام مادام وطيدا مدى الحياة *

إن التعريف به كسياس محنّ خبير و قائد وطنى كذلك من الصعوبة بمكان، و قد صدق جواهر لال نهرو عند ما قال :

" إنه سياسى فريد و تغاير سياسة العالم العادى

تماما، فانه عالم متبهر جليل و ممثل و ترجمان للوحدة

الهندية فى آن واحد، و لم يشعر قط بأى عرقلة

أو صعوبة فى المجمع بين هذين المجالين "

كانت سياسته تقوم على النزاهة و الكرامة، كان يعتقد أن العبودية و التطفل على مائدة الأمم ينافى شرف المسلمين و كرامتهم الدينية، و يشعر بضرورة استقلال الهند إعادة لهذا المجد الفاهر و الكرامة التليدة للعالم الإسلامى، و يدعوا المسلمين إلى التفكير الهاد و العمل المتواصل تحقيقا لهذا الاستقلال المنشود، و كان ذلك هو الهدف الأساس لإصدار "الهلال"، كان مولانا آزاد ترجمانا لشمول النظام الإسلامى و سماحة الاسلام و حبه و احترامه للانسانية و داعية متحمسا له كذلك، و لأجل ذلك كان يبذل قصارى جهده لينتقد المسلمين من برائن الاستعمار و يصفهم فى وجهه يقاومونه و يكافحونه مع أبناء البلاد شبرا بشبر و ذراعا بذراع، كان يعتقد أن المسلمين يستحقون من موارد هذه البلاد و خيراتها ما يستحق به أبناء الفرق الأخرى لهذه البلاد، و كان ذلك نفس موقفه من تأدية المسؤوليات و الواجبات و تقديم الخدمات لترقية هذه البلاد، كانت حياته السياسية تجمع بين روعة الحنكة و الضربة و التفتح و وفرة الصبر الجميل و تحمل المشاق و ضبط النفس و نكران الذات، و إن الذكاء الهاد و التفهم للأوضاع و البصيرة النافذة التى استخدمها فى أعصب و أخرج

فإنها من إنتاجاته المثالية التي تندرج نظائرها في تاريخ الأدب الأردى والصحافة الهادفة البناءة، وكان يزدان في كلا المجالين من الكتابة والخطابة بسعة البحر وضفامة الجبل وسيل النهر وتلفف النسيم وصرصر الطوفان، ونستطيع أن نقدر عبقرية شخصيته بما أنه أهرز البراعة في علوم وفنون متعددة، فأى موضوع من مواضيع الطب والفلسفة والمنطق والديانة والتاريخ والأدب والموسيقى وعلم النفس والجغرافية لم يدرسه دراسة واعية وافية؟ وتأليفه كذلك كثيرة تطول قائمتها، ورزقه الله ذاكرة قوية لم يظالم شيئاً إلا وعته وذل به لسانه، فكان يحفظ المعادشات والعبارات بطولها فضلاً عن المعانى والمفاهيم والأبيات، حتى انه كان يذكر أن العبارة من أين اقتبست وأنها في الصفحة اليمنى أو اليسرى، بداية الصفحة أو وسطها أو نهايتها.

يتحدث في كتابه "تذكره"

"إن كل ما حظيت به يرجع فضله إلى العشق ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم. وكل ما تشرفت به من
الرشد والتوجيه ليس إلا رهنا لعناية المرشد الأعظم
وهادى السبيل صلى الله عليه وسلم، فهو الذى فتح
لنا آفاق العلم واسعة وعرفنا بحقيقة العلم وهادنا
إليها، وكانت صحف الحكم والمعارف على طرف
لسانه، وكانت ذخائر الحقائق بيده، وكان معلماً
لحقائق الشريعة، وكان منارة الراهب في جليل
التزكية والإحسان ودقيقه، ودلنا على أسرار القرآن
الكريم وكشف لنا غوامضه، ومنحنا النظر الثاقب
والبصيرة النافذة والقلب المتفتح، فأى اعوجاج
لم يستقم بفضل نظره السديد، وأى مرض لم يتومر
دواءه من مستشفاه؟"

فبفضل هذا العشق الأصيل وهذه استطاع مولانا آزاد أن يدين له العالم بفضل وعلو كعبه في علم القرآن والتفسير والحديث والفقه، وإلى ذلك وهذه يرجع الفضل في إلمامه الواسع بالتاريخ والفلسفة والسياسة، وبراعته في النقد وقرض الشعر، كما أن جدارته وكفاءته في إيقاظ الشعور

مولانا أبوالكلام آزاد

بقلم : أبى الحسن علي الحسنى الندوى

دارالعلوم ندوۃ العلماء بلکناؤ

كان العهد الذى بلغت فيه رشدى، و بدأت فيه المطالعة و الكتابة عهدا طبق فيه صيت مولانا أبى الكلام آزاد الآفاق، كان يسمع دويّه فى سائر أنحاء الهند، لم يكن يتمتع بهذه المكانة فى القلوب، و التأثير على النفوس أديب و لاشاعر و لا مؤلف آخر، و لا أعرف أحدا فى دنيا العلم و الأدب ممن وهبهم الله الذوق الأدبى و المعرفة العلمية شخصا لم يتذوق بأدب مولانا أبى الكلام آزاد، و لم يتأثر بخطابته المججلة، و رشاقة قلمه الفياض، و قوة تعبيره، و لم يسحره ما دبحه قلمه من مقالات مثيرة فى صحيفة الهلال، التى عرفت بسمرها الحلال •

سنة كانت على صلة بأبى الكلام آزاد، و على انسجام فكرى معه و كانت تشتمل على عدد من رجال تعرفوا على مولانا آزاد و رأوه عن كثب، فى عهد شبابه الذى كان فيه مساعد مدير مجلة " الندوة " و كان يقيم فى الدار القديمة لندوة العلماء الواقعة فى " خاتون منزل " و كان يقيم بذلك المكان الأستاذ عبد الماجد الدريا بادى أيضا و كان يستفيد بمجالس العلامة الشبلى النعمانى •

لم يكن هؤلاء الأقارب الذين صحبوا مولانا آزاد فى ذلك العصر من مؤيدى مولانا آزاد و مريديه، فيستجيدوا كل ما يصدر منه من عمل أو قول، لكنهم كانوا فى الواقع مسحورين بذكائه المفرط و حضور البديهة، و حسن المحاضرة، و قدرته الكتابية من جانب، و بغيرته، و أناقته، و خفة روحه، و صفاء ذهنه من جانب آخر، فكانوا يسردون قصصه بلذة و اعجاب، كنت أحسب فى ذلك الوقت كأنى أسمع قصص حكماء اليونان، و فلاسفتهم،

ساعات الحركة الوطنية لتحرير البلاد ما بين فترة ١٩٤٢م و ١٩٤٦م قد دلت الصعوبات في سبيل الاستقلال و عاد الغرض سهل المنال، كان يحلم بأن يرى البلاد حرة مستقلة بأسرع وقت ممكن، و انطلاقا من ذلك كان يؤكد على ضرورة الوحدة و التضامن بين جميع الفرق و الطوائف، فكثيرا ما صدع بأن سبعين مليون مسلم من هذه البلاد لينضموا بسائتس و عشرين مليون هندوكى و يتحدوا معهم بحيث يعودوا شعبا واحدا، تحقيقا لهذا الغرض قال سنة ١٩٤٣م بكل وضوح :

" لو نزل أى ملك من سبب السماء و إرتقى
 " منارة القطب " بدلهى و أعلن بأن الاستقلال سيتحقق
 فى ٢٤ ساعة بشرط أن الهند تتخلص عن التضامن
 الاسلامى الهندوكى فاننى سوف أتخلص عن الحركة
 و الاستقلال، فان الاستقلال لو تأخر ظهوره لم يلحق
 الضرر إلا بالهند فحسب ولكن - لا سمح الله - لو
 انقض تضامننا و انصرفت وهدتنا لتعدى الضرر إلى
 الإنسانية جمعاء "

رفع مولانا آزاد مستوى الصحافة بجرائد القيمة البارزة إلى أعلى الذروة و منتهى القمة، و ترك للأجيال القادمة أثارا علمية خالدة مثل " تذكرة " و " ترجمان القرآن " و " غبار خاطر " و غيرها من إنتاجاته التى تعد من روائع الأدب و البيان، إنه قضى عشر سنوات و سبعة أشهر فى مشاق السجن و متاعبه الزائدة توخيا لتحرير البلاد، و حقق ذكرى قيمة تعتبر بحق درسا سياسيا مثاليا *

كيف نفى بتعريف هذه الشخصية الجامعة العملاقة و الإشادة بمآثرها و خدماتها، فمآثره و مكارمه و افرة زاخرة و القلم عاجز و الآراء قاصرة، كان أمينا للقيم و المثل الثقافية و الحضارية و الدينية و السياسية و الأدبية و العلمية لهذه البلاد و محافظا عليها، و إنه أيقظ الشعب الهندى و نفخ فيه روحا جديداً، كان مبدعا مبتكرا لأسلوبه و خاتما له كذلك، و ذلك ما يدل على ندرة هذه الشخصية و عبقريتها *

تعريب : أفتاب عالم الندوى

صدرت تذكرة المجاهدين لصادقفور المعروفة " بتذكرة صادقة " بتأليف الشيخ عبد الرحيم الصادقفوري أسيراندمان، فقدم لها هذا الأديب الشاب، والكاتب المغمور، محسن الدين أبو الكلام أحمد، ويحمل تقديمه أسلوبها قديما لا يعرف منه ان كاتبه سيظهر في المستقبل على سماء الهند العلمية والأدبية، كهلل العيد ويهبر العيون، رغم هذه الصلة العميقة لا أذكر قدومه الى بيتي، لأنى كنت في التاسعة من عمري حينما توفى والدى رحمه الله فاذا قدم قبل ذلك، في بداية حركة الخلافة ، أو لدى تأسيس ندوة العلماء فذاك قبل أن أبلغ رشدى .

كانت زيارتى الأولى له كما أذكر اليوم في قاعة كنكا برشاد بلكناؤ في حفل أقيم لبث دعوة الوحدة بين المسلمين والهنداك، وكان من بين الحضور مولانا محمد على جوهر، فحان وقت صلاة المغرب، وكان الحفل يستمر، والكلمات تلقى فنهض مولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله وتوجه إلى الضاحية الشمالية من القاعة، حيث نظم المكان لاداء الصلاة، فصلينا جميعا خلفه، فرأيت ذلك المين عن كشب لأول مرة فاذا هو فارغ القامة، أسيل الوجه، أحمر اللون، بعينين نفلائين متوقدين و كأن عينيه تنطقان و تتكلمان تعلوه ابتسامة، و يلمع على جبينه الاستبشار، و تلمس فيه ملامح الذكاء و الثقة بالنفس و الحظ السعيد، في ثياب بسيطة تشبه بثياب الأشراف والأعيان من دلهى و لكاناؤ . تتميز في الأناقة و حسن الاختيار و الذوق، و قلنسوته مرتفعة، تمتاز بها شخصيته المتميزة فهذا هو مولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله، الذى لقيته لأول مرة، و أعجبت به، و لاتزال في ذاكرتى بعض كلماته التى ألقاها في ذلك الحفل، استشهد برواية سنن أبى داؤد و هو يبين وجهة نظر الاسلام عن الاخوة الانسانية، و المساواة الانسانية، فقال : "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الليل عندما كان يناهى ربه، ويدعوه، و يتضرع اليه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة" .

كان مجلد صحيفة الهلال الدينى الذى أصبح اليوم هدية سنية نادرة . يوجد في بيتى بمدينة لكاناؤ، و في بيتى الواقع في قرية صغيرة من قرى مديرية رائى برهلى و كان يحصل عليه الصغار للمطالعة بغاية من الحيلة و الحذر لأهميته و قيمته العلمية، و في هذا العهد امسكت القلم، و بدأت فيه بالكتابة، و تمكنت من تعبير ما يدور بخلدى، فكانت مقالات الهلال تدور في ذلك الوقت حول هروب ادربنا نوبل و سمرنا أو بلقان، و طرابلس

و الصور الخيالية لألف ليلة وليلة، و لم يكن هؤلاء المعجبون بشخصية مولانا أبى الكلام آزاد يعتبرونه شخصية مثالية منزهة عن كل عيب، أوفى نجوة من مواضع النقد، بل كانوا يتوجهون الى بعض المآخذ فى تصرفه الا أنهم كانوا مجمعين على ذكائه وقوة ذاكرته الموهوبة من الله وغيرته، وثقته بالنفس و تلك خصال لم يكن يتنازع فيها اثنان، ثم سمعت من العلامة السيد سليمان الندوى فى عدة مجالس عن ذكائه المفطر و صلاحيته للفهم، وإدراكه للدقائق، و نفاذ ذهنه، و قدرته على العرض والتعبير، والاستفادة من معارفه ما لا يتوفر عادة *

و حدث مرارا، أن العلامة شبلى النعمانى طلب من تلامذته النبغاء الكتابة فى موضوع، فحشد هؤلاء التلامذة المواد العلمية عن ذلك الموضوع بعد مطالعة عميقة، و عرض بعض هؤلاء التلامذة البارزين مقالاتهم ، لكنه لم يقتنع بها و اعاد بعض التلامذة مجهودهم للكتابة فى الموضوع، لكنهم اخفقوا فى كل مرة، و كان مولانا أبو الكلام آزاد فى زاوية يسمع ما يجرى بين الأستاذ و التلميذ، فتقدم و استفسر عما يريد العلامة شبلى النعمانى، فعرض العلامة شبلى النعمانى الخطوط العريضة فى كلمة وجهزة، و جلس مولانا أبو الكلام آزاد يكتب حسب هذه الخطوط العريضة، و عرض بعد فترة قصيرة مقاله، فقال العلامة النعمانى، هذا ما كنت أريده *

كانت هذه الموضوعات فى بعض الأحيان دقيقة كلامية أو فلسفية، و كان يحسب كل من يشاهد هذا الشباب الذى كان يبرز على أقرانه عادة، و يدesh بمقالاته، أنه سيفقق هذه المرة و يزول رعبه و هيبتة على النفوس، و تظهر قلة بضاعته، لكنه كان ينتصر دائما، و ينجح فى كل امتحان *

و لا يغرب أن يكون مولانا آزاد قد زار والدى فى بيته عدة مرات لأمر من الأمور التى تتصل بندوة العلماء خلال صلته بها فقد وجدت فى أوراقه بطاقة تحمل توقيع الحكيم أجمل خان، و أبى الكلام آزاد معا، كما توجد عدة رسائل لأبى الكلام آزاد خلال دراسته و عهد شبابه الذى كان يستفيد فيه من شمس العلماء الشيخ محمد يوسف رانجور العظيم آبادى فى كلكتا * و كان الشيخ سليل أسرة صادقفور التى كانت من أتباع الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، و الأوفياء له و كانت لها مساهمة كبيرة فى حركة الجهاد و الدعوة التى قام بها أتباع الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد فى العهد البريطانى الفاشم *

أيضا عن الحضور في الغزوة، و نفخ فيها الروح بقلمه الساحر مع رعاية أصول الترجمة* و صور صراغهم الذهني، و الاختبار الذي ابتلوا به و وفاءهم الصادق للسلام* و حب الرسول صلى الله عليه وسلم، و نقل دقات قلوبهم الى القارئ* بألفاظه، و رصّعه بالأشعار العربية و الفارسية ذات رونق و بهاء كاللآلئ الثمينة اللامعة، فبذلك يستحق هذا البيان أن ينال مكانا عاليا في الأدب الكلاسيكي العالمي فضلا عن الأدب الأردى*.

و بلغ قلمه الساحر ذروة الكمال في تمثيل استقامة سيدنا يوسف و سيدنا يعقوب عليهما السلام، و تصوير آلامهما و أحزانهما، و عرض سلوكهما و حياتهما رغم أن هذا الموضوع موضوع التفسير، و يتطلب غاية من الحيطة و الحذر، لكن الأديب و الأديب الموهوب، و الذكي النادر لا ينتهي عن فتح مغالقي جديدة و بيان نكت غريبة، و اشارات لطيفة، الى مواضع البحث و النظر، و عن ابداء براعته الكتابية*.

ذكر مولانا آزاد في هذه القصة أيضا، و في تعليقاته التفسيرية نكت علم النفس و نكت علم الاجتماع و الأخلاق التي تجدر بأن يدرسها طلاب الأدب و الأخلاق فضلا عن طلاب علم التفسير، و يستفيدوا منها*.

و أقول بصراحة أنى قرأت الكثير في هذا الموضوع و لكن هذه المطالعة الواسعة زادتني علما، و لم أجد أحسن وصف، و أوسع بحث عما قرأته في تفسير مولانا آزاد و قد قرأته مرارا و استفدت به كثيرا*.

كان مولانا آزاد مراقبا على تأليف الوزارات لحزب المؤتمر الوطنى فقدم الى لكانا و أقام في منزل كوبند بلب بنت (GOVIND VALLABH PANT) كبير وزراء ولاية أترا براديش فذهبت اليه مع بعض أصدقائى، و اجتمعنا به، و عرفته على نفسى، فذكر بعض الكتب التي ألفت حول ترجمة الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد نظرا الى صلتى به، و كنت أيضا مشغولا بتأليف سيرة السيد. أحمد الشهيد في تلك الأيام، و هو أول كتاب ألفت، و كان معى بعض صفحات من أصول الكتاب، و كنت أهدف بهذا اللقاء ان أطلب منه أن يقدم لكتابتى فقبل عرضى، و وعد بأن يقدم له*.

و أعربت خلال حديثى معه عن أمنية لى، و هى أننى أريد أن أنقل بعض أجزاء تفسيره إلى اللغة العربية، فسمح لى به، و بينما كان يدور الحديث، دخل بعض الوزراء في حكومة ولاية أترا براديش فلم يبد من ملامح وجهه انه يرغب فى أن ننصرف، فيتحدث معهم، رغم مكانتهم العالية في الحكومة، و هذه هى ميزته الخاصة التى عرفناها بعد لقاء أو لقاءين، و جربناها مرارا،

الدائمة، و حول بطولة أنور باشا، و مآثره الحربية و حادثة مسجد كانفور المؤلمة، فقرأتها و اهتزرت بها، و كنت اعتبرها على ذروة من الخطابة و أعلى نموذج للبلاغة، و القدرة البيانية، و لا أنسى وصف مولانا أبو الكلام آزاد بقلمه السيال لمنظر قدوم أنور باشا فى طرابلس المثخنة بالجروح، و تفقده لجثث الشهداء، و أشلائهم الممزعة، و ما كان لهذه المناظر من تأثير على قلبه و ذهنه.

هذا المشهد المقدس للعنادل، و قدوم رجل مجاهد جليل على الهمة، رابط الجأش، خافق القلب، مثل أنور باشا، و قلم مولانا آزاد النازل كالشلال، كل ذلك جعل مؤثرا كالصاعقة من حيث انه لم يستطع أحد أن يتمالك عواطفه، ففاضت العيون، و كان من حقها أن تفيض، و التهمت النار فى الجسم، و اضطربت فى القلب، و هاجت النفوس.

و بعد مدة قصيرة طالعت كتابه الشهير المسمى بالتذكرة، الذى كان يعدّ من أروع كتبه على أسلوبه فى ذلك الوقت، الذى يمتزج فيه جريان النهر و ضجيج الشلال الذى كان قد طعم بتعبيرات فارسية، و عربية كاملة، لو استخدمها كاتب آخر فى كتاباته لأعتبر عيبا، و لعد نقصا، لكن قوته الخطابية، و قدرته الكتابية، و صلاحيته لتدبيح اللفظ تزيدها حسنا و جمالا و بهاءا، و لاتعطى بداهته النادرة المفرطة قارئه فرصة ليفكر فى مصدرها و تركيبتها، و هذا هو أسلوبه الخاص الذى يصعب أتباعه و محاكاته، و هو طريق ملئ بالأخطار للمقلدين.

ترك مولانا آزاد هذا الأسلوب بعد مدة، و حدث اعتدال فى تدفق الألفاظ و وفرتها و دخلت فيها السهولة و البساطة، و السلاسة و العذوبة و خير نموذج من كلامه الساذج خطبته الرئاسية التى كان ألقاها فى المؤتمر السنوى للمؤتمر الوطنى (INDIAN NATIONAL CONGRESS) المنعقدة فى رام كره (RAMGARH) سنة ١٩٤٠م لكن فى بعض الأحيان كان يتدفق السيل فى ذلك البحر الهادئ. و يعود عهد شبابه، و عهد صحيفة التلال الساحر.

ضج و نشر المجلد الأول ثم الثانى من تفسيره ترجمان القرآن و كنت أشتغل آنذاك بتدريس فى دار العلوم ندوة العلماء، و كان التفسير موضوع الخاص، فقرأت هذين المجلدين، و انتفعت بهما كثيرا، انه ذكر فى تفسير سورة التوبة قصة الأصحاب الثلاثة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك، و ذكر هذه القصة على لسان كعب بن مالك الذى كان من بينهم، و نخف

وزملائى الشيخ عمران خان الندوى والشيخ محمد أويس الندوى، ولعل الأستاذين، عبد السلام القدوائى الندوى ومحمد ناظم الندوى، كانا من بيننا فى هذا اللقاء، أن نصلى صلاة الفجر فى ساحة الفندق، و نلتقى بمولانا آزاد صباحا، ففعلنا ذلك و وصلنا الى غرفته، فواجهنا أولا أمينه البروفسور أجمل خان كالعادة، فلم يمكث أن أخبر مولانا آزاد بمجيئنا، فدخلنا الغرفة، فاذا هو قد فرغ من شرب الشاي، ولعله كان الشاي (WHITE JASMINE) الذى نال الشهرة بانتسابه وظروف الشاي كانت أمامه، ولعل مولانا عاكفا ملازم كتابه "كاروان خيال" فجرى الحديث بيننا، و دار حول الكتب التى تدرس فى ندوة العلماء، وأعرب مولانا آزاد عن نظرياته عن الانشاء والكتابة باللغة العربية وسألنى عن الموضوعات التى كنت أدرسها، وبعد حديث علمى انتهى المجلس، وافترقنا.

و تكررت زيارات مولانا آزاد للكتاؤ فى تلك الأيام، فاجتمع به مرة طلبية ندوة العلماء، وتحدثوا معه من حيث أنه لم يستطع أن يشعر رغم ذكائه المفرط بأن الأمير مولانا حبيب الرحمن الشيروانى الذى كان من أحب أصدقائه يوجد فى لكتاؤ فحسب بأنه فى ندوة العلماء فى ذلك الوقت، فأتى الى دار العلوم التابعة لندوة العلماء شوقا الى لقائه، وكنت ألقى دروس فى ذلك الوقت فى أحد الصفوف، فلما علمت بقدومه، أتيت اليه، فوجدته فى محراب المسجد يلقى كلمته والعلامة السيد سليمان الندوى بجانبه، والطلبة بين يديه، فذكر مولانا آزاد مؤامرة الطلاب التى أصبح فرستها بلطف ليس فيه مرارة الامتعاض والاستنكار، وانما هو شكوى الكبار المملوء بالحب والاشفاق، وكذلك شرف مولانا آزاد نادى الطلبة "جمعية الاصلاح" بقدومه المبارك مرة على دعوة من الطلاب لوقت قصير فى الليل، وكان معه الشيخ عبد القادر القصورى.

و وصل مولانا آزاد الى لكتاؤ فى شهر فبراير سنة ١٩٤٧م و كان سمفورنا نند. وزير التربية فى الولاية، واقتربت الحكومة اعادة ترتيب المناهج المتبعة فى المدارس العربية، وألقى بهذه المناسبة كلمة علمية قيمة حول تطوير المنهج الدراسى، وعناصره الرئيسية أمام جمع من الفلمناء والمسؤولين والمشرفين على المدارس العربية فى قاعة المجلس التشريعى للولاية، و كان يبدو منها انه لم يتخلف عن ركب العلماء الذى كان يسلك فيه من بداية عمره، رغم أشغاله السياسية الدقيقة و كان ممن حضر هذا الحفل شيخ الاسلام مؤلانا حسين أحمد المدنى،

وليس ذلك فحسب، بل انه صرح فى بعض المناسبات أن سروره يزداد بقدوم العلماء والطلاب، والاجتماع بهم، والتحدث معهم علميا وفكريا وثقافيا فكان لايوثر الزعماء والقادة السياسيين على طلاب العلم، بل شمرت فى بعض الأحيان بأنه يعتبر طائفة العلماء أسرته الخاصة ويأنس اليها أكثر.

ثم أتيت لى فرصة اللقاء الثالث عندما زار لكتناؤ مرة ثانية فى عهد وزارة المؤتمر الوطنى، وأقام فى منزل السيد محمد ابراهيم، وزير المواصلات فى ولاية أترا براديش ولعله كان فى عام ١٩٣٩م و كنت أرسلت اليه رسالة وذكرته فيها بما وعد به من تقديم كتابى، ولكنى لم أتلّق ردا على رسالتى، ثم عرضت بعد ما انتظرت طويلا على العلامة السيد سليمان الندوى أن يقدم لكتابى، فقبل ذلك و صدر الكتاب بتقديمه الذى يحتل مكانة خاصة فى كتابات العلامة السيد سليمان الندوى فى عام ١٩٣٩م.

و وصلت الى مقر مولانا آزاد، ووددت أن ألاقه لكن أمينهُ السيد أجمل خان قال لى، انه مشغول جدا فى ذلك الوقت ولا يمكن لقاء، فانتظرت، وقعدت على الكرسي برهة لأروح نفسى لأننى وصلت اليه بالدراجة، فتعبت كثيرا فأردت أن أستريح قليلا وبدأت أتحدث مع أمينه السيد أجمل خان، ودار الحديث، فجاء ذكر السيد أحمد الشهيد، فأخذ ينوه به، ويبدى اعجابه به بلذّة، لأن جده الكريم كان من أتباع السيد أحمد بن عرفان الشهيد ومحبيه، فلما علم انتمائى اليه و صلتى الخاصة به و كتابى الذى ألفت حوله سرّ كثيرا، وأعرب عن اعجابه ودخل على الفور، وأخبر مولانا آزاد بقدومى، فما لبث أن طلبنى كأنه كان منى على ميعاد، ولما ذكرت له رسالتى التى أرسلتها إليه، قال إنها لم تصل إلّى، وقال انه مستعد ليكتب تقديمه الآن، لكن لم ألح عليه ومنعته كثرة اشتغاله، ومسئولياته التى لم تزل تتصاعد وتزداد من أن يكتب ويرسله اليّ.

تحدث مولانا آزاد فى هذا اللقاء عن ندوة العلماء، وعن العلامة شبلى النعمانى وحركة ندوة العلماء، وأهدافها وأهميتها، ونفعها طويلا، ذكر أيضا أن هذه الحركة لم تنجح كما كان يتوقع لأنه لم يتفرغ لها وينقطع إليها بعد العلامة شبلى النعمانى أحد.

و كان اللقاء الرابع به فى عام ١٩٤٦م فى فندق كارلتن لما قدم مولانا آزاد إلى لكتناؤ فى صدد تأليف الوزارة، وقررت أنا وأهائى

آزاد التفاته إلىّ على الفور، ولم يزل منصرفاً إلىّ ويتحدث معي إلى أن انصرفت.

وكان الحديث يدور حول الاستفادة من النظريات الجديدة، والاكتشافات الحديثة في تفسير القرآن الكريم، وربط القرآن بها، فقال إن التطبيق بهنهما يتطلب غاية من الحذر والحيلة، وذلك لأن العلم لا يزال يرتقى ويتوسع، يتغير ويتطور، والإنسان في اختبار واكتشاف، فلا يقدر أحد أن يقول إن النظريات الجديدة، والأفكار الحديثة تبقى على حالها، ولا تنقضها نظريات أحدث منها، وأدان أيضاً في هذا الصدد تفسير طنطاوي جوهري الذي اعتبر أكبر نموذج للتفسير بهذا الطراز، وادخلت فيه الاكتشافات الجديدة بسفاه تام.

وخاطبني مولانا آزاد قائلاً، كنت علمت أنك هنا، فما هي البلدان التي زرتها هل قمت بزيارة اليمن، ثم قال : إن والدك رحمه الله كان يقول إن في "توذك" تتوفر معلومات قيمة نافعة عن الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، فهل راجعت تلك الكتب.

وخلال ذلك لم يزل يلفت المسئولون في السفارة انتباه مولانا آزاد اليهم، وكانوا يريدون أن يتحدث مولانا آزاد مع كل من حضر من المستقبلين، واسترعوا انتباهه أيضاً إلى ضيق الوقت، لكنه لم يزل منصرفاً إلينا، فلعلهم شعروا بخطأهم إن الرجل الهندي الذي لم يقيموا له وزناً ولم يحتفلوا به وعاملوا معه معاملة جافة يستحق الالتفات التام عند مولانا أبو الكلام آزاد، ثم استعد مولانا آزاد للذهاب فودعناه ورجعنا.

تشرفت ببقائه ثلاث مرات بعد ذلك في عهد وزارته مرة لما ذهب إلى دلهي على دعوة من شيخ الإسلام حسين أحمد المدني رحمه الله وذلك لأنه كان يريد حضوري عندما يلفت نظر مولانا آزاد إلى طبع كتاب "نزهة الخواطر" الذي كانت دائرة المعارف العثمانية بهيدرآباد نشرت خمس مجلدات منه، ثم توقف طبع بقية أجزائه بعد العملية العسكرية ضد حيدرآباد.

كان هذا اللقاء في اجتماع اللجنة العاملة لجمعية العلماء، فلما دخل مولانا آزاد عرفه بن مولانا حسين أحمد المدني، وذكر له كتاب "نزهة الخواطر" فأبدى مولانا إعجابه به، وأبدى اطلاعه عليه، وعنايته به، وقال لابد من طبعه ونشره قلت هل يحتاج الأمر إلى التذكير والاعادة، قال لا، وجدت ذلك فعلاً فلم تنقض إلا أياماً قلائل إلا وطلبت دائرة المعارف

والعلامة السيد سليمان الندوى وفضيلة الشيخ محمد طيب وغيرهم من علماء فرنجى محل و مستولى المدارس الاسلامية و وجدت جميعهم يعترفون بفضل مولانا آزاد و علمه الغزير و يكرمونه *

و تشرفت بلقائه مرارا، مرة لما رحل الى كشمير لترويج نفسه بعد ما أطلق سراحه من معتقل أحمد نجر، و من المصادفات إنى كنت وقتذاك فى كشمير من قبل، و كان مقيما فى (HOUSE BOAT) فى نسيم باغ فى سرى نجر، و كان معه السيد آصف على، و الشهر شهر رمضان فحضرت اليه و قابلته و كان لم ينس الكتب التى أدرسها فى ندوة العلماء رغم مرور وقت طويل فأعجبني ذكاؤه، و حفظه لهذه الأمور الجانبية و قدمت اليه كتابى الجديد الذى ألفته عن مولانا محمد إلياس و دعوته الدينية *

و فى عام ١٩٥١م التقيت بمولانا آزاد فى مطار القاهرة عندما كان مولانا آزاد فى رحلة الى أوربا لأول مرة بعد توليه منصب وزير التربية فى حكومة الهند المركزية و كانت طائفة مولانا آزاد تمر بالقاهرة بالليل، و تقف لبعض الوقت و طلب منى بعض أصدقاء الهندوس أن أكون معهم فى استقبال مولانا آزاد، لأنه يزور القاهرة لأول مرة كوزير للهند المستقلة، و ما كان هؤلاء الهنود يعرفون صلتى الخاصة بمولانا آزاد، و لم يوجهوا الى الدعوة للاشتراك فى الاستقبال الا كفرد من الجالية الهندية فى القاهرة، فقبلت هذه الدعوة بسرور بالغ، و فى تلك الأيام حدث أن زرت السفارة الهندية لبعض أمور طارئة فلم أجد من المسئولين فيها تجاوبا و لم يتلقونى تلقيا لاثقا بهن و بهم و شعرت بهوشة فى سفارة بلدى

وصلت أنا و صديقى مولانا عبيد الله البلياوى مطار المازلة، و هبطت الطائفة فى آخر الليل، و أتينا بمولانا آزاد فى صورة مكعب الى مكان لشرب الشأى، و كان ارهاق السفر باديا فى وجهه، و جعل الصحفيون الأذكيا، يطرحون عليه الأسئلة بالعربية حينا، و بالانجليزية حينا آخر، و يرد مولانا آزاد عليها بطمأنينة دون أن يخوض فى تفاصيلها، و يقدم نموذجاً رائعاً لسرعة خاطره و حضوره بديهية *

ثم أتينا الى طاولة الفطور لتناول الشأى و لم يعرفنى مولانا آزاد، لأنه كان لم يتوقع أن أكون هنا، فاسترعى الأستاذ أبو النصر الذى كان نقل بعض أجزاء تفسيره " ترجمان القرآن " الى اللغة العربية، و كان مقيما فى مصر من مدة طويلة و قد تعرف على أيضا، استرعى الأستاذ انتباه مولانا آزاد الى بقوله، هذا ابن العلامة السيد عبد الص الحسنى فحانت من مولانا

مولانا آزاد بقلمه القوى البليغ، وقدرته الكتابية الفائقة، ماهى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الامام والمجدد، وكيف يستغنى الامام والمجدد عن البيئة والوسائل وكيف تنهياً له هذه الوسائل، وتخضع له كثمرة لجهوده المخلصة، ويسير معه الزمن ويولد الربيع من الخريف*.

يشكو كثير من كبار الشخصيات ان الوقت لايسايرهم وأن الوسائل لا تتوفر لديهم، ولكن ينهض صاحب العزيمة، و فاتح العصر، ويقول ان الوقت اذا لم يسر معى، فانى سأسيره معى، والوسائل اذا لم تتوفر، فانى سأهين الوسائل وأضعها بيدى، وان الأرض اذا لم توافقنى ولم تلائمنى الظروف، فلتنزل السماء وتساعدنى. واذا لم يتهيأ لى الرجال، و يناصرونى، فستنصرنى الملائكة، واذا أصبحت السنة الرجال خرساء، فستصرخ الأحجار وتهتف، فلا حرج اذا لم يكن معى أحد، فان الأشجار تسير معى، واذا كان الأعداء أشداء وعددهم ضخماً فان الشهب، وبرق السحب والنجوم والكواكب لاتعد ولا تحصى، وسيسفرها الله لى، ومهما تكن العقبات والمشاكل فان العصا، صاحب العزيمة والعظام، ليس ابن الوقت، ولا عبد العصر، ولا ضئيع الانسان، فيخدم الزمان، ويخضع له ويسلم رقبته له، ان الرجل الذى خلق له الزمان، وسخر له الكون، يرعى الزمان، ويربى العصر، انه لا ينتظر لأوامر الزمان بل ينتظر الزمان لأوامره، انه لا يلقى نظرتة على الزمان ليختار منه ما يريد، ويقتنى منه ثمراته، وانما هو يلقى نظرتة على الزمان ليعطيه ما ينقصه ويجبر كسره*.

قد كتب عن مولانا أبو الكلام آزاد كثير، ولايزال يكتب، ويعرض كل ناحية من نواحي حياته وكماله، وقيل عن نظرياته السياسية كثيراً جداً، ولايزال يقال عنها، انه كان عموداً للسياسة الهندية، وثقافتنا القديمة، وحضارتنا العتيقة ذات الاله بريئة عن كل عيب ونقص، وعصمة الأنبياء لا يرتاب فيها أحد وليس فيها مجال للشك، لكن لا يمكن أن يمنع معاصرو مولانا آزاد والمنتقدون له، من أن يكتبوا ويذكروا ضعفه البشرى وزلاته البشرية*.

وما ذكر كتاب ترجمته من رحلاته وجولاته، وما حدث خلالها من الوقائع فيه مجال للخلاف والجدال، والبحث والتحقيق فى تعيين زمنها وثبتها التاريخ*.

لكن قوة ذاكرته المحيرة للعقول، وذكائه المفرط النادر، وسرعة خاطره، وأدبه، وأسلوبه الخاص، الذى كان لا يتركه فى لحظة من

العثمانية الأجزاء التي كانت بقيت و لم تطبع بعد صدر الكتاب بكامله •
كان اللقاء الثاني في مكتبه في البرلمان، وكان مع صديق الحبيب
الدكتور سعيد رمضان، فتحدث مولانا آزاد معه باللغة العربية و سأله عن
منظمة " ماشومس " في اندونيسيا، بالايجاز •

أما اللقاء الثالث فكان في منزله في دلهي الجديدة، وكان الشيخ عمران
خان الندوي معي و كنا حضرنا منزله لقضية من قضايا ندوة العلماء فعنى
بها عناية كبيرة، ووجه اليها نصائح نافعة قيمة، و تحقق الأمر بسرعة غريبة •
يعتبر ذلك سوء حظ المسلمين، أو مقتضى طبيعة مولانا آزاد المضطربة
المتحركة الغدّة، و شخصيته العبقريّة، ان مولانا آزاد قد أوقف عمل ايقاظ
الوعي الفكري و السياسى الذى كان بدأه في بداية اصدار صحيفة الهلال،
و الذى كان يهدف الى اقامة الامارة الشرعية، و نفخ الروح في القيادة
الدينية، و تربية حزب الله، تربية خلقية، سياسية فكرية بعد ان كانت
معطلة من مدة طويلة فجعلت الحياة تعود اليها بنداثة و دعوته و جعلت
طبقة من المثقفين من أصحاب الغيرة و الحمية الدينية تلقبه بامام الهند
بعد أن أقرأوا بامارته، و بايعوا على يديه، و لعل مولانا آزاد انفعلا
شديدا لخبية حركة الخلافة، و حركة الوحدة الاسلامية الهندوكية، و تصعد
الحركات الطائفية، ورد فعل المسلمين الهنيئ ضدها، و تغلب العاطفية
عليهم، فأدى تدمره بهذه الأمور إلى تفويض جميع طاقاته و نشاطاته
و صلاحيته إلى حزب المؤتمر الوطنى المستقل، الفعال المنظم الذى
لا يحدث فيها المد و الجزر حيناً بعد حين، و الذى يعترف زعمائه و قادته
بكمال فضله و استقامة طبيعته، و صلاحياته الموهوبة، و سرعة خاطره
المفرطة و بصيرته السياسية النادرة الى حد كبير، و بهذا الانقطاع عن
قضايا المسلمين وقع انفصال فيه عن عامة المسلمين، و انعزل مولانا آزاد
عنهم و كان ذلك مطابقا لطبيعته الانعزالية •

كان مولانا آزاد، ذا طبيعة قلقة مضطربة، و على ذروة عالية من الكمال
العلمى و الفكرى، فلم يكن ليقتنع بالدراسة الهادئة و العزلة في الزاوية
التي ورثها من والده، فأثر المنبر الحوثر للحزب الوطنى و اختيار رئيسا له
مرتين، و أثبت كفاءته و معدنه و أظهر براعته الفكرية و اختار طريقا وسطا
ثم تولى الوزارة، فزاد انعزاله و انقطعت الآمال المعقودة به في العهد
الأول لحياته، و لم يكن أحد يجرو على أن يلفت نظره الى مذهبهم يراعه في
ترجمة الشيخ اسماعيل الشهيد على صفحات التذكرة، و قد أوضح فيها

حياة مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : عبد القوي الدسوقي

كلية سيغية - بوفال

انحدر آباء مولانا أبى الكلام آزاد من الهرة إلى الهند في عهد الملك لمقولى باهر، استوطنوا آكره (AGRA) ثم إنتقلوا إلى دلهى في عهد الملك أكبر واستوطنوها، وينتمى إلى هذا الدولة الكريمة الشيخ جمال الدين المعروف بالشيخ بهلول الدهلوى الذى كانت معه لجد أبى الكلام آزاد الأعلى الشيخ محمد أفضل قرابة من جهة الأم، وكان الشيخ محمد هادى ابنا للشيخ محمد أفضل، وتزوج الشيخ محمد هادى من بنت الشيخ منور الدين، ولد له منها الشيخ خير الدين سنة ١٨٣١م.

كان جد مولانا أبى الكلام آزاد الشيخ محمد هادى عالما شهيرا ذائع الصيت في زمنه فوض إليه منصب الإشراف على حصن آكره سنة ١٨٣٤م أو ١٨٣٥م، فلما مات الشيخ هادى لم يكن بلغ الشيخ خير الدين والد أبى الكلام آزاد من عمره إلا أربع أو خمس سنوات، فتولى تربيته وتعليمه الشيخ منور الدين .

شد الشيخ منور الدين رحله مع الشيخ خير الدين من دلهى للحجاز من طريق بوفال في حوالى سنة ١٨٥٥م وأقام ببوفال، ولكن كارث خلال هذه المدة أول حرب للاستقلال، فلما استقرت البلاد وسادها الأمن والهدوء بعد سنة ١٨٥٧م خرج الشيخ منور الدين مع الشيخ خير الدين إلى بومباى، أقام بها بالحاح من مرهديه وأتباعه لمدة شهر، فأجاء المرض بها سنة ١٨٥٨م أو ١٨٥٩م وانتقل إلى رحمة الله، فبقى الشيخ خير الدين وحيداً، ولكنه لم تتشبط عزيمته، وارتحل إلى الحجاز وهدد بعد أسبام، ووصل إلى مكة وأقام بها، وبني فيها بعد عدة سنوات بيتا يسكن فيه،

اللحظات، و في مكان من الأمكنة، و صلاحيته الغريبة للاستفادة من المطالعة و العلوم و المعارف، أكثر فأكثر، و بصيرته السياسية، و بعد نظره، و سداد فكره، و رسوخه في نظرياته، و ثباته في عقيدته، و عدم مبالاته بالمدح و النقد و الادانة و اباؤه و غيرته و حميته تفوق كل شك و ريبة و تبعد عن كل خلاف و نزاع.

بينما كنت في زيارة لاهور أنبأت اذاعة باكستان في ٢٢ / من شهر فبراير عام ١٩٥٨م نبأ كالصاعقة، ان مولانا أبو الكلام آزاد انتقل الى جوار رحمة الله، و لمق بالتبهاء الذين تتواصل رحلاتهم من هذا العالم الفاني من بداية خلق العالم.

تعريب : جعفر مسعود الحسنى

الوقت الفقه الأكبر والتهديب و خلاصته الكيرانسى
و غيرها من المختصرات و كنت أدهش باستحضارى
لهذه المتون الطلاب و المدرسين كذلك، و كانوا
يوجهون إلى أسئلة الميزان و المنشعب (كتابان فى
علم الصرف) فكنت أبهتهم بقضايا المنطق و تعريفات
الأصول "

و استكمل مولانا أبو الكلام آزاد مقررات المنهاج النظامى حتى
١٩٠٣م .

و بدأ مولانا آزاد عمل النقل و الترجمة خلال دراسته و نشأت فيه رغبة
فى الشعر حتى ١٩٠٠م، و أرسل غزلا له للنشر فى مجلة " أرمغان فرخ "
الصادرة فى بومباى، و أصدر مجلة باسم " نيرنگ عالم " فى نهاية ١٨٩٩م
أو مستهل ١٩٠٠م نشر فيها أول مقال له عن " العيد " و هذا هو الزمن
الذى بدأ فيه يحضر الاجتماعات، و بدأ يساهم فى الحفلات الشعرية حتى
سنة ١٩٠١م، يذكر أن مولانا أبا الكلام آزاد تشرف بمقابلة العلامة شبلى
النعمانى (أحد قادة المسلمين فى مجال الثقافة و التعليم) فى جلسة
كلكتا .

طبع له أول كتاب باسم " اعلان الحق " فى يناير سنة ١٩٠٢م بكلكتا،
ألفه فى تأييد أبيه الشيخ خير الدين و الرد على بعض العلماء، و كانت
كتاباتة قد نشرت من قبل فى مجلات " أحسن الأخبار " و " مخزن "
و " تحفه أحمديّة " و " البنج " و غيرها من المجلات .

و أصبح مساعد رئيس التحرير لقسم النشر من مجلة " خدنگ نظر "
حتى نهاية عام ١٩٠٢م، و كان قد انعزل عن الشعر و الحفلات الشعرية،
و تحققت أمنيته فى اصدار مجلة " لسان الصدق " فى كلكتا تحت
ادارته منذ ٢٠ نوفمبر، و كان من أهم أهداف هذه المجلة :

- ١- الاصلاح الاجتماعى : أى اصلاح مجتمع المسلمين و عاداتهم .
- ٢- تطور اللغة الأردية و تنميتها أى توسعة نطاق الأدب العلمى للغة
الأردية .

٣- نشر الذوق العلمى و لاسيما فى بنغال .

٤- الانتقاد العادل المتزن على مؤلفات اللغة الأردية .

و هذه المجلة الشهرية قد ضاعفت من ذبوع صيت مولانا أبا الكلام آزاد

وبدأ يختلف إلى مجالس الشيخ عبد الله السراج والشيخ محمد الظاهر
الوترى ويستقى من منابع علومهما *

ثم زواج الشيخ خير الدين من عالية بنت الشيخ محمد الظاهر الوترى
سنة ١٨٧٠م أو سنة ١٨٧١م، ولدت له منها ثلاث بنات زينب بيهقم،
وفاطمة بيهقم آرزو وحنيفة بيهقم آبرو، وابن أبو النصر غلام ياسين آه،
وأبو الكلام محي الدين أحمد آزاد *

كان أبو الكلام آزاد أصغرهم سنّاً ولد بمكة في شهر ذي الحجة سنة
١٣٠٥هـ (٩/ أغسطس سنة ١٨٨٨م) قضى سبع سنين من عمره في مكة،
وافتح بها بسم الله مع أخيه غلام ياسين آه، على يد الشيخ عبد الله مراد
وهو ابن خمس سنوات - وكان الشيخ محمد عمر والشيخ حسن من كبار
الاساتذة المعروفين بمكة عنها بتعليم أبي الكلام آزاد *

انكسرت رجل الشيخ خير الدين والد أبي الكلام آزاد في بعض الحوادث
نحو سنة ١٨٩٥م، فسافر مع أهله إلى كلكتا من أجل العلاج والدواء
وتوفيت بها زوجته بعد عام، سنة ١٨٩٦م *

كان الشيخ خير الدين مهتماً بتعليم أولاده منذ أول يوم ولكنه لم يرض
بالحاقهم بالمدارس العامة بناءً على بعض الأسباب التربوية والتعليمية
فقام بتدريس ولديه في بيته، بدأ يدرسهما بنفسه ثم ظفر بالشيخ المولوى
محمد ابراهيم والمولوى محمد عمر و شمس العلماء المولوى
سعادت حسين واسترضاهم لتعليم إبنيه، كتب مولانا أبو الكلام آزاد في
كتابه " غبار خاطر " وهو يتحدث عن دراسته :

" إن شأني يختلف عن عامة المناهج التعليمية وإننى
لأتذكر جيداً أننى كنت قد اجتزت مرحلة دراسة اللغة
الفارسية و مرحلة دراسة مبادئ اللغة العربية حتى
سنة ١٩٠٠م وكان عمري يناهز اثني عشر عاماً وكنت
أدرس آنذاك شرح ملاً و شرح القطبى، كان أخى
يكبرنى من بين زملائى بستين، وأما الآخرون فكانوا
قد تجاوزوا العشرين، كان منهج أبى فى التدريس أنه
من الضروري حفظ مختصر من كل فن قبل تدريسه،
وكان يقول إن هذا المنهج هو الذى سارت عليه أسرة
الشاه ولى الله الدهلوى، فكنت قد حفظت فى ذلك

١٩٠٨م.

شعر مولانا أبو الكلام آزاد بعد وفاة أبيه أن ليست له الآن مسؤوليات تحول دون أعماله، فأراد أولاً أن يزور البلدان الإسلامية و كانت هذه الأمنية قد أزعجته إذ زار أخوه أبو النصر آه هذه البلاد سنة ١٩٠٥م، فارتحل في سبتمبر سنة ١٩٠٨م أو بعده بعدة شهور، وصل إلى العراق، وقابل الثوار بها، كما لقي في مصر أتباع مصطفى كامل، وتبادل الآراء مع الأتراك الشبان في تركيا، ورجع إلى الهند بعد شهور.

كان مولانا أبو الكلام آزاد قد توثقت صلته قبل هذه الزيارة بالقائد الثوري البنجابي شيام سندر تشاورتي ، وكان قد أثبت ثقته في هذه الحزب بناء على جهوده وإهتمامه، وبعد أن عاد من رحلته رغب في أن يساهم في حركة تحرير الهند بحماس وقوة موفورين، كما كان يحرص على أن ينشئ في نفوس المسلمين الوعي السياسي حتى يحملهم على محاربة الإنجليز و حرر الهند من نير الاستعمار البريطاني.

و من هنالك فقد كان يريد أن يصدر من كلكتا مجلة أسبوعية موقرة، مصورة نزيهة سامية وإتخذ الصحف العربية " الهلال " و " المنار " و " العروة الوثقى " أسوة لنفسه، كان في نفسه تأثير كبير لهذه الصحف. وأراد أن يصدر صحيفة باللغة الأردية تقتض أثر أخواتها باللغة العربية، ولا تقل عنها شأنًا وقيمة.

لأن أبا الكلام آزاد أراد يصدر صحيفة عامة لما واجهته صعوبة ولكنه لم يكن يرض بأن ينزل عن مستواه الذي هدف إليه، فرأى من المصلحة أن يؤجل إصدار المجلة.

و خلال هذه المدة كما أنه وثق اتصاله بالحزب الثوري لشيام تشاورتي وطد وشيخه كذلك بالعلامة شبلو النعماني و مولانا حبيب الرحمن خان الشيرواني والعلامة السيد سليمان الندوي و كان يزور ندوة العلماء في لكتناؤ فنيكه لأخرى، عقدت ندوة العلماء اجتماعها السنوي في مارس سنة ١٩١٠م في رحاب الكلية العربية فشارك فيها مولانا أبو الكلام آزاد، وألقى بهذه المناسبة خطاباً مؤثراً شغل الناس لمدة طويلة.

حتى سنة ١٩١١م وجد مولانا أبو الكلام آزاد فرصة سانحة ليحدد منهاجاً لحياته في المستقبل فعزم بعد أعمال فكر طويل و دراسة عميقة على أن يساهم في حركة تحرير الهند كجندي شجاع جري.

وهان له أن يحقق أمنيته في إصدار صحيفة أسبوعية على المستوى

وشهرته، لم يكن الناس يحسبونه ابن خمس عشرة سنة بل كانوا يرون أنه قد طعن في السن وحنكه الدهر، ولكن هذه المجلة تعرضت للغوص واللامنهجية بعد صدور عدة أعداد لها، وتوقفت بعد عدد ابريل - مايو سنة ١٩٠٥م.

كان العلامة شبلى النعماني يعرف قيمة أبى الكلام آزاد وفضله، وكان يحرص على أن يستصعبه معه، في الشؤون العلمية، وبعد أن توقف صدور مجلة "لسان الصدق" دعاه العلامة شبلى النعماني لمساعدته في ادارة مجلة "الندوة" الصادرة من ندوة العلماء بلكناؤ، فأجاب مولانا أبو الكلام آزاد دعوته ووصل إلى لكاناؤ في سبتمبر سنة ١٩٠٥م، وظل يعمل في مكتب الندوة كمساعد لرئيس التحرير مدة ستة شهور من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م حتى مارس سنة ١٩٠٦م، ثم انعزل عن ادارة الندوة لبعض الأسباب.

فلما وصل "وكيل" امرتسر نبأ انعزاله عن الندوة استدعاه حتى يتولى ادارة مجلة "وكيل" فرضى مولانا أبو الكلام بذلك وأجاب دعوته، وشارك في ادارتها منذ ابريل سنة ١٩٠٦م، ولكن لم يكتب له الثبات، توفي أخوه الأكبر مولانا أبو النصر آه الدهلوى في سبتمبر سنة ١٩٠٦م، فطلبه أبوه إلى كلكتا، حتى يشاركه في اشغاله، وحتى يستقر أبو الكلام في كلكتا زوجه أبوه من زليخا بيگم بنت المولوى آفتاب الدين، وتوفر له سبب آخر من التسلية، فأعيد من أجله اصدار مجلة "دار السلطنة" التي توقفت منذ مدة، وضم أبو الكلام آزاد إلى مجلس إدارتها، وظل متصلا بها منذ يناير سنة ١٩٠٧م لمدة شهور.

وأخذ صيته يخرق الحدود والناس يقرون له بالفضل والنبوغ على الأيام، فلما علم "وكيل" امرتسر أن أبا الكلام قد ترك إدارة مجلة "دار السلطنة" وجه إليه الدعوة مرة أخرى ليتولى إدارة "وكيل" فأجابه مولانا أبو الكلام آزاد وسافر إلى امرتسر في أغسطس أو سبتمبر سنة ١٩٠٧م ولكن يبدو أنه واجهته عراقيل ومصاعب في الإشتغال بإدارة هذه المجلة الأسبوعية بالمستوى الذى يتوخاه لها، فانهزل عنها وسافر إلى بوفال (BHOPAL) في يوليو سنة ١٩٠٨م، وأقام لدى أخته حنيفة بيگم آرزو، ثم سافر بعد أيام إلى بونا (PUNE) وبعد قليل وصل إليه خبر مرض أبيه مولانا خير الدين، فرجع إلى كلكتا وقابل أباه في وعسى ورشد وتحدث إليه ولكنه توفي في اليوم التالى في ١٦/ أغسطس سنة

"ترجمان القرآن" كما بدأ يحاول لإصدار صحيفة باسم آخر، فأصدر مجلة "البلاغ" الأسبوعية في ١٢/ نوفمبر سنة ١٩١٥م ولكنها إنما صدرت حتى ٣١/ مارس سنة ١٩١٦م في صورة غير منظمة، وأصدرت الحكومة في ٢٣/ مارس سنة ١٩١٦م الأمر بمغادرته بنغال، فسافر وحده في ٣٠/ مارس سنة ١٩١٦م إلى رانجي (RANCHI)، واختار لإقامته قرية موراباري المجاورة لرانجي، حيث صدر الأمر بحبسه في ٨/ يوليو سنة ١٩١٦م.

ظل مولانا أبو الكلام آزاد مشتغلاً بتأليف "ترجمان القرآن" خلال إقامته برانجي وقيد كتابه "التذكرة" اجابة لرغبة مولانا فضل الدين وألف رسالة مهمة باسم "جامع الشواهد في دخول غير المسلم في المساجد" وأسس "الهيئة الإسلامية برانجي".

قامت الحكومة بتفتيش بيت مولانا آزاد مرتين خلال إقامته برانجي، وصودرت أوراق تفسيره والكتابات الأخرى ثم لم ترد إليه.

نشرت رسالة "جامع الشواهد في دخول غير المسلم في المساجد" في مجلة "معارف" الصادرة من دار المصنفين بأعظم كره في عدد مايو ويونيو سنة ١٩١٩م، ثم طبعت في صورة رسالة مستقلة، وطبع كتابه "التذكرة" لأول مرة في سبتمبر سنة ١٩١٩م.

أفرج عن مولانا آزاد في ٢٧/ سبتمبر سنة ١٩١٩م وغادر رانجي إلى كلكتا في مستهل يناير سنة ١٩٢٠م حيث لقى لأول مرة المهاتما غاندي في ١٨/ يناير سنة ١٩٢١م وقام مولانا بجولة ثالثة مع المهاتما غاندي إلى بنجاب، وألقى يوم الجمعة في المسجد الملكي (بادشاهي مسجد) خطبة حماسية ارتجفت لها القلوب واقتشعرت منها الجلود، كتبت عنها مجلة "سول ايند ملترى كرت" افتتاحيتها بعنوان "خطبة ثورية في فناء المسجد" وبعد أسبوع ألقى خطبة ثورية أخرى في أمرتسر.

وفي غرة شهر ابريل سنة ١٩٢١م أصدر مولانا عبد الرزاق المليح آبادي بتعزيز من مولانا أبى الكلام آزاد مجلة عربية باسم "الجامعة" من كلكتا ولكن لم يكتب لها البقاء، صدر عددها الأخير في مارس ١٩٢٤م ثم توقفت للأبد، أصدر صحيفة أسبوعية "الرسالة" في ٢٣/ سبتمبر سنة ١٩٢١م تحت إشرافه وإدارة مولانا عبد الرزاق المليح آبادي من كلكتا.

في ١٠/ ديسمبر سنة ١٩٢١م زج لأول مرة في السجن وفي ١٦/ ديسمبر سنة ١٩٢١م صدر العدد الأخير من الصحيفة الأسبوعية "الرسالة" ثم توقفت.

العالى سنة ١٩١٢م بدأ يفكر فى اسم هذه الصحيفة، و عزم على أن يصدر صحيفة أسبوعية باسم " الهلال " وأصدر أول عدد لها فى ١٣ / يوليو سنة ١٩١٢م من كلكتا •

إن أول عدد من هذه الصحيفة أخذ بمجامع القلوب واستهوى أفئدة الناس، والطلاب كل من طالعها ولم يملك نفسه من الاشادة والتنويه بها الثناء عليها •

حاولت هذه الصحيفة أن توقظ المسلمين من سباتهم وتنشئ فيهم روح المساهمة فى نضال تحرير الهند، وتحتل كارثة مسجد بلدة كانفور أهمية كبيرة بهذا الصدد فقد عم بها الاستياء والتذمر الشديدان فى المسلمين نحو الانجليز وسياستهم •

و ظل صدى كتاباته بعنوان "مشهد أكبر" وغيره فى صحيفة الهلال يتردد ويتراجع إلى سنوات طويلة، ومن مآثر هذه الصحيفة أنها استلقت لأول مرة أنظار الصحف الهندية الصادرة باللغات المختلفة إلى جمعية الصحافة الهندية وألف جمعية من ممثلى الصحف المختلفة •

كانت علاقة مولانا أبى الكلام آزاد وثيقة بالعلامة شبلى نعمانى زادها الزمان وثقا وتوطدا، وتشهد صفحات " الهلال " أنه لم يكن متوافقا منسجما معه فحسب بل كان يؤيده ويناصره فى مواقفه وقضاياه من شئون ندوة العلماء و دار المصنفين ، وطباعة سيرة النبى، و كان مستعدا لأن يهب كتبه لمجمع دار المصنفين، و كان يود أن يطبع " سيرة النبى " فى مطبعة " الهلال " فلما أسست دار المصنفين سنة ١٩١٤م عرض نفسه لخدمتها، ولما صدر أول عدد من مجلة " معارف " فى يوليو سنة ١٩١٦م أبدى عن سروره البالغ، و دام اهتمامه بدار المصنفين وشئونها إلى آخر لحظة من حياته •

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس سنة ١٩١٤م أخذ يصدر ملحقا يوميا لمجلته " الهلال " اجابة لرغبات عامة الناس •

و نشر عددان من صحيفة الهلال ١٤ - ٢١ اكتوبر معاً، و تضمن هذا العدد المشترك مقاليتين " حديث الجنود " و سقوط انتروب " اعتبرتها الحكومة اعتداء و اجتيازاً للحدود فصادرت الصحيفة و مبلغ التأمين ألفى روبية فى نومبر سنة ١٩١٤م، فتوقفت " الهلال " بعدما صدر عددها الأخير فى ٨ / نوفمبر سنة ١٩١٤م •

و بعد ذلك عكف مولانا أبى الكلام آزاد على تأليف تفسيره

للمؤتمر في رام كره [RAMGARH] (بيهار) ألقى فيه خطبته التاريخية، وفي نفس السنة في ١٣ / ديسمبر ألقى عليه القبض في مدينة اله آباد من أجل خطبة له مثيرة* وزج في سجن "نينى تال" [Naini Tal] وحكم عليه بعقوبة السجن لمدة ثمانية عشر شهرا، ولكنه أمن من مكابدة العقوبة الكاملة وأخرج عنه بعد سنة في ٤ / ديسمبر سنة ١٩٤١م.

وفي ١١ / فبراير تحققت له مقابلة شيانك كاشي شك الزعيم الصينى في دلهى، ثم لقي في ٢٩ / مارس سنة ١٩٤٢م السير استيفرد كريس [Sir Steford Crips] في دلهى وقابله مرة أخرى في شهر إبريل، واستمرت هذه السلسلة من اللقاءات وتبادل الآراء حتى الحادى عشر من شهر إبريل، ثم انتدب مولانا أبو الكلام آزاد مؤتمرا صحفيا في ١١ / إبريل وفسر أسباب فشل بعثة كريس.

في ٢ / أغسطس سنة ١٩٤٢م سافر مولانا أبو الكلام آزاد إلى بومباى وكانت قرينته زليخا بيگم تعاني من المرض آنذاك و صل في ٤ / أغسطس إلى بومباى و شارك في اجتماع المؤتمر الوطنى حتى ٧ / أغسطس.

في ٩ / أغسطس سنة ١٩٤٢م اعتقل مولانا أبو الكلام آزاد للمرة الخامسة مع الزعماء الآخرين للمؤتمر، و أرسل إلى معتقل أحمد نجر [Ahmed Nagar] حيث أتاها نبأ مرض زوجه بعد ثمانية شهور في إبريل سنة ١٩٤٣م ثم نعى بوفاها في ١٩ / إبريل سنة ١٩٤٣م و حزن عليها حزنا شديدا ولكنه أخفى ماتنطوى عليه من كآبة و هم، ثم نقل في إبريل سنة ١٩٤٥م من معتقل أحمد نجر إلى بانكواره [Ban koda] ثم أخرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٥م.

انتدب نائب ملك بريطانيا في الهند مولانا أبا الكلام آزاد لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في ١٦ / يونيو سنة ١٩٤٥م. ثم انعقدت جلسة للمجلس التنفيذي للمؤتمر الوطنى في برلا هاؤس [Birla House] في ٢١ / يونيو، جرى فيها تبادل الآراء حول رسالة نائب الملك وتمت الموافقة على أن يمثل مولانا أبو الكلام آزاد المؤتمر الوطنى.

وصل مولانا آزاد حسب البرنامج المحدد إلى شملة في الساعة العاشرة، وقابل نائب الملك فوعد نائب الملك أنه سيحاول أن يعالج قضايا الهند بعد انتهاء الحرب.

في ٢٤ / يونيو سنة ١٩٢٥م انعقد اجتماع المجلس التنفيذي للمؤتمر الوطنى في مستقر سردار برنام سينغ، وأطلع مولانا أبو الكلام

فى ٩/ فبراير سنة ١٩٢٢م حكم على مولانا أبى الكلام آزاد بعقوبة عام، وأطلق سراحه فى ٦/ يناير سنة ١٩٢٣م بعد سنة تقريبا ونشر تصريحه الذى أدلى به فى محكمة كلكتا بعنوان " *القول الفصيل* " فى صورة كتاب.

فى سبتمبر سنة ١٩٢٣م عقد اجتماع المؤتمر الوطنى فى دلهى تحت رئاسة مولانا أبى الكلام آزاد، وكان يناهز الخامس والثلاثين وهو أول من اختير لمنصب رئاسة المؤتمر فى هذه السن.

وعقد اجتماع مشترك للمؤتمر الوطنى وجمعية علماء الهند فى ٢٧-٢٩ يونيو سنة ١٩٢٤م تحت رئاسة مولانا أبى الكلام آزاد فى مدينة أحمد آباد، أكد فى خطابه الرئاسى على التضامن بين المسلمين والهندوس.

كان مولانا آزاد ينوى منذ مدة أن يصدر " *الهلل* " لمرة أخرى، وبعد انتظار طويل صدر أول عدد من صحيفة " *الهلل* " (فى عهدها الثانى) ولكن لم يستمر صدورها فقد توقفت بعد أن صدر العدد الأخير منها فى ٩/ سبتمبر سنة ١٩٢٧م.

واعتقل مولانا أبو الكلام آزاد لمرة أخرى بناء على خطبة له فى ٤/ مايو سنة ١٩٣٠م فى ميرت (MEERUTT) وبقى أسيرا فى معتقل ميرت نحو تسعة أشهر حيث أتم مقدمة تفسيره " *ترجمان القرآن* " فى ١٦/ نوفمبر سنة ١٩٣٠م ثم أطلق سراحه فى يناير سنة ١٩٣١م.

كان لمولانا آزاد اهتمام كبير بتفسيره *ترجمان القرآن* ونشر أول جزء منه فى ١٩٣١م، وكان الناس فى انتظار شديد لهذا التفسير القيم، فتلقته أيديهم وأقبلوا عليه اقبالا عظيما.

فى بداية عام ١٩٣٢م بدأت حركة التمرد المدنى فاعتقل للمرة الثالثة فى فبراير سنة ١٩٣٢م وزج فى معتقل دلهى، وأخرج عنه فى يناير سنة ١٩٣٣م.

فى عام ١٩٣٥م ظل مولانا آزاد مشغولا بطباعة الجزء الثانى من تفسيره " *ترجمان القرآن* " وفى يناير سنة ١٩٣٦م حرص على أن يصدر مجلة " *الهلل* " مرة أخرى ولكنه لم يتحقق أمنيته رغم اهتمامه ومحاولاته.

فى سنة ١٩٣٨م ابتلى بدهاء عرق النساء، ولكنه رغم ذلك لم ينصرف عن أشغاله السياسية بل كان اهتمامه بها قد اشتد خلال هذه المدة.

فى ١٥/ فبراير سنة ١٩٤٠م اختير مولانا آزاد مرة أخرى رئيسا للمؤتمر الوطنى، وفى ٢٧/ مارس سنة ١٩٤٠م عقد الاجتماع الثالث والخمسون

حياة أبى الكلام آزاد

الآن فلابد من اعادة النظر فى سائر شئون الهند وصلت البعثة إلى الهند فى ٢٣/ مارس و سافر مولانا آزاد من كلكتا إلى دلهى فى ١٢/ ابريل لمقابلة كريس.

فى ١٦/ ابريل ١٩٤٦م قابل مولانا أبى الكلام أعضاء البعثة، و اطلع المجلس التنفيذى على تفاصيل حوار مع البعثة، و على الاقتراح، فوافق المجلس عليه. واستمر الحوار بين مولانا أبى الكلام آزاد و أعضاء البعثة حتى نهاية شهر ابريل.

فى ٢٧/ ابريل أدلت البعثة بتصريحها بأنه لاينبغى الحوار إلا بعد اتفاقية الأحزاب الكبرى، فدعت رئيس المؤتمر الوطنى و رئيس العصبة الاسلامية إلى أن يفتارا ممثلين من احزابهما لإجراء الحوار، فوضى المجلس التنفيذى إلى مولانا أبى الكلام آزاد باختيار الممثلين، فاختر سردار بتيل و جواهر لال نهرو، و استمر تبادل الآراء فى شملة حتى ١٢/ مايو.

نشرت خطة البعثة فى ١٦/ مايو سنة ١٩٤٦م التى أقرت مصالح الدفاع و الشؤون الخارجية و المواصلات تمت سيادة المركز، و وزعت البلاد إلى ثلاثة أجزاء (A.B.C) حسب اقتراح البعثة.

وافق المؤتمر الوطنى و حزب العصبة الاسلامية كلاهما على خطة البعثة و لكن من أجل بروز بعض المشاكل بأدت البعثة و مساعيها بالفشل الذريع، و طالبت العصبة الاسلامية بهاكستان، و فى ٢١/ أغسطس انتدب نائب الملك جواهر لال نهرو إلى تأليف حكومة مؤقتة. ثم أعلنت العصبة الاسلامية فى ١٥/ اكتوبر بانضمامها إلى الحكومة فى ١٥/ يناير سنة ١٩٤٧م تولى مولانا آزاد منصب وزارة التعليم.

و خلال هذه المدة أقر اللورد ماؤنت بيتن الحاكم العام بدل اللورد وويل. و وصل اللورد ماؤنت بيتن إلى الهند فى ٢٢/ مارس سنة ١٩٤٧م، فأخبر مولانا آزاد خلال مقابله معه أن الحكومة البريطانية ترغب فى تفويض السلطة إلى الهند فى أسرع وقت.

و تضاعف التوتر بين المؤتمر الوطنى و العصبة الاسلامية حتى ساءت الأوضاع و اضطربت فوجد اللورد ماؤنت بيتن الفرصة سانحة للتقسيم، لم يكن مولانا أبى الكلام آزاد راضيا بالتقسيم و لكن الأوضاع و الظروف مهدت الجو للتقسيم، فى ٣٠/ يونيو سنة ١٩٤٧م ظهر القرطاس الأبيض الذى أكد تقسيم الهند و فى ١٤/ أغسطس انقسمت البلاد و ظهرت باكستان إلى حيز الوجود، و نالت الهند الإستقلال فى ١٥/ أغسطس.

السيد غاندى على ما دار بينه وبين نائب الملك من حوار، وبعد نقاش طويل اتفقوا على تركيز الاهتمام على الأمور التالية :

- ١- ماذا ستكون صلة المجلس التنفيذى بنائب الملك .
- ٢- تحول عرقلة بين الجيش والزعماء، لابد من إزالة هذه العرقلة وإيجاد التقريب .

٣- إن الحكومة البريطانية قد دفعت الهند إلى الحرب من دون أن تستشير الشعب الهندى، فالمؤتمر الوطنى لايوافق على ذلك .

ألقى نائب الملك وهو يفتتح المؤتمر خطبته وجيزة واستمر الحوار طول اليوم، ولكن المؤتمر باء بالفشل والآخراف لفقدان أى تفاهم بين المؤتمر الوطنى والعصبة الاسلامية .

فى ١٤/سبتمبر ١٩٤٥م انعقد اجتماع للمجلس التنفيذى للمؤتمر الوطنى فى بونا، وافق أعضاء المؤتمر فيه على مقترح مولانا أبى الكلام آزاد بأن بريطانيا يحكمها الآن الحزب فلاهد من المساهمة فى الانتخاب بدل شن أى حركة .

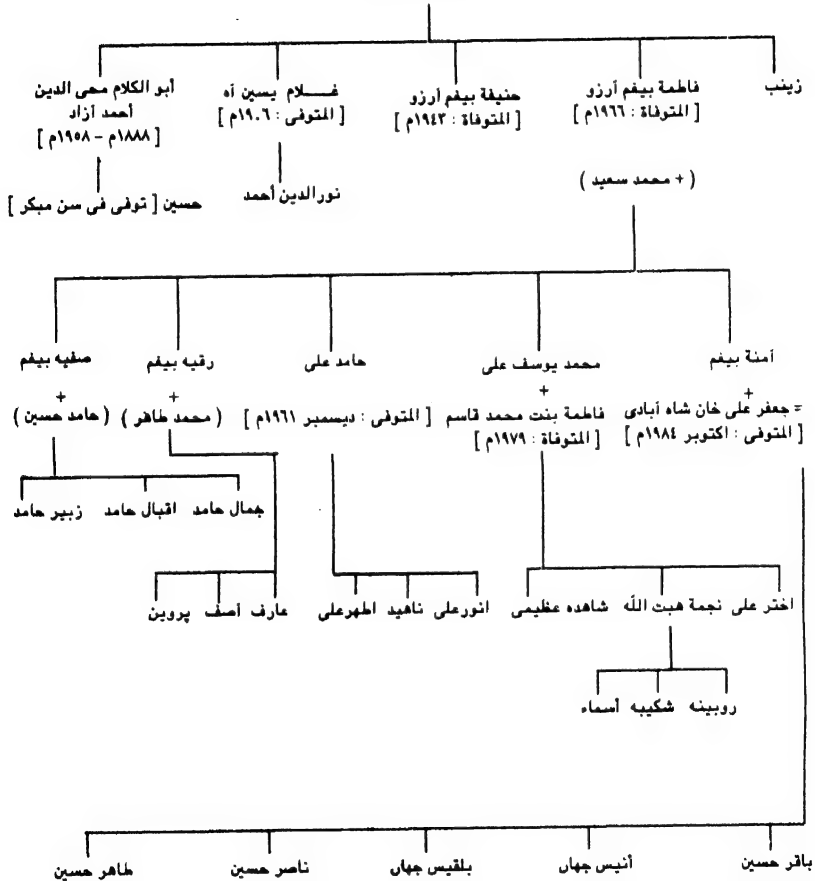
بعد إنتهاء الحرب أعلنت الحكومة بالانتخاب، اقترح مولانا أبى الكلام آزاد بهذه المناسبة على اللورد ويول [Lord Vawell] نائب الملك فى الهند بأن يفرج عن المعتقلين حتى يتحسف الجو، فوافقت الحكومة على هذا الاقتراح وأخرجت عن كثير من المعتقلين .

فى سبتمبر سنة ١٩٤٥م لما إنتهى إجماع المؤتمر الوطنى لعموم الهند فى بومباى، كتب مولانا أبى الكلام آزاد مرة أخرى للإخراج عن المعتقلين فأطلقت الحكومة سراحهم .

فى سنة ١٩٤٦م نشرت مجموعة رسائل أبى الكلام آزاد الشهيرة (بهار خاطر) التى كتبها وهو محبوس فى معتقل أحمد نجر إلى مولانا حبيب الرحمن الشيروانى وتسلمها بعد الإخراج عن مولانا آزاد فى صورة كتاب، ولقيت هذه المجموعة اقبالا عظيما، وقد نشرت إلى الآن منها طبعات لاتحصى .

فى ١٧/ فبراير سنة ١٩٤٦م أعلن اللورد بيتك لارنس بأن الحكومة البريطانية سترسل بعثة مجلس الوزراء إلى الهند، تقابل ممثلى الأحزاب السياسية فى الهند، وتجرى معهم الحوار، كانت هذه البعثة تضم اللورد بيتك لورنس والسيد استفرد كريس واى - وى الكزنور، وفى ٤٥/ مارس سنة ١٩٤٦م قال المستر ايتلى فى مجلس الشعب أن الأوضاع قد تغيرت

شیخ محمد احسن
شیخ محمد ہادی
مولانا خیر الدین



ثالثاً الهند

كان مولانا أبو الكلام آزاد أول وزير للمعارف في الهند فلما أصبحت الهند جمهورية مستقلة وفق الدستور في ٢٦/ يناير سنة ١٩٥٠م، فوضت وزارة المعارف إلى مولانا أبي الكلام آزاد •

إن النظام التعليمي الذي يسود اليوم في البلاد وإن التقدمات التي أحرزتها الهند في المجالات المختلفة للتعليم هذه كلها تدين لجهود أبي الكلام آزاد •

في ١٥/ فبراير سنة ١٩٥٨م ألقى مولانا أبو الكلام آزاد الخطبة الأخيرة من حياته في إجتماع هيئة تطوير اللغة الأردية في ساحة العرض العسكري في دلهي قال فيها •

” إن اللغة الهندية قد نالت مكانتها ويجب على كل

هندي أن يخضع رأسه لها، ولكن لا بد كذلك أن تمنح

اللغة الأردية مكانتها”

في ١٩/ فبراير سنة ١٩٥٨م أصيب مولانا آزاد بالفالنج صباحاً، فمات مغشياً عليه طيلة ثلاثة أيام، وانتقل إلى رحمة ربه في الساعة الثانية والربع في ٢٢/ فبراير •

طبع الكتاب الأخير لمولانا أبي الكلام آزاد (India wins Freedom) لأول مرة في يناير سنة ١٩٥٩م •

تعريب : محمد أكرم الندوي

حياة مولانا أبى الكلام آزاد

[جدول التواريخ الدقيقة وفقاً لتسلسلها الزمني]

اعداد : د / عبد اللطيف الأعظمى

أقدم فيما يلى ملخص ما كتبه مولانا أبو الكلام آزاد عن أسرته فى كتاب " India wins freedom " (ينال الهند الحرية)

قد غادر آباءنا هرات إلى الهند أيام الملك المغولى بابر ، استوطنوا آغرا (AGRA) أولا ثم انتقلوا إلى دهلئى و كان لهم شغف بالعلم والمعرفة و من المعلوم أنه ذاع صيت مولانا جمال الدين أيام الملك أكبر بسبب علمه و معرفته ثم مالت هذه الأسرة العلمية إلى مباهج الدنيا و زخارفها و احتل غير واحد منهم عدة مناصب رسمية عظيمة - كما عين محمد هادئ ناظر الحصن فى آغره أيام الملك شاه جهان •

و كان مولانا منور الدين جد أبى اللأم و كان أبى صغيرا لما توفى أبوه فرباه جده للأم و عزم مولانا منور الدين قبل سنتين من الثورة أن يهاجر إلى مكة المكرمة متضايقا من أوضاع الهند و لكن أمسكته سكندر جهان بيغم فى " بوفال " و اندلعت الثورة و هو فى " بوفال " و بقى محصورا هناك سنتين ثم وصل إلى بومباى و أدركه الموت هنا و لم يتيسر له الذهاب إلى مكة المكرمة •

قد بلغ أبى حينذاك خمسا و خمسين سنة من عمره إنه ذهب إلى مكة المكرمة و استوطن هناك و بنى له بيتا و تزوج مع بنت أخى محمد طاهر وترى و جاء إلى بومباى و كلكتة مرارا فباعه كثير من الناس • ولدت فى مكة المكرمة سنة ١٨٨٨م - و عاد والدى إلى كلكتة بكامل أسرته بعد سنتين و انزلق قدمه فى " جدة " قبل برهة من الزمن فانكسرت

- شارك في حفلة المؤتمر التعليمي الاسلامي
التي انعقدت في لکناؤ مع أخيه الأكبر أبو
النصر غلام ياسين آه رحمه الله -
- شارك في حفلة سنوية لجمعية حماية الاسلام
وخطب مرتجلاً على عنوان
"الاسلام في المستقبل" *
- صدر عدد "لسان الصدق" لشهرين معاً ثم
انقطع للأبد *
- خرج مسافراً إلى الممالك الخارجية مع أخيه
غلام ياسين آه ولكنه عاد من عراق بسبب
مرضه ولقى في بومباي أول مرة
العلامة الشبلي رحمه الله -
- إنه تولي مسؤولية التحرير لمجلة "الندوة"
الصادرة من لکناؤ وطبع في هذا العدد أول
مقالة له بعنوان "ذخيرة علوم المسلمين
والغرب" وإنه علق مفصلاً على كتاب
"المرأة المسلمة" الذي طبع من مصر في
ذلك الزمان - نشر هذا التعليق في عدة
حلقات من مجلة "الندوة" وهذا الذي رفع
ذكره في الأوساط العلمية للهند كما يقول
السيد سليمان الندوي -
- انفصاله عن "الندوة" وقيامه بتحرير مجلة
"الوكيل" الثلاثية الصادرة من امرتسر -
- استقالته من مجلة "وكيل"
- وفاة أخيه الأكبر مولانا غلام ياسين آه
- إصدار صحيفة "دار السلطنة" الأسبوعية من
كلكتة -
- وفاة أبيه مولانا خير الدين في كلكتة
- رحلته إلى العراق والمجاز وغيرهما من
الممالك الخارجية -
- انعقدت حفلة عظيمة تحت رئاسة المفسر
- سنة ١٩٠٤م
- ٢٢ ابريل ١٩٠٥م :
- ابريل ومايو ١٩٠٥م :
- مايو أو يوليو ١٩٠٥م :
- اكتوبر سنة ١٩٠٥م :
- مارس سنة ١٩٠٦م :
- ابريل سنة ١٩٠٦م :
- وسط سنة ١٩٠٦م :
- أوائل سنة ١٩٠٧م :
- ١٧ اغسطس ١٩٠٨م :
- أواخر سنة ١٩٠٨م :
- ٦ ابريل ١٩١٢م :

ساقه وإنه عالجها ولكن لم يستقم العظم و شاوره بعض الناس أن الجراحين في كلكتة يحسنون معالجته ويسوونه وكان يريد أن لايمكث هنا إلا عدة أيام ولكن مريديه لم يرضوا. بأن يرجع فأمسكوه وتوفيت أمى بعد سنة لمحيثنا إلى كلكتة و دفنت هناك *

أهم التواريخ ، نشاطاته السياسية في ضوء السنين الميلادية :

| | |
|--|------------------------------------|
| ولادة والد مولانا أبى الكلام آزاد المعروف بمولانا خير الدين في دهلى | سنة ١٨٣١م : |
| هجرته إلى مكة المكرمة | سنة ١٨٥٦م : (تقريبا) |
| زواج مولانا خير الدين في أسرة نبيلة | سنة ١٨٥٦م : (تقريبا) |
| ولادة مولانا آزاد في مكة المكرمة في شهر أغسطس أو سبتمبر | سنة ١٨٨٨م : الموافق ذوالحجة ١٢٠٥هـ |
| إحتفال "بسم الله" في بيت الله الحرام | سنة ١٨٩٣م : |
| رجوع أسرته من مكة المكرمة إلى الهند واستيطانها في كلكتة | سنة ١٨٩٨م : |
| وفاة أمى في كلكتة | سنة ١٨٩٩م : |
| يبدأ دراسته | سنة ١٨٩٧م : |
| يبدأ القريض | سنة ١٨٩٨م : |
| صدور صحيفة باسم "تيرنج عالم" | سنة ١٨٩٩م : |
| إدارة تحرير مجلة "المصباح" | أواخر سنة ١٩٠٠م : |
| إتمام دراسته وبدء عهده بالتدريس * | أوائل سنة ١٩٠٢م : |
| رحلته إلى بومباى | أواخر سنة ١٩٠٢م : |
| مساهمته في هيئة التحرير لمجلة "أحسن الأخبار" | أوائل سنة ١٩٠٣م : |
| إدارة التحرير لقسم النشر من مجلة "خدنج نظر" الصادرة من لكتاؤ - | سنة ١٩٠٣م : |
| زواجه مع زليخا بيغم * | سنة ١٩٠٣م : |
| ٢ / ١ أبريل ساهم في حفلة سنوية لجمعية "حمية الاسلام" وألقى خطبة مرتجلا نالت إعجابا وتقديرا بالغا | سنة ١٩٠٤م : |

جدول التواريخ الدقيقة

- اللسان الذى لا يستطيع النطق و ليحاول أن
تمشى الرجل التى لا تستطيع المشى*
١٦ نوفمبر ١٩١٤م
صدر مبلغ ألفين من الروبية السابق لمجلة
الهلال و طولب من جديد مبلغ عشر آلاف من
الروبية و صدر عدد ١٧/١٢ اكتوبر الذى
صدر معا و المباحث التى انتقدت بها حكومة
بنغال هى " حديث الجنود " و سقوط إنتروب
و صورة كتبت تحتها هذه الآية :
"وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"
١٨ نوفمبر ١٩١٤م
احتجبت مجلة " الهلال " بعد هذا العدد
و هو العدد العشرين-
١٩ يوليو سنة ١٩١٥م
إنه أسس "دار الإرشاد" و ابتدأ درس القرآن من
شهر اكتوبر*
١٢ نوفمبر ١٩١٥م
إنه أصدر مجلة " البلاغ " الأسبوعية من كلكتة
بعد ما احتجبت مجلة " الهلال " و نشر على
صفحتها الأولى منظوم إقبال " إذا استقلت
ذوق الموسيقى فارفع بصوتك " -
صدر العدد الأخير لمجلة البلاغ-١٢ و ٢٤ مارس-
مارس ١٩١٦م
معا ثم احتجب*
٢٣ مارس ١٩١٦م
أصدرت الحكومة أن يفادر مولانا آزاد ولاية
بنغال فى مدة أسبوع واحد - (تذكره ص :
٣٣٣)
٣٠ مارس ١٩١٦م
كتب مولانا : " ولا بأس أن أسمى كلكتا
بالوطن المألوف لأنى مكثت هنا سنيين
متواصلة"
(تذكرة ص : ٣٣٣)
٢١ مايو ١٩١٩م
كتب مقالة حول : " دخول غير المسلمين فى
المساجد " أيام اعتقاله و بعثها إلى مجلة
" معارف " الشهرية الصادرة من اعظم جره
للطبع - طبعت فى عددى مايو و يوليو
وبصورة كتابية أيضا و كتب إلى السيد سليمان

الشهير من علماء مصر السيد رشيد رضا
وقد ترجم أمام الناس باللغة الأردية الخطبة
الطويلة التي ألقاها رئيس الحفلة " وإنه
حرك القلوب بأسلوبه الساحر الفلاب" كما
يقول السيد سليمان الندوى *

١٣ يوليو سنة ١٩١٢م : صدر العدد الأول لمجلة " الهلال " الأسبوعية
الشهيرة المصورة -

٢٠ يونيو سنة ١٩١٣م : نشرت الحلقة الأولى لأهداف " حزب الله "
واغراضه فى مجلة الهلال تحت عمود مستقل
" الداء والدواء "

١٨ سبتمبر ١٩١٣م : طوّل ألفتين من الروبية ضمانا من مطبع
"الهلال" ورخص لذلك إلى ٢٧ سبتمبر ولكن
أدى هذا المبلغ فى ٢٣ سبتمبر قبل الوقت
المحدد المحدد *

٢٧ سبتمبر ١٩١٣م : نشرت الحلقة الخامسة والأخيرة " لحزب الله "
وكتب فيها مولانا آزاد " قد اهديت إلى
الطريق الذى كنت أقصده بعد ما كتبت
ومزقت كثيرا من المشروعات والمسلمون
يهرزون بغيتهم اذا سلکوه "

٢٧ أكتوبر ١٩١٤م : إنعقد مؤتمر الإتحاد الاسلامى فى كلكتة تحت
رياسة مولانا آزاد وقال فى خطبته :

" قد امتنع هذا المسكين عن
المشاركة فى المجالس العامة و لذلك قلت
لنفسى أولا أن الود باى عذر وأرفض هذه
الدعوة ولكن رأيت بعد ذلك أنه قد جاء
الأجل الذى ينطق فيه الحكم و يبصر العميان
و يمشى العرج و يسمع الصم و يطالب الإسلام
كل واحد من أتباعه أن يودى واجبه الأخير
و أن يودى حق الوحدة و لا يبقى بعد ذلك
أى مسئولية تعود عليه فليحاول أن ينطلق

- ٤ إلى ٩٠ سبتمبر ١٩٣٠م انعقدت حفلة خاصة للمؤتمر الوطنى فى كلكتا و انعقدت فى هذا الزمان حفلة للخلافة أيضاً وألقى فيها مولانا آزاد ضوءاً ساطعاً على مسألة " الخلافة " فى ضوء الأحكام الشرعية -
- أكتوبر ١٩٣٠م أفتى مولانا آزاد أنه لا يجوز لأى طالب فى ضوء الأحكام الشرعية أن يتعلم فى كلية رسمية أو فى كلية تستعين من الحكومة أو هى ملحقة من كلية سمية
- ٢٣ أكتوبر ١٩٣٠م ذهب عدة قادة الوطن من المسلمين إلى عليجهر منهم مولانا أبو الكلام آزاد وأعلنوا أنه ستبدأ سلسلة الدرس فى الجامعة المليية الإسلامية من ٢٩ أكتوبر بعد صلاة الجمعة -
- ٢٩ أكتوبر ١٩٣٠م افتتح شيخ الهند مولانا محمود حسن الجامعة المليية الإسلامية بعد صلاة الجمعة فى حشد عظيم من زعماء الوطن المسلمين والهنادك وكان مولانا آزاد أيضاً منهم -
- ٢٤ نوفمبر ١٩٣٠م انعقدت حفلة اللجنة التأسيسية للجامعة المليية الإسلامية فى عليجهر و شارك فيها مولانا آزاد -
- ١٣ ديسمبر ١٩٣٠م قد ساهم حوالى خمسين و مائتين طالب من المدرسة العالمية لكلكتا فى حركة رفض الموالاة تلبية لدعوة مولانا آزاد وأسس مولانا آزاد لدراسة هولا الطلاب مدرسة دينية عربية فى كلكتة - باسم "المدرسة الإسلامية" وافتتحها بنفسه -
- ٢٩ ابريل ١٩٣١م وصل لكاناؤ للمشاركة فى المؤتمر السياسى للشعبة -
- ٢٩ اغسطس ١٩٣١م ترأس يومين مجلس الخلافة الذى انعقد فى أغره و قال فى خطبته الافتتاحية عن أهداف "الهلال" العظيمة الواضحة : " قد دعوت

الندوى في هذا العدد : هناك كثير من
المفاسد والضلالات التي بدأت تعم و تنتشر
هذه الأيام في المجتمع حول عدة قضايا و لو
لم تقض على هذه البلية لينقلق باب مفيد بعد
إنفتاحه و كنت أردت أن أرسل إلى الصحف
بحثا موجزا و لكن لما خضت في البحث طال
الكلام بحيث لا تتحملة الصحف فاضطرت أن
أرسل إليكم راجيا أن تنشرونه عاجلا بعنوان
مناسب-

(تبركات آزاد ص : ١١٧)

أطلق سراحه عن الاعتقال في رانجي (Ranchi)
إنه ألقى خطبة رثانة في حفلة ترحيبية
لوفد الخلافة في دهلي-

إنه لقي غاندي لأول مرة-

قدم وفد الخلافة إلى نائب الملك مذكرة وقع
عليها كثير من زعماء القوم و منهم مولانا آزاد -
انعقد مؤتمر الخلافة في قاعة المدينة لكتته
و ألقى مولانا آزاد خطبة مفصلة حول مسألة
الخلافة و طبعت بصورة كتابية-

أنشأ جمعية " حزب الله " لإسهام المسلمين
في حركة تحرير الهند و رشح نفسه لمنصب
امام الهند و بدأ يبائع الناس لذلك -

إنعقدت حفلة للجنة الخلافة في إله آباد و قرروا
فيها أن يرسل إلى نائب الملك إنذار بأن يفصل
في قضية الخلافة و إلا اضطروا المسلمون إلى
ترك الموالاة، ثم ألفت لجنة مشتملة على أربعة
أشخاص كان مولانا آزاد أيضا من أعضائها -

كتب مولانا إلى مليح آبادي مخبرا عن ازدهار
و توسعة حركة " حزب الله " إن مجال أعمالنا
منظمة- واتحدت ولاية بنجاب و سندھ
و بنغال كليا-

١ يناير ١٩٢٠م

١٦ يناير ١٩٢٠م

١٨ يناير ١٩٢٠م

١٩ يناير ١٩٢٠م

فبراير ١٩٢٠م

٢٢ أبريل ١٩٢٠م

٩ يونيو ١٩٢٠م

١٣ يوليو ١٩٢٠م

البوليس على جميع اوراقى و مولفاتى
و مسودات مذكراتى" و وجه فى هذا البيان
إلى أعضاء الخلافة قائلا : " قد تقدست
الحكومة مع جرأة و قوة جديدة" و استرعى
انتباهات أعضاء الخلافة خاصة أن يتملوا بروح
الجرأة والواجب أن ينزها نظامهم من كل
نقص و عيب -

انه وصل من بومباى إلى كلكته فى الساعة
الرابعة مساء و علم أنه قبض صديقه و رئيس
التحرير لمجلة " بيغام " الأسبوعية -

قبض عليه فى كلكته على الساعة الرابعة
والنصف ثم أرسل إلى السجن المركزى و انه
صلى فى مكتب السجن صلاة المغرب ثم حبس
فى قسم الأوربيين-

أجرى النظر فى محاكمته لأول مرة ثم ألغيت
إلى ٢٣ ديسمبر بعد ما اخبر أنه قبض عليه
تحت مادة ١٧ -

احتجبت مجلة " بيغام الأسبوعية " بعد ما
قبض على المهرر و المصدر و ذلك بعد
العدد الثالث عشر-

عرضت قضيته أمام المحكمة مرة ثانية
ولكنها أجلت إلى ٥ يناير بدون أى إجراء-
أجرى النظر فى قضيته ٦ يناير بدل ٥ يناير

و قال المحامى الرسمى انه عرضت محاكمتين
ضد مولانا آزاد فى الحقيقة: الأول تحت مادة
القانون الجنائى المعدل ١٧ و الثانى تحت
مادة قانون تعزير للهند ١٢٤ وإنى لا أريد
أن اتخذ ضده أى إجراء حسب القانون
الجنائى المعدل لأن الجريمة الأخيرة جسيمة
للف غاية و أسترد ما ادعيتة و هو مطلق العنان
حسب هذه المادة و أخبره القاضى أيضا أنه

١ ديسمبر ١٩٢١م

١٠ ديسمبر يوم الجمعة

١٣ ديسمبر ١٩٢١م

١٣ ديسمبر

٢٣ ديسمبر ١٩٢١م

٦ يناير ١٩٢٢م

المسلمين إلى أن من واجبهم الشرعى أن يتعاهدوا مع الهنادك متحابين صادقين وأن يكونوا قوما واحدا معهم.

٢٦ اغسطس ١٩٢١م

اعلن مولانا آزاد فى خطبته للحفلة النهائية : "نعم قد قلت ذلك للمقاتلين و جند بريطانية للهند و لأزال أعاوده مادمت حيا و اغرى المقاتلين كل صباح و مساء و اعدده اول واجب يعود على و أقول لهم أن يتخلوا عن الوظائف الحكومية".

٣١ سبتمبر ١٩٢١م

إنه أصدر مجلة "بيغام" الأسبوعية الصادرة من كلكتة و كان مولانا عبد الرزاق المليح آبادى يقوم بتحريرها كان مكتوبا تحت اللوح فى العدد الأول "تحت إشراف مولانا أبى الكلام" و غيرت هذه العبارة فى العدد الثانى و بدأ يكتب " تنشر فى هذه الرسالة مقالات أبى الكلام لامحالة" و بقيت هذه العبارة من العدد السابع إلى الأخير مع تغير يسير -

٩ نوفمبر ١٩٢١م

عاد مولانا آزاد من جولته الطويلة إلى كلكتة و بدأ يجمع المبلغ لصندوق أنغوره -

١٦ نوفمبر ١٩٢١م

إنه سافر إلى لاهور من كلكتة ليتأسس حفلة جمعية العلماء للهند السنوية الثالثة و وصل هناك ١٨ نوفمبر وقت الظهر ثم ترأس ٢٠/١٩ نوفمبر لجنة الميزانية و الحفلة العامة و سافر نفس اليوم إلى بومبائى بسبب برقية أرسلها إليه غاندى و قد اندلعت هناك نيران الاضطرابات الطائفية و اضطربت الأوضاع و توترت إلى أسوأ حد و لما وصل مولانا بومبائى ٢٣ نوفمبر هدأت الأوضاع -

٢٥ نوفمبر ١٩٢١م

إنه ألقى بيانا فى بومبائى قال فيه : " إنى فى سفر منذ ١٦ نوفمبر و فتش عن بيتى و مطبعتى فى كلكتة و كنت غائبا و ضبط

مولانا : شكراً

القاضى : هل جئت ببيانك

مولانا : جئت به فى الأردية ولم ينقل إلى الإنجليزية لغياب أمينى ثم قال رداً عند ما قال القاضى هل تستعمل للترجمة إنى لا أريد أن تؤجل قضيتى لأجل الترجمة-

القاضى : و لكنه لو ترجم تكون سهولة للمحكمة ثم الغيت القضية إلى ١٩ يناير وبعد ذلك أخر إلى ٢٤ يناير-

عرضت محاكمته فى السجن المدنى أمام رئيس القضاة وجاء مولانا على الساعة الواحدة تقريباً وقيدت المحكمة قوله ثم عين ٣١ يناير لعرض القضية -

٢٤ يناير ١٩٢٢م

أصيب بمرض عدة أيام واستطلق بطنه لفساد عمل الكبد وأشار عليه طبيب السجن أن لا يذهب إلى المحكمة فى هذه الحالة لأنه يضره ولكن لم يرض بذلك وقال لا يشق على نفسى أن أذهب خطوات إذا اتخذت الإجراءات داخل أخاطة السجن- فلا يرسل إلى المحكمة أى خبر. ولكن جاء مراقب السجن بورقة مختومة باسم رئيس القضاة كتب فيها ٣٠ يناير وأن محاكمته أجلت إلى ٩ فبراير-

٣١ يناير ١٩٢٢م

(العرض الأخير) دخل غرفة المحكمة على الساعة الثانية عشر وقد كانت هناك قضية فى مرحلة النظر فيها ولكن أخرها القاضى مؤقتاً وحكم فى قضية مولانا آزاد انه يعزى مشقة السجن مع الاعمال للشاقة سنة كاملة و لما سمع هذا القرار توجه إلى القاضى مبتسماً وقال " هذا أخف مما كنت أتصوره " وهكذا انتهت مرحلة هذه المرافعة بعد ستين يوماً كاملاً-

٩ فبراير ١٩٢٢م

أطلق وأضاف المحامى الرسمى قائلا : أن المحاكمة الجارية ضد المتهم تاتى تحت مادة القانون الجنائى للهند ١٢٤- و ذلك لسبب الخطبتين اللتين ألقاهما فى مرزا بور بارك كلكته فى ١- ١٥ يناير ١٩٢١م وأجل النظر فى هذه القضية بعد الإجراءات البدائية إلى ١١ يناير -

١١ يناير ١٩٢٢م

عرضت محاكمته مرة اابعة و سأله القاضى هل يريد أن يدلى ببيان؟ فرد مولانا قائلا "أريد أن ألقى بيانا لولم تورد الحكومة أى شبهة، قال القاضى هل عندك موجود؟ فأجاب أنه موجود ولكنه فى اللغة الأردية وأريد أن أقدم أمام المحكمة ترجمته بالإنجليزية وأجلت القضية بعد ذلك-

١٧ يناير ١٩٢٢م

أجرى النظر مرة خامسة فى قضيته فى السجن المركبى و كان حشد عظيم أمام محكمة السجن و لكنهم لما علموا أنه لايجرى النظر فى القضية أمام المحكمة بل فى السجن، عاد كثير منهم أدراجهم خائبين يائسين و لكن ذهب بعضهم إلى السجن راكبين على السيارات ولكن لم يسمح لأحد بالدخول حتى الأقرباء و مندوبى الصحف و جاء مولانا آزاد مع حارس السجن على الساعة الثانية عشر إلا الربع و لم يمكث أن وجه إليه قائلا هذه الإجراءات شعبية أم ذاتية - أجاب القاضى هى ذاتية ثم قال تفضل + قال مولانا هل تقول لى؟ لعلك نسيت أنى عرضت أمامك مرتين قبل ذلك قال القاضى إنى لا أتذكر فقال مولانا لا أتحرج اليوم أيضا بالقيام اذ لم أتحرج فى المناسبات السالفة بالقيام ساعتين أو أكثر-

القاضى : مع الأسف لم أتذكر عند تلك المناسبات

٢٩ ديسمبر

إنه ترأس مؤتمر الخلافة لعموم الهند الذي انعقد في كانفور-

وإنه قال مستعرضاً الأحوال السياسية للهند :
والآن قد تبدل النشاط بالذبول والغفلة
بالإنتفاضة والوفاق بالتشتت و تسمع أصوات
الطائفية والحزبية بدل الملك والشعب
وحدثت فتن جديدة للقضاء على القوى الباقية-
كتب إلى غلام رسول مهر : لم تصدر حتى الآن
أى صحيفة يومية في اللغة الأردية في أقل
معانيها و يمكن أن تصدر من دهلي صحيفة
قيمة وإن عازمت مضطراً لإقتضاء الزمن على
أن أصدر عدة صحف في حالة ما - والآن أصدر
صحيفة يومية من كلكتة-

١٩ يناير ١٩٢٧م

ذهب هو والدكتور الأنصارى إلى جالندهر
و غجرانواله وألقيا الخطب في الحفلات عن
مقاطعة بعثة سائمن (Simon Commission)
والاضراب عن العمل في ٣ فبراير - ثم رجع
الزعيمان إلى لاهور-

٢٨ يناير ١٩٢٧م

خطب اليوم صباحاً أمام طلبة الكلية الإسلامية
هو ومولانا محمد علي والدكتور الأنصارى
ودعوا الناس إلى مقاطعة بعثة سائمن
والإضراب المقترح عن العمل ثم تحدث مولانا
آزاد والدكتور الأنصارى أرباب الحل والعقد
لعصبة شفيق في بيت ذو الفقار علي خان -
وانعقدت حفلة عظيمة اليوم عند العصر لسكان
لاهور خارج باب موجى (Mochi Gate) وألقى
فيها الخطب هولاء الزعماء الثلاث-

٢٩ يناير ١٩٢٧م

صدر العدد الثانى لمجلة " الهلال " للعهد
الثانى كتب فيه مولانا آزاد : ستنشر فيما
يستقبل مقالات معظمها سهلة يسيرة لدى
الافهام وبعضها من النوع الخاص و هكذا

١٠ يونيو يوم الجمعة ١٩٢٧م

٦ يناير ١٩٢٦م

أطلق سراحه من سجن على بور المركزي بعد معاناة مشقة السجن مع الأعمال الشاقة سنة كاملة-

ابريل

إنه أصدر مجلة " الجامعة " فى اللغة العربية من كلكته و كان يتولى تحريرها مولانا عبد الرزاق مليح آبادى ويشرف عليها مولانا آزاد - إنه تحدث مع غاندى عن قضية طرح العنف -

٢٢ يونيو ١٩٢٣م

١٥ ديسمبر ١٩٢٣م

إنه ترأس حفلة المؤتمر الوطنى الخاصة و كان أقل سنا ممن شارك هذه الحفلة و قد اشتدت الخلافات بين الهنادك و المسلمين آنذاك و لذلك قال مولانا آزاد فى هذه الخطبة مؤكدا على رفع هذه الخلافات :

" لو نزل ملك من سحاب السماء و ينادى من فوق قطب مینار أن حرية الوطن تدرك فى مدة أربع و عشرين ساعة بشرط أن يتنازل الهنادك و المسلمون عن وفاقهم لأتنازل عن نيل الحرية و لكن لا أتنازل عن هذا الوفاق لأنه لو تأخر إدارك الحرية تكون الخسارة للهند فحسب، و لكن لو تشتت شملها تصاب الإنسانية جمعاء بالخسارة الفادحة "

١٩٢٤م

صدر العدد الأخير لمجلة " الجامعة " العربية ثم احتجبت-

٢٧ إلى ٢٩ يونيو ١٩٢٤م

إنعقدت حفلة المؤتمر الوطنى و جمعية العلماء معاً فى أحمد آباد تحت رئاسته-

٢٦ سبتمبر ١٩٢٤م

إنه أرسل من هيث رئيس الخلافة إلى رئيس المؤتمر لعصبة الأمم برقية بحرية و أخبر فيها أن المسلمين إجتمعوا يوم الجمعة المنصرم فى آلاف من مساجد الهند و دعوا لإخوانهم الذين يسكنون فى القرى و الأرياف أن ينجيهم الله من براثن الظلم و الإضطهاد و يهلك أولئك الظلمة الطغاة الذين سلبوا حريتهم-

جدول التواريخ الدقيقة

يريد أن يصدر صحيفة باسم " الأقدام " من عاصمة الهند دهلئ من الأسبوع الثانئ لشهر يناير ١٩٢٩م، كان يريد أيضا أن يصدر مجلة " الهلال " من دهلئ و لكنه احتاج إلى تغير الاسم لأنه تم مدّة التصريح الرسمئ لتلك المجلة وافقت لجنة المؤتمر الوطنئ التنفيذية على مشروع مقاطعة الملابس الخارجية و عين مولانا عضوا لتلك اللجنة التئ ألفت تحت رئاسة غاندى فى هذا الصدد-

١٥ فبراير ١٩٢٩م

إنه انشأ حزبا سياسيا جديدا باسم " الحزب الوطنئ الاسلامئ لعموم الهند " وانتخب رئيسا لهذا الحزب -

٢٧ يوليو ١٩٢٩م

دعا مولانا آزاد و الدكتور الأنصارئ الناس دعوة حارة إلى اجتماع شمل المواطنين- انعقدت اليوم حفلة كبيرة الشأن فى ساحة غاندى بدهلئ على الساعة السادسة و النصف مساءً و ألقى آزاد خطبة و قال فيها : " مثلت أمامكم بعد ثلاثة أشهر كاملة و نقض أهل الهند أولا مشروع الملح بل إنئ أقول إنهم داسوه بأقدام و كانت الحركة الأخرئ لمقاطعة الملابس الخارجية و إنئ أقول بكل ثقة و اعتماد أنه لا يوجد نظير لهذه المقاطعة فى تاريخ الهند المنصرم و أصيب العمود الفقرئ لانجلترا بضرر فادح -

٢ يناير ١٩٣٠م

٦/ أغسطس ١٩٣٠م

عين مولانا آزاد رئيسا للمؤتمر الوطنئ مكان بلب بهائئ يتيل-

٧ أغسطس ١٩٣٠م

قبض على نائب الرئيس للمؤتمر الوطنئ مولانا أبو الكلام آزاد بعد الظهيرة فى كلكتة بسبب الانذار الذى أجرئ من قبل قاضئ المديرية لميرت و أوصله قطار دهرادون ميل إلى ميرت فى رعاية البوليس-

٢١ أغسطس ١٩٣٠م

- يستفيد العامة والخاصة سواء -
 سافر من كلكتة إلى شمله للمشاركة في لجنة
 وأقام هناك إلى ٢٢ سبتمبر-
 صدر العدد الأخير للعهد الثاني لمجلة "الهلال"
 قال في حفلة العصبة الإسلامية التي انعقدت
 في كلكتة كنا قد خسرنا مصالحنا و مطالبنا
 بسبب ميثاق لكتناؤ و لكن قرار دهلى فتح
 الباب على مصراعيه لإسترداد حقوق مسلمى الهند
 قال في المؤتمر لعموم الأحزاب الذى انعقد في
 بنارس في صدد مقاطعة بعثة سائمن قد
 تحققت جميع الآمال التي علقها الأحزاب
 السياسية للهند من المؤتمر لعموم الأحزاب
 إنى ألتمس من إخوانى المسلمين خاصة أن
 لايتأخروا في هذا الصدد عن محبى الوطن
 الآخرين قال مولانا حسرت موهانی مؤكداً في
 حفلة عظيمة إنعقدت في لكتناؤ لمقاطعة بعثة
 سائمن : " إنه لايتفق من أن يتعاون مع اللجنة
 الملكية و كذلك لايتفق من المقاطعة أيضاً " ثم
 قال مولانا آزاد مشيراً إلى ذلك قد غامرني
 الفرح المدهش بعد ما سمعت أفكار مولانا
 حسرت كما كنت أتوقع منه و إنه أيضاً لايتفق
 من تعاون البعثة و الطريق الآخر هي
 المقاطعة و ليس هناك طريق أوسط سوى ذلك -
 قال مولانا آزاد للمندوبين الصحفيين في
 في مدراس عند وفاة لاله لاجبت رائس "
 "أسد البنجاب" (١٧ نوفمبر)
 " قد أصيبت البلاد بخسارة فادحة من وفاته
 يصعب تداركها و إنه كان مجاهداً بارعا لتحرير
 الهند"
 نشر هذه النبأ اليوم في الصحيفة اليومية
 "أجمل" الصادرة من بومباي أن مولانا آزاد
- ١٧ سبتمبر ١٩٢٧م
 ٩ ديسمبر ١٩٢٧م
 ٢١ ديسمبر ١٩٢٧م
 ١٦ يناير ١٩٢٨م
 ٢١ نوفمبر ١٩٢٨م
 ١٩ ديسمبر ١٩٢٨م

- على مشورة غاندى -
 ترأس مولانا آزاد الحفلة العاشرة لجمعية
 علماء الهند التى انعقدت فى كراتش -
 رشح اسمه من قبل حزب المؤتمر الوطنى فى
 الحفلة الخاصة لبلدية كلكتة لملأ ذلك الفراغ
 الذى حدث بعد ما قبض على سوباش تشاندرا
 بوس (Subhash Chandra Bose) وانتخب بكثرة الآراء -
 إنه انتخب رئيس البلدية لكلكتة -
 تفيد صحيفة " مدينة " الصادرة من بجنور فى
 عدد ١٣ مارس ان المفتشين تقوم بحراسة
 شديدة على مقر نائب الرئيس للمؤتمر الوطنى
 مولانا أبى الكلام آزاد منذ عدة أيام يفتشون
 كل من يمر بهذا الطريق -
 قبض عليه -
 أطلق اليوم سراحه من السجن بعد شهرين
 تقريبا ثم أجرى الإنذار توأ بأن لا يساهم فى
 نشاطات المؤتمر الوطنى وأن لا يذهب خارج
 دهلى بدون إذن -
 يكتب إلى السيد سليمان الندوى " إنى عزمت
 على أن أقضى الأيام الباقية لحياتى لمجرد
 مشغلة التصنيف والتاليف وغيرها من الشؤون
 العلمية و لكن انظروا هل أجد فرصة لهذا
 الشغل أم لا ؟ وفى الحاشية مكتوب لم تتح له
 الفرصة وبطل هذا الأمل مراراً -
 (تبركات آزاد ص : ١٣٧)
 إنه ترأس حفلة الدعوة والإرشاد لجمعية أهل
 الحديث التى انعقدت فى كلكتة -
 يكتب إلى مولوى محى الدين قصورى رحمه الله :
 "كنت أريد أن أصدر مجلة " الهلال " من شهر
 يناير كرسالة شهرية لأنه تصاعد الحاج الناس
 تصاعداً لا يطاق - و لكن من البديهي أن
- ٢١ مارس و ١/ أبريل
 ٢٩ يناير ١٩٣٢ م
 ٣٠ يناير ١٩٣٢ م
 مارس ١٩٣٢ م
 ١٢ مارس ١٩٣٢ م
 ١١ مايو ١٩٣٢ م
 ١٣ أغسطس ١٩٣٢ م
 سبتمبر ١٩٣٤ م
 ١٠ أبريل ١٩٣٥ م

٢٧ أغسطس ١٩٣٠م

اجرى النظر فى مرافعته اليوم بعد الظهيرة
عند محكمة القاضى المشارك السيد كاغل
وكان ذلك فى سجن المديرية لميرت -
قال مولانا رداً على سؤال المحكمة : " إنى لا
أساهم شيئاً فى اجراءات المرافعة "-
وعاقبه القاضى حسب رقم ٦ و مادة ٣ من قضاء
سنة ١٩٣٠م أن يكون أسيرا ستة أشهر و شفع
له أن يجعل فى الدرجة الأولى -

٢٨ يناير ١٩٣١م

وصل اليوم صباحا إلى دهلى بعد ما أطلق
سراحه من سجن غونده الذى تحول إليه قبل
عدة أيام من سجن ميرت و قال فى حوار
لمندوب صحيفة " تيج " أصبح من الضروري أن
تقف اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى و المؤتمر
الوطنى للهند موقف حياد فى دراسة الأوضاع
نظراً إلى تلك التغيرات التى حدثت خلال تسعة
أشهر وقد بين غاندى كل ما يمكن أن
يقال فى مثل هذه الأوضاع -

٢ فبراير ١٩٣١م

طرح (تشودهرى بلديو) عضو المجلس
لأترابراديش (ميرت) سؤالاً و هو هل هذا
صحيح أن نائب الرئيس للمؤتمر الوطنى
مولانا آزاد سافر من سجن ميرت عندما اطلق
سراحه إلى سجن غونده فى الدرجة الأولى
وإنه أدى الكراء من عنده -

٦ فبراير ١٩٣١م

إنه قال فى رسالة تابين له عند ما توفى بندات
موتى لال نهرو " إن وفاة بندات موتى لال نهرو
فى هذه المرحلة من الجهود الوطنية لضرب
امبرج و سيتذكر دائما تلك الجرأة و البسالة
التي كان يظاهرها فى قيادة الحركة الوطنية
رغم التعب و النصب و فساد الصحة -

١١ فبراير ١٩٣١م

وصل مولانا آزاد من كلكتة إلى آند بوان فى
اله آباد و قد اجتمع هناك قادة الوطن البارزون

للعصبة الاسلامية فى مجلس الوزراء إن رضيت
العصبة فى المجالس التشريعية بأن تعمل وفق
مشروع المؤتمر الوطنى فردّ مولانا آزاد قائلا
" لا يمكن لأحد أن ينقاد للسيدین "-

١٧ يوليو ١٩٣٧ م

قال لمندوب صحيفة " تيج " عما جرى بينه
وبين خلیق الزمان فى لکناؤ من الحديث أنه
لا يتصور أن ينضم حزب آخر فى وزارة المؤتمر
الوطنى على أن يابنا مفتوح على مصراعيه لكل
من يوقع على ميثاق المؤتمر الوطنى -

٢٧ يوليو ١٩٣٧ م

بدأت حفلة حزب المؤتمر الوطنى لمجلس
اتر براديش مع رسالات أبى الكلام و جواهر لال
نهررو وإنه قال فى رسالة له مذكرا الغاية
المنشودة :

" إن هناك صحارى قاحلة و واحات و لكن
لا يجدر بكم أن تطمعوا فى الواحات إذا
راثتموها و لا أن تجعلوها مأوى مستقلا
منحرفين عن الطريق "-

٢٩ يوليو ١٩٣٧ م

إنه أدلى ببيان مفصل مؤيد بالدلائل أمام
مندوب ايسوسى ايتيدبريس قبل أن يسافر من
لکناؤ إلى کلکته و قال فيه : " قد تحدثت
تشودهرى خلیق الزمان ثم النواب إسماعيل خان
عن شروط المؤتمر الوطنى للإدخال فى مجلس
الوزراء و لكن لم تتفق الآراء تماما و لذلك
توقفت المفاوضات الآن -

١٣ أغسطس ١٩٣٨ م

إنه وصل إلى واردا من قطار کلکته ميل
للاشتراك فى الحفلة التنفيذية للمؤتمر الوطنى -

٢٩ أغسطس " "

سافر من بنجاب إلى بشاور و قال ردا على
سؤال مندوب ايسوسى ايتيدبريس قبل أن
يسافر : " نحن نتوقع أن نصف زينة من اعضاء
المجلس الثفرى يصحبوننا فى مجال العمل
لأجل المصالح المشتركة للوطن و لو تحقق هذا

الرسالة الشهرية لا تحقق تلك الأهداف التي
ترجى من الرسالة الأسبوعية.

٢٥ ديسمبر ١٩٣٦م

إنه ألقى خطبة في حفلة لجنة الميزانية
للمؤتمر الوطني لعموم الهند التي انعقدت في
فيش فور و قال فيها :

" لماذا لا يتولى أعضاء المؤتمر الوطني
المناصب إن يعزز المؤتمر أهداف أولئك الذين
يبتغون الوظائف "

١/ يناير ١٩٣٧م

أرسل مولانا آزاد إلى أهالي الشمال والغرب
لولاية الثغر رسالة و قال فيها مستغيثا
بالمصوتين هناك :

لو كانت صحتي تسمحني بأن أ حضر إليكم
لحضرت ولذلك أنا أذكركم بهذه الرسالة
وأحبكم قد اقتربت تواريخ الاقتراحات للمجلس
التشريعي و أرجو منكم أن تقاوموا ضد جميع
القوى الرجعية بكل قوة ونشاط - و تفوزوا في
مواجهة تيارات المكر والخديعة -

٢٨ مارس ١٩٣٧م

إنه وصل إلى اله آباد لينظر أي نوع من
الجهود ينبغي أن تبذل لإدخال المسلمين في
مجال العمل للمؤتمر الوطني -

١١ يوليو ١٩٣٧م

أرسل رئيس اللجنة النيابية التابعة للمؤتمر
الوطني سردار بتيل برقية إلى جميع القادة
لأحزاب المؤتمر الوطني أخبر فيها أنه لابد أن
يشاور مولانا آزاد و يستأذن منه قبل توظيف
أعضاء المسلمين لمجلس الوزراء -

١٣ يوليو ١٩٣٧م

إنه سافر من لكتناو إلى اله آباد مع بندات
كوبند بلتب بنت للتشاور في مسألة تشكيل الوزارة
لأتبراديش و قال رداً على سؤال مندوب
صحفي إن لا أتصور القيادة على أساس
الطائفية و لما سأله المندوب الصحفي هل
يرضى المؤتمر الوطني بأن يدخل أي ممثل

جدول التواريخ الدقيقة

تساوى مع جميع الأقليات وأضاف قائلاً : " إن الاقتراحات المنفردة سلاح للطائفين و إن قمعهم يوجب التضامن الطائفي "-

١٢ يناير ١٩٣٨م

إنه تحدث البارحة مع ممثلى الشيعة واليوم مع ممثلى أهل السنة والجماعة فى لکناؤ حول قضية مدح الصحابة والتبرى منهم و كان منهم مولانا المفتى كفاية الله و مولانا حسين أحمد المدنى و مولانا حبيب الرحمن و مولانا ظفر الملك، وهذه الأحاديث مخفية حتى الآن-

١٤ يناير ، ،

لم تنتهى إلى الآن تلك المفاوضات التى جرت بينه وبين قادة مجلس الأحرار و جمعية العلماء إلى نتيجة حاسمة و هو يتمنى أن يتفاهم الفريقان على أمر ما و لكن يصدر الحكم فى بداية الأسبوع القاضى إن لم يحدث شئ، فى هذا الصدد-

٣٠ يناير ١٩٣٨م

كتب إلى رئيس الوزراء لولاية بنغال فضل حق كتابا قال فيه أن يخبره عن تلك الأحداث التى تعرض فيها المسلمون للشدائد والنكبات فى الولايات للمؤتمر الوطنى و وأضاف قائلاً إن أخبرتمونى عن مثل هذه الأحداث فانا أحاول رفع هذه الشكاوى كعضو للجنة المؤتمر الوطنى -

٢٢ فبراير ١٩٣٨م

قد تقدم رئيس المؤتمر الوطنى سباش تشاندر بوس فى حفلة لجنة المؤتمر لعموم الهند التى انعقدت اليوم صباحا فى هرى بوره اسما أعضاء اللجنة العاملة للمؤتمر و كان مولانا آزاد أيضا منهم *

١٧ مارس ١٩٣٨م

قال مولانا آزاد مهيناً بذلك البيان الذى ألقاه السيد سكندر حیات فى مجلس بنجاب عن قضية شهيد غنج (لاهور)

" لاشك أن هذا هو الموقف السديد "

الأمل لا يحول شئ، دون إنشاء الوزارة للمؤتمر
الوطني -

١/ سبتمبر ١٩٣٨م

قد رحب أهل المدينة البارحة بمولانا آزاد
والدكتور راجندرا برشاد ترحيباً حاراً لما وصل
إلى آيت آباد -

٢٦ أكتوبر ١٩٣٨م

إنه اشترك في الحفلة التنفيذية للمؤتمر
الوطني التي انعقدت اليوم في كلكتة على
الساعة الواحدة والنصف

٣٠ أكتوبر ١٩٣٨م

ابتدأت منذ اليوم حفلة لجنة المؤتمر الوطني لعموم
الهند في كلكتة و قدم فيها مولانا آزاد قراراً
خالف فيه إتحاد المنظمات قائلًا : لقد قدم أولاً
مشروع تحرير الولايات و ثانياً مشروع إتحاد
المنظمات في قانون الحكومة الهندية لسنة
١٩٣٥م و لكن المؤتمر الوطني يخالف هذين
المشروعين نظراً إلى مصالح الوطن و أيد هذا
القرار بولابائى ديساى و في الأخير تمت
الموافقة عليه بعد مفاوضات كثيرة *

٩ نوفمبر ١٩٣٧م

وصل اليوم صباحاً من كلكتة إلى بتنه ليقابل
الاقطاعين و الفلاحين هناك و يبادل الخواطر
حول المشروع المعدل لقانون المزارعة الذي
يسبب لاحتجاج عنيف في طول الولاية و عرضها
و تحدث اليوم صباحاً مع الدكتور راجندرا
برشاد طويلاً وأقام عند الدكتور السيد محمود -

١/يناير ١٩٣٨م

انعقد إجتماع اللجنة الإدارية للمؤتمر
الوطني للولاية الثغرية في بشاور واقترح فيه
لمولانا آزاد أن يترأس الحفلة القادمة للمؤتمر -

٢ يناير ١٩٣٨م

إشترك في الحفلة العاملة للمؤتمر الوطني
التي انعقدت في بومباى إنه شارك في جلسة
اعضاء المجلس للمؤتمر الوطني التي انعقدت
في بومباى على دعوة إضافية، إنه قال مثنيا
على موقف وزارات المؤتمر الوطني " انها

جدول التواريخ الدقيقة

حفلة المجلس التشريعى لولاية بهيار إلى أجل غير معين - اتصل على الفور رئيس الوزراء لولاية بهيار مع مولانا آزاد بالتليفون و تحدث معه وأخبره عن الأوضاع و وعد مولانا آزاد بأنه يجرى إلى بتنه ٤ يوليو و يحاول المفاهمة بين حكومة بهيار والاقطاعيين -

٥ يوليو ١٩٣٨م

قد تمت المفاهمة بين حكومة بهيار والاقطاعيين حسب بيان أصدره مولانا آزاد من بتنه و ذلك لأجل تلك الجهود التى بذلها مولانا آزاد فى هذا الصدد -

٥ سبتمبر ١٩٣٨م

إنه عين رئيسا للجنة الهندية لولاية بهيار مكان الدكتور راجندرا برشاد لأنه لا يستطيع أن يقوم بواجبات الرئاسة بسبب المرض -

١١ ديسمبر ١٩٣٨م

إنه اشترك اليوم على الساعة التاسعة صباحا فى حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى التى انعقدت فى واردا -

٢١ ديسمبر ١٩٣٨م

إنعقدت حفلة اللجنة الهندية لولاية بهيار تحت رئاسة مولانا آزاد أمس و بحث فيها أن تدون كتب المعاجم والقواعد والصرف والنحو فى اللغة الهندية - ثم ألقى مولانا آزاد ضواً ساطعاً حول قضية اللغة فى خطبته -

٢٢ ديسمبر ١٩٣٨م

جاء اليوم صباحا من بتنه إلى إله آباد و مكث عند بندت جواهر لال نهرونى آنند بوان -

١١ يناير ١٩٣٩م

إنه شارك فى حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى التى بدأت اليوم عند العصر تحت رئاسة سوباش بابو فى " باردولى ستيه غره آشرم "

٢٠ يناير ١٩٣٩م

بقى عدة أعضاء فى باردولى بعد ما انتهت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر وانهم تشاوروا فيما بينهم عن الرئيسى لحفلة ترى بوره و كان غاندى يرى أن مولانا آزاد يجدر بذلك

و أضاف قائلا : " أنا أؤكد له بأن المؤتمر الوطنى يساعده بكل مايسطيع إلى ذلك من سبيل فى جميع الجهود التى يبذلها لحل قضية "شهير غنج" -

قابل غاندى المعتقلين السياسيين الذين زج بهم إلى السجن الرئيسى لكلكته عن اطلاق سراحهم ثم قابل مولانا آزاد و تبادل معه الخواطر حوالى ساعتين

٨ أبريل ١٩٣٨م

يسافر مولانا آزاد إلى بومباى ليستفاد من وجوده عندما تجرى المفاوضات بين غاندى والمسترجع و مست الحاجة إلى ذلك لأن اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى ألقت على كاهله بخاصة هذه المسئولية بأن يشاور مع الوزراء المسلمين للإشتراك فى وزارات المؤتمر - ولأجل ذلك قام بجولة فى جميع أنحاء الهند وأرجاءه و تعرف على آراء المسلمين ذوى أفكار و اتجاهات متنوعة -

٢٢ أبريل ١٩٣٨م

قد أزالت جهود مولانا آزاد و سردار بتيل المشتركة ذلك الفطر الذى حدث فى وزارة الولاية المتوسطة،والذى عكر الجو وأعلن بتيل أن مولانا آزاد يمكث يوما زائدا لتقرر القضايا الأخرى و تبحث عن المحايدة الغير المشروعة وغيرها من الأمور -

٢٥ مايو ١٩٣٨م

أصدر مولانا آزاد من كلكته بيانا مفصلا و مبرهنا ليبطل تلك التهمة التى ألصقها لمسـ جناح على المؤتمر الوطنى بأنه يرفع من شان اللغة الهندية و يقول فى موضع إن قضاء المؤتمر الوطنى و عمله يشبه تماما الجماعات الاسلاميه ذات مسئولية -

٨ يونيو ١٩٣٨م

لم يتم أى مفاهمة بين حكومة بيهار والإقطاعيين عن قانون المزارعة و لذلك أجلت

٢٩ يونيو ١٩٣٨م

جدول التواريخ الدقيقة

لمجلس الشغل للمؤتمر الوطنى التى تنعقد فى ١٣ فبراير، و يشترك أيضا فى جلسة للجنة المؤتمر الوطنى للولاية ١٤ فبراير- و إنه قابل المحبين للوطن ماراً بمحطة لاهور و تحدث مع المندوبين الصحفيين -

١٦ فبراير ١٩٣٩م

جرت المفاوضات بينه و بين أربعة وزراء لولاية الشغل اليوم منذ الصباح إلى المساء و استغرقت هذه المفاوضات حوالى احدى عشر ساعة- و إنه تبادل الخواطر حول كثير من الأمور الإدارية و تحدث أيضا غاندى الشغل خان عبد الغفار خان و رئيس الوزراء الدكتور خان كان يريد أن يصل إلى دهلى فى ١٨ فبراير و إلى واردا فى ١٩ فبراير بعد انتهاء المشاغل هناك -

٧ مارس ١٩٣٩م

انعقدت اليوم حفلة ايه. آى. سى . سى . سى (A . I . C . C .) فى ترى بوره لم يخضرها رئيس المؤتمر الوطنى سوباش تشاندر بوس بسبب المرض و لذلك ترأس مولانا آزاد الحفلة-

١٤ مارس ١٩٣٩م

كان يجب، إلى دهلى اذ انزلت قدمه على محطة اله آباد لأنها وقعت على قشر من الموز و انكسر عظم رجله و جىء به محمولا على النقالة إلى السيارة ثم انتقل إلى "آند بوان" - ذهب غاندى و الدكتور راجندر برشاد و غيرهما من قادة الوطن إلى آند بوان ليعودوا مولانا آزاد و كان تحت المعالجة هناك- إنه أصدر بيانا من كلكته حين كان رهن الفراش لأجل انكسار عظم الرجل قال فيه : " قد نشرت بعض الصحف رسالة مختلقة باسم رئيس المؤتمر الوطنى سوباش بابو و قد رأيت صورة تلك الرسالة التى جرت بين سوباش بابو و غاندى و لذلك أنا أنه الناس أن لايتأكدوا من تقرير دهلى عن الرسالة المذكورة

٢٤ مارس ١٩٣٩م

١٦ ابريل ١٩٣٩م

نظرا إلى الأوضاع الراهنة ولكنه لم يرض
واقترح اسم الدكتور سيتارا ميّا مكانه -

٢٤ يناير ١٩٣٩م

أصدر عدة أعضاء اللجنة العاملة البارزين
للمؤتمر الوطنى بيانا مفصلا لرياسة حفلة
المؤتمر فى ترى بوره منهم سردار بتييل،
والدكتور راجندرا برشاد، جى- بي - كربلانى،
بولا بائى ديساى وغيرهم وقالوا متأسفين :
مما يبعث الحزن والأسى أن مولانا آزاد رأى
أن يسترد اسمه عن ترشيحه للانتخاب الرياسى
وشفع للدكتور سيتا راميا بعد ما تشاور معنا
ونحن نرى إنه أحسن -

٢٦ يناير ١٩٣٩م

اصدر بندات جواهر لال نهرو بيانا مفصلا فى
ألموره <Almora> مشيراً إلى تلك الخلافات
العنيفة التى حدثت فى انتخاب الرئيس القادم
للمؤتمر الوطنى قال فيه : " إن مولانا آزاد
أجدر بأن يكون رئيسا للمؤتمر هذه السنة
وإنى أرى أنه أحرى بأن يحل القضايا المهمة
التي تتعلق بنا -

وهو يتحلى ببعد النظر وشعور حساس
ولذلك يحاول أن يفهم أفكار الآخرين إزاء
فكرته وهو رجل محنك ومدير للمؤتمر كل
واحد يكرمه ويعول عليه وهو أليق بأن يجمع
شملنا وما زالت تزداد سنة بعد سنة تلك
العاطفة القوية التى رسخت فى قلبى منذ
عشرين سنة أعنى منذ تعرفت عليه عن الاشادة
بأدراكه للأمور والفهم والتدبر - فقد
ضغطت أنا والآخرون على أن يرشح نفسه
للرياسة ولكن من سوء الحظ انه لم يرض
بذلك -

١٠ فبراير ١٩٣٩م

إنه وصل اليوم إلى بشاور من قطار
" فرنثير ميل" ليشارك فى اللجنة الإستثنائية

- الفراش لأجل انكسار العظم -
 لقى وفد من الشيعة مولانا آزاد متأثراً باستفائته في قيادة قاضي متقاعد من لكاناؤ يدعى بالسيد اصغر حسين -
 ١٢ يونيو ١٩٣٩ م
- رجع إلى لكاناؤ ذلك الوفد من الشيعة الذي سافر إلى كلكته ليقابل مولانا آزاد وأخبر هذا الوفد أنه قال أولاً توقف المظاهرة ثم أعقد المؤتمر للفرقتين في اله آباد -
 ١٦ يونيو ١٩٣٩ م
- إتصل بالتليفون: كبير الوزراء لولاية سند خان بهادر الله بخش مع مولانا آزاد و تحدث عن وزارة المؤتمر الوطني وفق نبأ كراتش -
 ١٦ يوليو ١٩٣٩ م
- إنه سافر اليوم من كلكته إلى لكاناؤ راكبا على قطار " بومباي ميل " لحل ذلك النزاع الذي نشب بين الشيعة وأهل السنة - رغم لم يعد سليما ولكن تهيأ لهذا السفر نظرا إلى أهمية هذه القضية -
 ١٨ أغسطس ١٩٣٩ م
- قد لاحت بوادر الأمل والرجاء في تلك المساعي التي كان يبذلها منذ ثلاثة أيام منصرفة في صدد مظاهرة مدح الصحابة والتبري منهم -
 ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ م
- قرر الشيعة توقيت مظاهرة التبري بسبب تلك الجهود التي بذلها مولانا آزاد وقال مولانا آزاد فرحاً بهذا الفوز ودعا الفريقين أن يرحبا هذا الجو ولا يحدثا شيئا يعكر جو المدينة ثانيا -
 ٢٨ أغسطس ١٩٣٩ م
- إنه أدلى ببيان صحفي في كلكته قال فيه :
 لقد تعقد موقف الهند منذ الحرب العالمية الثانية ففي جانب هو يتعاطف مع البلدان الديمقراطية وفي آخر يراعى مكانته السياسية، ولا بد من تضامن البلاد لإحراز الفوز والنجاح في هذا الوضع الدقيق سواء كان سياسيا أو طائفيًا -
 ٦ ديسمبر ١٩٣٩ م

وإن الأشياء التى نسبت فيها إلى غاندى كلها كذب محض لا أصل لها -

يكتب إلى غلام رسول مهر من كلكتة عن انكسار عظم الرجل :

" قد تحول العظم الأكبر من المفصل العالى لحدوث الخلل فى الركبة اليسرى و إنكسر المفصل الذى يسمى بـ TIBIA و الآن ضمدت الرجل تماما و لا أزال مستلقيا الليل و النهار و قد اشار على الأطباء أن أكون ستة أسابيع هكذا مستلقيا و بعد ذلك يفك الضمادة -

و كتب أيضا فى هذه الرسالة " إن الذى قررته عن اشتغالى هو قضاء مبرم " يكتب الاستاذ غلام رسول مهر معلقا على الكلمة الأخيرة -

" و كان ذلك القرار هو أن يشغل بالشؤون العلمية و الدينية متباعدًا عن النشاطات السياسية تحدثت معه واستردت التصديق فقال هو قرار محكم و لكنه أجله نظرا إلى إلحاح الأصدقاء إلى أن انتخب رئيسا للمؤتمر الوطنى و حدثت الأخطار للقبض عليه و لم يبق الآن أى وجه بأن يرضى عن الاعتزال - (نقش آزاد ص ١٧)

إنه أدلى ببيان لإسوسى ايتيد برهس لصادرة من كلكتة و قال فيه : " من الأسف الشديد أنه يتضاعف يوما فيوما النزاع بين الشيعة و أهل السنة فى لكاناؤ - و كل فريق منهم يتباعد عن الآخر - و هذا بين فرقتين من المسلمين فيجب علينا أن نتفاهم فيما بيننا من حيث المسلمين و إنى استغيث بجميع القادة الشيعيين للمظاهرة أن يلفوا العصيان المدنى و بعد ذلك أنا أعقد مؤتمرا لقادة الشيعة و أهل السنة، و أبذل أقصى جهدى بأن نحصل على حل بالتفاهم فيما بيننا " - و هو الآن أيضا رهين

١٩ أبريل ١٩٣٩م

٢ يونيو ١٩٣٩م

جدول التواريخ الدقيقة

نستعرض بكل حيطة كل ما قمنا به من أعمال خلال السنتين المنصرمة، كنا قد قررنا أن نقبل الوزارة بعدما بحثنا سنة كاملة عن جميع الجوانب- ولكن استردنا الوزراء من مناصبهم فى مدة أربع و عشرين ساعة اذا مست الحاجة إلى ذلك -

٢٩ نوفمبر ١٩٣٩م

فحص معالجه بى . سى . راضى اليوم الانكسار الذى حدث فى رجليه عندما انزل على رصيف إله آباد فى شهر مارس المنصرم و قال بعد ذلك لاتزال آثار الأصابة باقية حتى الآن و ازداد ألمه هذه الأيام حتى يشقى عليه فى بعض الأحيان أن يمشى دقائق ثم أشار عليه أن يتداوى بالكهرباء و يكثرفى الاستراحة -

٦ ديسمبر ١٩٣٩م

جاء إلى بتنه ليشارك فى حفلة للجنة الهندية لولاية بيهار و ألقى عصاه عند الدكتور السيد محمود ثم ذهب إلى لاهور ماراً بدهلى-

١٨ ديسمبر ١٩٣٩م

إبتدت منذ صباح اليوم حفلة اللجنة العاملة فى واردا و ترأس مولانا آزاد جلسة الصبح لأن رئيس المؤتمر الوطنى الدكتور راجندر برشاد لم يصل إلى الآن بسبب المرض -

٢ فبراير ١٩٤٠م

جرى الحديث عن الرئيس القادم للمؤتمر الوطنى عند محطة ناكفور (NAGPUR) فقال غاندى : " إنى أرى أن مولانا آزاد أجدر برياسة المؤتمر الوطنى نظرا إلى الأوضاع الراهنة و أرجوا أنه ينتخب بإجماع الآراء -

٤ فبراير ١٩٤٠م

أعلن الأمين العام للمؤتمر الوطنى آتشاريا كربلائى أن اليوم كان التاريخ الأخير لترشيح الأسماء لرئاسة احتفال رام كره (RAMGARH) و وصلتني فى هذا الصدد اقتراحات لرجلين احدهما مولانا آزاد و ثانيهما ايم . اين . راضى - أعلن جيه برকাশ نارائن تائيدده لمولانا آزاد

١٢ فبراير ١٩٤٠م

١٨ سبتمبر ١٩٣٩م

إنه وصل إلى لکناؤ البارحة ليشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة للشيعة وأهل السنة وأخبر مندوب وكالة يونائتد بريس عن الأوضاع السياسية أن ذلك القرار الذى نفذه المؤتمر الوطنى لواردا (WARDHA) حاليا هو أحسن من كل ناحية و تتخذ الإجراءات مباشرة إن لم تلب الحكومة البريطانية طلبات المؤتمر الوطنى-

٢٠ سبتمبر ١٩٣٩م

كتب المرزا محمد اسماعيل من ولاية ميسور رسالة إلى مولانا آزاد معربا عن ثقته الكاملة لحل النزاع بين الشيعة وأهل السنة كما يقول : " لا أجد أحدا أجدر منك فى جميع أنحاء الهند بحل تلك الخلافات التى حدثت بين الفرقتين من المسلمين الشيعة وأهل السنة "-

٢ أكتوبر ١٩٣٩م

إنه جاء إلى لکناؤ ليشترك فى جلسة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى وأقام عند آصف على - جاء إلى لکناؤ ليشترك فى مؤتمر الشيعة وأهل السنة وأعرب المشتركون عن أفكارهم على جوانب مختلفة للنزاع ثم أجل المؤتمر لغد -

٢٧ أكتوبر ١٩٣٩م

انعقدت حفلة اللجنة الدائمة للمؤتمر الشيعى السياسى فى لکناؤ تحت رئاسة سيرسيد وزير حسن واشيد فيها بالجهود التى بذلها لحل النزاع بين الشيعة وأهل السنة وتأسف على أن جهوده لم توت أكلها اذ استقال وزراء المؤتمر الوطنى بفتة -

١٤ نوفمبر ، ،

١٧ نوفمبر ١٩٣٩م

عرفت وكالة يونائتد بريس الصادرة من کلکتا أن مولانا آزاد أعد مشروعا نافعا مؤثرا للتضامن بين المسلمين والهنداك و يقدمه فى اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى ١٩ نوفمبر -

٢٠ نوفمبر ١٩٣٩م

إنه ألقى خطبة فى حفلة عظيمة انعقدت فى إله آباد قال فيها : " ينبغى لنا أن نسترشد بتجارينا السابقة اذا ما تقدمنا بخطوة و لنا ان

جدول التواريخ الدقيقة

س - قبل ثلاثين سنة و شكلت لجنة للخوض
فى هذه القضية ولكن من المعروف أنه لا ترشد
أى لجنة إلى الأنشطة الوطنية و لا تزال تنشد
أنشودة " بندي ماترم " منذ ثلاثين سنة و هكذا
احتلت مكانة الأنشطة الوطنية -

٢٠ مارس ١٩٤٠م

انعقدت اليوم الحفلة الثالثة و الخمسين
للمؤتمر الوطنى تحت رئاسة مولانا آزاد مكان
البارحة لأجل مطر غزير، وألقى فيها مولانا
آزاد خطبته التذكارية و أعلن أعضاء لجنة
العاملة الجديدة -

١/ أبريل ١٩٤٠م

يقيم هذه الأيام فى إله آباد و يتشاور مع قادة
الوطن البارزين حول القضايا السياسية المهمة -
سأل مندوب عن مولانا آزاد حول فكرة الأمتين
لمسترجع جناح فقال ردا عليه إن فكرته باطلة لا
فائدة فيها و لا ترغب نفس فى أن أتحدث عنها
شيئا -

١٣ أبريل ١٩٤٠م

قال هو يفتح المخيم التدريسي (إله آباد) :
" قد رضينا بزعامة غاندى و موقفه و فيه
خير للوطن والأمة " -

٥/ أبريل ١٩٤٠م

وصل اليوم صباحا إلى كلكته -
سافر إلى واردا اليوم مساءً راكبا على قطار
" بومباى ميل " -

١٠ أبريل ١٩٤٠م

١٢ أبريل ١٩٤٠م

رحبه اليوم مساء فى واردا سكرتير غاندى
مهاديو ديساى وغيره ترحيبا حارا قال و هو
يتحدث الصحفيين مارا بناغفور : " إن المؤتمر
الوطنى يمر بمرحلة حاسمة للجهود الجبارة
هذه الأيام " -

١٣ أبريل ١٩٤٠م

انعقدت اليوم الحفلة الأولى للجنة العاملة
للمؤتمر الوطنى فى واردا تحت رئاسة مولانا
آزاد و اشترك فيها القادة البارزون منهم
غاندى.

١٥ أبريل ١٩٤٠م

فى اقتراح رئاسة المؤتمر الوطنى و دعا اعضاء حزب الاشتراكية للمؤتمر الوطنى أن يدلوا بأصواتهم لمولانا آزاد -

١٥ فبراير ١٩٤٠م

جرى الانتخاب اليوم لرئاسة المؤتمر الوطنى فاز فيه مولانا آزاد بأحد عشر وثمانى مائة وألف (١٨١١) صوت إزاء أحد وثمانين ومائة (١٨١) صوت حصل عليه ايم . اين . رائى -

كتب مولانا آزاد فى كتاب India Wins Freedom

(ينال الهند الحرية) أنه لم يحدث أى معارضة

فى انتخاب الرئيس لأن المعارض ايم . اين رائى خسر بأصوات كثيرة - (همارى آزادى ص: ٦٨)

١٨ فبراير ١٩٤٠م

ذهب إلى لاهور أول مرة بعد ما انتخب رئيسا للمؤتمر الوطنى ولقيه الصحفيون هناك وطرحوا عليه كثيرا من الأسئلة و قال معارضا لفكرة الأمتين لمستر جناح إنى لا اعتبرها صحيحا لأن الهند لاتعيشها أمتين بل أمة واحدة- انعقدت حفلة عظيمة عند باب لاهورى خارج دهلى وألقى فيها الضوء على شخصية مولانا آزاد وخدماته -

٢٨ فبراير ١٩٤٠م

إنه وصل إلى صداقت آشرم فى بتنه على الساعة الثانية ليشتترك اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى -

١٥ مارس ١٩٤٠م

وصل اليوم صباحا رئيس المؤتمر الوطنى مولانا آزاد من كلكتة إلى رام كره و رحبه ثلاثة آلاف متطوعون و الدكتور راجندر برشاد الرئيس السابق للمؤتمر الوطنى و السيدة سروجنى نايدو ترحيبا حارا ثم حياه المتطوعون تحية -

١٩ مارس ١٩٤٠م

قال مولانا آزاد معربا عن فكرته حول قضية الأنشودة الوطنية للجنة الميزانية " قد عرضت هذه القضية فى كلكتة أمام أيه . آتى . سى

غاندى للمؤتمر الوطنى لايزال باقيا
كالسابق-

إنه سافر إلى "نينى تال" من دهلى اليوم مساءً
وقال قبل أن يغادر وهو يتحدث الصحفيين :
" أن الثلوج و الشلل الراهن لايمتد إلى مدة
طويلة و إنه رجا أن الحرب تتجه إلى جهة
حاسمة خلال أسبوعين ثم يجدر بنا أن نعرف
أين نحن واقفون وإن ينته المؤتمر الوطنى
إلى نتيجة أنه ينبغي له أن يواصل جهوده
ومساعيه فلا يتحاشى عن ذلك-

٢٤ يونيو ١٩٤٠م

انعقدت اليوم صباحاً حفلة اللجنة العاملة
للمؤتمر الوطنى فى " برلا هاؤس " دهلى تحت
رياسة مولانا آزاد ولقيه رئيس الوزراء لولاية
بنجاب سرسكندر حیات خان فى خلوة ثم أخبر
مندوبى الصحف أنه جاء ليتحدث عن
المعتقلين الجدد الذين قبض عليهم فى بنجاب-
إنه أوضح قرار اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى
حول الحرية الكاملة فى حفلة انعقدت فى
دهلى الجديدة-

٧ يوليو ١٩٤٠م

قال مولانا آزاد موضحاً قرار اللجنة العاملة
للمؤتمر الوطنى المعترف به فى حفلة انعقدت
فى نينى تال " يجب على الهند أن تساهم فى
الحرب إن تلبت طلباتها -

١١ يوليو ١٩٤٠م

أصبح اليوم القناع عن برقية سرية أرسلها مولانا
آزاد إلى المسترايم . ايه . جناح وكتب فيها :
" قد قرأت خطابك ل ٩ يوليو والمراد بالحكومة
الشعبية حسب قرار المؤتمر الوطنى لدهلى أن
الوزارة المشتركة لا تنحصر فى حزب و هل تقف
العصبة الإسلامية موقفا يرضى به عن ادارة
موقته تبنى على مشروع الأمتين؟

١٣ يوليو ١٩٤٠م

ورفض جناح أى نوع من المفاوضة والإمكانية

انتهت الحفلة لأربعة أيام اليوم للجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رئاسة مولانا آزاد و بحثت فيها الأوضاع السياسية التى حدثت بعد حفلة رام كره بكل جدية و رزانة مفصلة واتخذت القرارات -

١٨ ابريل ١٩٤٠م

إنه أدلى ببيان صحفى مفصل فى واردا حول النزاع الذى نشب بين الشيعة و أهل السنة فى لکناؤ عن مدح الصحابة و التبرى منهم و دعا أهل السنة إلى أن يقفوا موقفا يسبب الاخوة والوحدة بين الفرقتين-

٢٠ ابريل ١٩٤٠م

إنه أدلى ببيان لمندوب وكالة ايسوسى ايتد فى واردا قال فيه رداً على لارد زتيندر وزير الهند : " إن الحرية الكاملة هى وجهة نظر المؤتمر الوطنى وذلك لايتحقق بدون التضامن الطائفى- و لايمنحه إلا مجلس يكون ممثلاً حقيقياً للجماهير -

٢٢ ابريل ١٩٤٠م

سافر إلى نينى تال اليوم ليلا بـ " بنجاب ميل"- بلغ أن مهاديىو ديسائى يكتب ترجمة مولانا آزاد هذه الأيام -

٤ مايو ١٩٤٠م

٦ مايو ١٩٤٠م

أرسل سكريتريه الخاص إلى الصحف من " نينى تال " أن مولانا آزاد يقيم هناك إلى شهر يوليو إلا أن يفاجئه شىء-

٨ مايو ١٩٤٠م

قال رداً على بيان مستر ايمرى وزير الهند : " من الأسف الشديد لم يطرأ أى تغيير فى موقف وزارة بريطانية عن الهند و إن وزير الهند الجديد أعاد ذلك الموقف الذى اعرب عنه المؤتمر الوطنى وجهة نظره غير مرة-

٢٥ مايو ١٩٤٠م

بدأت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى واردا تحت رئاسة مولانا آزاد أدلى فيها ببيان مفصل عن الأوضاع الراهنة -

٢١ يونيو ١٩٤٠م

قال قبل أن يفادر " نينى تال " إن توجيه

٢٢ يونيو ١٩٤٠م

جدول التواريخ الدقيقة

- بلغنى أن كثيرا من أعضاء المؤتمر الوطنى لم يرضوا بما قضيت - (همارى آزادى ص: ٧٧-٧٨) ٥ أغسطس ١٩٤٠م
- إستوضح مولانا آزاد كرئيس للمؤتمر الوطنى سردار كمبورن سينغ قائد المجلس لولاية سمبورن بنجاب عن كارثة بتياله (Patiala) ٢٦ أغسطس ١٩٤٠م
- إنه وجه جميع لجان المؤتمر الوطنى للولايات أن تعارضى إعلان نائب الملك و بيان ايمرى (AEMARI) وزير الهند- ٢٩ مارس ١٩٤٢م
- انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رئاسة مولانا آزاد استمرت إلى ١١ ابريل - يقول مولانا آزاد : " كان غاندى معارضا لجميع الاقتراحات التى قدمت للموافقة عليها من أول اليوم وإنى شعرت بأن ذلك لم يكن لمجرد انه كان يراها جديرا بالنقد بل السبب الرئيسى لذلك هو استنكاره و بغضه للحرب و كان مطبوعا على أن يعادى كل شىء يورط الهند فى غمار الوغى- ١ ابريل ١٩٤٢م
- لقى مولانا آزاد استيفرد كريس مرة ثانية و يكتب عن هذا اللقاء : " كان هذا اللقاء لقاء حاسما - تحدثنا فيما بيننا حوالى ثلاث ساعات و رأيت أساسيا فى موقفه هذه المرة و كانت الأجوبة مختلفة تماما عن الأجوبة السابقة - ١١ ابريل ١٩٤٢م
- إنه بين فى مؤتمر صحفى انعقد فى دهلى ما جرى بينه و بين سر استيفرد كريس من المفاوضة - ٢٧ ابريل ١٩٤٢م
- انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى اله آباد تحت رئاسة مولانا آزاد و بحثت الأوضاع السياسية- ٣٠ ابريل ١٩٤٢م
- قال فى اجتماع سى . آى . بي عند احتفال رفع العلم " نحن لا نبالى بنفوسنا لأقصاء الأعلام الخارجية عن أرض بلادنا"

رداً على ذلك -

قال نمندوب الصحف في دهلي وهو يسافر إلى واردا : " إنى لا أتأسف على ما أرسلت إلى جناح من بريقة ، و قد أرسلتها إليه شخصيا لأستوضح بيانا له وليس معنى ذلك أن أى نوع من المفاوضة جارية بين العصبة الإسلامية والمؤتمر الوطنى -

٢٢ يوليو ١٩٤٠م

انعقدت اليوم عند العصر حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى في واردا و بحثت فيها القضايا السياسية المهمة -

٢٥ يوليو ١٩٤٠م

انعقدت اليوم بعد الظهر حفلة لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند في " بونا " [Pune] تحت رئاسة مولانا آزاد و إنه علق مفصلا في خطبته الافتتاحية على عمليات و قرارات المؤتمر الوطنى السابقة -

٢٧ يوليو ١٩٤٠م

فوضت اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى إلى مولانا آزاد الخيار بأن يعقد حفلة المؤتمر القادمة في أى ولاية شاء وهو يسافر اليوم ليلا إلى بومباى ثم يذهب إلى كلكتة و يمكث يوما في واردا -

٢٩ يوليو ١٩٤٠م

قال اليوم في مؤتمر صحفى لبومباى : قد بذل المؤتمر الوطنى أقصى جهوده لإبقاء توجيه غاندى ولكن لم يتحقق أملُه إلى الآن وإن تخب جهوده القادمة أيضا في هذا السبيل يتحمل المؤتمر مسؤولية التوجيه على كواهله إذا لزم ذلك -

٣١ يوليو ١٩٤٠م

دعا نائب الملك مولانا آزاد أن يتحدث عن اقتراح التضاعف في عدد أعضاء المجلس التنفيذى و تصرفاته ليشترك المؤتمر الوطنى في الحكومة و لكن رفض مولانا آزاد هذا الاقتراح بدون أن يتشاور مع رفاقه و كتب هو :

أغسطس ١٩٤٠م

جدول التواريخ الدقيق

قليلا حتى اغتسل وأجدد الملابس فلما فرغ من ذلك وجه إلى سكريترية الخاص توجيهات هامة ثم ذهب إلى الحاكم وقال " أنا مستعد و ذلك فى الساعة الخامسة و هكذا قبض على سائر أعضاء اللجنة العاملة و هكذا اعتقل تسعة أعضاء منهم و مولانا آزاد أيضا فى حصن أحمد نجر -

٩ ابريل ١٩٤٣م

يوليو ١٩٤٤م

توفيت عقيلته زليخا بيغم فى كلكتة -
لما قرأ مولانا آزاد ذلك النبأ بأن غاندى يرأس جناح و يسافر إلى بومباى ليلاقيه فقال لأصحابه المعتقلين " إنه على خطأ فاحش و إن هذا الموقف يعقد سياسة البلاد و لايفتح بابا للحل - و كتب مولانا آزاد " أن الأوضاع القادمة أثبتت هذه الشبهة -

غرة ابريل ١٩٤٥م

١٥ يونيو ١٩٤٥م

نقل إلى سجن بانكوره من حصن " أحمد نجر " -
أطلق سراحه من سجن بانكوره و سافر من " كلكتا ميل " فى الساعة الخامسة مساءً و وصل إلى كلكتة اليوم القادم صباحاً -
وصلته رقعة الدعوة من نائب الملك بواسطة الحاكم ليشترك فى مؤتمر القادة فى ٢٥ يونيو -

١٨ يونيو ١٩٤٥م

٣٠ يونيو ١٩٤٥م

قال فى حوار له فى مدينة كلكتة : لم ترد أى إشارة فى اقتراحات نائب الملك إلى انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية و لا أعارض إن يقيم شركاء مؤتمر شملا (Simla) بهذا الانتخاب -

٢١ يونيو ١٩٤٥م

إنه وصل إلى بومباى و انعقدت حفلة اللجنة العاملة ليومين للمؤتمر الوطنى تحت رياسته بعد ثلاث سنوات تقريبا - وافقت اللجنة بعد امعان النظر فى رقعة الدعوة لنائب الملك بأن يكون ممثلا للمؤتمر الوطنى فى مؤتمر شملا (Simla)

إنه علق على بيان ايل . ايس . ايرى الناظر للهند الذى أدلى به فى اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى دار العوام عن القرار المسحوب -

٨ مايو ١٩٤٢م

انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رئاسته فى سيواغرام بحثت فيها الأوضاع السياسية للبلاد -

٨ يوليو ١٩٤٢م

قال فى حوار مع مندوب وكالة الأنباء " يوناتند " لن يرضى المؤتمر الوطنى على أقل من أن يعلن التحرير وتفوض مقاليد الحكومة إلى الهند -

١٧ يوليو ١٩٤٢م

إنه أدلى ببيان للصحف فى دهلى بين فيه ماجرى بينه وبين الحكومة البريطانية من الأحاديث -

٣٠ يوليو ١٩٤٢م

ذكر مولانا آزاد التعليقات البريطانية و الأمريكية التى بحث فيها قرار اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى مؤتمر صحفى انعقد فى دلهى الجديدة ولاسيما ذكر خطبة استيفرد كريس التى نشرت فى امريكا -

٢٨ يوليو ١٩٤٢م

قال مولانا لأمرىكة أن يضغط على البريطانية لتفوض السلطة إلى الهند -

٤ أغسطس ١٩٤٢م

وصل إلى بمبائى من كلكتة ليتراس حفلات اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى و ايه . آى . سى . سى - وبدأت حفلة اللجنة العاملة نفس اليوم -

١٧ أغسطس ١٩٤٢م

بدأت حفلة لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند تحت رئاسته من وقت الظهيرة واستمرت إلى الساعة الثامنة مساءً وانتهت الحفلة على هذا القرار التاريخى " خلوا الهند " - (Quit India)

٩ أغسطس ١٩٤٢م

وصل إليه إنذار حاكم المديرية للقبض عليه وهو نائم فهب من منامه وأخبر عن الإنذار فقال مولانا آزاد أخبروا الحاكم بأن يهملنى

جدول التواريخ الدقيقة

- ٢٦ يناير ١٩٤٦م أكد المولانا في إحدى خطبه يوم ١٤ احتفال على ضرورة الوحدة والتناسق لإنجاز الاستقلال -
- ٣ فبراير ١٩٤٦م أجرى المولانا آزاد و السردار بتيل مجادثات طويلة مع جى . ايم سيد و الحاج مولابخش حول قضايا الحزب المؤتلف لبرلمان السند -
- ٥ فبراير ١٩٤٦م قال المولانا في مقابلة صحفية في مدينة "كراتشى" إن المؤتمر الوطنى تستقبل بحرارة قيام حكومة لكافة الأحزاب في السند -
- ٧ فبراير ١٩٤٦م قال المولانا في تصريح صحفى في مدينة كلكتة "إن ما قامت به الحكومة البريطانية من اعلان حول استقلال الهند لاتتحمل قليل أهمية عندى" -
- ١٩ فبراير ١٩٤٦م قال المولانا في بيان : "إن الحكومة البريطانية عاجزة كل العجز عن ايفاء عهدا لسبتمبر ١٩٤٥م، و لن تظنوا أن نظرة المؤتمر تعنى فرارها من مواصلة الجهود -
- ١٨ مارس ١٩٤٦م وصل المولانا بالطائرة من بومباى إلى دلهى ثم غادر في اليوم الثانى إلى كلكتة -
- ٢٣ مارس ١٩٤٦م وصلت البعثة الوزارية إلى الهند و توجه زعيم بارز بنغالس من المؤتمر يدعى جى . سى غوبتا إلى دلهى لمقابلة سراستيفرد كريس، أرسل المولانا منه رسالة إلى كريس استقبله فيها -
- ٢٨ مارس ١٩٤٦م قال المولانا في لكتاؤ معارضة لقرار رابطة المسلمين : "إن المؤتمر لاتؤيد قيام مجلسين تشريعيين -
- ١ ابريل ١٩٤٦م طار المولانا من كلكتة إلى دلهى وأراد القيام فيها إلى الخامس من الشهر الجارى -
- ٢ ابريل ١٩٤٦م و قال المولانا لدى وصوله إلى دلهى : "إن مشكلة الوقت ذات الأهمية التى ينبغى أن نفكر فيها ليست هى الخلافات الهندية

٢٤ يونيو ١٩٤٥م

٢٥ يونيو ١٩٤٥م

إنه وصل إلى شملاليشارك في مؤتمر شملال -
بدأ المؤتمر على الساعة الحادية عشر والنصف
صباحا و شارك فيها مولانا آزاد كمندوب
للمؤتمر الوطني -

يوليو و أغسطس ١٩٤٥م إنه قضى هذين
الشهرين في " جول مرج " (GULMARG)
بكاشمير حسبما اشار عليه الأطباء و بينما كان
في كاشمير اذ أفادته الصحف بأن حزب العمال
لبريطانيا أحرز نجاحاً باهراً في الانتخابات
العامّة - وإنه أرسل على الفور برقية يهنئ بها
مسترايتلى و سير إستيفرد كريس وإنه عبر عن
خياله قائلاً : بأن حزبه يطبق ما قاله كحزب
معارض بعد ما يتولى مقاليد السلطة و كتب
مولانا آزاد أن غاندى و بانديت نهرو لم يرضيا
بهذه الخطوة -

١٣-١٧ نوفمبر ١٩٤٥م

إنه سافر إلى بنداجل في مديرية مرزا فور
لإبتغاء الصحة و الطمانينة و كتب إلى حبيب
الرحمن اللوديانوى في ١٣ نوفمبر : ماذا أفعل
فان القلب لايطمئن بأن ينقاد لمرض و يخضع
امامه - في الجملة إنى عزمت على أن أسافر
إلى منطقة غير مسكونة في بنداجل ابتغاء
للراحة و الطمانينة -

٢ ديسمبر ١٩٤٥م

لعله رجع من بنداجل إلى كلكتة في ٢ ديسمبر
وإنه أرسل إلى عبد الرحمن الكاشميرى رسالة
في ٢٢ نوفمبر كتب فيها : " إنى اسافر إلى
كلكتة في ٢ ديسمبر " -

٨ يناير ١٩٤٦م

تسلم رسالة من السكرتير للدولة للهند بواسط
حاكم بنغال، جاء فيها أن أعضاء بعثة ارسالية
من البرلمان البريطانى يريدون مقابلته -

١٩ يناير ١٩٤٦م

قابله اعضاء وفد البرلمان البريطانى في
بومباى -

- أسبوعين تقريبا رجعنا إلى دلهى -
 انعقدت اللجنة العاملة للمؤتمر فى دلهى الجديدة، تم فيها إعطاء قرارات المساهمة فى الحكومة الموقته شكلا نهائيا -
 قام المولانا و جواهر لال نهرو و راجندر برشاد بمقابلة نائب الملك -
 اعلن المولانا فى مؤتمر صحفى ان المؤتمر الوطنى ألفت اقتراحات البعثة الوزارية حول الحكومة الموقته، لكنها صادقت على الاقتراح الطويل الأمد لتأليف المجلس التشريعي لتشكيل الدستور -
 كانت دلهى تتلظى بالحر و لم يبق فيها أى عمل، فغادرها المولانا إلى كلكته -
 توجه المولانا إلى بومباى للحضور فى اللجنة العاملة للمؤتمر، يقول فى كتابه " الهند تنال الاستقلال " لقد قابله اناس فى كل محطة وقف بها قطاره تقريبا و الحوا عليه أن لا يترك قيادته للمؤتمر الوطنى -
 انعقدت جلسة اللجنة العاملة كما كان المقرر فى بومباى، تم فيها تشكيل عدة قرارات للجنة المؤتمر الهندى و كان القرار الأول يتصل بمشروع مجلس الوزراء، و تم الاتفاق أن المولانا هو الذى يقدمها فى لجنة المؤتمر لعموم الهند إذ كان يخاف أن يعارضها أناس ينظرون فى منظور اشتراكى -
 و لما استهلّت جلسة لجنة المؤتمر لعموم الهند، طلب المولانا من جواهر لال نهرو أن يتولى رئاسة الجلسة، و قدم السردار بتيل اقتراح تقديم الشكر إلى المولانا آزاد نوه فيه بخدماته كرئيس للمؤتمر، و بعده قام المولانا بتقديم القرار حول مشروع البعثة الوزارية،
- ٢١ يونيو ١٩٤٦م
 ٢٢ يونيو ١٩٤٦م
 ٢٥ يونيو ١٩٤٦م
 ٣٠ يونيو ١٩٤٦م
 ٤ يوليو ١٩٤٦م
 ٦ يوليو ١٩٤٦م
 ٧ يوليو ١٩٤٦م

و البريطانية من منظور سياسى بل المشكلة
الطاثية للبلاد -

٢ أبريل ١٩٤٦م

قام المولانا بمقابلة البعثة الوزارية و كانت
المحادثات بينهم فى جو حر للغاية-
اعلن المولانا فى دلهى الجديدة أن المؤتمر
تسعى إلى الاستقلال الذى لا يودى إلى انقسام
البلاد -

١٧ أبريل ١٩٤٦م

انعقدت جلسة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى
فى دلهى الجديدة تحت رئاسته، قدم فيها
المولانا تقريراً عن مفاوضاته مع البعثة الوزارية
و قدم آراءه لحل القضية الطاثية-

١٣ أبريل ١٩٤٦م

اجرى المولانا بياناً عن المسلمين و الاقليات
الأخرى، قال فيه : " إن المشروع الذى قدمته
رابطة المسلمين، قلبت فيه النظر من جوانبه،
وقد وصلت بصفى هنديا و مسلما إلى
نتيجة أن هذا المشروع يجلب الضرر للهند
بصورة عامة و خاصة للمسلمين منهم -

١٥ / أبريل ١٩٤٦م

قدم المولانا اسم جواهر لال نهرو لقيادة
المؤتمر فى تصريح و وجه الدعوة إلى
المؤتمرين لأن ينتخبوه باجماعهم، و لكن
البعض قدموا اسمى السردار بتيل و اتشاريه
كربلانى و لكن نهرو انتخب أخيراً بإجماع
الأصوات-

٢٦ أبريل ١٩٤٦م

بدأت المباحثات مع البعثة الوزارية فى شمالا و
امتدت إلى الثانى عش من الشهر الجارى
كتب فيها المولانا : " اضافة إلى المؤتمر
الرسمى، قمنا بتبادل الآراء غير الرسمية، و قد
زارنى اعضاء البعثة فى مقرى لمقابلتى،
و زرتهم أيضا بوحدى أو مع جماعة فى مقرهم
حسب ما اقتضت المناسبة، وربما رافقنى آصف
على أو همايون كبير خلال هذه اللقاءات، بعد

٢ مايو ١٩٤٦م

جدول التواريخ الدقيقة

إنه أدلى ببيان للصحف قال فيه : لقد اخترت وزارة المعارف اقتضاء لرغبتى وذوقى وإنى أرى أن تنسيق المعارف من جديد، يكون موجبا لتأسيس حياتنا الوطنية -

إنه أدلى ببيان مفصل فى مؤتمر صحفى وألقى فيه ضوءاً ساطعاً على الوضع الدراسى فى الهند وحاجات المستقبل والمشروعات الحالية وقال : ينبغى للمعارف أن يكون لها نصيب أرجح فى ميزانيتنا الوطنية وأضاف قائلاً إنى أرجو أن ننزه تقصيراتنا لو نبذل جهودنا بكل عزم و نجرد بأن نجعل الهند فى صفوف البلدان الراقية والمثقفة -

إنه ترأس المجلس العربى والفارسى لحفلة الولايات المتحدة التى انعقدت فى لكانا وألقى خطبة بدل المقاومة، استغرقت حوالى ساعة وأربعين دقيقة • قال فيها : أسست هذه اللجنة فى ١٩٤١م ولكن لم تبدأ أعمالها حتى الآن لاستقالة وزراء المؤتمر الوطنى فجأةً وأضاف قائلاً : إنى أردت أن تنال اللغتين - الفارسية والعربية - تلك المكانة الراقية المرموقة التى حازتها فى العصر الاسلامى -

إنه أدلى ببيان لوكالة الانباء " ايسوسى ايتد بريس " أشاد، فيه بإخلاص لورد ويول نائب الملك السابق معلقاً على تقرير مسترايتلى الجديد، وقال بعد ما ألقى ضوءاً ساطعاً على جميع الأحداث التى حدثت منذ يونيو سنة ١٩٤٥م إلى الآن : قد استقر رأى فى مؤتمر شملأ بأمر لارد ويول ليس كغيره من السياسيين بل مخلص وإنه يعرب عن أفكاره بكل بساطة -

نشرت الصحف تقرير تلك الخطبة الرئاسية التى ألقاها مولانا آزاد فى مناسبة المجلسين

٣١ يناير ١٩٤٧م

١٨ فبراير ١٩٤٧م

٢٢ فبراير ١٩٤٧م

٢٤ فبراير ١٩٤٧م

٢٥ فبراير ١٩٤٧م

الذى لاقى معارضة قوية من قبل المتعاطفين مع الاشتراكية كما كان يظن، و لكن تمت الموافقة على المشروع من قبل الأغلبية الساحقة -

اجتمع المولانا آزاد و جواهر لال نهرو و السردار بتيل فى دلهى الجديدة و تبادلوا الآراء حول تقديم الاقتراحات إلى نائب الملك لتأليف حكومة مؤقتة -

١٣ أغسطس ١٩٤٦م

غادر المولانا آزاد من كلكتة إلى دلهى بالطائرة للمشاركة فى اللجنة البرلمانية للمؤتمر و كانت الفوضى تسود البلد بسبب العملية المباشرة لرابطة المسلمين و قد هوجم على سيارته فى طريقه إلى المطار، و لكنه بصورة ما وصل إلى مطار دمدم -

١٦ أغسطس ١٩٤٦م

لقد كان المؤتمر فوض تأليف الحكومة المؤقتة إلى اللجنة البرلمانية، و كانت تضم المولانا آزاد و جواهر لال نهرو و السردار بتيل الدكتور راجندر برشاد، و لما استهلكت اليوم جلسة لجنة ، طلب اعضاءها المولانا آزاد بللحاح للمشاركة فى الحكومة المؤقتة و لكنه نفى ذلك و قدم بدلا منه اسم آصف على، الذى تم الاتفاق عليه -

١٧ أغسطس ١٩٤٦م

جاء فى بلاغ رسمى صحفى صدر من بيت نائب الملك أن تم تعيين آصف على سفير الهند لواشنطن، و المولانا آزاد جعل وزير الكينيت بدلا منه -

٢٨ ديسمبر ١٩٤٦م

عين مولانا آزاد وزير المعارف مكان راج كوبال أتياريا -

١٥ يناير ١٩٤٧م

إنه دعا العصبة الاسلامية للمشاركة فى المجلس التشريعى موضحا موقف المؤتمر الوطنى حول التحزب -

٢٨ يناير ١٩٤٧م

جدول التواريخ الدقيقة

نحاول لنستخدم هذا الاستقلال بصورة تثبت أن آمالنا قد تحققت- يجب على كل هندی سواء كان رجلا أو امرأة أن يلبس على ما تقتضيه البلاد- ويتوهم بواجباته بكل أمانة حيث كان-

إنه أدلى ببيان نظرا إلى الجو الطائفي الذي حدث في دهلي : إن الأوضاع في دهلي هادئة إلى حد ما وهي ترجع إلى نصابها شيئا فشيئا- والحاجة ماسة إلى أن نستخدم وسائل تطفئ شعلة الغضب والبغضاء التي تعكر الجو-

تحدث رئيس اللجنة العاملة لرابطة المسلمين نواب اسماعيل خان مع غاندى نظرا إلى الجو الطائفي للبلاد ولاسيما لدهلي كان مولانا آزاد وسهروردي أيضا هناك -

إنه أدلى اليوم ببيان تقدم فيه تغيرات هامة لمقاومة الوضع الحالي - وصيانة الأوضاع من أن تضطرت أكثر و لرفع الإضطرابات - مثلا : اعتراف حكومة ولاية بنجاب الشرقية والغربية بأنها فشلت في الحفاظ على الاقليات، إجراءات أمنية لأجل الطرفين بنجاب الشرقية والغربية، إحلال الأمن في هاتين المنطقتين و تأليف الوزارة المشتركة بين حكومة بنجاب الشرقية والغربية * التنديد بسفك دماء الابرء من قبل الحكومة وعامة الناس-

إنه ألقى خطبة حماسية مفصلة أمام حشد عظيم للمسلمين في مسجد شاه جهان الأثرى تعرض فيها لأشياء منها-

والآن قد تغير الموقف السياسى للهند وليس هناك موضع " لرابطة المسلمين" وإن هذا الجو للذعر والخوف موقت - إنى أوكد أن يخضع أنفسنا إلا نحن وأنا دائما أقول وأعیده هذه المرة أيضا : " تنحوا عن طريق الارتياب

٢٣ سبتمبر ١٩٤٧م

٢٤ سبتمبر ١٩٤٧م

٢٩ سبتمبر ١٩٤٧م

٢٣ اكتوبر ١٩٤٧م

لغة العربية و الفارسية و لكن ذلك التقرير كان يوحى إلى أن مولانا آزاد ينال من مستوى اللغة الانجليزية و يحط من شأنها و أراد مولانا آزاد أن يزيل هذه الشبهة فقال : إن اللغة الانجليزية لغة دولية و الهند تضر بنفسها لو لم تركز همها على هذا الجانب المهم فانى أرى لايزال مستوى اللغة الانجليزية الراقى باقيا •

مارس ١٩٤٧م

قال فى بيان صحفى خلال مؤتمر آسيا الذى إنعقد فى دلهى الجديدة مؤكدا على توطيد العلاقات الثقافية بين تلك الدول : " نحن ندين للذين شرفوا دعوة الهند بالقبول و إنى أرجو أنهم يرجعون إلى بلادهم حاملين بين ضلوعهم صداقة الهند و مؤدتها -

٢١ مايو ١٩٤٧م

فى خطبة افتتاحية لحفلة اللجنة التشريعية الدائمة (Legislature Standing Committee) فى شملا إن الحكومة تلتفت إلى الشؤون التعليمية لو لم يكن الوضع السياسى للبلاد معقدا فان أكثر الناس لايلتفتون إلى هذا الجانب المهم لأجل تغيرات سياسية متواصلة -

٢٩ يونيو ١٩٤٧م

أدلى مولانا آزاد اليوم ببيان فى دلهى الجديدة اقترح فيه أن تعقد الحفلة المشتركة للمجالس التشريعية للهند و باكستان لإعداد ميثاق مشترك للحفاظ على حقوق الاقليات التى تقطن الهند و باكستان -

١٥ اغسطس ١٩٤٧م

إنه تقدم برسالات آتية اليوم لمناسبة الاستقلال ، قد تمت المرحلة الأولى للإستقلال الوطنى بخير و صلاح أحرزنا الإستقلال و ما كان لنا أن نحرزه بدون الوحدة و المعاوضة الوطنية و نحن نحتاج إلى ذلك أكثر فى المراحل الأخرى المهمة لبناء الوطن من جديد • و ينبغى لنا أن

الرابعة عشر للجنة وقد سبقت ثلاث عشرة حفلة في العهد البريطاني و ينبغي لنا أن نحسب هذه الحفلة حفلة افتتاحية نظرا إلى الأوضاع المتغيرة -

إنه ترأس حفلة المجلس التعليمي لعموم الهند التي انعقدت في دهلي اليوم و أعرب خلالها عن رأيه أنه لابد أن تتخذ إجراء لرقى التعليم في الهند -

١٦ يناير ١٩٤٨م

انعقدت اليوم مساء حفلة عظيمة في منتزه أردو قريبا من جامع مسجد و شارك فيها حوالى ثلاثة آلاف من سكان دهلي حسب تقدير الصحف . قال مولانا آزاد في خطبة له : كنت مع غاندى قبل عشرة دقائق من مجيء إلى الحفلة - إنه مستعد لفسخ صومه - إلا أن يقبل الهنادك و المسلمين و السيخ و المسيحيون سبعة شروط - وهذه الشروط تتعلق بإحلال الأمن في دهلي والحفاظ على المسلمين -

١٧ يناير ١٩٤٨م

فسخ غاندى صومه عند الظهيرة أمام القادة الوطنيين المعروفين لأنه قبل سكان دهلي شروط غاندى و وقعوا على هذا الميثاق حوالى مائتين ألف من الناس - جاءت عقيلة حفيد غاندى بعصير يرتقال و قدمه مولانا آزاد إلى غاندى -

١٨ يناير ١٩٤٨م

انعقدت حفلة في منتدى الدستور لدهلي الجديدة تحت رئاسة مولانا آزاد بعد عدة أيام لاغتيال غاندى، بحث فيها عن تأسيس تذكارات غاندى قال آزاد لا توجد ذكرى غاندى في الهند فحسب بل في جميع أنحاء العالم بصورة شتى قد شكلت اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى حاليا تتألف على ستة أشخاص و هذه اللجنة تبنى أهداف حياتهم

فبراير ١٩٤٨م

و تخلوا عن سوء العمل - و إن هذا الخنجر
الغريب ذو ثلاثة حد أخطر من سيف ذو حدين
سمعت اخبار جروحه من السنة شبابكم -

١٤ نوفمبر ١٩٤٧م

استهل مؤتمر جماعات المسلمين ليومين فى
دهلى تحت رئاسة مولانا آزاد، إنهم قرروا فى
حفلة اليوم الأول قراراً بأن ينضم المسلمون فى
المؤتمر الوطنى للهند سوى لرابطة المسلمين
و غيرها من الأحزاب السياسية الطائفية - و ان
المؤتمر تهدف إلى الوحدة و الديمقراطية
والرقى و الازدهار-

١٩ ديسمبر ١٩٤٧م

أكد مولانا آزاد على تدريب الاساتذة فى حفلة
افتتاحية لمؤسسة مركزية تعليمية -

٢١ ديسمبر ١٩٤٧م

قال مولانا آزاد فى حفلة توزيع الشهادات
لجامعة بتنا : لايمكن لنا أن نجحد بمنافع
التعليم الغربى و لكن المنهج الذى اخترعوه
يلائم البتة مع مقتضيات حياتنا -

٢٧ ديسمبر ١٩٤٧م

انعقد فى لكانا مؤتمر المسلمين ليومين لعموم
الهند تحت رئاسة مولانا آزاد وأشار فيه مولانا
على المسلمين الهنود بأشياء سياسية مفيدة -
مثلا إنه قال خلال خطبته الرئاسية : لابد لنا أن
ندفن الطائفية فى مهدها التى اثيرت على اسم
الدين ذلك يشمل كل نوع من الطائفية و من
سوء الحظ كل طائفة تقلى الحطب فى تلك
الاساءات التى بدأت سلسلتها منذ ١٥
أغسطس و ليست هناك أى جماعة برئية من
جريمة سفك الدماء - فان المسلمين و الهنادك
والسينخ كلهم يرمون بذلك -

١٣ يناير ١٩٤٨م

استهلت حفلة اللجنة الاستشارية المركزية
للتعليم اليوم فى دهلى الجديدة تحت رئاسة
مولانا آزاد -

قال فى خطبته الافتتاحية : " هذه الحفلة

جدول التواريخ الدقيقة

لاتبتنى على اساس الطائفية بل عندها مشروع محدد يشمل نفع الولاية و جماهير الناس -
و الثالث أن مسلمى كاشمير يحاولون أن يحرزوا ثقة الاقليات و قال فى الختام : " قد شنت على كاشمير غارة شعواء و لكن الإخوان الكاشميريون قدموا أمام الناس نموذجا مثاليا للتضحية يعبر عن حبهم للاستقلال و انهم يضحون القطرة الأخيرة من الدم لبقاء هذا الاستقلال -

١ يونيو ١٩٤٨ م قال مولانا آزاد فى مؤتمر صحفى انعقد فى دهلى الجديدة و ألقى ضوءاً على جزئيات الثقافة الاجتماعية و الاساسية قائلا : مما يرجح أنه يطبق هذا المشروع خلال السنتين القادمة فى جميع ولاية دهلى و فى البداية يفتح خمسين معهدا للثقافة الاجتماعية منذ ١/ يوليو و علاوة على ذلك يقوم المعاهد الموجودة التى يبلغ عددها إلى ألف و مائة و خمسين معهدا -
بالثقافة الاجتماعية بجانب الثقافة البحتة *
و أضاف قائلا : إن هذا المشروع فى دهلى يكون كخبرة و يبحث عن تطبيق هذا المشروع فى الولايات الأخرى من شهر ابريل للسنة القادمة نظرا إلى تلك التجارب التى تحققت فى مشروع دهلى -

٦ يوليو ١٩٤٨ م صلى مولانا آزاد بالناس صلوة جنازة الفقيد محمد عثمان الذى استشهد بجبهة كاشمير و أنزل محمد عبد الله جثته فى القبر و دفن فى مقبرة الجامعة المخصصة على جنب الدكتور مختار أحمد الانصارى و كان من أقربائه *
١٥ أغسطس ١٩٤٨ م قال مولانا آزاد أثناء خطبته بمناسبة يوم الاستقلال انتم تعرفون أن حادثا جديداً حدث السنة الماضية نفس اليوم و ظهرت صورة

الطبيبة وروحها أمام الدنيا-

٢٠ مارس ١٩٤٨م

انعقدت فى دهللى حفلة لجمعية العلماء لعموم الهند شارك فيها العلماء المعروفون للهند - قال مولانا آزاد مويدا رأى الأمين العام مولانا حفظ الرحمن : " إن الجمعية لا تحتاج إلى السياسة الآن هناك مجالات أخرى عدا السياسة منها المجال التعليمى و المجال الاجتماعى و المجال الاقتصادى وغير ذلك من المجالات - و يحتاج المسلمون إلى أن تشكل لهم جمعية لهذه المجالات من الواضح أنه ليس هناك جمعية أكثر فائدة ورسوخا من جمعية العلماء -

١٢ ابريل ١٩٤٨م

إنه أدلى ببيان أمام مندوب وكالة الانباء ايسوسى ايتد قال فيه : من الأسف الشديد ان العلاقات بين الهند و ولاية حيدر آباد تزداد سوءاً من عدة شهور و لاشك ان حل القضايا المعارضة لا يخلو من فائدة للهند عامة و لولاية حيدرآباد خاصة *

٢٦ ابريل ١٩٤٨م

انعقدت حفلة جمعية العلماء الخامسة السنوية اليوم مساء تحت رئاسة مولانا حسين أحمد مدنى فى بومباى* و قال مولانا آزاد و هو يفتتح هذه الحفلة : " إن التغيرات التى طرأت على صعيد الهند ليست هى تغيرات فى الأوراق فحسب و إنما لم تغير الأوضاع فحسب بل أحدثت تغيرات هائلة فى القلوب و النفوس أيضا -

١١ مايو ١٩٤٨م

قال فى خطبة ألقاها اليوم مساء فى حفلة عامة انعقدت فى سريناغار : لم أجد لأبلغ أى رسالة إلى سكان كاشمير بل جئت لأهنئهم على أنهم تعلموا عدة دروس أساسية، الأول أنهم عرفوا أن يقحموا ميادين العمل تحت توجيه قائد و الثانى أنهم يملكون جماعة

جدول التواريخ الدقيقة

حفلة تحت رئاسة الرئيس الجديد الدكتور
يتاى سيتاراميا فى غاندى نغر قدم فيها بندات
نهرو قرارا باسم رسالة غاندى قال
مولانا آزاد مويدا هذا القرار " قد سمى هذا
القرار باسم الرسالة لمناسبة و ليست هذه
الرسالة رسالة محاسب بل هى تلك الرسالة التى
نادى بها غاندى طوال حياته و الآن توجه
إلى جماهير الهند لأنها الطريق التى يتوخاها
غاندى ليسلكها الناس *

٢٣ ديسمبر ١٩٤٨م

انعقدت اليوم صباحا فى جامعة دهلى حفلة
المهرجان الفضى للجنة المحضر التاريخى تحت
رئاسة مولانا آزاد قال مولانا و هو يستعرض ما
قامت به اللجنة خلال خمس و عشرين سنة من
اعمال : إن اللجنة قامت بما يرحب به و لكن
هناك عدة نواحى لتاريخ الهند لم تدرس كاملة
مثلا نحتاج إلى دراسة العلاقة التى توجد بين
ثقافة موهنجودارو وبين جنوب الهند و البلدان
الشرقية الوسطى و كذلك نحتاج إلى دراسة
تلك الأوضاع التى حدثت بعد انقراض المرحلة
الأولى *

٢ فبراير ١٩٤٩م

إنه ازال أولا تلك الشبهة التى تعلقت بافهام
الناس فى حفلة توزيع الشهادات للجامعة
الاسلامية بعليجره أنه لم يكن معارضا و لا
معاندا قط لسر سيد أحمد خان و لا لمؤسسته
العلمية و لا يمكن ذلك لأنى كنت معترفا بمآثرة
الذهبية التى قام بها و بعظمته و أضاف قائلا :
إنى أذكر أن مؤلفات سر سيد أحمد خان أثرت
على ذهنى تأثيرا بالغا فى مرحلة من مراحل
حياتى و اليوم حضرت هناك لأوجه إليه تحية
معترفا بخدماته التعليمية و الاصلاحية الجليلة
وقال عن الجامعة الاسلامية " إن مؤسسة علمية

جديدة على خريطة العالم و الآن نحن نحتفل
بذكرى يوم الاستقلال و أماننا تتمثل تلك
الصورة و من سوء الحظ أننا نشاهد انه لا تنفرج
أسارير وجهه كما يتصور و تلوح آثار المصائب
و الآلام على ملامحه احرزنا الاستقلال ولكنه جاء

بسيل جارف اتلف مائة الف من النفوس *

و إن هذه الفاجعة المؤلمة تركت فى نفوسنا
جروحاً غائرة لا تندمل سريعاً و نحن نشعر
بألمها إلى الآن *

١٩ سبتمبر ١٩٤٨م

إنه أدلى ببيان مفصل لمندوب الصحف هنأ
بها موقف جماهير الهند الذى أبدوه لمناسبة
وقعة حيدرآباد و قال : إنى نبهت قادة مجلس
اتحاد المسلمين فى حفلة الميزانية الماضية أن
من الخطأ الفاحش أن تتصوروا أن طائفة من
المسلمين الهنود تويد موقفكم الطائفى *

٢٦ سبتمبر ١٩٤٨م

انعقدت اليوم حفلة فى الجامع المسجد بعد صلاة
العصر شارك فيها آلاف من المسلمين لمدينة
دهلى و فرحوا بفتح حيدرآباد " ألقى مولانا
آزاد خطبة قال فيها قد ارسلت ثلاث رسائل
إلى " نظام " حيدرآباد و تحدث مولانا آزاد
حوالى ساعتين مع مير لائق على رئيس الوزراء
لحيدرآباد لما جاء فى شهر يونيو أول مرة
ولكن لم يجد شيئاً و أضاف قائلاً : إنى أصدع
بالحق فى بيت الله بأن حكومتنا لم تقم بعمل
ينخلج لأجله أمام الله أو الناس *

ديسمبر ١٩٤٨م

انعقدت الحفلة الاولى لبعثة الجامعة فى دهلى
الجديدة و قال مولانا آزاد و هو يفتتح هذه
الحفلة قد انفتح باب جديد فى تعليم البلاد
و الحاجة ماسة إلى أن نستعرض المعارف
العالية ثم نشكلها من جديد *

١٨ ديسمبر ١٩٤٨م

انعقدت اليوم على الساعة الثانية و النصف

جدول التواريخ الدقيقة

مانك تله ، راجيبا بازار و غيرها من المناطق إنه شاهد أيضا مخيمة " بارك سرکس" التى أوت إليها الأسر المسلمة من المناطق التى أصيبت بالاضطرابات و أدلى الليلة ببيان قال فيه : إن الأوضاع الطائفية لكلكته فى متناول اليد الآن تماما *

مارس ١٩٥٠م

أصدرت مجلة فصلية باسم " ثقافة الهند" من قبل المجلس الهندى للعلاقات الثقافية على اقتراح مولانا آزاد و صدر العدد الأول لهذه المجلة تحت تحرير مولانا عبد الرزاق مليم آبادى *

٣ يونيو ١٩٥٠م

قال مولانا آزاد و هو يبدى الحيرة و الدهشة على استقالة الدكتور جان متاى وزير المالية المركزى : مما يبعثنى على الاستغراب و الدهشة أنه عد من أسباب استقالته اتفاقية نهرو و لياقت خان بيد أنه دائما يويد موقف الصداقة مع باكستان *

٥ يونيو ١٩٥٠م

أدلى محرر صحيفة " السوادى " الشهيرة الصادرة من مصر أحمد التناولى ببيان فى بومباى و هو يسافر إلى مصر بعد ما أقام فى الهند ثلاثة شهور " إن جولة مولانا آزاد المقترحة للشرق الأوسط ستكون نافعة للهند * أعلن فى كراتشى أن مولانا آزاد يمكث ليوم فى ١٤ يوليو فى طريق جولته لإيران و تركى و كتب أيضا أن رئيس الوزراء لباكستان لياقت على خان لما ذهب إلى دهلى دعا مولانا أن يجرى إلى باكستان *

١٩ يونيو ١٩٥٠م

إنه أعرب عن رأيه بالحروب الداخلية لنيبال و هو يخطب فى احتفال الوفاة للاله جيت راثى : ينبغي لحاكم نيبال أن يعرف مقتضيات اليوم و يقوم بتعديلات اقتصادية و سياسية للصد عن

١٨ نوفمبر ١٩٥٠م

قامت بمآثر جليلة رافعة في الغابر جديرة بأن يكون لها مستقبل رائع لماع طبعياً *

٢ ديسمبر ١٩٤٩م

إنه غادر إلى ميسور و يرجع من هنا بعد ثلاثة أو أربعة أيام *

٣٠ ديسمبر ١٩٤٩م

وجه مولانا آزاد إلى بعثة من جمعية العلماء في فندق " تاج محل " ببومباي اليوم قائلًا : إن أوضاع البلاد بين أيدينا إن كل ساعة تبعث الطمانينة للمستقبل في نفوس المسلمين الهنود رغم أنه لم تمض أيام كثيرة على المرات الماضية * ومن كان يحسب ان أوضاع السنتين الماضية هكذا تتغير وإن اتنبؤ بأن مستقبل المسلمين في الهند رائع لماع نظرا إلى أوضاع البلاد *

أوائل ١٩٥٠م

إنه أسس معهدا باسم " المجلس الهندي للعلاقات الثقافية " (I. C. C. R.) في دهلـي الجديدة لتحسين وتوطيد العلاقات الثقافية والعلمية بين الهند والبلدان الخارجية ولاسيما البلدان العربية * قال مولانا آزاد وهو يخطب في حفلة مجلس التعليم المركزي الاستشاري التي انعقدت في كتك (CUTTUCK) نحن لانستطيع أن نطبق مشروع توسعة التعليم لقلّة الميزانية رغم بذل الجهود *

٨ يناير ١٩٥٠م

استهلت اليوم حفلة البرلمان الأول لجمهورية الهند على الساعة الحادية عشر إلا الربع قام مولانا آزاد باداء اليمين الرسمية في اللغة الإنجليزية *

٢٨ يناير ١٩٥٠م

وصل مولانا آزاد من دهلـي إلى كلكته على الساعة الرابعة و النصف مساءً لما بلغه نبأ الإضطرابات في كلكته * نزل من الطائرة وزار أولا على الفور تلك المناطق التي اندلعت فيها نيران الاضطرابات مثلا منطقة معسكر دم دم

١٦ فبراير ١٩٥٠م

جدول التواريخ الدقيقة

منطقة سندهلمدة قصيرة وإن الثقافة الإيرانية هي أكثر تأثيراً في ثقافة الهند من الثقافات الأخرى الوافدة ولكن لم يبق أثرها إلى الآن واندمجت في تيار الثقافة الهندية فان الثقافة الهندية هي مجموعة نزعات العصور الماضية والقرون المتوسطة والعصر الراهن *

٢١ يناير ١٩٥١م

قال مولانا آزاد وهو يخطب في حفلة تأسيس كلية في أحمد آباد : مما يبعثني على الفرح والسرور أن جامعة مستقلة أسست في غجرات ولكنها لا تكفي لأن مستوى البلاد التعليمي بلغ إلى منتهى الانحطاط ولنا أن نبذل أقصى جهودنا لتحسين النظام التعليمي *

٣٠ يناير ١٩٥٠م

ألقى مولانا آزاد خطبة في لجنة المؤتمر لعموم الهند التي انعقدت في أحمد آباد معلقاً على اقتراح بندت نهرو : إن أتباع المؤتمر بدؤوا يتصورون بعد نيل الاستقلال عامة بأنه آن لهم أن يقطعوا ثمار الاستقلال وأقول انها فكرة خطيرة تهدى المؤتمر إلى هوة الهلاك والدمار *

١٤ فبراير ١٩٥٠م

عين الحزب البرلماني للمؤتمر مولانا آزاد قائد الحزب باجماع الآراء حسب اقتراح راج كوبرال اتشاريا وزير الداخلية *

١٨ فبراير ١٩٥٠م

أشاد مولانا آزاد بشمول اللغة الأردية ووسعة نطاق علمها وأدبها وازدهارها وهو يوجه تحية إلى مرزا غالب في حفلة تذكارية *

٢٥ فبراير ١٩٥١م

انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر ليومين عند مقر مولانا آزاد *

٣ مارس ١٩٥١م

قال مولانا آزاد رداً على سوال وجه إلى البرلمان : " إن وزارة المعارف وجهت إلى جميع نائبي رؤساء الجامعات رسالة دورية أوصتهم بأن يقوموا بخطوات خاصة لإحداث

مزيد من سفك الدماء*.

١٥ ديسمبر ١٩٥٠م قال مولانا آزاد وهو يخطب في حفلة التابين

لسردار بتيل :

"إن قصة سردار بتيل قصة القادة الكبار وانها لن تنتهي في الحقيقة إن انتهت في الظاهر وإنى أتأكد أن قصته لاتزال باقية في الأذهان وقال وهو يذكر لقاءه مع سردار بتيل - إنى لقيته أول مرة في سنة ١٩٣٠م وبدأ كل منا يقترب منذ ذلك الوقت وكنا من ركاب سفينة واحدة نقاسم الهموم والافراح والفتوح والانهزام سواء بسواء*.

٢٥ ديسمبر ١٩٥٠م انعقدت حفلة السابعة والعشرين للجنة

التاريخ الهندى، ناغفور تحت رئاسة مولانا آزاد وركز مولانا على هذه النقطة بأنه لايمكن أن يفض البصر عن أهمية المحضر لعرض الحقائق التاريخية، قال أيضا إن الوثائق التاريخية هي اساس التاريخ- ونحن نعرف صحة الاخبار الماضية واثقين بهذه الوثائق*.

ذهب إلى دار العلوم ديوبند وألقى ضوءاً على أهمية هذه المؤسسة العلمية وخدمات رجالها المؤسسين القيمة*.

٨ يناير ١٩٥١م

قال مولانا آزاد وهو يفتتح مجمع بسرو بدلى : الحاجة ماسة إلى صيانة الملامح الثقافية للهند في هيكل ثقافى التى هي مجموعة نزعات ثقافية مختلفة لغدة عصور* وجه الدكتور راجندر برشاد إلى متخرجى جامعة دهللى قائلا : إن هناك ثقافتين في الهند إحداهما ثقافة الهنادك القديمة و ثانيهما ثقافة العرب* وقال مولانا آزاد رداً على هذه الفكرة : لم توجد ثقافة العرب قط في الهند اللهم إنها أثرت في

٢٠ يناير ١٩٥١م

جدول التواريخ الدقيقة

للمعارف همايون كبير و سكرتيره الخاص مرزا
مسعود بك *

قال مولانا آزاد فى مؤتمر صحفى انعقدت فى
لندن :

ينبغى أن ترد إلى الهند تلك الصـ
و المسودات التى توجد فى مكتب الهند و قال
أمس قبل أن يسافر إلى روما أن خزينة الفنون
الهندية غالية جدا و يتعسر أن نقدرها تقديراً
صحيحاً *

قال مولانا آزاد فى حفلة يونسكو العامة أمس :
هذا هو الطريق الوحيد الذى يبشر بالمستقبل
اللماع الرائع للبشرية و لكن تعكر هذا الشعاع
من الأمل *

زار أمس المكتبة الوطنية لفرنسا كانت فيها
النسخ الخطية القديمة النادرة و زار ايضا
متحف البلدان الشرقية * و اليوم يغادر باريس
إلى استانبول *

جرت اليوم اتفاقية ثقافية بين الهند و تركستان
فى أنقرة وقع عليها مولانا آزاد من قبل الهند
كانت هذه الاتفاقية تهدف إلى تحسين العلاقات
بين البلدان و تبادل المعلمين فى الجامعات
والذين يعملون فى مؤسسات علمية و ثقافية *

إنه اعرب عن رائه الحاسم فى مؤتمر صحفى
انعقد فى أنقره حول قضية الهند و كاشيمير *

إنه وصل من استانبول إلى تهران أمس و رحب
به ترحيباً حاراً - قابله رئيس الوزراء لإيران
الدكتور مصدق *

إنه رجع إلى دهلى الجديدة من رحلته التى قام
بها لزيارة البلاد الغربية و الشرق الأوسط قد
حبذ بقدمه نائب المندوب السامى خوب تشند
و ناظم التشريعات. لباكستان ايه ايم مصطفى

الجو الصالح بين الهند وباكستان - لتحقيق
الاتفاقية التى جرت بين الهند وباكستان
١٩٥٠م.

١٥ مارس ١٩٥١م . انعقد أول مؤتمر لأدباء اللغة الهندية تحت
رعاية المجلس لولاية جمبرس بدهلى الجديدة
ركز مولانا آزاد و هو يفتتح هذا المؤتمر على
ازدهار اللغة الهندية من حيث هى لغة وطنية
على أن تزود بالآداب الدولية.

٢٢ مارس ١٩٥١م قال مولانا آزاد و هو يفتتح الحفلة الثانية
ليونسكو التى انعقدت اليوم فى دهلى
الجديدة : لو أنتم تريدون أن يكون الناس فيما
بينهم اخوانا متحابين يلزم عليكم أن تغيروا
مناهج الدراسة للتاريخ والجغرافية رأسا على
عقب فان هذه العلوم توزع الناس فى أحزاب
و فرق مختلفة.

٢٦ ابريل ١٩٥١م قدم مولانا مشروعا أمام البرلمان للتعديل فى
قانون الجامعة الهندوكية لسنة ١٩١٥م وبذلك
تنفتح أبواب الجامعة على مصراعيها لطلبة
سائر الأديان والأجناس والطبقات و كان من
أهداف هذا المشروع أن الحكومة غيرت موقفها
لتغير إسم الجامعة الهندوكية فى بنارس
و الجامعة الاسلامية فى عليجهر - ولكن ينتخب
المسلمون و الهنادك كعضو للمحكمة فى كلتا
الجامعتين.

١٨ مايو ١٩٥١م إنه قام بزيارة الشرق الأوسط لمدة شهرين
و كانت هذه الزيارة تهدف إلى توطيد العلاقات
الثقافية بين الهند و الشرق الأوسط و يشارك
فى الحفلة السادسة السنوية ليونسكو التى
تنعقد فى باريس و يصل إلى لندن فى ١٩ مايو
حسب خطته و يقيم هنا حوالى تسعة أيام
و صحبه فى هذه الرحلة نائب المستشار

جدول التواريخ الدقيقة

جاءوا إلى دهلـى الجديدة من اثنتى عشرة بلادا من الشرق و الغرب إن هذا المؤتمر لرجال الفكر من البلدان الشرقية والغربية* الذى ينعقد تحت إشراف يونسكو يقدم معرفة الله الحقيقية أمام الناس على وجه الأرض*.

٢٠ ديسمبر ١٩٥١م قال مولانا آزاد فى حفلة نهائية لمؤتمر المفكرين : إن ذهن الانسان يمر بمرحلة ثورية و تنكسر تلك القوالب التى تألفت بعدد قرون و إن القوالب الحديثة لاتستطيع أن تقضى مقتضيات الروح و الفلسفة و تفتح أبوابا من الشكوك و الشبهات بسرعة و لكنها لاتسارع إلى أبواب اليقين و المعرفة*.

٢٦ ديسمبر ١٩٥١م انعقدت اليوم حفلة الثامنة و العشرين للجنة التاريخ الهندى فى جيه فور (JAI PUR) و كان من المقترح أن يفتتح مولانا آزاد هذه الحفلة و لكنه لم يجرء لسبب ما و لذلك تقدم بخطبته الافتتاحية بى . اين . كربال* دعا فيها مولانا آزاد المؤرخين إلى أن يدرسوا تاريخ بريطانيا محامدين و كذلك ركز على صيانة الآثار القديمة قائلا : إنها ثروة نفيسة يستنتج منها المؤرخون بعد دراستها نتائج نافعة*.

٩ فبراير ١٩٥٢م إنه فاز فى الإنتخاب العام الأول لمنطقة رام فور (RAM PUR) ٣٥٧,٥٣ صوتا فى مقابلة المرشح لهندو مهاسبا* و إنه حصل على ثمانين و مائة و ثمانية آلاف و مائة ألف صوت و حصل معارضه على سبع و عشرين و أربعة مائة و اثنين و سبعين ألف صوت*.

٥ مارس ١٩٥٢م قال مولانا و هو يفتتح معرض فنون الاتحاد السوفيتى : إن الفنون اللطيفة هى أكبر وسيلة للأمن و السلامة بين الأمم و أكد مولانا على أن الناس فى البلدان المختلفة أشد حاجة إلى

٢٨ يوليو ١٩٥١م

لما وصل إلى مطار كراتشي من إيران*
 قدم مولانا آزاد انفعالاته عن جولته الحالية في
 مؤتمر صحفي انعقد في دهلي الجديدة : ليس
 بصحيح أن أهل بريطانيا ينحازون إلى باكستان
 في صدد الخلافات بين الهند وباكستان
 ولكنهم لا يحاولون أن يفهموا موقف الهند حق
 الفهم حول كاشمير وربما يمكن أنهم يجهلون
 تاريخ كاشمير لعشرين سنة وأضاف قائلاً :
 " إنني تحدثت مع رئيس الوزراء لبريطانية
 مستر ايتلي وحاولت أن أفهمه موقف الهند في
 قضية كاشمير*"

١/ أغسطس ١٩٥١م

إنه أدلى ببيان أمام مندوب صحيفة " مدينة "
 الصادرة من بنجور و ذلك عن رحلته للبلدان
 الغربية والشرق الأوسط* يدل هذا البيان أنه
 ألقى خطبتين أثناء هذه الرحلة في تركستان
 إحداهما في جامعة أنقرة حول موضوع
 " وعن الشرق " و ثانيتهما في استانبول حول
 " ثقافة الهند*"

٢٢ أغسطس ١٩٥١م

اهتم اليوم أعضاء البرلمان باحتفال في إكرام
 مولانا آزاد وألقى فيه مولانا خطبة قال فيها :
 " إن بلدان الشرق الأوسط تكرم الهند إكراماً
 وتقول إنها قائدا للبلدان الآسيوية*"

٢٣ سبتمبر ١٩٥١م

إنه ألقى ضوءاً على خدمات الدكتور طاغور
 القيمة وهو يفتتح الجامعة المركزية
 وشوا بارتي وقال : " إن هذه المؤسسة تقتحم
 مرحلة جديدة ولكن يلزم على المعلمين
 والطلاب جميعاً لهذه المؤسسة أن يتذكروا أن
 طاغور لم يرغب المعلمين في السمعة والطمع
 بل وجه إليهم أن يخدموا سادجين فقراء
 موفورين بعاطفة الخدمة*"

١٢ ديسمبر ١٩٥١م قال مولانا آزاد هو يرحب رجال الفكر الذين

جدول التواريخ الدقيقة

التي انعقدت في إندور (INDORE) و قال مولانا موضعا هذا القرار : يرى بعض الناس أن يتمتع بالمنافع الشخصية منضما في أحد الفريقين ولكن هذا الموقف الشخصى الضيق لايزيد في حرمة الهند و لايجدى شيئا في الأمن الدولى بل يمكن أن يكون ذلك أكثر خطورة للأمن الدولى *

شارك مولانا اليوم في حفلة اللجنة العاملة لجمعية العلماء التي انعقدت في دهلى

١٢ اكتوبر ١٩٥٢م

انعقدت اليوم حفلة عظيمة في دهلى بمناسبة يوم الولادة لغرو نانك ألقى مولانا آزاد فيها خطبة قال فيها : ما كانت شخصية غرو نانك مختصة بفرقة أو جماعة بل إن الرسالة التي جاء بها إلى هذه الدنيا كانت عامة شاملة للبشرية جمعاء *

١ نوفمبر ١٩٥٢م

خطب اليوم في أول جلسة للجنة المساعدات للجامعات (U.G.C.) المنعقدة في نيودلهى : إن الحكومة قامت بتشكيل هذه اللجنة عام ١٩٤٥م ، وكانت تهدف إلى اسداء المشورات لثلاث جامعات مركزية فحسب، و كانت سلطتها محدودة للغاية * فلم تستطع بانجاز عمل ما حتى عام ١٩٤٧م، و اعيد تشكيله في نفس العام، و تم التوسيع فيها عام ١٩٥٢م * إن الحكومة تشعر أن المشاكل المتزايدة للجامعات تطلب خطوة سريعة و نتيجة لذلك اذن لها ببدء الاعمال على الفور وفق قرار نوفمبر المنصرم *

٢٨ ديسمبر ١٩٥٢م

انزلق صباح اليوم في مقره و انكسر عظم وركه، و قام بمعالجته الطبيب ايس. كيه. سين و وصف أنه يتمكن بانجاز أعماله الحكومة بعد ستة أسابيع و خلال هذه الفترة يستطيع أن يقوم

٤ يناير ١٩٥٤م

تفاهم أفكار بعضهم من بعض *

٢٧ أبريل ١٩٥٢م

وجه مولانا آزاد إلى معلمى معاهد دهللى " قصر الرياسة " إن أبواب قصر الرياسة كانت تفتح للأمرء والموظفين الكبار ولكنها فتحت اليوم لطبقات الفقراء وزاد إلى أن أبواب القلوب أيضا فتحت لجماهير الناس وهذه أول ثمرة من ثمار الاستقلال وأضاف قائلا : إن معلمى المعاهد لهم دور أساسى فى بناء المستقبل للمجتمع وإن لم تتييسر لهم تلك التسهيلات التى يتمتع بها معلموا الجامعات *

١٨ مايو ١٩٥٢م

قال مولانا آزاد معلقا على بعض الفتاوى الأكبر المفتين فى مصر * قد استرعى انتباهى إلى بعض الفتاوى الأكبر المفتين من مصر حسن محمد مخلوف، إنه خالف بها مساهمة النساء فى الانتخاب البرلمانية قائلا : إن ذلك يناهى الأحكام الإسلامية * وإن هذا الفتوى يبعثنى على الدهشة والاستغراب فحينما نتوجه إلى فلسفة القوانين الإسلامية والمجتمع الإسلامى * نجد الأمر معكوساً فلم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة فى المجالات السياسية والاجتماعية *

٦ يونيو ١٩٥٢م

أعلن مولانا آزاد فى البرلمان سترسلى التوجيهات إلى الحكومات الإقليمية من قبل المركز لتعليم الأطفال اللغة الهندية على السواء وأضاف قائلا : قد أسس مجلس رئيسى لإختراع مصطلحات العلوم الطبيعية وأسست لجنة لتعليم اللغة الهندية وهاتان اللجنتان تقومان برقى اللغة الهندية *

١٤ سبتمبر ١٩٥٢م

قدم مولانا آزاد قرارا كعضو للجنة الوزارية للشؤون الخارجية عن السياسات الخارجية للهند فى لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند

- ٨ نوفمبر ١٩٥٤م قال و هو يستهل المؤتمر الأول للجنة حركة الاستقلال، إنه درس جيداً أن الحكم البريطاني في الهند احرقتوا جميع الوثائق المهمة التي كانت فيها تقرير عن نشاطات الزعماء الوطنيين من حركة الاستقلال حينما غادر هذه البلاد. و ليست لدى الحكومة المركزية في اية وثيقة توفر مواد في تاريخ حركة الاستقلال.
- ١٤ نوفمبر ١٩٥٤م انعقدت اليوم جلسة للجنة البرلمانية حزب المؤتمر في البرلمان بمناسبة مولد جواهر لال نهرو السادس وستون لتقديم التهنئة له، دعا فيها المولانا آزاد لطول عمره توقع أنه يعمر طويلاً لزعامة أهالي الهند.
- ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م أجاب اليوم عن سوال في مجلس الشعب بقوله " إن المذكرة التي قدمت إلى الرئيس من قبل لجنة ترقى اردو حول اللغة الاردية، لايزال الرئيس يفكر فيها.
- ١٩ يناير ١٩٥٥م ألقى المولانا خطبة طويلة في لجنة المواضيع لجلسة المؤتمر الستين في دعم قرار منهج الحياة الاشتراكية، و قال فيها : إن هذا المصطلح يشمل كافة المزايا لمناهج الحياة كلها، و لذا جعل المؤتمر منهج الحياة الاشتراكية نصب عينيه.
- ٢٣ مايو ١٩٥٥م غادر صباح اليوم إلى بومباي بالطائرة، و يتوجه من هناك إلى لندن عن طريق كراتشي.
- ٢٦ مايو ١٩٥٥م وصل اليوم إلى مرسى كراتشي سوف يقضى الليل في صباح الغد إلى لندن. و سوف يقابله رئيس الوزراء الباكستانية محمد علي، و يغادر قبل أن تبحر إلى لندن.
- ٢٩ يوليو ١٩٥٥م قال المولانا في مؤتمر صحفي في دلهي

بتوقيعه الأوراق المهمة فقط على فراشه*
قرأت اليوم خطبة فى مؤتمر لجنة المنعقد فى
دلهى الجديدة، قال فيها : إن الشعور يسود
طول الشرق و عرضه أن الأقوام المتحدة
ولجنة الهندية فيه لاتولى اهتماما للشرق كما
يجدر به*

٩ يناير ١٩٥٤م

انعقد اليوم الجلسة الحادية و عشرون لهيئة
الشورى المركزية للتعليم فى دلهى الجديدة،
و لم يحضر المولانا آزاد بسبب مرضه، قرأ
خطبته نيابة عنه البروفسور همايون كبير قال
فيها : متحدثا عن قلق الطلبة يجب أن تبذل
الجهود لازالة القلق بين الطلاب حتى تصبح
الجامعات مركزا للعلم فى كل معناها*

٧ فبراير ١٩٥٤م

قال المولانا آزاد فى أول جلسة للأكاديمية
القومية للأداب بنىو دلهى متحدثا عن واجبات
الأكاديمية و نشاطاتها : إذا نجحت الأكاديمية
فى تكوين مستوى رفيع لها تتم به أهدافها*
قد ظهرت اليوم مرارة عنيفة عندما ندد برشوتم
داس تندن الموقف اللسانى للحكومة المركزية
فى حفلة الميزانية فى مجلس الشيوخ و إنه
اتهم مولانا آزاد بأنه يقف موقفا معاديا مع
المؤسسات الهندية و لاسيما إنه يطوى صفحة
عن "هندي ساهتيه سميلن"*

١٣ مارس ١٩٥٤م

خطب اليوم فى تائيد وزارته و متطلباتها
المالية و أجاب عن اعتراضات برشوتم داس
تندن و الآخرين فى صورة تفصيلية* إن خطبة
المولانا هذه تعد تذكارا فى تاريخ مجلس
الشعب*

٢٩ مارس ١٩٥٤م

انعقدت اليوم جلسة اللجنة العاملة
لجمعية علماء الهند فى دلهى، و حضر فيها
المولانا آزاد*

٢ سبتمبر ١٩٥٤م

جدول التواريخ الدقيقة

تعود إليه صحته بحمد الله سبحانه * و اشير عليه باستراحة كاملة، فلا يذهب إلى مكتبه و لا إلى البرلمان *

١٦ يناير ١٩٥٦م

انعقدت اليوم جلسة الهيئة التعليمية المركزية الرابع و عشرون في نيو دلهى تحت رئاسته، قال في خطبته : إن الاصلاحات التى قمنا بها فى نظام المعارف لن توتى أكلها ما لم تطبق بدون معارضة و تدخل و قال نهائيا : إنى أرجو أن المجلس يقوم بخطوات مؤثرة فى صدد تضاعف مستوى التعليم *

٢٦ يناير ١٩٥٧م

إنه قدم أوراق التعيين لعضو مجلس الشيوخ من قبل المنطقة الانتخابية البرلمانية لغور غاؤن (GURGAON)

١٠ مارس ١٩٥٧م

عين مولانا آزاد عضوا لمجلس الشيوخ من قبل المنطقة البرلمانية لغور غاؤن و فاز بأغلبية ساحقة و هزم معارضه من حزب جن سنغ بسبع وستين و ستمائة و خمس و تسعين ألف صوت * قال مولانا آزاد عند ما توفى حسين أحمد مدنى رحمه الله فى رسالته التابينية : "تذكر خدمات مولانا حسين أحمد مدنى دائما التى قام بها لإستقلال الهند و كان من القادة البارزين للمؤتمر الوطنى لاتر ابراديش و كلما قام المؤتمر بحركة شارك فيها"

٥ ديسمبر ١٩٥٧م

قابل معا مولانا آزاد رئيس الوزراء لكاشمير و بخشى غلام محمد و جى ايم صادق يرى أنه بحث خلال هذا اللقاء العلاقات بين الحزب الجديد الذى أسسها جى ايم صادق بين الإدارة الاقليمية * و قد لاقى هذين القائدين قبل ذلك على انفراد *

٧ فبراير ١٩٥٧م

انعقدت حفلة المجلس الهندى للعلاقات الثقافية فى دلهى الجديدة تحت رئاسة مولانا آزاد و كانت

١٤ فبراير ١٩٥٧م

الجديدة بصراحة متحدثا في جولته لأوروبا : إن الهند لا ترضى أن تقبل دليل السكريتير للكونولث (Common Wealth) وللدقيقة واحدة بأن الحكومة البريطانية تملك مكتبة الكتب الهندى *

١٩ اغسطس ١٩٥٥ م أرسل المولانا رده عن كتاب اللورد هيوم بصدد نقل مكتبة المكتب الهندى * والمظنون أن المولانا كتب إليه أن الهند لا تقبل دعوى اللورد - هيوم البتة، بأن الحكومة البريطانية تملك مكتبة الكتب الهندى * وقد أرسل نقل من رسالة المولانا إلى باكستان أيضا *

١٨ اغسطس ١٩٥٥ م اقترح المولانا لدرس موضوع مكتبة المكتب الهندى أن يعقد مؤتمر لمندوبى الدول الثلاثة من الهند و باكستان و البريطانية * و لكن رفضه السكريتير لكونولث اللورد هيوم قائلا : إن مكتبة الهند انما تملكها الحكومة البريطانية *

٨ نوفمبر ١٩٥٥ م إن اللجنة العاملة للمؤتمر شكلت اليوم لجنة تضم كلا من رئيس الوزراء جواهرلال نهرو أو المولانا آزاد و البندت بنت و رئيس المؤتمر الوطنى دهبير، سوف تكون اللجنة فكرة قاطعة حول قضية البنجاب بعد المفاوضة مع زعماء أكالى *

١٧ ديسمبر ١٩٥٥ م حذر اليوم اعضاء حزب المؤتمر للبنجاب الذين كانوا يسعون لإيجاد الاختلافات بين كبير

الوزراء بهيم سين حبش و برتاب سينغ كيرون * كتب سكريتير المولانا أجمل خان إلى المولانا مهر : قد كان تصاعد ضغط دمه إلى حد كبير، و قد أصبح حلس الفراش منذ أسبوعين، و قد تعطل جميع الأعمال، و قد أشار عليه الأطباء لاستراحة كاملة، و قد كان الضغط ضئيلا بالأمس المنصرم *

٢٧ مارس ١٩٥٦ م وكتب إليه ثانيا بعد شهرين تقريبا : قد أخذت

أبو الكلام آزاد

بقلم: البهافيسور جكن ناث آزاد

جامعة جمشون

كانت أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣م، إذ بعث إلى سيادة شبير حسن خان المعروف بـ "جوش" (١) المليح آبادى كتابا يقول :
" إجتمع بمولانا آزاد - فى ١ / يناير - فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً،
وعندما دخلت على "جوش" فى حجرته مساءً لأمر دعائى إليه، قلت له : قد
وصلنى كتابك، و سأتيك غدا فى الثامنة صباحاً، لكن نزور مولانا آزاد
مجتمعين*"

فردّ قائلاً : أنا لا أصحابك للقاءه، فإنه لم يضرب الموعد إلّا لك وحدك"
وهناك أخذتنى الحيرة كل مأخذ، وعجبت لذلك تمام العجب، وذلك لأنى
لم أكن أذكر أنى طلبت منه موعداً للقاء فيما قبل، على هذا الأسّاس
وبهذه الفكرة قلت لـ "جوش" : لا أكاد أفهم لماذا أعطانى مولانا آزاد
موعداً يجتمع فيه معى* فقال : إن السيد أجمل (٢) أخبرنى تليفونيا بأنك
ربما طلبت أنت الموعد* وعند ذلك تذكرت بغتة أنى قد كنت ذكرت
للسيد أجمل قبل شهر بأنى أتمنى زيارة مولانا آزاد، فنظّم لى مقابلته
يوماً إن أمكنك* وكانت قد مضت على ذلك عدة أشهر، وكان هذا الحديث
قد غاب عن ذهنى كل الغياب، ولكن السيد أجمل كان وعاه فى ذاكرته،
وهو الذى نظّم لى هذه المقابلة وسعى لذلك سعياً مشكوراً* (٣)

غداً سأجتمع بمولانا آزاد، كان هذا الخيال يبعث فى نفسى فرحة
وبهجة، كما كان يثير فيها رهبة خفيفة كذلك، فقد كنت أفكر أنى سوف
ألتقى بهذا العلامة الشرقى الكبير فعلى أى موضوع سيتحدث معى قليل
العلم مثلى إنه بحر زخار للعلوم الشرقية، فى حين أنى لا أعدّ حتى من

هذه آخرة حفلة للمجلس التى انعقدت تحت
رئاسته *

١٥ فبراير ١٩٥٧م

استهلّت اليوم عند العصر الجلسة الأولى
لمؤتمر جمعية ازدهار اللغة الأردنية لعموم
الهند لثلاثة أيام فى ساحة المناورة بين القلعة
الحمراء والجامع المسجد تحت رئاسة مولانا آزاد
وافتتحها رئيس الوزراء بندت نهرو وبعد ذلك
تحدث مولانا آزاد عن القضية اللسانية للبلاد
قائلا : قد احتلت اللغة الهندية المكانة التى
تجدر بها والصقنا بها طابع القانون فيجب على
كل هندی أن يخضع لها و لكن اللغة الأردنية
ما نالت إلى الآن حقها والأهمية الكبرى لهذه
الخطبة انها آخر خطبة لحياته *

٢٢ فبراير ١٩٥٨م

توفى مولانا آزاد اليوم على الساعة الثانية
والربع ليلا و شيعت جنازته على الساعة الثانية
عشر عند الظهيرة و أديت صلاة جنازته أمام
الجامع المسجد * و إنه ألقى خطبته فى هذا
الموضع قبل أسبوع و من كان يظن أن يجتمع
آلاف من الناس ليواروه التراب فى نفس اليوم
و الساعة و نفس الأسبوع والمكان *

تعريب : محمد أمين الندوى

الأولى ، ولذلك حضرت لأقدم لك هذا الكتاب مرة ثانية *

كان ذلك لقاء قصيرا عاجلا، وقد التمسيت إليه في أثنائه أننا نحن الكاتبين الناشئين لا تتكافأ لنا فرص التشرف بالحضور لديك، فلو خصصت لنا جزءا من أوقاتك المشغولة بالنشاطات السياسية، لحضرنا لديك في عدد العشرين أو الخمس والعشرين مرة في كل شهرين أو ثلاثة أشهر وانتهلنا من بحار علومك الزاخرة الجياشة *

فأخذ يقول : أجل ! وقد سبق أن عرض علىّ هذا الاقتراح السيد فيضى كذلك، وسوف أصرف العناية إلى هذا الأمر بعد أن أجد فرصة و فراغا — بيد أنه لم يجد هذه الفرصة طوال حياته *

و جرى الحديث خلال لقائنا حول الدراسات العلمية في خصوص اللغة الأردية فذكر اسم " مولانا غلام رسول مهر " بصورة خاصة وقال إنه يقوم هذه الأيام بأعمال جلية في هذا الصدد *

وعندما تهيأت للعودة سألني قائلا : كم راتباً تتقاضى ؟ فشكرت له و قلت : أنا موظف بفضلك في قسم النشر (Publications Division) ثم أخبرته بمبلغ راتبى فأبدى عن ارتياحه، ثم استأذنت للرجوع، فسلمت عليه و خرجت من عنده *

تلك هي زيارتى الأولى لمولانا آزاد، ثم تشرفت بزيارته للمرة الثانية بعد نحو ستة شهور، و كان مبعثها في هذه المرة أنه كانت قد صدرت الطبعة الجديدة من كتاب " ربايعات محروم " لوالدى الكريم، فحضرنا أنا ووالدى منزل مولانا آزاد، و قد دار الحديث - مدة طويلة - خلال هذا اللقاء بينه وبين الوالد *

كان والدى أستاذا بكلية كامف (Camp College) التابعة لجامعة البنجاب بدهلى الجديدة، التى كان يتعلم فيها آلاف من الطلاب، و قد ظلت هذه الكلية تتعرض منذ أول يومها لصراع الموت و الحياة، و إن كانت جارية تعمل عملها لحد تلك الأيام فلم يكن ذلك إلا بفضل مولانا آزاد و رعايته، و إلا فإن الظروف لم تكن تساعدنا في أى يوم من الأيام، و قد كان رجال إدارة الكلية أشاروا على والدى بأن يذكر الكلية لدى مولانا آزاد و يقص عليه قصتها باللزوم، فانتهز الوالد فرصة و أجرى ذكر الكلية، فأصغى إليه مولانا آزاد بعناية بالغة ثم قال : إنه لمن المقرر أن هذه الكلية لا توقف * إننا لن ندعها تتعطل لما يرتبط بها آلاف من الطلاب المهاجرين و مئات من الأساتذة، و قد سبق أن أطلعنى المستر

بين المغترفين من الفضالات * و بقطع النظر عن ذلك فإنه إن سألنى عن غرض اللقاء فيماذا أجيبه؟ فأقول له : إنه قد ساقنى إليك حب زيارتك، أم أقول إنى أتيتك لأعبر عن عواطف التقدير والاحترام التى أكنّ فى قلبى تجاهك؟ على أنه لم يكن مما يستحسن - كذلك - أن أضيع أوقات مثل هذه الشخصية الكثيرة الأشغال والأعمال لمحض أنى أتوق إلى مقابلته ... ولكنى كنت قد حظيت الآن بفرصة اللقاء فلم أحبّ أن أفقدها، وقررت أنى سأحمل إليه نسخة من الطبعة الجديدة لكتابى " بنى كران " (٤) (أى اللامتناهى) وأقول له : زرتك لأقدم لك هذا الكتاب *"

بهذه المشاعر المزيجة المختلفة التى كانت تنفعل فى قلبى، وصلت فى الصباح التالى إلى منزله بشارع الملك ايدورد بدهلى الجديدة، فأبلغ السيد أجمل حضورى إلى مولانا آزاد، ودعانى هو إلى حجرته *

كان مولانا آزاد جالسا على كرسى، فى حجرة بسيطة كان أحد أبوابها مفتوحا فى إتجاه حديقة المنزل، وكانت شخصيته الوقورة سائدة وسيطرة على سائر ماحوله، وقد شعرت بقلّة بضاعتى وقصور علمى فور دخولى، وكانت آنذاك نفس الحالة التى وصفها الشاعر الإسلامى " إقبال " فى شعره الذى معناه : حضورى فى بلاط ذلك الملك ذى المكانة العالية، ليس إلا كحضور رجل فاقد الكيان فى حضرة عمر*"

و بعد أن أديت التحية، أشار إلى كرسى بجانبه، فجلست عليه وأنا أكتب فى نفسى أمنية كان يعيشها قلبى، وهى أنى سأجلس أمامه على الأرضية تحت قدميه *

و رأيت فى جانبه الأيسر علبا عميدة من السيارة متراكمة، و كان يدخن آنذاك سيجارة فعلا، ثم قدمت له نسخة من كتاب " بنى كران " وقلت له : " هذه مجموعة شعرى " فأخذها وتصفحها عابرا، ثم خاطبنى بعد برهة يسيرة قائلا : لا أزال أذكر أنك كنت قد أرسلت إلى نسخة من الطبعة الأولى لهذا الكتاب بالبريد " فدهشت لقوة ذاكرته، وذلك لأن الأمر الذى ذكره كانت قد مضت عليه أربع سنوات متواليات، يضاف إلى ذلك أن وصول مجموعة شعرى إليه لم يكن أمرا غير عادى، و مع ذلك فهو لا يزال يذكر أنى كنت أرسلت إليه نسخة من الطبعة الأولى للكتاب بالبريد * لقد كان ذلك أمرا لم يكن ليتمردون أن يترك فى نفسى أثره *

قلت له : هذه النسخة من الطبعة الثانية وهى تختلف عن الأولى بكثير، وفيها عديد من القصائد والأشعار الغزلية التى لم تكن فى الطبعة

رجل آخر نسيت اسمه الآن* وكان مولانا آزاد يعاني من المرض بعض الشيء، وكان مضطجعا على الفراش، يدرس إحدى ملفات المكتب، فقدّمت له الكتاب، فأخذه ووضعه، وكانت تبدو على وجهه الباسم انناضر الهادئ بوادر الكآبة والسآمة بصورة واضحة، وسأله "جوش" عن حاله، ثم جرى بينهما حديث قصير مقتضب، وظل السيد أجمل موجودا في الحجرة في أثناء ذلك، وظللنا أنا والسيد رئيس أحمد صامتين، ثم انصرفنا نحن بعد خمس أو سبع دقائق*

كان لقاؤنا هذا مع مولانا آزاد لقاء صامتا ساكتا، ولكن صموت مثل هذه الشخصية لم يكن يقلّ عن خطبة بليغة ربما لا أستطيع الآن أن أعبر عنها بكلمات :

"تسطو عليه وطأة المرض، ولكنه مكبّ على أعمال المكتب بكل ما في وسعه، ووجهه مشرق يتلأأ ببريق الأمل والثقة والقناعة بالرغم من الضعف والهزال"

والجدير بالذكر أن الاجتماع بمولانا آزاد كان يحتاج لى عندما كان يصدر كتاب جديد لى أو لوالدى، وبناء على ذلك فقد سعدت بزيارة هذه الشخصية العظيمة لآخر مرة حينما صدرت طبعة جديدة من كتاب "كنج معانى" (أى كنز المعانى) وكان موعد اللقاء يحدد للصباح على وجه العموم، وقد قال لنا السيد أجمل أن مولانا آزاد وإن أعطى لكم الوقت للقاء، ولكنه اليوم مشغول للغاية* فقلت له : "سوف نعود بعد خمس أو سبع دقائق فحسب، فإنه لا حاجة بنا سوى إهداء الكتاب"* غير أن هذا اللقاء قد امتد وطال على غير القصد والإرادة*

وبالجملة فقد قدم الوالد كتاب "كنج معانى"، وكان مولانا آزاد قد لاحظ - من قبل - الطبعة الأولى لهذا الكتاب، التى كانت أصدرتها شركة "السادة عطر تشند كبور وأولاده" فأخذ يقول : كان السير عبد القادر قد ذكر عندى هذا الكتاب ولم يكن قد طُبِعَ بعدُ* فقلت له : نعم ! وإن السير عبد القادر المحترم هو الذى كان قد كتب مقدمة الكتاب وهى مرفقة بالطبعة الحالية أيضا*

وظل مولانا آزاد يتصفح الكتاب ويقلب أوراقه، ثم انبرى يقول : سبع روبيات ونصف لا تعتبر ثمننا زائدا لكتاب يبلغ حجمه حجم هذا الكتاب* وكنت أتعجب من أنه لم يتحدث بمثل هذا الكلام قط قبل اليوم، فلماذا يتعرض اليوم لذكر حجم الكتاب وثمانه ؟ ... ثم سألتنى : من أصدره ؟

"آنند كمار" (٥) على أهمية وضرورة هذه الكلية بتفصيل. ثم أردف بقوله : إن هذه الكلية مثال ناطق عن همّة أهالى البنجاب العالية و عزيمتهم الماضية، ويجب أن يسعى المهاجرون - على هذا النحو - لحل مشاكلهم بأنفسهم، وستساعدهم الحكومة فى هذا الشأن كل المساعدة.

كما جرى خلال هذا اللقاء ذكر الشعراء و الأدباء الذين كانوا فى أيام جريدة "مخزن" الأردية، ثم أخذ يقول مولانا آزاد لوالدى مشيراً إلى : قلما وجد أن الذوق الأدبى امتد على جيلين متواليين فى أسرة واحدة" فردّ عليه الوالد قائلاً : " ولكن نجد هناك أمثلة لذلك " ثم مثل بـ " مير أنيس " و " جوش الملسيانى " فعاد يقول : نعم ! هناك أمثلة لذلك ولكنها قلائل تعد على الأصابع، فى حين نجد أمثلة ذلك فى حقل السياسة بكثرة وافرة، ولكنها فى مجال الأدب قليلة جداً" ولما تأهبنا للإنصراف أضاف مولانا آزاد يقول : كن فى راحة بال، فإن كلية كامف لن تتوقف أبداً بإذن الله". وبناء على ذلك فلم تتوقف الكلية فى واقع الأمر، ولكن ثارت - بعد مدة - قضية فصل والدى من الكلية لبلوغه سنّ التقاعد، فذهب إليه الوالد مرة أخرى، وقصّ عليه القصة، فقال : أما بالنسبة إلى نفسك فلا مبرر هناك لإحالتك إلى التقاعد على أساس السنّ، فإنك محطّ فخر واعتزاز للكلية و هى تسعد وتعزّز بوجودك، و سوف أكتب إلى رئيس الجامعة خطاباً فى هذا الخصوص"، وقد أرسل الخطاب فعلاً إلى " الديوان آنند كمار" رئيس أو نائب رئيس الجامعة يومذاك، و لا أدري ماذا كتب فيه، غير أنه لم يحدث هناك أى سؤال لعزل الوالد عن الكلية لمدى عدة سنوات مضت على هذا الحادث.

وقد قال لى والدى مرة قبل أيام عديدة من وفاة مولانا آزاد : لقد تعبت الآن و سئمت، و لا أكاد أستطيع النهوض بمهام الكلية وأعبائها، فلنذهب يوماً إلى مولانا آزاد حتى نشكره على ما أولانا به من عطف سام و لفتات كريمة، وأستاذنه أنا فى تقديم الاستقالة من وظيفتى، إلا أن مولانا آزاد قد ودع هذه الحياة الدنيا و لحق برفيقه الأعلى قبل أن تأتينا نوبة هذا اللقاء.

و سنحت لى فرصة الإجتماع بمولانا آزاد مرة ثالثة عندما زرته لأهدى إليه نسخة من الطبعة الجديدة لديوان شعرى الذى سمّيته بـ " من النجوم إلى الذرات"، وقد دخلت عليه هذه المرة برفقة جوش المليح آبادى، وكان السيد رئيس أحمد خان شقيق " جوش " يصاحبنا كذلك، كما كان معنا

مؤلفات كتاب البلد الآخر بغير إذنهم * فقلت له : إنه لو رفع الحظر القائم على تبادل الكتب بين البلدين، فربما يمكن أن نتفادى هذه المشكلة ومضارها لحد كبير، وذلك لأن القانون الراهن لا يسمح بأن ننقل من بلد إلى آخر طردا من كتب تربو قيمتها على خمسين روبية، مع أنه ينبغي أن يسمح القانون بإرسال ونقل الطرود الضخمة بالقطار والطرود المحولة على المشتري بالبريد بصورة مباشرة * فسألنى قائلا : من فرض هذا الحظر الذى تشير إليه : حكومة باكستان أم نحن ؟ قلت له : ليس لى علم بذلك على وجه الدقة والتحديد، ولعل هذا الحظر مفروض من قبل كلا البلدين * فقال بلهجة مقنعة شافية : إننى سوف أستطلع أن هذه القضية هل عرضت قط على باكستان فى المؤتمرات التى عقدناها معها فى الأيام الماضية، وإن عرضت فعما أسفرت المفاوضات المشتركة *

وأضاف يقول : إن هذه المشكلة لابد من حلها ومعالجتها، وذلك لأنه لو رفع هذا الحظر فمن الممكن أن تصدر عدة طبعات أخرى من الكتاب الذى لاتصدر منه الآن إلا ثلاث طبعات بشق الأنفس، وبذلك يمكن أن تزول مشاكل الكتاب ومتاعبهم إلى حد كبير *

كان قد أعطى لنا خمس أو سبع دقائق فحسب لهذه الزيارة، ولكن الحديث قد استغرق حتى الآن ثلاثين دقيقة، وكنا نشعر بذلك تماما، فطلبنا منه الإذن للإنصراف معلّين بأنك اليوم مشغول لحد زائد، ولما خرجنا من الباب وجدنا المستر " دهبير بهائى " رئيس حزب المؤتمر ينتظر نوبته للزيارة، فاعتذرنا إليه لما تحمل من المشقة والعناء لأجلنا، فأنبرى يقول : لا بأس، فإن هذا البلاط يقدم الشعراء والأدباء ويؤثرهم على رجال السياسة دائما *

كان ذلك هو لقائى الأخير مع مولانا آزاد، وهو لا يزال ماثلا أمام عيني، كأنه حديث الأمس *

وبعد ذلك شاهدت - عن بعد - جسده الميت محملا بالأزهار، فى صباح التاسع والعشرين من فبراير سنة ١٩٥٨م، وذلك عندما كان ينقله حشود هائلة من ملايين الهنود والأجانب فى سيارة، إلى المثلوى الذى سيثوى به كل إنسان فى يوم من الأيام لا محالة *

كانت أمام عيني جموع غفيرة من ملايين النفوس تبكى وتصح، وتعلو وتنشج، وكان معلق الإذاعة ينشر أنباء رحلة مولانا آزاد النهائية، بصوت

وراح يقول بعد أن رأى بنفسه اسم المطبعة المكتوب عليه وهو "دار الكتاب بدهلى": أى مؤسسة هذه للطباعة؟ فقلت له: سيدى! ليست هناك أى مؤسسة بهذا الاسم، وإنما هو اسم مقترض، وقد أصدرت الكتاب أنا بدورى، وأثبتت عليه اسم "دار الكتاب بدهلى"، هذا وأنا أكتب على كل كتاب أصدره أنا شخصيا، اسم هذه المؤسسة المصطنعة، وذلك لأن معظم أصحاب المطابع لا يحسنون التعامل مع الكاتبيين ويعملون الخيانة والغش فيما يتعلق بالشؤون المالية، ولذلك فإن الكاتب يضطر إلى أن يطبع كتبه بنفسه، بالرغم من أن ذلك ليس من وظيفته.

وقد استمع مولانا آزاد لحديث كله بإصغاء واهتمام بالغين، ثم سألتنى: ماذا اتخذت من التدابير لبيع الكتاب؟ فاجترأت على أن أحدث إليه ببسط واستطراد، وأخبرته بأننا نبيع كتبنا بواسطة "مكتبة الجامعة المحدودة"، فإنها هى المؤسسة الوحيدة التى ألفتها — بعد أن تكبدنا خسائر فادحة — تحسن التعامل وتقوم به بحسن ونزاهة، إلا أن هذه المؤسسة تتقاضا ٤٠% من الترخيصات فى الثمن من أجل بيع الكتب — فلو أضفنا إلى تكاليف طبع الكتاب رسوم المؤلفين بنسبة ١٥% على الأقل (مع أنه لا سبيل إلى ذلك فى الأوضاع الراهنة) فإن طبع الكتاب يلحق بنا خسارة واضحة كما لا يخفى، لأن أدوات الكتابة والطباعة لاتزال تتصاعد غلا، بصورة مستمرة، بالإضافة إلى أن عددا ملحوظا من نسخ الكتاب يهدى إلى الأصدقاء تذكارا وإلى مديرى الجرائد ليقوموا بالتعقيب عليها.

فأخذ يقول بعد أن أصفى إلى حديثى — من أوله إلى آخره - : لقد صدقت وأصبت * وأما بالنسبة لهذا الكتاب فقدّم أنت إلى طلبا، وسوف أفكر فى هذا الأمر، وعلى ذلك فقد رفعت إليه الطلب بشأن هذا الكتاب خلال عدة أيام، و تمخض ذلك عن أن مؤسستين من مؤسسات الحكومة الهندية اشترتا عددا وفيرا من نسخ هذا الكتاب، وبذلك زالت وارتفعت - بفضل مولانا آزاد وعنايته - المخاوف التى كانت تهددنا من أن طبع الكتاب عسى أن يحملنا خسائر مادية.

كما ذكرت خلال هذا اللقاء الأضرار والخسائر التى يتحملها كتّاب الهند وباكستان - على السواء - بسبب أصحاب مطابع البلد الآخر * وكان مولانا آزاد على علم بأن مؤلفاته لاتزال تطبع فى باكستان بدون أى تصريح منه، فأخذ يقول: نحن نعمل الآن على إدخال تعديل على قانون حق النشر والتأليف، سوف يجعل أصحاب مطابع بلد واحد لا يستطيعون أن يطبعوا

نظرة على العلاقات بين المولانا آزاد و جواهر لال نهرو

بقلم : محمد ضياء الدين الانصاري
مكتبة مولانا آزاد - بجامعة عليحد الاسلاميه

إن ظهور المولانا آزاد و البانديت جواهر لال نهرو على أفق السياسة في الهند حدث من أعظم الأحداث السياسية و ألمعها . فقد كان إجتماع هذين القائدين العظيمين سببا لإستقلال الهند و خروجها من قعر المذلة و العبودية و تخلصها من نير الاستعمار . كان الزعيمان من صانعي الهند الحديثة و من أولئك الذين غيروا مجرى التاريخ في الهند . إنهما لم يؤثرا على الجماهير في عصرهما فقط . بل على الأجيال التالية أيضا . و لذلك هما يعتبران من أبرز الشخصيات في العالم .

كان المولانا آزاد فارسا لميدان الدين و الأدب إلى جانب هنكة في السياسة . إنه كان صاحب قلب كبير و نظرة ثاقبة و أفكار نيرة و نظريات عالية و كان راسخ العزم مثل الهملايا و طاهر القلب مثل ماء زمزم و رفيع الفكر مثل السماء . و متوقد الذهن مثل الشمس و متدفق الأفكار مثل الأنهار و عميق العلم مثل البحار و متنور العقل مثل الشموع و صاحب الفضل مثل الأشجار الظليلة و حلو الكلام مثل العسل و جميل الطبع مثل الأزهار المتفتحة .

دخل السياسة أيام شبابه المبكر في عام ١٩٠٥م ، و انضم إلى حزب الثوريين في البنغال بقيادة القائد الثوري المشهور شيام سندر شكرورتي . إن الظروف في أول الأمر لم تكن مواتية للمولانا ولكنه حسنها بذكائه الخارق و فكره النير و نظرته الثاقبة . و أقام لنفسه مجدا رفيعا و تبوأ مكانا مرموقا بين الزعماء . زار المولانا في ذلك الوقت الشرق الأوسط حيث إجتمع مع الثوريين العرب و الأتراك فهم تأثروا به و هو تأثر

حزين و لهجة كثيفة مخنوقة ... و الهاتف السماوى يقول : كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.. وَكُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَاي •

تعريب : عبد الستار سلام القاسمى

الهوامش :

- ١- شاعر أردى شهير
- ٢- سكرتير مولانا آزاد
- ٣- كان " جوش " المليح آبادى مدير تحرير مجلة " آج كل " الأردنية الشهيرة، وكنت أنا نائبه، وقد كان من عادته لدى تأهبه لمقابلة أحد أنه كان يقول لى -إذا كان فرحا نشيطا-: تعال معى حتى تزوره أنت أيضا • وقد سنحت لى أول فرصة لزيارة جواهر لال نهرو برفقته •
- و صادف مرة أن السيدة " ساروجنى نايدو " كانت نزيلة بقصر الرئاسة بدهلى الجديدة، فذهب " جوش " للقائها واستصمبى أنا كذلك، وهنا أتيج لى أن أشاهد ناحية مشرقة من حياة هذه السيدة الرفيعة القدر، حيث أنها ذكرت بنفسها، " ساغر نظامى " (الشاعر الأردى الشهير) فى اثناء الحوار، وسألت " جوش " عن وضعه الاقتصادى، وبعد أن ردّ عليها " جوش " بأن " ساغر " يعانى هذه الأيام من المصاعب المالية بعض الشئ، و يقاسى نوعا من الضيق والعسر، أمرت سكرتيرها بأن يسجل هذا الأمر و يذكّرها به بعد وصولها إلى مدينة " لكاناؤ "، وقالت سوف أصنع ما أستطيعه فيما يتصل بـ " ساغر " • وقد سردت هذه القصة فى كتابى " نشان منزل " بالوضوح والتفصيل •
- كان ميزات سيرة " جوش " البارزة أنه كان يسعى أن يهيم، لزملائه المقابلة مع الشخصيات التى تتأهل لتقدير و تشجيع الفن و الأدب بصورة من الصور، ولذلك خيل لى فى البداية أنه هو الذى يريد أن يستصمبى إلى مولانا آزاد حتى ألتقى به •
- ٤- أول ديوان شعر للكاتب •
- ٥- ديوان آنند كمار : نائب رئيس جامعة البنجاب آنذاك •

١٩٢٣م • وما كان سنه انذاك يزيد على ٣٥ سنة • حتى ذلك الوقت لم يكن أحد من كبار الزعماء مثل غاندى و مولانا محمد على جوهر، والسيدة سروجنى نائدو و السردار بهتيل و الدكتور مختار أحمد الأنصارى قد تولى هذا المنصب الرفيع • نعم كلهم أختيروا لهذا المنصب و لكن بعد المولانا • هذا إنما يدل على أهميته و مكانته فى مثل هذا السن الصغير • كان نهرو - كما قلنا - أصغر منه سنًا و منزلة و لكن لما وقف كل منهما فى صف واحد للقيام بعمل واحد، زال هذا الحاجز و سادهما الإخلاص و المودة على أسس متساوية •

كان نهرو قد تشقق ثقافة غربية لأنه مكث و تعلم فى إنجلترا مدة طويلة، ولكنه ظل نموذجاً حياً و مثالا رائعا للثقافة الشرقية و بهذا السبب كانت شخصيته محل إحترام كبير لدى الجميع و إن هذا الاحترام لم يمنع نهرو من معارضة بعض آرائه • فعرضه فى جلسات حزب المؤتمر مرات عديدة و لكن فى حدود الإحترام • يقول المولانا فى هذا الصدد :

" يتميز جواهر لال نهرو بطبيعته بالسماحة • إنه لا يعرف التنافس ولا الحسد إلا أن بعض أقربائه وأصدقائه ما كانوا يحبون هذه العلاقات الوطيدة المبنية على الإخلاص والمودة بيننا • فحاولوا زرع بذور الشك والخلاف للتفريق بيننا و فعلا لمست فى إجتماع اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر فى بومباى أنه يعارض كل آرائى و موافقى • حاول نهرو أن يثبت أن الموقف الذى إتخذته تجاه البنجاب ليس صحيحا، و ذهب إلى حد القول أنه (المولانا) حط من شأن الحزب "

لكن ما لبث أن استدرك خطأه و حاول تصفية الجو و إزالة كل الظنون الخاطئة • ثم بعد ذلك لم يحدث مثل هذا أبدا • ثم يقول المولانا :

" كنت مقيما عند الأخ " بهولا " فزارنى جواهر لال نهرو صباح يوم وأكد لى بكل إخلاص أنه لم يكن يعنى من معارضة آرائه أن زعامته لم تعد جديدة بالثقة • واعترف بكل صراحة انه لم يستطع أن يفهم المسألة جيدا، ثم قال " لننسى ما حدث "

وبعد ذلك لم تحدث مثل هذه الخلافات بينهما بل تعززت أكثر من دى

بهم • ولما رجع إلى الهند أراد أن ينشر تلك الأفكار فأصدر من مدينة كلكتا جريدة أسبوعية بإسم " الهلال " وهكذا خرج صوت المولانا من كلكتا ليصل إلى كل أنحاء البلاد • ولكن لم ترض الحكومة الانجليزية بما كانت تهدف إليه تلك الجريدة فوضعت في سبيلها عراقيل كثيرة حتى أوقفتها من الصدور • وفي عام ١٩١٥م إستولت على مطابعها • ولكن همة المولانا لم تبرد بمثل هذه الحملة الفاشلة • فقد أصدرها بإسم " البلاغ " • والحكومة أيضا بدورها لم تلبث أن شنت هجومًا عنيفًا عليه وفتته من كلكتا ومنعته من الدخول في ولايات اترابريش والبنجاب ودلهي وبومباي • فقرر الاستقرار في مدينة رانشي في بيهار • كان المولانا قد دخل السياسة في ذلك الوقت من أوسع أبوابها • في رانشي أيضا أعتبرت نشاطاته عصيانا وتمردا فأعتقل في نفس المكان • إنه ظل في المعتقل لمدة ثلاث سنين وستة شهور حتى أفرج عنه في الأول من يناير ١٩٢٠م • كانت حركة التحرير في ذلك الوقت قد عمت طول البلاد وخاصة ضد قانون " رولت " فإشترك المولانا في هذه الحركة و صار من أكبر زعمائها و هنا قابل لأول مرة المهاتما غاندي في ١٨ / يناير ١٩٢٠م •

دخل البانديت نهرو السياسة في عام ١٩١٨م • صارت للمولانا روابط وطيدة مع الزعماء الكبار مثل شيخ الهند مولانا محمود حسن والمهاتما غاندي والحكيم أجمل خان والبانديت موتي لال نهرو والدكتور مختار أحمد الأنصاري • كل هؤلاء الزعماء كانوا معترفين بشخصيته وآرائه السديدة وأفكاره النيرة وذهنه الناضج • كان المولانا يكبر من نهرو سنا ومكانة • لأنه عمل في ميدان السياسة مع والده البانديت موتي لال نهرو، لذلك كان نهرو يحترمه و يبجله، كما يقول المولانا :

" منذ بداية عملي في حزب المؤتمر كنت مرتبطا
بصدقة متينة مع نهرو • كانت آراؤنا متطابقة كان
بعضنا يساند بعضا بدون أي أثر للمناقسة أو الحسد
فيما بيننا • في الحقيقة كنت مرتبطا بعلاقات أخوية
و ودية مع أسرته منذ زمن أبيه موتي لال نهرو •
إعتبرته ابنا لأخي وهو عاملني كصديق لأبيه "

كان كل الزعماء في حزب المؤتمر معترفين بهبصيرته السياسية وكفائته في القيادة فاختروه رئيسا للدورة الخاصة المتعقدة في دلهي في عام

وإن الكلمة التى ألقاها المولانا بوصفه رئيس الجلسة كانت باللغة الأهمية والخطورة من جميع النواحي • فبلغت فيها بصيرته السياسية ودقة أفكاره وشمولية آرائه وسعتها إلى الأوج • وذلك فضلا عن أهميتها الأدبية • فهى جديرة أن تعتبر نموذجا رائعا للنشر والانشاء الأردى • فيها سيل جارى للخيال تجرى داخل ألفاظ و كلمات رائعة مؤثرة • فكان من الصعب ترجمتها إلى أية لغة أخرى وخاصة إلى لغة غربية بطريقة تبقى فيها الروح الأصلية مع كل الميزات الأدبية واللسانية • ولكن البانديت نهرو جعل هذا العمل المستحيل ممكنا • فقد ترجم تلك الخطبة إلى الإنجليزية بحيث بقيت فيها كل سمات الأصل • فأعجب المولانا بالترجمة اعجابا شديدا • وأثنى عليه ثناء عاطرا • وكتب له فى رسالة له بتاريخ ٢٧/مارس ١٩٤٠ ما يلى :

" تأثرت بالغ السرور ببراعة مقدرتك فى الترجمة فقد وجدت مدهشا جدا و وجدت الترجمة أحسن بكثير مما كنت أتوقعها • إنك أنجزت عملا فى وقت قليل جدا ما لا يقدر عليه بعض العباقرة فى هذه الأيام "

ثم كتب المولانا رسائل عديدة نوه فيها مزاي نهرو، أهمها شجاعته وذكاءه وصلاحه العلمية وكفاءته النادرة فى إدارة الأمور ومثاليته ونزاهته وإيمانه بالعلمانية والديمقراطية والمساواة وتكافؤ الفرص لكل مواطن هندى • على أى حال هذا لايعنى أن المولانا أحبه حبا أعمى بل كان ينتقد عليه ويصححه كلما وجد إغوجا أو إنحرافا فى خطواته أو خطأ فى رأيه • وإن نهرو أيضا كان يحسب له حسابا كبيرا ويعطيه مكانة يستحقها كزميل كبير له • فقد كان منذ البداية معترفا بتهمه العلمى وثقافته الواسعة وتوقد ذهنه فى تفهمه للقضايا والمسائل وكان متأثرا جدا بالمولانا، فقد عبر عن هذا التأثير فى العديد من كتاباته وخطبه و خاصة فى كتابه المشهور (Discovery of India) الذى ألفه خلال إعتقاله فى قلعة أحمد نكر •

إن نهرو لما يشير إلى الحركات الإصلاحية والإجتماعية عند المسلمين وما أداه المولانا محمد على جوهر والسير سيد أحمد خان والمولانا آزاد من خدمات جليلة، نراه متأثرا جدا بالمولانا آزاد أكثر من تأثره بالآخرين • أنظر يقول :

" إن عام ١٩١٢م لعله على جانب كبير من الأهمية فى

قبل خلال أيام الاعتقال في قلعة أحمد نكر. وفي هذه القلعة كتب المولانا كتابه الشهير "غبار خاطر" وألف نهرو كتابه (Discovery of India). في هذين المؤلفين نجد أن كل واحد منهما يذكر الآخر بكل إخلاص ومودة. فمثلا يقول المولانا في رسالته بتاريخ ١٥/ أغسطس ١٩٤٢م المطبوعة في الكتاب :

"لا يزعجني شيء في هذا الوقت الهادئ. إلا شقيقة (نهرو) وهو نائم بالغرفة المجاورة لي. وأحيانا يتمتم بالإنجليزية. والمعروف أن مثل هذه التمتمة لاتصدر إلا ممن تغلب عليه الحماسة"

كان المولانا يعتمد على نهرو كثيرا ويطلب منه المساعدة في بعض أعماله. فمثلا لما قرر الذهاب إلى مصيف للإستجمام، إنتخب مسوري لهذا الغرض. ولكن ما كان هناك سكن متوفرا في ذلك الوقت فكتب إلى نهرو يقول :

" لأصدقائي بيوت عديدة في مسوري ولكنها ليست خالية الآن. فهل لك أن تهين لي سكنا هناك؟ أنا مستعد لدفع الإيجار له. فهنيئاً نهرو له غرفة فوراً. إلا أن المولانا لم يستطع أن يسافر إلى مسوري بل إضطّر إلى أن يسافر إلى نينى تال لبعض الأسباب. فكتب المولانا من نينى تال إلى نهرو يطلب منه الحضور والسكن معه لبضعة أيام وذلك لإعداد تقرير للجنة التخطيط"

فيتضح من هذا أن المولانا آزاد كان يحب نهرو حبا جما ولم يكن يحتمل الافتراق منه. ومما زاد على تعزيز المودة بينهما هو تطابق آرائهما في الشؤون السياسية.

كان المولانا يريد من هذه الصداقة تدريب نهرو من وجهة نظره. نعم برزت فيما بعد بعض القضايا السياسية التي عارض فيها نهرو رأى المولانا. ولكنه ما لبث أن إستدرك خطأه وصححه.

كان المولانا آزاد معترفا بفقرارة نهرو العلمية وموهبته النادرة. وقد عبر عن رأيه بهذا الصدد أمام الجميع كما تتضح ذلك من رسالته التي كتبها من كلكتا بتاريخ ٢٧/ مارس ١٩٤٠م إلى البانديت نهرو. إنعقد اجتماع المؤتمر الوطنى السابع والستون في رام كره- برئاسة المولانا.

والمصيرية: نعم نرى فيه بعض الأحيان الدقيقة
والغموض ولكن ذلك بسبب غلبة الفارسية عليه. هو
يخلق تراكييب جديدة لأفكار جديدة، إنه ترك أثرا
ملحوظا في تطوير اللغة الأردية. العلماء المتمزتون
لم يكونوا راضين عنه فكانوا ينتقدون آراءه وأفكاره.
إلا أن أحدا منهم لم يستطع أن يجاربه في العلوم
الدينية. لأن علمه بالقرآن والأحاديث كان أعمق
وأوسع منهم. كان ذهنه معجونا مركبا من آراء
الكلاميين من العصور الوسطى وعقلية القرن الثامن
عشر والتيارات العلمية في العصر الحاضر

وبعد ذلك يتحدث نهرو عن مقدرة المولانا كقائد وزعيم سياسى
فيقول :

" أثبت المولانا أنه لاتعارض بين الإسلام والقومية
العربية، وصاغ هذه الفكرة صياغة جديدة. وبذلك
حدث التقارب بين الرابطة الإسلامية (مسلم ليك)
والمؤتمر الهندي. إنضم المولانا آراد إلى الرابطة
الاسلامية في ١٩٠٦م عندما كان شابا يافعا "

طبعا لم ينظر ممثلو الحكومة الإنجليزية إلى جريدة "الهلال" بتظرة
الرضا والاستحسان فضيقوا عليها الخناق حتى إستولوا على مطابعها.
هكذا ماتت الجريدة بعد حياة دامت سنتين فقط. فأصدر المولانا جريدة
أخرى بإسم "البلاغ" ولكن هي الأخرى أغلقت بعد إعتقال المولانا في عام
١٩١٦م.

ولما خرج المولانا من السجن بعد أربع سنين نال مكانا مرموقا بين
زعماء حزب المؤتمر. وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب مع حداثة
سنه. وكانت لآرائه قيمة كبرى وخاصة في الأمور السياسية والقومية
والطائفية وشئون الأقليات. تولى مرتين رئاسة حزب المؤتمر وقاسى
آلام السجن مدة طويلة. كان المولانا والبهانديت نهرو معا في سجن
أحمد نكر من ديسمبر ١٩٤٢م إلى يونيو ١٩٤٥م. في هذه المدة تأثر كل
واحد منهما من الآخر. ويتبين هذا من مطالعة كتبهما " غبار خاطر "
للمولانا و (Discovery of India) لنهرو.

يقول نهرو عن المولانا في يومياته في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢م :

تاريخ النهضة الفكرية والذهنية بالنسبة لمسلمين الهند حيث أنه صدرت في هذا العام جريدتان عندهم • إحداهما " الهلال " باللغة الأردية وثانيتها (Comrade) - الرفيق - بالإنجليزية • الأولى كان يحررها أبو الكلام آزاد (الرئيس الحالي لحزب المؤتمر) و عمره أربع و عشرون سنة آنذاك • تلقى مولانا علومه في الجامع الأزهر في القاهرة • ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى صار معروفا في الأوساط العلمية لغزارة علمه وتفصصه في اللغتين الفارسية والعربية • إنه كان على علم تام بما كانت تجري من حركات إصلاحية في العالم الإسلامي وكذلك كان مطلعاً على الأحوال والتيارات السائدة في البلاد الإسلامية • بفضل نظريته العقلية وتبحره في العلوم الإسلامية كتب تفسيراً للقرآن الكريم إصطفى بصيغة عقلية • إنه في جانب كان غرقاً في الثقافة والتقاليد الإسلامية وفي جانب آخر كان على صلة شخصية بكبار زعماء مصر وتركيا وسوريا والفلسطين والعراق وإيران وبالتفكيرات والاتجاهات السياسية والثقافية هناك • إنه كان مشهوراً جداً في البلاد الإسلامية بفضل كتبــــه وتأليفاته • كان مناصراً كبيراً لتركيا ومؤيداً لها في كل حرب خاضتها • وكان واسع الأفق، ودقيق النظر وسديد الرأي • لم يتأثر أبداً بأفكار الزعماء الاقطاعيين ونظرياتهم الطائفية الانفصالية الضيقة • مما صار مناصراً للقومية الهندية • رأى نشأة القومية ونموها في تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى فنظر إلى الحركة القومية في الهند بنفس النظرة

ثم يقول عن جريدته " الهلال " :

" إتخذ أبو الكلام آزاد أسلوباً جديداً له في جريدته الأسبوعية " الهلال " ليس التجدد في آرائه وأفكاره فقط بل يوجد في أسلوبه أيضاً الذي تميز بالقوة

المستبعد أن تكون الأحداث التي جرت في الآونة الأخيرة في الهند، سببا لحزنه • ولكن لم يحدث شيء جديد في تلك المباحثات • فالحكومة (الانجليزية) تحاول أن تبرر كل الأعمال غير المشروعة • وليس بمقدورنا نحن أن نعمل شيئا تجاه هذه الأعمال • فهذه الأمور قد تكون سببا لقلق المولانا، أو موقف أولئك الهنود الذين يتولون مناصب عليا في الهند من الحكومة البريطانية ودعمهم لها"

هم كانوا في السجن • وفي السجن يحاول كل واحد أن يفتلط برفقائه لكي يأتنس معهم ويخفف عنه ألم الوحدة • ولكن المولانا في هذه الحالة أيضا يتجنب مخالطة الناس حفاظا على هيئته • لذلك لا يستطيع أحد من الزعماء، مثل جواهر لال نهرو والدكتور سيد محمود وآشاريا نريندر ديو وكويند ولاب بانت أن يتخطى حدود الأدب للتكلم معه • يتكلم معه نهرو ساعات عديدة ويتبادل الآراء معه حول الأمور الهامة • لم يكن يستطيع أن يتجاوز حدود الأدب واللياقة • كما يكتب نهرو في يومياته في ٢١ نوفمبر ١٩٤٣ :

" أما أنا فأكون دائما خاسرا إلى حد ما، فلننسى لا أستطيع أن أكون خسرا في التحدث معه كما أعمل دائما مع الناس الآخرين • فعلى أن أراعي النظام والاحترام"

كتب نهرو عن إنطباعاته هذه عن المولانا في ١٩٤٣م • كانت هذه الفترة مملوءة بالأحداث في تاريخ الهند • فقد نالت الهند حريتها في عام ١٩٤٧م بعد جهود و تضحيات جسيمة قدمها المؤتمر الهندي طوال مدة ستين عاما في سبيل تحريرها • في الفترة الأخيرة من الكفاح كانت زمام الأمور في يد المولانا • وفيها برزت حوادث كبيرة • مثل حركة الرابطة الإسلامية التي بسببها انقسمت الهند، وأصبح الأقرباء أجنب، والأصدقاء أعداء • إلا أن الصداقة بين نهرو والمولانا آزاد لم تضعف أبدا • بل ظل نهرو يعتبر قيادة المولانا بركة و ضرورة في كل مرحلة لمصلحة البلاد • لذلك إتخذ نهرو وزيرا للتعليم في وزارته بعد إستقلال الهند • وكان يستشيريه في كل أمر هام و يقيم لآرائه وزنا كبيرا كعادته كما يتضح ذلك من عمل نهرو عند إنعقاد مؤتمر اللغة الأردية في فبراير ١٩٥٨م • فقد كان نهرو ضيفا للشرف

" كم هناك تباين بيننا • إن المولانا إنسان محير للعقل من نواح عديدة • فخرينة علمه وسيعه جدا، و دماغه حاد كالنوس، و عقله جبار • أنا أختلف معه في أمور عديدة ولكن مع ذلك يوجد بيننا تآلف و صداقة • عدى قيمة كبيرة لآرائه • هو قليل الاختلاط و يتحدث مع الناس و قد غطى شخصيته بحجاب كثيف • هو مجمع للقديم و الحديث، و عبقري مهذب، هو على علم تام بالعصر الحاضر • لكن جوهر ثقافته تبقى في القرن الثامن عشر • إنه ينسجم مع متطلبات الحاضر، و لكن روحه تظل في القرن الثامن عشر • هو إنسان عبقري و رجل فذ و لكن مع كل ذلك يمنعه شئ • من التمتع بهذه الخرائن • لعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه فلسفي كبير أو فيه حساسية مفرطة، كل هذه الأشياء موجودة فيه، إنما ينقصه شئ آخر إذن ما هو؟ أنا لا أعلم • لعله كبر قبل الأوان • و بلغ الرشد قبل بلوغه الوقت المناسب له • هو ليس عجوزا أبدا و لكن مع ذلك فيه عمق التفكير و بعد النظر • هو لا يندفع وراء العواطف • إنه يعد عالما موثوقا به منذ أن كان ابن ١٤ سنة • و كما أعرف، أنه كان يتحدث عن الأخلاق و الفلسفة في ذلك السن • سيطرت عقليته على صلاحياته الأخرى و لكن ليس معنى هذا أنه ظل في معزل عن التيارات السائدة، إنه إنسان لطيف و حكيم مهذب لحد لا يمكن لأحد أن يتفوق عليه "

ثم يقول نهرو في يوميته في الثاني من إبريل ١٩٤٢ م :

" يبدو المولانا كثيلا محزوننا منذ يومين • فقد بلغه أن حالة زوجته خطيرة • لا أعرف إلى أي حد حالتها خطيرة • إنه لا يفتأنا في مثل هذه الأمور • قد يكون سبب حزنه المباحثات التي جرت في مجلس العموم البريطني أو في مجلس دلهي • كما ليس من

السالف* نحن اليوم قد أحرزنا تقدماً هائلاً في كل
الميادين حتى إننا نسعى للوصول إلى القمر* ولكن
لا يوجد فينا ذلك الإخلاص النزىه والخلق العظيم
والتسامح العميم التى كان المولانا يتصف بها و التى
تجعل الحياة سعيدة قيمة*

إنه كان نموذجاً حياً للحضارة الهندية العريقة التى
تتكون من ثقافات عديدة و التى تطورت على مر
الزمن* أنا لا أقول ان يصبح كل واحد مثل المولانا
ليمثل تلك الحضارة* ففي الهند ممثلون عديدون لها
في مختلف أنحاءها* إنما أريد أن أقول ان المولانا
كان خير ممثل لها* إنه كان مثل نهر جى لى
يندمج في بحر الحياة الطبيعية الهندية*

على أى حال نحن نؤمن وفاة إنسان ترك فجوة كبيرة
لا يمكن ملؤها بل إنها سوف تتسع و تتعمق بمرور
الزمن* و لكن علينا أن نواجه هذه الصدمة بكل
شجاعة و ثبات و بطريقة إيجابية و ذلك بأن نكرس
أنفسنا للأعمال التى تركها لنا لى نكملها*

تعريب : شميم الحسن أمانة الله

و المولانا رئيسا للمؤتمر. وصل نهرو إلى مقر المؤتمر قبل وصول المولانا. فلما وصل المولانا وقف نهرو إحتراما له وترك له مكانه، ولعل أهم شئ، يدل على الإحترام الذى كان يكنه نهرو للمولانا هو خطابه الذى ألقاه فى البرلمان تأيينا له إذ يقول :

" سيدى الرئيس : لقد كان دائما من مسئوليتى فى هذا المجلس أن أقدم إجلالا وثناء وأنوه بذكر رفقاء الأعراء والزعماء الأجلاء إثر وفاتهم. فما على إلا أن أودى هذا الواجب اليوم أيضا. إننا إجتمعنا اليوم لنذكر تلك الشخصية الغدة التى إرتحلت عنا فجأة. إنها لم تترك قلوب أعضاء البرلمان فقط محزونة ومغمومة وإنما أصابت أفرادا لا حصر لهم بالفهم والحزن. لقد جرت العادة أن نقف عند وفاة كل عظيم لنقول أن الفجوة التى حدثت بموته لا يمكن أن تمتلئ. بأى حال من الأحوال. هذا القول قد يكون صحيحا إلى حد ما بالنسبة للآخرين ولكنى أريد أن أقول وأنا على يقين من أن هذا الكلام لصحيح تماما بالنسبة للمولانا. أنا لا أقول إنه لن يولد فى الهند رجل عظيم بعد ذلك. فقد كان فىنا رجال عظام وسوف يولدون فى المستقبل أيضا ولكن اسمحو لى أن أقول أن ميلاد شخصية عظيمة متصفة بمثلما كان المولانا يتصف لا يبدو ممكنا سواء أ كان فى الهند أو فى أى مكان آخر"

"إننى لست فى حاجة إلى أن أعد مكارمه ومحاسنه أو أن أذكر ما كان قد أوتى من علم غزير و فضل عظيم. فالكل يعرف أنه كان حقاً رجلاً فاضلا و كان كاتباً كبيراً و خطيباً بارعاً و عالماً متبحراً. إجتمعت فيه عظمة الماضى و الحاضر معا. كان ممثلاً لأولئك العباقرة والعظماء الذين خلدوا أسماءهم فى التاريخ. فهو يذكرنى عن عظماء عصر النهضة الأوروبية و صانعى التاريخ الذين مروا قبل الثورة الفرنسية و هو يذكرنى عن رجال العقل و العمل من العهد

هذه الطبقة ويرأسها السيد أحمد خان الذى ترجع إليه يقظة المسلمين ونهضتهم فى القالب.

و كل من درس حياة العلامة شبلى النعمانى قبل احتكاكه بالسيد أحمد خان و بعده، وجد بين المرحلتين اختلافا كبيرا. فهو فى المرحلة الأولى عالم دينى شبه مترمتم لاهيتم إلا بنظامه الضيق من العمل والكتابة عن الخلافات المذهبية وبعض الشئون الدينية التى لاتمت إلى الحياة العامة بصلة ما، ولكنه حينما احتك بالسيد أحمد خان تفتقت قريحته و تفتح عقله و اتسع أفقه، وأصبح فكره عالميا بعد أن كان محليا، إلا أنه استطاع بعلمه أن يحذر نفسه من التاويلات الدينية المتعسفة التى كان السيد أحمد خان يدعو إليها، و موجز القول أنه استقى من المصدر القديم ثم من المصدر الحديث فعاد جامعا بين القديم والحديث معتدلا متوسطا، وهذا الذى دعاه إلى تأسيس هيئة ندوة العلماء فى جماعة من العلماء، فنذوة العلماء تمثل فكره القويم المعتدل أصدق تمثيل.

و نريد أن ندعم ما ذهبنا إليه من أن العلامة شبلى النعمانى كان يدين فى تربيته الفكرية للسيد أحمد خان، بشهادة من مولانا أبى الكلام آزاد، ركز العلامة السيد سليمان الندوى فى كتابه " حياة شبلى " على أن العلامة شبلى النعمانى كان مستقلا فى فكره و عقله. فعلى ذلك مولانا أبو الكلام آزاد بقوله " لاتصح هذه الدعوى، فان العلامة شبلى النعمانى كان مدينا فى تكوينه الفكرى للسيد أحمد خان" يقول العلامة شبلى النعمانى بنفسه " لما كان النزاع بينى وبين السيد أحمد خان شديداً فى آرائه الدينية فندت آراءه و مع هذا لا أنكر فضل أسلوبه العالى الذى استخدمه فى شرح أفكاره، فكان أسلوبا رائعا منقطع النظير، مملوا بالفكاهة و التناذر الظريف.

إن ما قدمناه يكفى للدلالة على أن العلامة شبلى النعمانى كان يمثل مدرسة أدبية وعلمية وفكرية جامعة وسطا، وهذه الميزة تتجلى بارزة فى جميع من تلمذوا عليه أو صحبوه أو استفادوا منه كمولانا أبى الكلام آزاد والعلامة السيد سليمان الندوى ومولانا عبد البارى الندوى.

تؤكد الوثائق التاريخية أن مولانا آزاد لقي العلامة شبلى النعمانى لأول مرة سنة ١٩٠٤م فى بومباى فى قفوله من رحلته إلى العالم الاسلامى (١) وكان هذا اللقاء نقطة لتوطد العلاقة وتوثق الصلة بينهما. ولكن تاريخ التعارف بينهما يرجع إلى ما قبل ذلك بسنوات، وقد جرت

مولانا أبو الكلام آزاد و صلته بالعلامة شبلي النعماني

بقلم : محمد أكرم الندهي
دارالعلوم ندوۃ العلماء، بلكناؤ

هذان العلمان البارزان من الكواكب النيرة اللامعة في سماء الهند الحديثة، تجمعهما وحدة الذوق وانسجام الفكر وتوافق المذهب والرأي، تفرقهما مظاهر هذا الفكر والمذهب ولعل ذلك راجع إلى ما بينهما من اختلاف في العهد، فقد كان العلامة شبلي النعماني يكبر مولانا آزاد بنحو إحدى وثلاثين سنة •

كانت ثورة سنة ١٨٥٧م نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند، فقد انهزم فيها المسلمون وتمت سيطرة الانجليز على البلاد، وكانت الفترة التي تلتها فترة يأس قاتل وتشئت فكري مشين، ورأى القادة المسلمون أن العدو يفوقهم في العدة والعتاد، وخافوا أن تغزو الحضارة الغربية الوافدة الحضارة الإسلامية، فركزوا عنايتهم على تأسيس مراكز ومؤسسات علمية و دينية تقوم بنشر العلوم الإسلامية والثقافة الدينية وإعداد رجال يحاربون المستعمر في مجال الغزو الفكري ويشنون هجمات شنعاء على أوكار الهدامين ويناضلون في سبيل طرد الحكم الأجنبي من البلاد، وهذه المؤسسات تتمثل في المدرسة الإسلامية دار العلوم هديوبند، ومظاهر العلوم بهسهارنפור، ودار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ وغيرها من المدارس والجمعيات •

و كانت طبقة أخرى من القادة المسلمين ترى أنه لا بد للمسلمين أن يأخذوا من الانجليز ثقافتهم و علومهم وآدابهم، حتى يشهدوا صرحهم الداخلي، وأما الاستقلال فيأتى بعد ذلك تبعاً، فلا إستقلال لجاهل أو مخروق، وإنما عماد الاستقلال العلم، العلم بالدنيا والدين، و كان يمثل

و وصل إلى لكتناؤ كعميد للشئون التعليمية لندوة العلماء فى إبريل سنة ١٩٠٥م، وركز جلاً عنايته واهتمامه على إصلاح ندوة العلماء و تطويرها، وإصدار مجلة " الندوة " لسان حال ندوة العلماء، هنالك انتقل ذهنه مرة أخرى إلى مولانا أبى الكلام آزاد، فكتب إليه أن يوافق على مشاركته فى إدارة " الندوة " و لم يستطع مولانا أن يرفض طلبه هذه المرة، وكتب موافقته، و قد كتب مولانا أبو الكلام آزاد تفصيل ذلك بنفسه حيث يقول :

" واستقال العلامة المرحوم، و كتب إلى أنه يريد أن يقف حياته على ندوة العلماء، فعزمت العقد هذه المرة على أن أجيب دعوته، و وصلت إلى لكتناؤ، و جعلنى مشاركاً فى إدارة " مجلة " الندوة " وأتمت بلكتناؤ نحو ستة أو سبعة أشهر" (٣)

فانضم إلى لجنة إدارة " الندوة " فى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م، وأقام بندوة العلماء، و توطدت أسباب الاتصال بينهما، و توفرت فرص المقابلة والمحادثة، و استفاد كل واحد منهما من صاحبه، و وجد العلامة شېلى النعمانى شأها ناهضاً واسع الدراسة و الثقافة، و مبتدعاً لأسلوب خاص و كاتباً قديراً و ذكياً فى شخصية أبى الكلام آزاد، كما أن مولانا أبى الكلام، كان فى أمس حاجة إلى رجل بلغ الذروة فى العلم و الفضل و النبوغ، و ضرب به المثل فى سعة الدراسة و ملك زمام النشر و الشعر فى آن واحد، حتى يستفيد من تجاربه و خبراته وسعته العلمية، و يوجه استعداداته و كفاءاته الموهوبة توجيهها رشيداً، و لاشك فى أن مولانا أبى الكلام آزاد يدين فى كتاباته الفصيحة البديعة للعلامة شېلى النعمانى الذى يعتبر أحد أساطين الأدب الأردى فى الهند، يكتب مولانا أبو الكلام آزاد و هو يتحدث عن صحبته للعلامة شېلى النعمانى :

" كنت أرافق دائماً العلامة، و كان يستيقظ مبكراً، و كنت قد تعودت على ذلك منذ صباى، قضيت فى رحاب الندوة فصل الشتاء، فكنت أدخل فى غرفته فى الساعة الرابعة صباحاً، و نتناول الشأى، ثم نتجاذب أطراف الحديث حول المواضيع العلمية والأدبية، و كان العلامة ينشد الأبيات الفارسية بلهجته الخاصة، ثم نناقش حولها، و كنا نخرج مساءً للتنزه و التبول

بينهما المراسلات، وكان العلامة شبلى النعمانى يرى آزاد قبل أن يلقاه رجلا طاعنا فى السن من أجل كتاباته الأدبية العلمية القيمة التى نشرت فى الصحف والمجلات المختلفة والتى لاتصدر إلا عن برع فى الكتابة وبرز فى الدراسة وحكته الخبرات والتجارب ومن هنالك نرى أن العلامة شبلى النعمانى حسب آزاد فى أول لقاء معه فى بومباى أنه ابن لمولانا أبى الكلام آزاد، يحكى مولانا أبو الكلام آزاد قصة هذا اللقاء التاريخى بلسانه فيقول :

"لقيت أول مرة العلامة شبلى النعمانى فى بومباى سنة ١٩٠٤م وتناولت معه أطراف الحديث طيلة نصف ساعة تقرىها فلما ودعته قال لى : فأبو الكلام أبوك؟ قلت لا بل أنا أبو الكلام" (٢)

وكذلك كان كل من لم يره يحسبه رجلا كبير السن، تقول : الزعيمة الأدبية الهندية المعروفة بالسيدة "سروجنى نايدو" إن آزاد ولد و هو ابن خمسين سنة .

كان هذا اللقاء تاريخيا، جرب فيه العلامة شبلى النعمانى مولانا أبو الكلام آزاد، واختبره حتى اقتنع بعلمه وفضله ونبوغه وسمو فكره، وسعة دراسته ونفاضة ذوقه، جماله الظاهرى وجماله الباطنى، يقول مولانا أبو الكلام آزاد :

"إن أشد ما تأثر به العلامة شبلى النعمانى من سعة دراستى ورغبته الملحة فيها . فقد كنت درست آنذاك سائر المؤلفات العربية الحديثة، وكان العلامة راغبا فى دراسة كثير من هذه الكتب، ويظن أنها لم تطبع بعد".

هنالك عرف شبلى المتفرس الفاحص مولانا أبا الكلام آزاد، وقدر مستقبله اللامع واقتنع به وقال : "إن عقل آزاد وذهنه أعجوبة من أعاجيب الدهر، يجب علينا أن نعرض هذه الأعجوبة فى معرض علمى".
ورأى العلامة شبلى أن هذا الشباب البافع سيكون خير مساعد له فى نشاطاته العلمية والأدبية، فطلب العلامة منه أن يرتبط بإدارة مجلة "الندوة" الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ و كان يرأس تحريرها وهو مقيم فى حيدرآباد كعميد للعلوم والفنون، فلم يجب مولانا أبو الكلام آزاد طلبه، ولكن لما استقال العلامة شبلى عن وظيفته فى حيدرآباد

العلمية والأدبية وظل يتقدم نحو الأمام بخطوات
حثيئة بناءاً على ما طبع عليه من استعـداد غريب
وكفاءة نادرة" (٥)

لاشك أن مولانا أبا الكلام آزاد كان قد برع فى الصحافة قبل أن يقابل
العلامة شبلى، بدأ حياته فى اللغة الأردية شاعراً لم يلتفت إليه، وأصدر
مجلة دورية باسم " نيرنك عالم " ولكن توقف صدورها بعد نهاية شهر، ثم
اتجه إلى النشر وملك ناصيته وفتح فيه فتحاً مبيهاً وبدأ ذلك فى الصحف
المختلفة التى أنشأها أو كتب فيها، ولكن ازدادت معارفه اتساعاً وعمقا
حين اتصل بالعلامة شبلى النعمانى وسرى إليه ذوقه الأدبى العلمى
الخاص الذى تمتاز به كتبه ومؤلفاته ومقالاته، فعالج بهذه اللغة فى
مجلة " الندوة " والمجلات والصحف الأخرى التى أنشأها أو اتصل بها
موضوعات لم تكن تعالج فيها قبل السيد أحمد خان والعلامة شبلى
النعمانى، وبذلك أخذ الأدب الأردى يشق طريقه إلى التقدم.

ثم ان أبا الكلام آزاد اقتدى بالعلامة شبلى النعمانى فى ترقية العلم
والأدب باللغة الأردية ولكنه لم يكن مقلداً لأسلوبه تماماً، بل اتخذ
أسلوباً يجمع بين السلاسة والجزالة والفخامة لاتعقيد فيه ولا تكلف،
واختار الألفاظ الجياشة العاطفية والاستعارات والكنيات البديعية التى
توفر لذة ومتعة للسامع والقارى.

و تعددت موضوعات كتاباته، فطرق كل موضوع وعالج معالجة من
يلقى عليه ضوءاً كاملاً لا يتركه حتى يكون واضحاً جلياً فى جميع جوانبه.
ثم وجه الناس إلى العناية بهذه اللغة وآدابها، ونقل كثيراً من خير
الأدب العربية إليها، وكان له رأى فى الترجمة إلى اللغة الأردية بديع،
وهو عدم التقيد بالحرفية فى الترجمة، ويرى أن هذا أسلوب واه ضعيف.
و كان العلامة السيد سليمان الندوى من أنجب تلامذة العلامة شبلى
النعمانى، ولكنه كان يقدم عليه مولانا أبا الكلام آزاد، وتؤكد ذلك عدة
قصص، وقد روى بعضها العلامة السيد نفسه كذلك، فدرج فيما يلى قصة
منها كتبها الشاه معين الدين الندوى فى " حياة سليمان " يقول :

" كان العلامة السيد سليمان الندوى يعرف لمولانا
أبى الكلام آزاد عقله وفكره وذكاءه وبديته وعلمه
وسعة نظره، وقد سمع كاتب هذه السطور غير مرة
عنه يعترف بذلك ذكر لنا مرة أن العلامة شبلى

ونقضى الوقت فى الأحاديث العلمية والأدبية، وإنها مجالس ومصاهبات لن أنسى لذاتها ومتعتها طول حياتى، ولقد استفدت منها كثيرا، دفنت مع العلامة المرحوم بجانب فضائله ومآثره الكثيرة. هذه المصاحبة الممتعة التى لم أظفر بها بعد موته فى أى ناحية من نواحي البلاد ولا فى أى دائرة من الدوائر العلمية والأدبية ودفن معه ذوقه العلمى، الذى يتسم بالاتساع والأخذ من كل شىء، بطرف" (٤)

أقام مولانا أبو الكلام فى دار العلوم لندوة العلماء من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م حتى مارس سنة ١٩٠٦م وطبعت له خلال هذه المدة المقالات التالية :

- ١- الغرب والثروة العلمية للمسلمين..... (عدد أكتوبر سنة ١٩٠٥م)
- ٢- المرأة المسلمة (أعداد نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٠٥م وفبراير سنة ١٩٠٦م)
- ٣- الأخبار العلمية (أعداد ديسمبر سنة ١٩٠٥م ويناير وفبراير سنة ١٩٠٦م)
- ٤- حاجة دار العلوم لندوة العلماء إلى مكتبة علمية (عدد فبراير سنة ١٩٠٦م)
- ٥- القضاء فى الإسلام (عدد فبراير سنة ١٩٠٦م)
- ٦- تعليم الحكم فى أوربا (عدد مارس سنة ١٩٠٦م)

يكتب العلامة السيد سليمان الندوى وهو يعلق على هذه الفترة التى قضاها مولانا آزاد فى الندوة :

" من مفاخر الندوة أنها أعدت رجالات برزوا ونبقوا فى العلم والفن ولا تزال مفاخرهم وأعمالهم علماً يهتدى به فى الظلمات، فشارك مولانا أبو الكلام آزاد فى إدارة مجلة "الندوة" فى الفترة ما بين أكتوبر سنة ١٩٠٥م ومارس سنة ١٩٠٦م، ولم يكن قد ذاع صيته فى الدوائر العلمية حتى ذلك الحين لقى العلامة شبلى النعمانى وكان هذا اللقاء تاريخياً جعل أبا الكلام مولانا أبا الكلام، ثم استصعبه إلى الندوة، فأقام مولانا آزاد معه واستفاد من مجالسه

فقداء للثقة بانتقادك وتديقك، فإنك ترى مجالس

ممتعة وتفضلها على مجالس الآخرين"

وكتب إليه في رسالة أخرى :

" لقد تغالبني دائما فكرة زيارة كلكتة! ولكن كيف

السبيل إلى ذلك، فلا أنفك عن حمل عدة رفوف من

الكتب من أجل تأليف " السيرة "

كان العلامة شبلى النعماني من المحبين الميثمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان له شغف خاص لسيرته الميمونة المباركة، فخطط لتأليف كتاب ضخيم شامل حول السيرة معتمدا على المصادر الموثوقة بها، وأكمل جزئين من هذا الكتاب في حياته، و فرغ من تأليف جزئه الأول سنة ١٩١٢م، وتشرفت صحيفة " الهلال " التي كان يصدرها مولانا أبو الكلام آزاد، بأن تنشر بعض صفحات منه، و علق عليه و كان لمولانا أبو الكلام آزاد تعليقا طويلا، نقتبس فيما يلي بعض أجزائه المهمة :

" لعل المتابعين للصحيفة يعرفون أن شمس العلماء

العلامة شبلى النعماني مشغول بخدمة علمية دينية

عظيمة أي تأليف كتاب جامع شامل في السيرة

النبيهة، لم يؤلف مثله في اللغات الأردية والعربية

والتركية، ولكن لا يقدر العراقيون والصعوبات في

هذا السبيل إلا قليلون، فالحق أن هذا العمل لم يكن

لينهض به شخص واحد مهما بلغ من الفضل والنبوغ

ذروتها، فإنه يتطلب بجانب الكفاءة والعقل،

الجهد والوقت كذلك، كان من الضروري الواجب أن

يؤسس مجمع علمي مكون من خيرة العلماء الأفاضل

يعمل على منهج المجامع العلمية الغربية، ولكن

بالأسف الشديد فقد تعاني من قلة القلوب والأفكار

على السواء، وإن الرجال لا يصاغون في آلة

ميكانيكية " (٩)

وفي آخر أيام حياته لما يؤسس العلامة شبلى من حياته كان يغالبه هم و قلق شديدان في شأن إتمام كتابه " سيرة النبي " حسب الخطة التي رسمها، فبعث برقيات إلى مولانا أبو الكلام آزاد، و مولانا حميد الدين الفراهي، و مولانا السيد سليمان الندوي كتب فيها :

النعمانى طلب منى أن أعد مقالا عن الامام البخارى رحمه الله فبدلت جهدا كبيرا فى إعدادة، ثم قدمته إليه، ولكنه لم يعجبه، بينما نحن كذلك، إذ دخل مولانا أبو الكلام آزاد فطلب منه أن يكتب حول هذا الموضوع، فلم يقم بأى إعداد وإنما ألقى نظرة على مقالى، وأعد المقال وقدمه فى اليوم التالى إلى العلامة شبلى، فقال: "المقال هذا" (٦)

إن المقالات التى دبجها الكاتب البار مولانا أبو الكلام آزاد فى مجلة "الندوة" زادت صيته ذيوفاً وانتشاراً، وأعجبت بها الدوائر العلمية، وبدأ الناس يتساءلون من كل جانب عن شخصيته، كتب مرة العلامة شبلى النعمانى إلى الأديب الأردى القدير المعروف المهدى الأفادى: "لعلك قد اطلعت على آزاد فى صحيفة "المخزن" وغيرها، فالقلم نفسه، ولكن إقامته هنا زادت اتساعاً فى المعرفة والعلم" (٧)

وإن القصة التالية تلقى الضوء على مدى تأثير العلامة شبلى النعمانى، فقد زار العالم المصرى المعروف العلامة رشيد رضا الهند سنة ١٩١٢م على دعوة من ندوة العلماء، وعقد اجتماع تاريخى فيها فى ٦/أبريل سنة ١٩١٢م، دعا العلامة شبلى للمشاركة فيها مولانا أبى الكلام آزاد بصفة خاصة، حتى يقوم بترجمة خطبة العلامة رشيد رضا إلى اللغة الأردية، فقام بهذا العمل أحسن قيام، وأثر فى قلوب الحضور والمستمعين، ولعل العلامة شبلى يكون كذلك قد اعتر باختياره، يقول العلامة السيد سليمان الندوى وهو يتحدث عن تفاصيل هذا الاجتماع، لقد ظهرت فى هذا الاجتماع مناظر غريبة لبداية مولانا أبى الكلام وإرتجاله، وقدرته على الكلام، كان يقوم بترجمة خطب العلامة رشيد رضا فيثير بكلامه الساحر الأخاذ هزات فى القلوب* (٨)

ثم ان مولانا أبى الكلام آزاد انعزل عن "الندوة" لبعض الأسباب، ولكن ظلت العلاقة بينهما مخلصه ومتودة، وكان كل واحد منهما يستشير من صاحبه ويرجع إليه فى مشاكله وقضاياها التى تواجهه، وتدل على ذلك المراسلات بينهما*

يكتب العلامة شبلى فى إحدى رسائله إلى مولانا أبى الكلام آزاد: "أخى! بقدر ما ازداد، اقتناعاً بحبك وكرمك، ازداد

قلبى تطرأ عليه أحوال غريبة، لكن بالأسف لا أرى أنى
يمكننى أن أتشرف بـلقائك فى وقت قريب".

كيف الوصول إلى سعاد ودونها
قلل الجبال ودونها خيوف

إن الرسالة التالية التى كتبها مولانا أبو الكلام آزاد إلى مولانا الأمير حبيب الرحمن الشيروانى تكفى للدلالة على ما كان قلبه يضمّر من حب وإجلال وتقدير تجاه العلامة شبلى النعمانى :

"إن إشادة العلامة شبلى النعمانى بفذلك أكبر شهادة تظفر بها فى هذا العهد - فقد كانت شخصية مجموعة غريبة من المظاهر المختلفة من النبوغ والفضل - فقلما يمضى على شهر لا تورقنى فيه ذكراه مرتين أو ثلاث مرات، تغيب عنا، فدفتت معه مجالس العلم والفن، كان يقوم صباحاً كل يوم وكان والدى المرحوم قد عودنى على ذلك منذ صباى، وكانت هذه العادة المشتركة قد نظمنا فى سلك واحد من الألفة والأنس، كلما اجتمعنا كان السمر وقت المتعة واللذة لنا، تناولنا الشائى، تجاذبنا أطراف الحديث حول موضوعات العلم والفن والشعر والأدب، كان يحتل مكانة عالية خاصة لذوقه وفكره فى كل واد من العلم ويا له من جامع للمحاسن، طلب العلم على المنهج القديم، ولكن لم يصبه مس من التزمت والجمود، وإن جفاف الطبيعة التى هي من مویقات هذا الطريق كان بعيداً عنه بعداً تاماً، ومن الصعب العسير أن نظفر بمثال له فى معرفة الشعر والتذوق به، ولم يختم الشعر الفارسى فى الهند على القلب، بل على العلامة شبلى، ولقد خطر ببالى غير مرة أنه لو أعاراهتمامه بالشعر لما كان أدنى منزلة من الأستاذ غالب، ثم ان غالباً لا يقول الشعر إلا فى المجال الضيق من الغزل والمدح ولكن العلامة بجانب احتفاظه بالتذوق السامى للشعر الفارسى شق آفاقاً جديدة فى الفكر والخيال، ليشهد على ذلك شعره الوطنى فيمكننا أن نقول إنه أول شاعر سبق إلى تعريف الشعر الفارسى إلى جانب الاحتفاظ بأسلوب الشعرى بالآفاق الجديدة، ويتجلى ذلك واضحاً بدراسة الشعراء الوطنيين الإيرانيين فى العصر الحديث، فلا يعدو أن يكون كلاماً فارغاً".

و كتب مرة مولانا أبو الكلام آزاد عنه فى مجلة " الندوة " عدد إبريل

"لوزرتنى خلال هذه المدة لتحقيق أمر" سيرة النبى
فإنى أخشى أن تذهب جهودى هدرًا، ولو كان السيد
سليمان الندوى هنا لفسرت له القطة بكاملها" (١٠)

و هذه البرقية بعث قبل وفاته بأربعة أيام، و من سوء الحظ أن
مولانا آبا الكلام آزاد لم تصل إليه البرقية على حينها! إلا أن السيد سليمان
الندوى وصل إلى العلامة فأوصاه باتمام " السيرة " فأنفذها خير إنقاذ،
كتب السيد سليمان الندوى وهو يستعرض هذا اللقاء الأخير.

" ولم نعرف شيئاً عن مولانا أبى الكلام آزاد، تسلم
البرقية أم لا، أما أنا فكانت آنذاك فى بانكس فورى،
و غلبنى — من دون اشعار سابق — الشوق إلى زيارة
العلامة، و شددت الرحل صباحاً و من دون أن أخبر
أحدًا ، و لكن يا ويلاه، وصلت مساء ١٥ / نوفمبر،
و كانت قوته قد نفدت، و قفت قريباً من رأسه و عيناى
تسيلان الدموع، ففتح عينيه و نظر إلى متحسراً،
و أشار إلى بيديه أن ماذا بقى الآن؟ ثم نطق بلسانه
ان ماذا الآن، ثم سقوه بعض الأدوية، حتى جرى فى
جسمه تيار من القوة، فأخذ يدي بيده يستوثق منى
و قال: " السيرة " بضاعة حياتى، أترك الأعمال كلها
و اعكف على تأليف " السيرة " فقلت فى صوت نحيب
"لا بد ولا بد" (١١)

فوفى السيد بعهد، و أتم تأليف السيرة على المستوى الذى نهج عليه
العلامة شبلى النعمانى.

و كما أن العلامة شبلى النعمانى، كان قد أخذ بسحر ذكاء مولانا آزاد
و بديهته و وسعة دراسته و غزارة علمه، كذلك كان مولانا آزاد يشيد
بعلمه و فضله، يكتب مولانا آزاد فى إحدى رسائله إليه فى ١٦ / أكتوبر
سنة ١٩١٩ م :

" يا مولاي الجليل ! تسلمت " التعليقة الميمونة"
كتبت إلى أنى لا أرد على الأمور المهمة تساورنى
الدهشة و الاستعجاب، هل فى رسائلك شئ غير مهم،
يا ليتنى لقيتك، فتحدثت إليك بأحاديث كثيرة، إن

صلة مولانا أبى الكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان الندوى

بقلم : أفتاب عالم الندوى

دارالعلوم ندوة العلماء بلقناؤ

إن صلة مولانا أبى الكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان الندوى صلة وثيقة وطيدة، تحمل اعتبارات متنوعة وقديمة جداً، ذلك أن العلامة السيد سليمان الندوى من تلاميذ العلامة شبلى نعمانى أحد مؤسسى ندوة العلماء ومجمع "دار المصنفين" والذى يعتبر من رواد التعليم وأحد أساطين اللغة الأردية وأبرز المصلحين الاجتماعيين، كما أن مولانا أبى الكلام آزاد ارتوى أيضاً من منابع علومه، ونهل من نعيم فكره، وتربى فى أحضان عنايته، فهما إذن زميلان، وقد عاشا مدة من الزمن كزميلين فى رحاب دارالعلوم ندوة العلماء بلقناؤ وساعده العلامة السيد سليمان الندوى فى إدارة صحيفة "الهلال" بكلكتا، وزاول معه نشاطاً ملموساً فى مجال الانتفاضة السياسية والأعمال الوطنية والشئون الدينية المختلفة، كما أنهما متقاربان فى المكانة العلمية الفكرية والقيادة الدينية، وبناء على هذه الروابط الوثيقة* فقد جرت بينهما مراسلات ودية أخوية وعلمية أدبية، مما شكل بينهما علاقة وثيقة لم تزل تتوطد بالحب الزائد والثقة المتبادلة*

صلة الحب والإخاء :

إن علاقة مولانا أبى الكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان الندوى أولاً وقبل كل شيء علاقة ودية أخوية، بل علاقة شقيقين، يتجلى ذلك من جميع أعماله ونشاطاته العلمية والسياسية التى أنجزها مع السيد الندوى بدءاً

سنة ١٩١٠م :

"إن شبلى النعمانى يقوم الآن بخدمة جليلة غالية
فاقده المثل تجاه لغتنا وأدبنا، وعلومنا وثقافتنا،
لايستطيع العالم الإسلامى بأسره أن يحزبه بأياديه"
هذا استعراض موجز للعلاقة بين عالمين بارزين من أعلام الهند
الحديثة يلقي ضوءاً كافياً على انسجامهما الفكرى وحدتهما الذوقية،
وتفوقهما فى مجال العلم والأدب.

المصادر:

- ١- انظروا " حياة شبلى " ص: ٤٤٤، و " مولانا أبو الكلام فكر وفن " ص: ٤٤-٤٥
و " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " ص: ٢١٢
- ٢- " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " ص: ٢١٢
- ٣- المصدر السابق: ص: ٣١٤-٣١٥
- ٤- المصدر السابق: ص: ٣١٥
- ٥- " حياة شبلى " ص: ٤٤٣-٤٤٤
- ٦- " حياة سليمان " ص: ٦٤٧-٦٤٨
- ٧- " رسائل شبلى " ص: ٢٣٤/٢
- ٨- " حياة شبلى " ص: ٥٠١
- ٩- صحيفة " الهلال " ص: عدد ٢٢ / يناير سنة ١٩١٣م
- ١٠- كان العلامة شبلى النعمانى رسم خطة لتأليف كتاب شامل عن السيرة النبوية تتوفر فيه شروط البحث والتحقيق، فألف منه جزئين حتى وافاه الأجل، وألف الأجزاء الخمسة الباقية تلميذه النقيب العلامة السيد سليمان الندوى.
- ١١- " حياة شبلى " ص: ٧٢٢

على كل حال تصور أنى زميلك و رفيقك، و أستعد لخدمتك كل حين
وآن، من الأسف الشديد أن لاتسمح لنا فرص اللقاء، ليت الله أتاح لنا
فرص الاجتماع* (٣)

نحت رعاية العلامة شبلى النعمانى :

إن العلامة شبلى النعمانى أحد مؤسسى ندوة العلماء و مخطط مجمع
" دار المصنفين " و أحد أساطين اللغة الأردية و الذى يعتبر من رواد
التعليم و التربية و النهضة العقلية و الفكرية فى بداية القرن التاسع عشر
فى الهند، و أبرز المصلحين الاجتماعيين قدم فى رحاب ندوة العلماء
كوكيل التعليم فى ١٥/ صفر ١٣٣٢ هـ المصادف ابريل ١٩٠٥ م فابتهج
الطلاب بقدموه الميمون و إقامته فى رحاب ندوة العلماء و تهللت وجوههم
بشرا، حتى عقدوا حفلات و ألقوا كلمات ترحيبية، و قرى السيد سليمان
الندوى قصيدة فارسية معروفة عبر فيها عن الارتياح و السرور البالغ الذى
غمر وجوه الطلاب عن آخرهم*.

و بما كان يتمتع به العلامة شبلى النعمانى من الذكاوة البالغة و نفاذ
البصر و سلامة الفكر و سداد الرأى و حسن التوفيق فى تربية الطلاب
و تنمية الكفاءات و تثقيف المواهب بأروع حد ممكن، فلم يلبث أن جمع
حوله عدة طلاب أذكىاء نجباء، و بدأ يربيههم على حب العلم و الدراسة
المضنية و المطالعة الرصينة و الخطابة الرنانة و الكتابة الموضوعية
الواعية، و من سعادة الحظ أن العلامة السيد سليمان الندوى و أبو الكلام
آزاد كليهما ممن تربوا فى أحضان رعايته الخاصة و نهلوا من منابع علومه
و معارفه و أرووا غلتهم من العلم و الدراسة و الخطابة و الكتابة بل و قيادة
الشعب فى مختلف مجالات الحياة*.

كمساعدى لرئيس تحرير مجلة " الندوة " :

و كان العلامة شبلى النعمانى من حسن تربيته للطلاب و تنميته
لكفاءاتهم العلمية و الفكرية أنه عندما أصدر مجلة " الندوة " الأردية لسان
حال " ندوة العلماء " من لكانا لم يحجزها لنفسه بل فوض مساعدة إدارتها
إلى الطلاب النجباء الذين لمس فيهم جراثيم الوعى و النجابة و بذلك هيا

من مرافقته في محيط دار العلوم ندوة العلماء و مروراً بزمائته في مساعدة رئاسة التحرير لصحيفة " الندوة " لسان حال ندوة العلماء و العمل في " الهلال "، و انتهاء إلى مشاركته في دعم الانتفاضة السياسية و ممارسة الأعمال الوطنية، و الخدمات الدينية، و قد كسدت هذه العلاقات لمدة قصيرة في الوسط لأجل بعض الشبهات التي أثّرت حوله لدى العلامة الندوي، ولكن ما إن انقشعت هذه الشبهات حتى عادت العلاقات بينهما كأقوى و أوثق ما كانت عليه من قبل، كما أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ عبد الماجد رئيس تحرير " صدق " و صاحب تفسير القرآن الكريم في مقدمة تأليفه " مكتوبات سليمان " (١)

و يدل على أن علاقته مع العلامة الندوي علاقة ودية أخوية ما كان يبثه في رسائله إلى العلامة الندوي من أحاديث مفعمة بالحب و الهيام و بعيدة عن كل تكلف و اصطناع، حيث يكتب إليه في إحدى رسائله يقول :

" كيف قلت إنني أنساك و لعل العلاقات القلبية الودية لا تتوقف على تواصل المراسلات و استمرارها، و ثقّ بأن وحدة المشرب و توافق الوجهة و توارد الفكر في خضم هذا الجهل السائد و الفساد المنتشر لرابطة قوية و وثيقة بحيث إن حاول أحد منا أن ينسئ الآخر ما استطاع :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلي بكل سبيل (٢)

و يكتب إليه في رسالة له بتاريخ ٢٧ / يناير ١٩١٥ م من كلكتة يستهلها متمثلاً ببيت الشاعر :

عجبت لمن يقول ذكرت الفـي

و هل أنسى فأذكر من هويت

صديقي العزيز الأجل !

عدت صباح أمس من السفر و قرأت رسالتك، لعلك سبقتني في توجيه العتاب و الشكوى إليّ، لكن لا يبقى لي المجال لذلك،

بينى و بينك في المحبة نسبة مستورة من أهل هذا العالم

نحن الذان تفارقت أرواحنا من قبل خلق الله طينة آدم

و دبح مولانا أبو الكلام آزاد أول مقالة له في مجلة " الندوة " بعنوان " ذخيرة علوم المسلمين وأوربا " ونشرت في أكتوبر ١٩٠٥م ثم كتب تعليقا مفصلا ردا على ما كتبه قاسم أمين بك المصري و فريد وجدي المصري من سفور المرأة و عدم تحجيبهن بعنوان " المرأة المسلمة " .
ذاعت شهرته في أرجاء الهند بمقالاته العلمية و بحوثه القيمة في صفحات " الندوة " حتى بدأت توجه إليه الدعوات من الصحف و المجلات فانضم إلى الجريدة اليومية " وكيل " الصادرة من أمرتسر (بنجاب) *
و بعد مغادرته إلى أمرتسر ألقى العلامة شبلى النعماني هذه المسؤولية على عاتق العلامة السيد سليمان الندوي الذي أداها فأحسن، و بما أن " الندوة " كانت تستهدف أيضاً التربية العلمية للطلاب، لذلك مازالت هذه المسؤولية تنتقل من طالب إلى آخر * فتولى هذه المسؤولية السيد سليمان الندوي و عبد السلام الندوي منذ ١٩٠٧م إلى ١٩١٢م في أزمان مختلفين، و فيما يلي بعض المواضيع التي كتبها العلامة الندوي أثناء عمله فيها :

سنة ١٩٠٧م : علم الهيئة و المسلمون، إنجيل برنابا، سعة اللغة العربية
سنة ١٩٠٨م : قضية الارتقاء و القرآن الكريم ، ابن خلكان، الإيمان بالغيب
سنة ١٩٠٩م : مكررات القرآن الكريم، المرادف الإسلامية، تحريم الخمر
سنة ١٩١٠م : مكتبة الأسكندرية،
سنة ١٩١١م : الاشتراكية و الاسلام، دين الاسلام و العقل، أسماء القرآن الكريم
سنة ١٩١٢م : العذاب،

مشاركة العلامة السيد سليمان الندوي في إدارة "الهلال" :

و قد سبق أن ذكرت آنفاً أن العلامة السيد سليمان الندوي من تلاميذ العلامة شبلى النعماني، و مولانا آزاد إرتوى أيضاً من منابع علومه واستفاد من تجاربه، و كلاهما اشتغل في " الندوة " كمساعد رئيس التحرير فكانا زميلين، لأجل ذلك كله لما أصدر مولانا أبو الكلام آزاد صحيفته الشهيرة " الهلال " سنة ١٩١١م و لم يمكنه فيما بعد أن ييرها اهتمامه اللائق لكثرة أشغاله السياسية و الأعمال الوطنية طرد، من العلامة السيد سليمان الندوي أن يتولى إدارته، فلم يود العلامة السيد سليمان الندوي مغادرة ندوة العلماء و لكن استقالة العلامة شبلى

لهم فرصا مواتية ليثقفوا كفاءاتهم العلمية والفكرية و ينموا مواهبهم الكتابية ويتدربوا على سليقة الكتابة الجادة والعرض الموضوعي، فلعبت مجلة " الندوة " دورا بارزا في رفع مستوى الطلاب العلمى والفكرى و تزويدهم بالسليقة الأدبية الرائعة و تدريبهم على التعبير عما يدور في خلدهم في أسلوب يستهوى القلوب ويلفت الأنظار، وذلك بما تضمنته من مواضيع مستجدة نابضة بالحياة، مثل إحياء العلوم الاسلامية و التطبيق بين المعقول والمنقول، و المقارنة بين العلوم القديمة منها و العصرية، و تعديل المقررات الدراسية في المدارس العربية وغيرها من المواضيع الحديثة، كما أنها نفخت روحا جديدة في صفوف العلماء الساكنة و أحدثت ثورة في آراء العلماء وأفكارهم كما يتحدث عن ذلك العلامة السيد سليمان الندوى :

" إنها أحدثت ثورة في آراء العلماء، و مهما كرهت نفوسهم و تقطب جبينهم، لكنهم قرؤوها و اضطروا إلى أن يقرؤوها، و من أهم حصائدها أنها فتحت أمامهم باب المواضيع الحديثة، و عرفتهم بطرق جديدة لخدمة العلوم الاسلامية، و زودتهم بأساليب جديدة من البيان و اللسان"(٤)

و من مفاخر مجلة " الندوة " و آثارها الخالدة أنه كم من الكتاب الخاملين حازوا بها صيت الدنيا العلمية و برزوا على مسرح العلم و الفن، و لاتزال تدوى الأرجاء بمكارمهم العلمية و إنتاجاتهم الرائعة و ترتج بها منارات المعاهد و المجالس و الجمعيات، و الجدير بالذكر منهم العلامة السيد سليمان الندوى و مولانا أبو الكلام آزاد، حيث اشتغلا في مجلة " الندوة " كمساعدى رئيس التحرير زمنا، أما أبو الكلام آزاد فقد عمل فيها منذ اكتوبر ١٩٠٥م إلى مارس ١٩٠٦م، و لم يكن آنذاك أحرز صيته في الأوساط العلمية، و إنما لقي العلامة شبلى النعمانى في بومباي سنة ١٩٠٥م فدعاه إلى ندوة العلماء، و وضعه تحت رعايته و عنايته الخاصة، و كان مولانا آزاد يتساهم في المجالس العلمية الفردية منها و الإجتماعية، و لم يزل يتقدم و يقطع أشواطا بعيدة في الرقى و الازدهار و النضج و الرصانة بفضل مواهبه الطبيعية الفريدة حتى أصبح منشأ صاحب أسلوب فائن رائع و كاتب مترسلا بديعا في اللغة الأردية، و ذلك ما تجلى بأروع مظاهره في مجلة " الهلال " (٥)

القرآن الكريم" و " صفحة من تاريخ حبشة" و " قصص
بنى اسرائيل" و " المجزرة الكبرى " وغيرها من
المقالات لى وليست لأبى الكلام آزاد" (٧)

و وجه اللبس يرجع إلى أن السيد الندوى حاول محاكاة أسلوب
أبى الكلام و قد نجح فى ذلك فعلا، فاصطبغ أسلوبه الجاد بشئ كثير من
أسلوبه الخطابى الثائر المتحمس و بدأ يكتب فى أسلوبه الجزل المتدفق
كالشلال حتى صعب التمييز فى بعض كتابات تلك الأيام بين ما هو للسيد
الندوى و بين ما هو لأبى الكلام آزاد، و تتجلى صيغة أسلوب أبى الكلام
آزاد خاصة فيما يلى من كتابات العلامة الندوى :

١ - افتتاحيات عدة أيام بدائية لمجلة " معارف " *

٢ - عدة مقالات متفرقة *

٣ - أرض القرآن *

٤ - لون ضئيل فى " حياة شبلى " *

علاقته بمجمع " دار المصنفين " :

إن مجمع دار المصنفين تذكاري للعلامة شبلى النعمانى و هو الذى رسم
خطته و كان يحاول أن يكون هذا المجمع فى رحاب ندوة العلماء تحقيقا
للأهداف التى تنبئها ندوة العلماء و تربية للطلاب عقليا و فكريا، و لذلك
لما انعقد اجتماع ندوة العلماء فى دلهى و قدم فيه تقريره عنها كوكيل
التعليم ضغط على تأسيس مكتبة قومية عامة، فان المجمع يتوقف نجاحه
المنشود على مثل هذه المكتبة و لكن مسئولى ندوة العلماء عارضوا هذا
الإقتراح فشددوا، حتى يؤس منهم و قرر إنشاء فى مديرية " اعظم كره"
بولاية اترابرايش، و قد رسم خطته و اختار بعض طلاب أذكىاء من ندوة
العلماء و لكن لم يتحقق حلمه الذهبى عمليا حتى استأثرت به رحمة الله
فتحمل السيد الندوى هذه المسئولية الضخمة و لم يحقق هذا الهدف
النبيل فحسب بل وسع نطاق هذا المجمع و بلغ به إلى أوجه و كان
أبو الكلام آزاد لعلاقته مع العلامة شبلى النعمانى، و العلامة السيد سليمان
الندوى كذلك شديد العناية بشئونه منذ البداية بل كان هو أيضا ممن
أشاروا على إنشائه و هو الذى نشر هذا الإقتراح فى صحيفة " الهلال "
وبته فى طول البلاد، و كان يتحف مجمع دار المصنفين بأرائه القيمة

النعمانى من دار العلوم ندوة العلماء هزته هذا عنيقا و جعلته شريد
الخطر، قليل الرغبة فى ندوة العلماء، كما أن الهلال كانت تنسجم مع
طبيعته و وجهة نظره و ظل مولانا أبو الكلام يلح و يصصر عليه فاستقال من
ندوة العلماء سنة ١٩١٤م و انضم إلى صحيفة " الهلال " يذكر ذلك فى
رسالة له بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩١٤م يخبر فيها السيد عبد الحى الحسينى
عن ذلك قائلا :

" أنا الآن فى كلكته، و ما بال مرضك؟ أين أنت الآن؟
و قد انضممت إلى " الهلال " لإلحاح مولانا أبى الكلام
آزاد المتواصل، و سأقتاضى الراتب ثمانين روبية
شهريا، و الرجاء الزيادة فيما بعد" (٦)

و كان هذا هو الزمن الذى نفذت فيه دول بلقان بمساعدة الدول
الكبرى لأوربا هجمات الشرسه على دولة الخلافة، و توالى عليها النكبات
و وقف الغرب ضد تركيا لصالح أعدائها مما أهاج شعور المسلمين
و لاسيما الهند، و كانت هذه الضجة قائمة على قدم و ساق حتى وقع حادث
هدم مسجد كانبور فى أغسطس سنة ١٩١٣م الذى أريق فيه دماء
المسلمين و أطلق الرصاص على الأطفال الأبرياء، إن هذه الكارثة الدموية
أثارت ضجة شديدة فى جميع أرجاء الهند، و ملأت المسلمين مقتا و غضبا،
فكتب السيد سليمان فى " الهلال " ١٣ / أغسطس سنة ١٩١٣م بدماء قلبه
مقالة بعنوان " مشهد أكبر " (المجزرة الكبرى) يموج فى كل جملة من
جملها و كل سطر من سطورها بحر من الحمية الدينية و الفيرة الوطنية
الإسلامية، و قد عمل هذا المقال عمل الزيت على اللهب، فصادت
الحكومة على العدد الذى نشر فيه هذا المقال، و كتب علاوة على ذلك
مقالات أخرى فى " الهلال " و لكن بما أنها كانت تماثل كتابته كتابة
أبى الكلام أسلوبا و سلاسة و عرضا، و كانت أسماء أصحاب المقال لا تنشر،
لذا نسبت بعض المقالات عن خطأ إلى أبى الكلام آزاد، كما صرح بذلك
السيد سليمان الندوى نفسه فى مجلة " مستقبل " الصادرة من كراتشى فى
عدها اكتوبر ١٩٤٩م حيث يقول :

" بما أن أصحاب المقالات لا تكتب أسمائهم فى
" الهلال " لذا نسب الناشرون لمجموعات مقالات
الهلال كل مقالة إلى أبى الكلام آزاد بدون أى تأكيد
و تحقيق، " فالحريه فى الاسلام " و " تذكار نزول

الجرائد، غير أنني عندما بدأت طال الكلام فاضطرت
إلى أن أرسله إليك، والرجاء أنك ستنشره في
"معارف" بعنوان يليق به (١٢)

ثقة مولانا آزاد بمكانة السيد الندوى العلمية و الفكرية :

كان مولانا آزاد يضع الثقة في مكانة العلامة السيد سليمان الندوى العلمية ومستواه الفكرى وإلمامه الواسع ما جريت التاريخ والأوضاع الراهنة وقد كان جرب صدقه وأمانته و حلو عشرته و دماثة خلقه و انفتاح طبعه و انبساط خاطره و بشاشة محياه أثناء إقامته بندوق العلماء و زمالته في مساعدة رئاسة تحرير مجلة " الندوة " فكان يتمنى دائما أن يساعد العلامة السيد سليمان الندوى، ويقاسمه بعض ما يهيمه و يثقل كواهله من أمور الصحافة وإدارة "الهلال" و "البلاغ" حتى يتفرغ للشئون السياسية والأعمال الوطنية الخطيرة التى تشغل باله و تستحوذ على فكره و عاطفته بين فينة وأخرى، فأحيانا يدعوه إلى إدارة البلاغ و مجمع " دار الارشاد " وأخرى يدعوه إلى إدارة صحيفة " الهلال " و " اقدام " حيث يكتب إليه في رسالة له قائلا :

" إن مجلة " البلاغ " التى قد تم إصدارها، أ جعلها
تحت رئاسة تحريرك، و واصل إصدارها محتفظا
بخصائصها و مميزاتا في صورة مجلة توجيهية
و دينية خالصة، و قضية أخرى أهم و أخطر من هذا
هى قضية دار الارشاد، إن استطعت أن تواصل
تدريس العلوم الإسلامية و القرآن الكريم في ضوء
الأسس و المبادئ التى لاتخفى على خبير مثلك فدار
الارشاد أيضا تحت وصايتك بجميع ما هو عليه،
و سيكون ذلك عملا أعظم و أنبه من السابق " (١٤)
و يكتب إليه في رسالة أخرى يدعوه فيها إلى إدارة جريدة " اقدام " :
" و بجانب " البلاغ " فقد صدرت جريدة يومية
" اقدام " معتدلة المذهب و مستقلة عن البلاغ تماما،
ستكون هى كذلك تحت رئاسة تحريرك مع هيئة كبيرة
من الموظفين لها " (١٤)

و مشورته النافعة بين فينة وأخرى، و يعتقد به آمالا واسعة و يرى فيه تعبيرا للأحلام التى طالما تطلع إليها أستاذة و مربيه العلامة شبلى النعمانى، كما كان يشجع زميله السيد سليمان الندوى و يحثه على تحقيق الهدف الذى توخاه العلامة شبلى النعمانى من وراء هذا المجمع، حيث يكتب إليه فى رسالة بتاريخ ٢٧/ يناير ١٩١٥م :

" يمكن أن يكون مجمع دار المصنفين بكل يسر و سهولة مجمعا قيما واسع النتائج و بديلا حقيقيا لدار العلوم ندوة العلماء بل و أحسن، إنما العمل الأصيل عملك و مادونه فهو فروع و أعمال جانبية فلا بد أن يكون الهدف المنشود من حياتك صناعة الرجال" (٨)

و يكتب فى رسالة أخرى :

" لا بد أن يكون مركزه فى لكاناؤ أو أعظم جره بشرطه أن يكون له فرع واسع فى لكاناؤ" (٩)

و يكتب فى رسالة ثالثة أخرى :

" تسلمت " أصول" مجمع" دار المصنفين" التى أرسلتها من أعظم كره و كلها عدا بعض مواده أقوم و أنسب، و الآن عليك أن تقوم بتسجيله بسرعة و تبدأ عمله تطبيقيا" (١٠)

و يكتب إليه فى رسالة له يشيد فيها بالأهمية و المكانة التى تتمتع بها مجلة " معارف" و علو كعبها فى مضمار الصحافة :

ما هو الذى تقول عن " معارف" إنما هى وحدها مجلة بما فى الكلمة من معنى، و هى مجلة تتضاءل أمامها جميع المجلات، فالحمد لله على أن أمانى استاذنا العلامة شبلى النعمانى لم تذهب سدى - و أصبح المجمع بفضل جهودك المتواصلة مكانا يختص بخدمة العلم و التصنيف و التأليف فقط" (١١)

و كان مولانا أبو الكلام آزاد أحيانا يرسل مقالاته و بحوثه للنشر فى مجلة معارف، كما يشير إلى ذلك ما كتبه فى إحدى رسائله إلى العلامة السيد الندوى حسبما يلى :

" تنتشر اليوم جهالة جهلاء و ضلالة عمياء بالنسبة لبعض القضايا و قد أردت أن أنشر عنها بحثا و جيزا فى

لفهم القرآن الكريم بأسره" (١٠) :
ويكتب إليه بهذا الصدد في رسالة أخرى :
" لم أكن فهِمت معنى " شهاب ثاقب " كلياً، فإن هذا
النص الغامض يحتمل عدة تأويلات، فاضطرت إلى
اختيار مذهب الظواهر والمحدثين : كفيته مجهول والسؤال
عنه بدعة والإيمان به واجب، لا يعلم تأويله إلا الله،
غير أن الذي يبعث على الأمل والإقدام أنه ورد " إلا
من ارتضى من رسول " وقد وفقت لدرجة الأشاعرة
المتكلمين بعد استقصاء طويل، و لكن الذين
يتطلعون إلى مكانة أصحاب الكشف لعالم الحقائق
الأصلية تنكشف لهم الأمور جلية بصورة حقيقية" (١٧)

مشاركتهما في الأعمال السياسية و الوطنية :

وها أنا الآن أستعرض مساهمتهما الملموسة في الأعمال السياسية
والوطنية فإن موقفهما تجاه تحرير البلاد من براثن الاستعمار وإعادة
الخلافة المحتضرة، واستعادة مجد المسلمين التليد و متابعة ظروفهم
السياسية في الهند خاصة و في العالم كله بصورة عامة، وإيجاد حلول
ناجعة لقضاياهم السياسية، موقفهما من ذلك كله موقف مماثل، و يتوافق
إتجاههما في الأمور السياسية و الأمور السياسية و الأعمال الوطنية، مما
يحدوني إلى استعراض نشاطاتهما المشكورة في مجال السياسة، حتى
يتسنى لنا أن نقدر مدى تأصل جذور علاقتهما و توثق أواصر حبهما *

جمعية الخلافة و عمل أبي الكلام آزاد فيها بالانضمام إلى حزب المؤتمر :

لم تكن قضية انهيار الدولة التركية تهمة تركيا فحسب بل شكل ذلك
خطراً يهدد جميع الأمكنة المقدسة للمسلمين و تشتت شمل المسلمين في
العالم الاسلامي كله، حتى أن أرض الحرم وقعت فريسة سيطرة الانجليز
بصورة غير مباشرة، مما أرق العالم الاسلامي كله و أقض مضجعه لاسيما
الهند، فانشئت جمعية باسم " جمعية الخلافة " لإعادة لدولة تركيا *
و بجوار هذه الجمعية كان هناك نشاط علماء الهند الذي انتظم في

و فى رسالة أخرى يدعوه إلى رئاسة تحرير صحيفة " الهلال " بشىء كثير من الالاحاح والتواضع :

" تعال و خذ صحيفة " الهلال " تماما و أشرف على إدارتها كيفما شئت، ولا يهمنى إلا أسسها و سياستها التى تتبناها، أفوضها إليك تماما و أتفرغ نفسى لأعمالى ، ولن يعنينى إلا أننى سأرسل إليك مقالاتى و بحوثى " (١٥)

المكاتبات العلمية :

و كانت تجرى بينهما مكاتبات علمية تدور حول القضايا العلمية و المباحث الفكرية و خاصة علوم القرآن و معارفه مما يدل على تماثل مستواههما العلمى و ينم عن روح الثقة و الاعتداد التى كانت تسرى فى رصيدهما العلمى و الثقافى، و قد كانا ارتويا من منابغ علوم مولانا حميد الدين الفراهى الذى أوتى شغفا زائدا بالقرآن الكريم و رزق تفهما لأسرارهِ الباهرة و إدراكا لمميزاته الخارقة لم يسبق إليه، فاصطبغت حياتهما العلمية و الفكرية بهذه الصبغة القرآنية الفريدة و انعكس ذلك بطبيعة الحال فى مكاتباتهما التى قلما كانت تظلو من مثل هذه المعانى العلمية حيث يكتب إلى السيد سليمان الندوى فى إحدى رسائله :

" مما يبعث على الارتياح و السرور أنه تم جزء كبير من التفسير " ترجمان القرآن " فى هذه الأيام الفارغة، كما أنه تم إخراج أوراق سيرة الإمام الشاه ولى الله رحمه الله و ترتيبها، و الترجمة تحت الطبع، و الآن أشتغل بكتابة مقدمة و جيزة لهذه الترجمة و ستكون بمثابة مقدمة للتفسير، و تتضمن مبدئيا شيئا كثيرا من مباحث و أمور جديدة " (١٦)

و يكتب إليه فى رسالة أخرى قائلا :

" كل ما كتبته عن أمثال القرآن الكريم صحيح تماما، و لاشك أن الظروف و الملابسات لزمن النزول و طرق التمثيل و بيان العرب الجاهلية كليهما يحتل مكانة حجر الزاوية ليس لفهم أمثال القرآن الكريم فحسب بل

و الهندوس معا، و تلاقى الاتجاه العام للمسلمين و الهندوس فى إتخاذ موقف موحد عدائى ضد الإنجليز يتمثل فى مقاطعتهم و إعلان عدم الولاء أو التعاون معهم، و كان مولانا أبو الكلام آزاد له دور قيادى فعال فى حركة المقاطعة و تحرير البلاد من نير الاستعمار، بل لا أكون مغاليا إذا قلت إنه كان الربان الماهر و العقل المفكر لقيادة هذه الحركة و كان هو الذى يتولى المفاوضات باسم الهند مع الإنجليز، و قد قام من عنفوان شبابه بحركته الاصلاحية التحريرية بين المسلمين و عمل على تحطيم كثير من الحواجز و المخاوف التى كانت تفصل بينهم و بين إخوانهم الهندوس نتيجة لرواسب كثيرة تفاعلت على مر السنين، و لم يزل يعمل مشمرا عن ساق جده و مضحيا بأعلى ما ملكه حتى نالت البلاد استقلالها المنشود، و يمكننا أن ندرك مدى تصلب موقفه من مقاطعة الإنجليز بما قاله فى مرافعته أمام المحكمة سنة ١٩٢٢م التى كانت تحاكمه على دعوة للمقاومة :

" إننى أعلن على مسمع من الحكومة و المحكمة بأننى ارتكبت هذه الجناية ارتكاباً، و إن كانت الحكومة لا تعلم — وهى و لاشك تعلم — فلتعلم أننى من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية فى قلب أمتهم، و وقفوا حياتهم على سقيها و تنميتها — و تسميرها بل إننى — و لافخر — أول مسلم فى الهند دعا أمته من اثنتى عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوة عامة "، (١٩)

و يستطرد قائلاً :

" إننى قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات خلال السنتين الماضيتين وحدى و مع " مهاتما غاندى "، و لا توجد بلدة إلا و خطبت فيها على مسئلة الخلافة و بنجاب و الحرية و اللاتعاون، و لقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى فى ديسمبر ١٩٢٠ مع الحزب الوطنى فى " ناكبور " و جمعية العلماء فى ابريل ١٩٢١م فى بريلى، و جمعية العلماء العامة فى نوفمبر فى مدينة لاهور ... و قد رأست هذه الجمعيات كلها و خطبت فيها خطبا طويلة و قلت فيها ما قلت " (٢٠)

"جمعية علماء الهند" التي تلاقى مع جمعية الخلافة في أهدافها، كما كان مع هذه المنظمات الإسلامية، الخالصة "حزب المؤتمر الوطنى" الذى ضم فى رحابه الهندوس وكثيرا من المسلمين الذين كانوا يرون خلاص الهند فى اتحاد أبنائها ضد المستعمرين، حتى اضطر الانجليز لمصانعتهم ولكن دولة الخلافة مازالت فى انهيار تتوالى عليها النكبات وأخذ الانجليز يديرون ظهورهم للوعود التى بذلوها من قبل للمسلمين، فطفقت نار الكراهية تتأجج فى صدور المسلمين بصورة أشد، وزاد الطين بلة أن أصدر الانجليز قانونا فى الهند سنة ١٩١٩م بعد انتهاء الحرب يبيح لهم الاعتقال والقمع دون تحقيقسمى "بقانون التمرد" فأثار هذا أيضا الهند بكل طوائفها، وعادت تموج على اختلاف أديانها وهيئاتها بالفليان النفسى ضد الإنجليز، فلم يكن من الممكن لآزاد أن يتغافل عما يجرى حوله ولا يخطر بنفسه لإثارة العواطف وتكيف النفوس للصمود فى وجه العدو فاندفع للعمل السياسى بكل ما أوتى من مواهب وكفاءات واختار العمل مع حزب المؤتمر وأبلى فى ذلك بلاء حسنا وقد أصدر مجلة "الهلال" ثم "البلاغ" وصادف ذلك أن العالم الإسلامى كان يؤرقه آنذاك هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب، ثم جاءت بعد ذلك حروب بلقان مع دولة الخلافة ووقوف الغرب ضد تركيا، مما أحدثت ضجة كبيرة فى العالم الإسلامى وأثار تأثيرته فكان له فى ذلك صولات وجولات على صفحات "الهلال" المشرقة واستخدم كل ما أوتى من مواهب القلم واللسان وكفاءات التوجيه والإرشاد فى إشعار المسلمين بواجبهم نحو الخليفة العثمانى خليفة المسلمين جميعا، حيث كتب فى الهلال بتاريخ ١٦ / سبتمبر سنه ١٩١٢م يقول:

"إن كل مسلم أينما كان فى أى رقعة من الأرض، إذا كان من أهم واجباته أن يعمل على بقاء الاسلام، فإن من فرائضه الدينية أن يحافظ على مكانة الخلافة العثمانية فى قلبه، وأن يعد الدولة التى تعتدى عليها من أعداء الإسلام" (١٨)

حركة تحرير البلاد و عدم الولاء للحكومة :

وفى ذلك الوقت نشطت الدعوة لمقاطعة المستعمر من قبل المسلمين

كان العلامة الندوى قد بدأ صيته ينتشر فى أرجاء الهند بقيام مجمع دار المصنفين و صدور مجلة " معارف " و تأليف " أرض القرآن " و " سيرة النبى " و كان هو وحده من بين علماء عصره يجمع بين القديم و الجديد فاختر لعضوية وفد الخلافة تمثيلا للمسلمين دينيا *

حركة " عدم الولاء " :

قد عرفتم فيما سبق أن نقض الإنجليز لوعودهم و نفاذ " قانون التمرد " قد أحدث فى الهند ضجة كبيرة، و لما لم تول الحكومة هذه القضية أى اهتمام عقد حزب المؤتمر الوطنى اجتماعه الخاص بكلكتا فى سبتمبر سنة ١٩٢٠م تم فيه الاتفاق على قرار " عدم الولاء " للحكومة، و انعقد بعد ذلك بثلاثة شهور الاجتماع السنوى التاريخى لحزب المؤتمر بناكبور فى ديسمبر سنة ١٩٢٠م توثيقا لهذا القرار *

و كانت حركة " اللاتعاون " تتضمن مقاطعة المعاهد الحكومية و رفض المساعدات الرسمية، و كانت دار العلوم ندوة العلماء تتقاضى خمسمائة روبية شهريا، فنشأت مشكلة رد مساعدتها كذلفتها و كان كثير من أعضاء اللجنة العاملة و لاسيما عضوها الهام مولانا حبيب الرحمن خان معارضا لحركة " عدم الولاء " نفسه، فشهدت قضية رد المساعدة خلافا حادا، و لكن العلامة السيد سليمان الندوى مازال يبذل جهده حتى اتفقت اللجنة على ذلك بعد نقاش طويل (٢٢) *

حركة الخلافة و دور " دار المصنفين " الرائع فيها :

بعد اجتماع حزب المؤتمر بناكبور ارتجت أجواء الهند بحركة عدم الولاء و أصبحت مديرية " اعظم كره " مركزا هاما لها، و صار مجمع دار المصنفين موثلا لكبار زعماء الهند العاملين، و كان مولانا مسعود علي تولى الاشراف على إدارتها فى مديرية " اعظم كره " و إن جميع الزعماء البارزين ينزلون بمجمع دار المصنفين كلما زاروا اعظم كره، فسعد مجمع دار المصنفين بضيافة كبار الزعماء العاملين أمثال مولانا محمد علي جوهر، شوكت علي، الدكتور الأنصارى، غاندى جى، و موتسى لال نهرو، و جواهر لال نهرو، و سروجنى نايدو *

العلامة السيد سليمان الندوي و مساهمته فى السياسة و الأعمال الوطنية :

و نعود الآن إلى العلامة الندوي فنستعرض خدماته السياسية وإنجازاته الوطنية لتتوصل إلى الخطوط والحلقات التى تربط بينهما * ولا يخفى على الجميع أن السياسة لم تكن موضوع قلمه و إنما كانت جولاته السياسية و جل شغفه بها يرجع إلى علم كلامه، فنطاق سياسته لم يكن إلا امتدادا لذلك * يعنى ذلك أن ما كان يحمله بين جوانحه من حب و هيام بالإسلام و المدنية الإسلامية و التاريخ الإسلامى كان يقتضى بطبيعة الحال أن يحب سيطرة الإسلام و يحنّ إلى انتصاره فى كل بقعة من بقاع العالم، وأن يؤد أن يرى الصورة التى طالما شاهدها فى الكتب يراها متمثلة بأروع أشكالها بين عينيه * كما كان يقتضى ذلك فى جانب آخر أن يغمض عينيه عن كل من ينتهك حرمة الاسلام و يدوس زهرة كرامته، هذه هى كانت سياسته، فأكرم بها من سياسة وأنعم *

يشهد مولانا شاه معين الدين الندوي مؤلف سيرته بممارسة نشاطاته فى مضمار السياسة و الأعمال الوطنية، حيث يقول :

" كانت فى تلك الأيام ثلاث حركات سياسية : حزب المؤتمر الوطنى، جمعية الخلافة، و جمعية علماء الهند، وكان السيد سليمان الندوي يساهم فى أعمال و برامج هذه الثلاث كلها، أما جمعية الخلافة، و جمعية العلماء فقد كان من أعضائهما العاملين المتحمسين و يهتم بجميع أمورها الهامة رأيا و خدمة * و كان يساهم كذلك فى الاجتماعات الهامة لحزب المؤتمر الوطنى و أصبح فيما بعد عضواً للجنة التنفيذية" (٢١)

جمعية الخلافة و خدماته فيها :

تبدأ نشاطاته السياسية بعضويته فى وفد الخلافة الذى بعث سنة ١٩٣٠م من قبل جمعية الخلافة إلى الاتحاديين فى لندن و فرانس تعبيراً عن عواطف المسلمين و مشاعرهم نحو الخلافة العثمانية *

رئاسته للإجتماع علماء بنغالة :

قام برئاسة الإجتماع السنوي لعلماء بنغالة المنعقد في كلحه سنة ١٩١٧م ، استهم فيه جميع زعماء الهند، وكان اجتماع الرابطة الاسلامية وحزب المؤتمر قد انعقد في نفس اليوم، لذلك احتل هذا الإجتماع أهمية كبيرة، وان الخطبة التي ألقاها العلامة الندوي في هذا الاجتماع ترك آثارا قيمة في بنغالة، وكانت أول خطبة ذكر فيها السيد الندوي أسماء أبى الكلام — وكان محبوسا آنذاك — وغيرهم بكل همة و جراءة، رغم الظروف المهيبة للحرب، مما أزال مهابة الإنجليز و رعبهم من قلوب الناس .

يتحدث الاستاذ رشيد أحمد الصديقي عن نشاطه السياسي بما يلي :
" ساهم في السياسة منذ البداية و خاض في أغوار
و أنجاد جميع الحركات السياسية و الوطنية بدأ من
حرب بلقان إلى انفصال الهند، و أمن من مغائرتها
و غوائلها " (٢٣)
و يقول سعيد أحمد أكبر آبادي :

" مازال يمارس سطاته في حركة الخلافة و تحرير
البلاد مع الزملاء العالمين حذو النعل بالنعل، فما هو
ذا يسافر إلى خارج الهند، و يحضر المجالس
الاستشارية، و يراقب العاملين الوطنيين عمليا " (٢٤)

إشادة السيد سليمان الندوي بمكانة أبى الكلام آزاد :

يشيد السيد الندوي ببعض ما كان يتحلى به أبو الكلام آزاد من محامد
و مكرمات في رسالة تاريخية له كتبها إلى السيد عبد الحكيم الدسوقي
أحد أقاربه يشير فيها إلى خطاب وفد جمعية الخلافة و إجتماعه
" بوايسرائى " أى نائب الملك، يقول :

" إن خطاب الوفد يحمل لونا من الشرثرة و التنميق
أكثر منه لون الصورة الواقعية، لأن علماءنا
المعاصرين بعيدون جدا عن الترفع عن الخلافات،
و الاتحاد على رصيف واحد، غير أن أبا الكلام آزاد من

مساهمته الكتابية فى دعم حركة الخلافة :

دعم حركة الخلافة و ساندتها بكتاباتة القيمة و دبح يراعه مقالات و أبحاثا متواصلة عن الأهمية السياسية و الدينية للخلافة الإسلامية و منها ما نشر فى صورة تأليف مستقلة، و إليكم فيما يلى بعض عناوين ما كتب فى معارف حول الخلافة الاسلامية :

- ١- الخلافة و الهند — معارف ديسمبر ١٩٢٠م.
- ٢- نفوذ الخلفاء المسلمين و أثرهم — معارف مارتش ١٩٢١م.
- ٣- الحكام المغزنيون و عهد البيعة — سبتمبر ١٩٢١م.
- ٤- الخلافة العثمانية و العالم الاسلامى — أعداد نوفمبر و ديسمبر ١٩٢٣م.
- ٥- الخلافة العثمانية و خضوع العالم المسيحى — يونيو ١٩٢٣م.

و بما أن تأثيرات انقراض الخلافة العثمانية لم تكن مقتصرة على الدولة التركية فحسب بل كان خطر تدخل الاتحاديين يهدد الحرمين الشريفين و الجزيرة العربية جمعاء* لذلك عالج تدخل غير المسلمين فى جزيرة العرب من الوجهة الدينية فى خطبته الرئاسية ألقاها فى مؤتمر الخلافة ببيهار، و برهن فى ضوء الوثائق التاريخية و الدينية على أن الأرض المقدسة ليس عليها أى حق سوى المسلمين، و كتب فى نوفمبر ١٩٢٣م مقالة طويلة بعنوان " أرض الحرم أحكامها و مصالحها فى نظر القرآن الكريم ".

جمعية العلماء و تحرير البلاد :

ظل المسلمون و حدهم يتصدرون الموكب إلى مدة طويلة فى جهود تحرير البلاد، و هم المؤسسون فى الواقع لهذه الحركة، و هم أول من رفعوا رؤية الجهاد و صمدوا فى وجوه الإنجليز صامدين، و إن هذه الجمعية التى هى حلقة متصلة من تلك السلسلة أنشأها فيمن أنشأها مولانا أبو الكلام آزاد و العلامة السيد سليمان الندوى، و لا يخفى على المتابعين أن هذه الجمعية لعبت دورا بارزا فى تحرير البلاد و قدمت جهودا ملحوظة مشكورة فى ذلك*.

أبو الكلام آزاد و السيد سليمان الندوي

- ٢- مجلة " معارف " الأردنية لسان حال دار المصنفين باعظم جـره،
صفر ١٣٧٣هـ، العدد : ٤ والمجلد : ٧٢ و الصفحة : ٣٠٩
- ٤- " حياة شبلى " ص : ٤٤١
- ٥- " حياة شبلى " بتفسير يسير ص : ٤٤٣-٤٤٤
- ٦- " حياة سليمان " للشاه معين الدين الندوي، ص : ٥٧
- ٧- " معارف " مايو ١٩٥٥م العدد : ٥ المجلد : ٧٥ من مقالة السيد
عبد الرحمن . ص : ٩
- ٨- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣٠٩
- ٩- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠
- ١٠- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠
- ١١- " تبركات آزاد " لغلام رسول مهر، ص : ١١٤
- ١٢- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٤٦٤
- ١٣- " معارف " العدد : ٥ المجلد : ٧٢ ص : ٣٨٣
- ١٤- السابق : ص : ٣٨٤
- ١٥- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٤٥٤
- ١٦- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠-٣١١
- ١٧- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٣٥٦
- ١٨- " أبو الكلام آزاد " للدكتور عبد المنعم النمر، ص : ١١٢
- ١٩- " أبو الكلام آزاد " للدكتور عبد المنعم النمر، ص : ١٤
- ٢٠- المرجع السابق : ص : ١٧
- ٢١- " حياة سليمان " للشاه معين الدين الندوي، ص : ٢١٩
- ٢٢- " حياة سليمان " ص : ٢١٩
- ٢٣- " معارف " مايو ١٩٥٥م العدد الخاص بالسيد سليمان الندوي، ص : ١٣٤
- ٢٤- المرجع السابق : ص : ١٦٨
- ٢٥- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٥ ص : ٣١
- ٢٦- مجلة " آجكل " نوفمبر ١٩٨٨م العدد خاص بأبي الكلام آزاد من مقالة
نشاط عرفان بعنوان " مولانا أبو الكلام آزاد كما يراه معاصره " ص : ٩٧
- ٢٧- " حياة سليمان " ص : ٦٤٧-٦٤٨

العلماء و حاذق الملك من الزعماء يمتازان فحسب
 بسداد الرأي، و رزانة الخيال، و سلامة الفكر" (٣٥)
 و ينوه بعظمة شخصيته في موضع آخر قائلا :
 " لاشك أن تذوق المسلمين الشباب للقرآن الكريم
 و استساغتهم له مدين لمجلتي " الهلال " و " البلاغ "
 ، و إن رشاقة الأسلوب و روعة البيان و قوة الكتابة
 التي استخدمها في شرح و تفسير كل آية من آيات
 القرآن الكريم أمام الشباب المتخرجين من المعاهد
 العصرية كانت كفيلة بأن تفتح لهم آفاقا جديدة من
 الإيمان و اليقين" (٣٦)

و يذكر الشاه معين الدين الندوي حكاية عن السيد نفسه يعترف فيها
 السيد سليمان الندوي بعبقريته أبي الكلام آزاد حيث يقول :
 " كان السيد سليمان الندوي يعترف تماما بعلم أبي
 الكلام آزاد الفزير وسعة نظره و ذكاوته بالغة
 و سرعة خاطره، و قد سمعت منه هذا الاعتراف مرارا
 و تكرارا، أذكر منها قصة إلى الآن : كان يقول : " ذات
 مرة فوض العلامة شبلى إلى كتابة مقالة على الامام
 البخارى رحمه الله أيام مساعدة إدارة " الندوة " ،
 فأحضرت إليه المقالة بعد جهد جهيد، و لكنها
 لم تعجبه، و وصل أثناء ذلك أبو الكلام آزاد فأمره
 بذلك، إنه لم يستعد لذلك شيئا، و إنما ألقى نظرة
 على مقالتي و أحضر مقالته إلى العلامة شبلى
 النعماني في اليوم التالي فأعجب بها و حسنها
 تحسينا" (٣٧)

الهوامش :

- ١- " مكتوبات سليمان " للمرتب عبد الماجد الدرابادي، ص : ٩٠
- ٢- " مجلة الرياض " الأردنية (كراتشي) العدد الخاص
 بالسيد سليمان الندوي مارس ١٩٥٤م.

و لو نظرنا إلى نشاطاتهما، و تلقى نظرة إجمالية على خدماتهما العلمية و الأدبية و السياسية و الإجتماعية، و الصحافية و الوطنية و الدينية، و تركنا الجهود التعليمية، نقدر أن نقول انهما كانا شاعرين، سياسيين، مفكرين، عالمين، مسلمين حقيقيين، وطنيين، مصلحين، حاملين لواء الانسانية، و كانا يريدان الفلاح و السعادة للإنسانية جمعاء *

العلامة اقبال إنحاز إلى ميدان الشعر سنة ١٨٩٧م و لم يبلغ عشرين سنة من عمره و أمضى حياته كلها في هذا الوادى الجميل، و أبو الكلام إتجه إلى نفس الميدان و لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، و تجول في هذا الوادى ثلاث سنوات ثم هجره مطلقا، و لم نسمع عنه بعد ذلك قرض الشعر، و تدرج إلى السياسة عن طريق الصحافة * و لم يدخل في " حزب شيام سندر شكرورتى الثورى " في سنة ١٩٠٨م و عمره عشرون سنة فحسب بل كانت له أهمية في هذا الحزب *

في نفس السنة ساج في البلدان الاسلامية العديدة، و قد تأثر من روح ثورية جديدة من الحركات الشبابية الثورية هناك، و بعد رجوعه إلى الهند اشتغل بالكلية في السياسة العملية * و كان يفكر في إصدار جريدة أسبوعية سياسية رفيعة المستوى منذ مدة ليست قليلة، و أخيرا نجح في هذه الفكرة و أصدر جريدة " الهلال " في ١٣ يوليو ١٩١٢م، و نظر الانجليز إليها بنظرة ترقب و حذر لأفكارها الثورية، أغلقت الجريدة في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٤م، و لكن أبا الكلام كان ذا همة عالية و عزيمة قاهرة و نفس وثابة، فنجح في إصدار الجريدة باسم " البلاغ " في ١٢ نوفمبر ١٩١٥م، من جهة أخرى كان الانجليز يقظين منه، فقد أخرج من بنغال في نفس اليوم الذى وصل فيه إليها في ٢٢ مارس ١٩١٦م، غادر مولانا أبو الكلام آزاد من مدينة كلكتة إلى رانشى حيث اعتقل في ٨ يوليو ١٩١٦م، و أطلق سراحه من أول اعتقاله في ٢٧ ديسمبر ١٩١٩م بعد ثلاث سنوات و نصف من اعتقاله * فقد ازداد شعوره السياسى بعد إصدار " الهلال " و " البلاغ " و اعتقاله الأول، و من ثم اشترك في السياسة العملية بهمة و نشاط زائدتين، و حصل على عضوية حزب المؤتمر الهندى سنة ١٩٢٠م، و ترأس جلسة دلهى لهذا الحزب المهم جدا سنة ١٩٢٣م في عمر يناهز ٣٥ سنة * و قال في خطابه الرئاسى لكلمات البليغة التالية :

" ليست امام الهند في هذا الوقت إلا ثلاثة طرق : اما أن تقتنع بهذه الحالة الراهنة، و أما الثورة الدموية،

أبو الكلام آزاد و معاصره

شاعر الشرق محمد اقبال

نظرة على علاقاتهما

بقلم : البروفيسور عبر القوي دسنوير
كليه سينغية - بوفال

فى أواخر القرن التاسع عشر ولد ثلاثة عابرة كبار على مستوى الهند، و هم خدموا الوطن و الملة جل حياتهم و أثروا اللغة و الأدب، و أرشدوا الناس إلى الصراط المستقيم و الجادة الصحيحة •

ولد اقبال بسيالحت (بنجاب) سنة ١٨٧٣م، و السيد سليمان الندوى بديسنه (بيهار) سنة ١٨٨٤م، و أبو الكلام آزاد بمكة المكرمة سنة ١٨٨٨م •

و آباء هؤلاء الثلاثة العظماء كانت فيهم سهولة الطباع و لين الجانب و الانقطاع إلى عبادة الأحد الصمد، و كانوا يسلكون فى جميع شئون حياتهم مسلك الدين فربوا أولادهم على الدين و الإيمان •

اختلف هؤلاء الثلاثة فى منحى دراساتهم و تعلمهم و ثقافتهم : العلامة اقبال توجه إلى الدراسة العصرية، و العلامة السيد سليمان الندوى درس أولاً فى الكتابات الدينية، ثم تخرج فى دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، أما ثالث الثلاثة أبو الكلام فكان أبوه يخاف على إبنه من التأثيرات الخارجية فأثر أن يعلمه فى البيت و لم يدخله مدرسة و لا كتباً •

العلامة السيد سليمان الندوى كان شيخاً محترماً فى نظر العلامة اقبال، و كان صديقاً لأبى الكلام، اقبال و أبو الكلام و إن يعترفان بفضل الآخر • و كان الإحترام متبادلاً بينهما و لكنهما لم يقتربا مثل اقترابهما من السيد سليمان الندوى •

و موضوعى فى هذه المقالة أن أبحث عن علاقة هذين البطلين الفذيين كانا متقاربين أو متخاضمين •

"..... اذا أتى ملك من فوق سبع سموات و يعلن من منارة قطب أننا نحصل على الاستقلال بين عشية وضحاها بشرط انقصام الوحدة بين الهنداك و المسلمين فى وطنى، فلا أرضى بالاستقلال بل افضل الوحدة و الاتحاد عليه، لأننا اذا تأخرنا فى الحصول على الاستقلال السياسى سيكون ضررا للهند، ولكننا اذا ابتعدنا عن الوحدة و بذرت بذور الشقاق و النفاق بيننا فيكون خسارة للانسانية جمعاء" (٣)

هو يفتخر على إسلامه ثم على وطنيته الهندية فيقول :

"أنا مسلم و أفتخر على ذلك، أنا وارث لتقاليد القرون الثلاث عشر، ولا أرضى باضاعة جزء منها و لو ضئيلا*
التعليم الاسلامى و تاريخه و علومه و فنونه و مدنيته هذه كلها رأس مالى يجب على احتفاظها، أنا مسلم فلى شخصية خاصة تتعلق بمذهبي و ثقافتى، و لا أتحمل أى تدخل من أى جهة كانت، ولكنى أشعر مع هذه الأحاسيس إحساسا آخر الذى تولده حقائق الحياة، و لم يمنعنى عن ذلك الاسلام، بل يأخذ بيدي و يرشد إلى الطريق السوى، فأنا أفتخر بكونى هنديا (٤)

كما يقول هندوكى بالاعتزاز أنه هندي و هندوكى فى نفس الوقت، فنستطيع أن نقول مثلهم نحن هندود و مسلمون معا*
عندما نطالع كتابات اقبال و آزاد نشعر فى الأمكنة الكثيرة انهما مع بعضهما قريبا جدا* و لكننا نجد اختلافا واضحا فى آرائهما السياسية*
و السبب لذلك كما وضحت فى البداية أن اقبال مع اشتغاله بالسياسة المحدودة و البسيطة لا يماثل، أبا الكلام آزاد الذى كان له شعور سياسى بالغ، فهو بالعكس من أبى الكلام آزاد كان بعيدا عن السياسة العملية دائما، ترأس الاجتماعات و إصدار البيانات المؤقتة شىء، فى مقابل آزاد سياسته محيطة على نصف قرن، و كانت مملوءة بالنشاط و الحيوية، خالية عن النقائص و المعائب و لا ثقة بالإنتمار*
لتقاربهما الذهنى و الفكرى و معاصرتهما نريد معرفة علاقتهما، ولأن نعرف ذلك يجب أن نطالع رسائلهما و أقوالهما عن الآخر، و لقاؤهما*

و اما أن تختار طريق عدم التعاون لانستطيع أن نقتنع
بالطريق الأول، و لانقدر على الانقلاب المسلم
ولا نريده فلم يبق أمامنا إلى طريق ثالث ألا وهو عدم
التعاون" (١)

فى نفس سنة ١٩٢٣م منحت الحكومة الانكليزية لقب " السير" للعلامة
اقبال، فهو بدوره قبله بدون اعتراض، حتى لقد اغاض ذلك أحد محبيه
عبد المجيد سالك فقال اقبال سجد على عتبة الحكومة * وهذا ايضا صحيح
ان عبد المجيد سالك ندم على قوله هذه *

فقد كتب العلامة اقبال فى جواب غلام بهيك نيرنگ :
أحلف بالله العظيم الذى بيده حياتى و عرصى،
وأحلف بذلك العظيم الذى كان سببا لإيمانى بالله
و اسلامى له لاتستطيع أية قوة فى العالم أن تمنعنى
عن قول الحق" (٢)

مولانا أبو الكلام آزاد قد اعتقل ست مرات أو مدة اعتقاله الاجمالية عشر
سنوات ونصف * لانجد شخصا تأذى مثله فى السياسة *

قد انتخب رئيسا لحزب المؤتمر الهندى العظيم سنة ١٩٤٠م، و بعى فى
هذا المنصب المهم إلى ٢٦ / ابريل ١٩٤٦م، و كان شرفا كبيرا له أن قاد
هذا الحزب إلى مدة طويلة حتى نالت البلاد استقلالها من الأجانب، و ثبت
من هذا ان السياسة العملية كانت شغلة الشاغل، و أثبت لنفسه فى جهود
الاستقلال و حصوله أنه سياسى محنك بارع لا يضارعه إلا قلة من الزعماء *

و كان العلامة اقبال بالعكس من ذلك بعيدا عن السياسة العملية،
و كانت الشاعرية حاصل حياته و ميزته الخاصة، و كانت علاقته بالسياسة
بسيطة و محدودة و كان مفكرا فلسفيا ماهرا للدين مجملا و محبا للوطن *
و شاعر الشرق الأوحى بدون استثناء، و قد فتح بشاعريته آفاقا رحبة فى
الفكر الانسانى، و رفع الستار عن أسرار العظمة الانسانية، و عرف الناس
بالمرء المؤمن، و أبعد الناس عن التعصب الأعى، و تفتنى بحب الوطن
و لكنه حذر الناس عن الوطنية الأوروبية التى جرحت الدنيا و أدمت
الانسانية جمعاء *

إذا نمعن النظر فى خطاب أبى الكلام آزاد الرئاسى بدهى سنة ١٩٢٣م
و برام كره (RAM GARH) سنة ١٩٤٠م نعرف الفرق بين أفكار أبى الكلام
واقبال و ذهنيهما، يقول أبو الكلام عن وحدة المبادئ و المسلمين بالهند *

وحيد الدين سليم بانى بتى، و أشعار ذورنة حزينة
حاصل المؤتمر و عناصر نجاحه الباهر * جمعية حماية
الاسلام بتطورها الدائب المستمر قد جمعت عناصر
النجاح و من ثم رأينا ما رأينا، و رجعنا راضيين
مطمئنين متأثرين من هذه الجلسة الناجحة" (٦)

كان هذا أول لقاء بينه و بين اقبال، و نعلم عن لقاءات آخر تمت بينهما،
و لكن نتأسف لأنها كانت عادية لا نعلم عنها علاقة هذين البطلين
الجليلين *

جريدة " الهلال " الأسبوعية لأبى الكلام صدرت من كلكتة بدوى هائل
من الاعلان و الاعلام، و عرفها الناس فى الهند المتحدة من أقصاها إلى
أقصاها، و كانوا يشتاقون لصدورها طوال الأسبوع * و يطالعونها بينهم
لانظير له، و لم يحصل قبول عام مثلها لأى جريدة أسبوعية، و لكن أظن فى
ضوء مطالعتى انه لم يطبع شيء لإقبال و لا بقلم أبى الكلام عنه، بل افدح
من ذلك أنى لا أجد أى ذكر لجريدة " الهلال " فى رسائل العلامة اقبال
و كتاباته، نجد ذكر اقبال فى "الهلال" ٩ أكتوبر ١٩١٧م فى اعداد الذين
اشتركوا فى توسيع نشره فهو أَرْضى أشخاص للاشتراك فى الجريدة، و نعرف
عن ذلك اهتمام اقبال بالجريدة (٧)

بعد إيقاف " الهلال " أصدر مولانا أبو الكلام آزاد جريدة فى نفس
المستوى باسم " البلاغ "، نرى فى عدده الصادر فى ١٢ / نوفمبر ١٩١٥م
نظما للعلامة اقبال بعنوان " عرفى " فى صفحة " الأدبيات " و بعد ذلك
لانرى ذكرا و لا اثرا و لا شعراً و لا عبارة تتعلق باقبال فى هذه الجريدة،
و فى " الهلال " الجديدة التى صدرت ثانية سنة ١٩٢٧م *

أما الرسائل : فتوجد خمس رسائل لإقبال إلى العلامة السيد سليمان
الندوى، و رسالة إلى عشرت رحمانى، و رسالة إلى السيد
محمد سعيد الدين الجعفرى، بها نجد ذكر أبى الكلام آزاد * و هناك رسالة
آزاد موجهة إلى السيد سليمان الندوى تتعلق باقبال *

و هذه الرسائل حررت بين ١٩١٨م و ١٩٣٦م، و بها نعلم علاقاتهما ولو
بشكل بسيط، فى السطور الاتية أذكر مقتطفات منها :

من لاهور - ٢٨ ابريل ١٩١٨م إلى السيد سليمان الندوى

" تسلمت الرسالة حالا، قدمت إليكم منظومة " رموز بيخودى "

و أشكركم شكرا جزيلا على النقد الذى كتبت *

أما لقاؤهما فكان الأول منه فى إجتماع جمعية حماية الاسلام بـلاهور فى إبريل سنة ١٩٠٤م والذى اشترك فيه مولانا أَلطاف حسين حالى، الدكتور نذير أحمد، الميرزا أرشد جور جانوى، ميان السير محمد شفيق، السير عبد القادر، ميان السير فضل حسين، سليم بانى بتي، مولانا أبو الكلام آزاد، الدكتور محمد اقبال، خواجه حسن نظامى، وكانت ميزة الإجتماع انه اذا أحب شخص شعر أحد الشعراء، وأراد أن يمدحه فعليه أن يهدى هدية إلى الجمعية، فقد اعجب مولانا أَلطاف حسين حالى شعر أحدهم فأعطى عشر روبيات إلى الجمعية، يكتب الاستاذ محمد طاهر الفاروقى :

" إرتفعت أصوات الإبتهاج والسرور، و ما كان شىء
أجمل للشاعر من أن يمدحه و يقدره و يهديه هدية
شاعر عظيم مثل حالى" (٥)

فى هذه المناسبة السعيدة لم يتمكن حالى من قراءة الشعر لضعفه وسوء أحواله الصحية ولكنه أسمع الحاضرين على اصرارهم، ثم قام العلامة اقبال و تلى أشعاره بصوت و غناء خاصين، و قبل تلاوة أشعاره قدم رباعية فى مدح الشاعر العظيم حالى :

دوى اسم حالى فى أرجاء العالم و كأسه مملوءة بالحمق
وأننى نبى فى سلطنة الشعر كأن على شفتى أشعار حالى

وقد ذكر مولانا أبو الكلام آزاد تفاصيل هذا الاجتماع فى مجلة " لسان الصدق" الصادرة من كلكتة فى مايو سنة ١٩٠٤م، ونحن فى حيرة من أمره انه لم يذكر شيئاً عن واقعة اقبال السابقة، فقد كتب عن هذه الجلسة ما يلى :

" اشتركت فى الجلسة السنوية للجمعية، رأى الناس فى الجلسة أنها هذه السنة كانت أفضل فى كل شىء من السنوات الفائتة، من حيث عدد المشاركين نستطيع القول ان قاعة المؤتمر وقاعة ندوة العلماء لاتستوعب لمثل هذه الأعداد الهائلة من الناس مع الفارق بأن جلسة الجمعية جلسة عامة، أما جلسات المؤتمر فلا يشترك فيها إلا أعضاءها، محاضرة الدكتور نذير أحمد، و مقالة صديقنا العزيز المولوى

حركته و لكن ليس ضروريا أن نوذى أحدا لرفع قدر
أى حركة أو شخص، هو يكتب أن هناك بُعد شاسع بين
آراء اقبال المذهبية المعروفة و هذه المثنويات، أنا
لأعلم هل كتب هذه الجملة التى لها معان كثيرة*
متأثرا بأقوال العامة والجهلة، و هذا لا يناسب بحال
للذين يقودون حركة الإصلاح، ولا علم لى أين المولوى
فضل الدين ان وجدته اشتكى إليه شخصا" (١١)

اطلع العلامة السيد سليمان الندوى أبا الكلام آزاد بهذه الرسالة
و لانعرف ماذا كتب السيد لأن هذه الرسالة مفقودة، و لكن جواب
ابى الكلام آزاد موجود أذكر قطعة منها :

" شكوى اقبال صحيح لا أهمية أن فلانا كتب شيئا بفلان، أو غير رأيه
بتأثيره، و لكن الناس يهتمون بهذه الأشياء الحقيرة، لانستطيع أن نفعل
شيئا بهذا الخصوص* فى الأصل هذه " التذكرة " أتعبتني من أوجه
كثيرة، أرسل السيد فضل الدين هذه المقومة إلى، ألقى عليها نظرة
انتقادية، أنا ما رددتها إليه، و كان يريد أن يطبع، ما ألفت إلى ذلك
الوقت* كالجزء الأول، و كنت مصرّاً أن أطلع الكتاب كله فى وقت واحد*
و كانت مقدمته كلها لاغية باطلة فى كتابتها و مضمونها و استدلالها،
و النقطة العجيبة، إننى عندما قابلته و سألته عن هذا التغير فى آراء
اقبال* هو نسب هذا التغير بدون فهم إلى ما قلته منذ مدة، و كان الذى
قلته ان اقبال كان مهتماً أولاً بتصوف العامة، و لكنه فى الآونة الأخيرة
ابتعد عنه و ما يظهر من كلامه فى المثنويتين الأخيرتين هى نفس الفكرة
التى أقولها دوماً " (١٢)*

هذه الرسائل ليست جديدة و لاندرة، عرفها محبوها و متبعوها*
أذكر فيما يلى ما استنتجت من هذه الرسائل :

- ١- لماذا قال آزاد بالمولوى فضل الدين ان اقبال قدم فى هاتين
المثنويتين ما أكتبه دوماً*
- ٢- لو كان رأيه عن المقدمة و ما يتعلق عن اقبال باطل، فلماذا أبقاها
و نشرها للتأذى*
- ٣- يظهر من هذا كله أن أبا الكلام بدأ يخاف من شهرة اقبال، فلذلك
صدرت منه هذه الهفوات* ثم لما نرى واقعة أمير الشعراء التى ذكرها

تسلمت الرسالة من أبي الكلام اليوم، فقد اثنى على هذا الجهد المتواضع (٨)

من لاهور - ٣ إبريل ١٩١٩م إلى السيد سليمان الندوي
" استلمت رسالتك، أشكركم شكراً جزيلاً، نحمد الله على أن أبا الكلام أطلق سراحه " (٩)

صدر كتاب " تذكرة " لأبي الكلام في أواخر سنة ١٩١٩م، كتب المولى فضل الدين أحمد في مقدمة كتابه هذا عن العلامة اقبال ما يلي :
" يكفي ان نذكر من المتعلمين أخوا على : السيد محمد على جوهر و السيد شوكت على و شاعرنا القومى الدكتور اقبال الذين تأثروا بأبي الكلام في التوجه إلى الاسلام الحقيقى * نحن نعلم حين صدر " الهلال " و كان فيها مدحا لجامعة عليجر، فكتب محمد على جوهر مقالات ضد جامعة عليجر رداً على " الهلال "، أما شوكت على فحاله عجيب فهو يشن على أبي الكلام دائماً و يقول به اهتدينا إلى طريق الإيمان، و الدكتور اقبال و ما سمعنا عن عقائده الدينية في الماضى، نراه متغيراً في أشعاره الفارسية في منظومتي " أسرار خودى " و رموز بيخودى " و نرى فيها صدق " الهلال " حقيقة (١٠) *
لما قرأ اقبال هذه المقدمة كتب يشكو إلى السيد سليمان الندوي في ١٠ ديسمبر ١٩١٩م :

" كتاب " تذكرة " لمولانا أبي الكلام كتاب رائع حقاً، ولكن يكتب المولى فضل الدين أحمد في المقدمة إن مثنويات اقبال صدق لحركة " الهلال "، لعله لا يعلم انى ما قدمت في هذه المثنويات، أقدم الشئ نفسه منذ ١٩٠٧م متواصلاً، و شواهد ذلك موجودة في شعري و نثرى في الانجليزية و الأردية، و يبدو انه ما رآها * على كل حال أنا غير مهتم بهذه الأشياء، لأن القصد نشر الحقائق الاسلامية و ليست السمعة و الشهرة ، و لكنى تأذيت حقيقة بقوله ان اقبال لم يكن مسلماً قبل حركة " الهلال " فأسلم على يديها، هذا يظهر من العبارة ربما لم يقصده "

ثم يضيف قائلاً :

" أنا أحترم مولانا أبو الكلام آزاد احتراماً كثيراً، و أحب

القصد اليقظة، و ان قامت الأمة الاسلامية من سباتها العميق و لا ذكر لى بها فأنا راضٍ عنها تماما، و لكن تعجبت على اشاراتك* و كنت أعتقد أنه لا يشعر بذلك أحد* و كاتب مقدمة " تذكرة " لأبى الكلام آزاد أشار إلى و إلى محمد على و شوكت على بألفاظ زادت من ظنونى هذه، و لكن اذا لا يشعر أحد بذلك فلا أحزن لأنه بحمد الله لا غرض لى فى نفسى" (١٤)

هذا المقتطف من رسالة اقبال يظهر ما نشأ فى قلبه من الأحاسيس من إنجازاته للأمة الاسلامية، و كان يشعر أن له يد فى ايقاظها، و لربما كان هذا سببا للخارج من مقدمة المولوى فضل الدين فى بداية " تذكرة " نذكر فى السطور التالية بعض المقتبسات من رسائل العلامة اقبال حتى نعرف عن علاقتهما :

تحريراً فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٣م إلى السيد محمد سعيد الجعفرى*
" لم أتعجب من سماع عقائد منظر على المذهبية، لأن القومية أثرت على المذاهب فى جميع الدول، و لكن أحمد الله أن آراءه تغيرت و توجه إلى التحقيق، ذكرت له بعض المصنفين، و فى رأيى ان السيد سليمان الندوى و أبأ الكلام آزاد يدلان برأى صحيح فى هذا الموضوع" (١٥) *

تحريراً فى ١٨ / أغسطس ١٩٢٤م إلى السيد سليمان الندوى*
" طبع فى الآونة الأخيرة كتاب فى جامعة كولمبيا، الجامعة الامريكية الشهيرة و عنوانه نظريات المسلمين الاقتصادية، ذكر فيه ان اجماع الأمة يستطيع أن ينسخ العمل على النص القرآنى، فمثلا مدة الرضاعة سنتان من النص الشرعى و يمكن لنا تغييرها، أو أن الحصص الشرعية فى الميراث يجوز فيها النقص و الزيادة، كتب المصنف ان بعض الحنفية و المعتزلة يعتقدون ذلك فى الإجماع، و لم يذكر الكاتب أى مرجع، فأوجه السؤال إلى حضرتكم* هل يوجد شىء من ذلك فى العلوم الفقهية* و ما هو رأيك الشخص فى الموضوع، كتبت الرسالة إلى المولوى أبى الكلام أيضا لأعرف رأيه فى القضية" (١٦) *

تحريراً فى ٧ / أغسطس ١٩٢٦م / إلى السيد سليمان الندوى
" الحمد لله قد تتوقف الفتنة القاديانية شيئا فشيئا، فقد كتب أبو الكلام منشورات ضدها، و لكن فريضة الكتابة فى هذا الموضوع ملقاة على عواتق العلماء المحدثين المنورين، لو تسمح صحتك فأكتب كتابا جامعا و مفيدا

الاستاذ مليح آبادى أحسست ان ظنوني على أبى الكلام صحيحة و هى كما يلى :

" عندما لقيت الدول العربية شاعر مصر أحمد شوقي بلقب أمير الشعراء، فكر أبو الكلام آزاد أن يرشح الدكتور اقبال أمير لشعراء الهند، فجاء يوما فى غرقتى، ومعه أوراق وأخبرنى رأيه فى هذا الموضوع، أنا عارضته معارضة شديدة * فتعجب آزاد وقال هل يعنى ذلك أن إقبال ليس أهلا لهذا اللقب؟ قلت أنت تعرف حقيقة شاعرية اقبال و لك نظرة نقدية فى الموضوع، ولا ذوق لى فى الشعر، ولكن الدكتور اقبال ليس شاعرا فقط بل هو قائد سياسى معارض لنا فلو لقبناه أميرالشعراء الهندى يستفيد من هذا سياسيا * بدأ الشيخ أبو الكلام يعنى ما أقول، وأنا أضفت القول " أنت صاحب امتياز الجريدة ولكنى مادمت رئيسا لتحريرها لا أؤيد هذا الترشيح ضد ضميرى، لو اسقطت اسمى عن رئاسة التحرير وأبقى محررا عاديا فى الجريدة تستطيع ان تنشر فى جريدتك * وافق مولانا أبو الكلام رأى، ومزق الأوراق، وقال أنت محق فى قولك ولا أقدم هذا الترشيح" (١٣)

ولسائل أن يتساءل هنا ان شخصا كأبى الكلام صاحب الارادة القوية والعزيمة القاهرة يقتنع بأدلة مليح آبادى الضعيفة الواهية، ويرضى بما يقول ويؤيده * ولربما نجح مليح آبادى فى عداوة وبغضاء ضد العلامة اقبال، وشكوكنا وظنوننا تصل هنا إلى حد اليقين فى ذلك *

كتب العلامة اقبال رسالة إلى عشرت رحمانى فى ٣٠ / أغسطس ١٩٢١م، نستطيع أن نعرف الحقيقة عنها :

" قد بلغ حسن ظنك بى إلى درجة عالية، فما قرضت من الأشعار ليست له أهمية تذكر فى ميدان الشعر * وما اهتم بهذا الأمر أبدا * على كل حال أشكرك على حسن ظنك * أما ما قلت بعلاقتها عن اليقظة فى الأمة الاسلامية الهندية المرحومة، وأن لى فيها يدا، أو يجب ان تكون لى فيها يدا، فلا أقدر أن أقول شيئا لأن

مرضا طويلا في عمره الأخير، و توفى فيه وانغلق حلقومه، لانجد أى تأثر أو حزن في أى رسالة له ، و يمكن أن يجاب عن ذلك بأن أبا الكلام آزاد كانت له طبيعة خاصة، و كان محتاطا جدا في حياته كلها، و كانت هناك مواقع سياسية تمنعه من أن يذكر اقبال، أو يكتب عنه شئ* و هناك افتراض آخر أيضا، أن رسائل مولانا إلى اقبال، أو الرسائل التى فيها ذكر اقبال ضاعت أو لم تصل إلينا، و لربما نجدها في المستقبل عند ذلك نطلع على علاقتهما الصحيحة الصادقة و العكس صحيح بأن نجد رسائل اقبال إلى مولانا أبى الكلام آزاد*

تعريب : محمد حسان خان

الهوامش :

- ١- خطبات آزاد : ص : ٢٠٠
- ٢- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ٢٠٦
- ٣- خطبات آزاد : ص : ٢٠٥
- ٤- نفس المصدر : ص : ٢٩٧
- ٥- سيرت اقبال : المولوى محمد طاهر الفاروقى - ص : ١٠٥
- ٦- مجلة "لسان الصدق" كلكته مايو سنة ١٩٤٠م
- ٧- طبع في الجريدة نظم لصاحبزاده مصطفى خان بعنوان " جواب شكوه كا اقبال" تأييدا لنظم اقبال الشهير " جواب شكوه" و لكن لانعرف به طبيعة العلاقة بينهما *
- ٨- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ٨٠
- ٩- التاريخ المذكور غير صحيح* أبو الكلام آزاد حرره في ٢٧/ديسمبر ١٩١٩م
- ١٠- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ١٠٠
- ١١- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ١٦ و ١٥
- ١٢- مكاتيب أبى الكلام (أدبستان لاهور) ص : ٥٥ و ٥٦
- ١٣- ذكر آزاد مليح آبادى ص : ٣١٢
- ١٤- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ٤٢٧ و ٤٢٨
- ١٥- رسائل اقبال : رفيع الدين هاشمى ص : ١٦٨
- ١٦- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ١٣١
- ١٧- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء الله ص : ١٩٩
- ١٨- غبار خاطر : ص : ٢٢٧
- (هذا الشعر يوجد في مجموعة الأشعار الفارسية "زبور عجم")
- ١٩- مكاتيب أبى الكلام آزاد : أبو سليمان شاهان فوري ص : ٣٠٣

فى ذلك" (١٧) •

من مطالعة هذه الرسائل يتضح جليا ان المراسلة المتعلقة عن اقبال وأبى الكلام استمر إلى آخر حياة اقبال، و كانا يكتنان التقدير و الاحترام لبعضهما، و كان يعترف الواحد منهما بعلم الآخر وصلاحيته، و كانا يتأثران بشهرة الآخر أيضا، و لم تصل إلينا رسائل متبادلة بينهما، و بدونها لانقدر معرفة علاقتهما بالدقة و التفصيل •

و ميزة أبى الكلام آزاد أنه كان يحفظ آلافا من الأشعار العربية و الفارسية و الأردية، و يستعملها ارتجالا فى خطبه و كتاباته، و لكن نتعجب من أنه لا يوجد شعر اردى و لا فارسى فيهما إلا شعرا فارسيا واحدا فى كتابه " غبار خاطر " عندما يقص علينا قصة العصفور، يقول :

حاول الكلام بالصعوبة، ففتوه بصوت خفى، و هذا الصوت لا يدل على انه كلام أو لفظ بل هو صوت كالرجل الذى أطرق برأسه ثم رفعه و زفر ب "ها" •
أما ان تستيقظ و تفر زفرة الهم و الكمد

لأن العشق لا يحصل بدون همّ و غم (١٨)

أريد أن أوضح هنا هذه الحقيقة • لم نتيقن بعد ان أبى الكلام لم يستشهد باشعار اقبال عن عمد •

توفى العلامة اقبال فى ٢١ / ابريل ١٩٣٨ م بلاهور، فنقل أبو الكلام أحاسيس قلبه الحزين على الأوراق :

" نشعر بالصدمة على وفاة العلامة اقبال • لم تخلق الهند شاعرا أكبر منه، و وفاته ليست خسارة الهند فحسب بل هى خسارة الشرق بأكمله، و حزن شديد، لأننا كنا مربوطين برباط الصداقة" (١٩) •

مولانا أبو الكلام آزاد كتب رسالة إلى المولوى محى الدين أحمد قصورى بعد وفاة اقبال بأربعة أيام فنرى فيها الغم و الحزن جليا :

" تأسفت على موت اقبال تأسفا شديدا، ذهب الذى ذهب بعيـدا، و الباكون منتظرون لقضائهم" (٢٠) •

و لكن لا نرى بعد ذلك أى ذكر أو أثر لإقبال جرى على قلم أبى الكلام آزاد • من الممكن ان نقول ان سنة ١٩٣٨ م اقترب فيها موعد الاستقلال الهندى، و كانت السياسة فى الهند تشتد لهيبا، فلم يسنح الفرصة لمولانا أن يتوجه إلى أى شىء آخر غير السياسة و الاستقلال، و صحيح أيضا ان أبى الكلام قد اعتقل فى هذا الوقت بالذات مرتين، و آخرها فى ٩ / أغسطس ١٩٤٢ م، فلم يتوجه إلى اقبال، و لكن المحير حقا أنه لما مرض العلامة اقبال

أبو الكلام آزاد و شاعر الشرق محمداً القبال

- ١٨- أبو الكلام آزاد : شورش کشمیری، (مطبوعات شتان لاهور فبرائر ١٩٨٨م)
- ١٩- میر کاروان مولانا أبو الكلام آزاد : الدكتور رياض الرحمن الشيروانی، (المكتب القومی للبحث فی الأفكار والحركات، کراتشئ ١٩٨٨م)
- ٢٠- أبو الكلام آزاد : این هندرسن دوغلاس، (مكتبة جامعة آکسفورد)

المراجع :

- ١- خطبات آزاد : تحقيق مالك رام (المجمع الأدبي، دلهى الجديدة الطبع الأول ١٩٧٤م)
- ٢- اقبال نامه : (١) شيخ عطاء اللہ (شيخ محمد أشرف تاجر كتب كشميرى بازار، لاهور) *
- ٣- سيرت اقبال : المولوى محمد طاهر الفاروقى مكتبة هملايا، شاندى شوک دلهى فبراير ١٩٧٤م *
- ٤- "لسان الصدق" کلکته (مجلة شهرية) يحررها أبو الكلام آزاد مايو ١٩٤٠م
- ٥- "تذكرة" مالك رام (المجمع الأدبي دلهى الجديدة الطبع الثانى ١٩٨١م)
- ٦- مكاتيب أبى الكلام : (أديستان لاهور، الطبع الأول)
- ٧- رسائل اقبال : رفيع الدين هاشمى (مكتبة خيابان أدب لاهور، الطبع الأول ١٩٧٦م)
- ٨- "غبار خاطر" لأبى الكلام آزاد (المجمع الأدبي، دلهى الجديدة الطبع الثانى ١٩٨٣م)
- ٩- رسائل أبى الكلام : أبو سليمان شاجهان فورى (المجمع الأدبي السند فبراير ١٩٦٨م) *
- ١٠- تبركات آزاد : غلام رسول مهر ("أدبى دنيا" دلهى الطبع الأول سبتمبر ١٩٦٣م) *
- ١١- ذكر آزاد : مليح آبادى (مكتبة جريدة "آزاد هند" رفاق ساجردت کلکته، فبراير ١٩٦٠م)
- ١٢- اقبال و جمعية حماية الاسلام : محمد حنيف شاهد (مكتبة جمعية حماية الاسلام لاهور الطبع الأول يوليو ١٩٧٦م) *
- ١٣- نقوش أبى الكلام آزاد : محمد يونس خالدى، (مجمع مولانا أبو الكلام آزاد التذكارية لکناؤ، فبراير ١٩٧٨م)
- ١٤- نظرة نقدية على الاقباليات : القاضى أحمد ميان جوناجرى، (مجمع اقبال كراتشى ١٩٦٥م)
- ١٥- السنتين الأخيرتين لإقبال : الدكتور عاشق حسين بتالوى، (مجمع اقبال باكستان كراتشى الطبع الأول ابريل ١٩٦١م)
- ١٦- مرآة أبى الكلام آزاد : عتيق الصديقى (جمعية نهضة اللغة الأردية، فرع دلهى الطبع الأول ١٩٧٦م)
- ١٧- عدد خاص لمجلة "نقوش" على اقبال الجزء الثانى : المدير محمد طفيل، (مكتبة "فروغ اردو" لاهور، ديسمبر ١٩٧٧م)

معها قوة، وهى التى أصبحت فى مستقبل حياته واسطة قوية فى التعريف بشخصيته الفذة فى الأوساط العلمية، وأنا أجزى بهذه المناسبة جزيل شكرى إلى البروفسور نثار أحمد الفاروقى مدير هذه المجلة، فإنه قد حرصنى على دراسة هذا الموضوع وطلب منى مشكوراً أن أعد البحث على الموضوع للعدد الممتاز عن "مولانا آزاد " لثقافة الهند " الفصلية القراء، فقبل أن أتناول الموضوع -أقدم نبذة عن مجلة " الندوة" وقيمتها :

نبذة عن الندوة :

إن مجلة " الندوة " كانت مجلة علمية أدبية اسلامية شهرية، قد طلعت فى يوليو عام ١٩٠٤م من مجلس ندوة العلماء لكناؤ تحت رئاسة تحرير العلامة شبلى النعمانى (ت نوفمبر ١٩١٤م) والشيخ الفاضل الأمير حبيب الرحمن خان الشيروانى (ت أغسطس ١٩٥٠م) على أفق الهند العلمى كنجمة جديدة لامعة، وكصحافة هادفة بناءة، فقد كان استمرار صدورها إلى مدة سنة ١٩١٢م فى مرحلتها الأولى، وكان هدف إنشائها إحياء العلوم الاسلامية و تثقيف أذهان الطلبة و ترويج دعوة ندوة العلماء و نشر المقالات العلمية والمقارنة بين العلوم القديمة والحديثة .
وقد أصبحت هذه المجلة لسان حال الندوة وأكبر وسيلة للتعريف بندوة العلماء و انتشار صيتها، فهذه المجلة ربّت جماعة مثقفة من المنشئين و الكتاب و أصحاب الأقلام القوية، و بذلك بدأ عهد جديد للصحافة الأردنية فى الهند بعناية العلامة شبلى و الشيخ الفاضل حبيب الرحمن خان الشيروانى و مولانا أبى الكلام آزاد الدهلوى و الشيخ عبد الله العمادى و العلامة السيد سليمان الندوى فى مختلف مراحلها .

فقد استمر صدور " الندوة " لثمانى سنوات، فكان يعد هذا العهد عهدها الذهبى، ثم توقفت المجلة لمدة، لكن هذه هى البذرة الأولى التى أنبتت فيما بعد مجلة " الضياء " (١٣٥١هـ) ثم " البعث الاسلامى " (١٣٧٥هـ) و جريدة " الرائد " بالعربية و " تعمير حيات " بالأردنية، فقبل أن أقوم بتفاصيل البحث و علاقة مولانا آزاد مع المجلة لابد لى أن أعود إلى تاريخها، فكما كتب العلامة السيد سليمان الندوى :

مولانا أبو الكلام آزاد ومساهمته فى مجلة " الندوة " لعام ١٩٠٥م الى ١٩٠٦م

بقلم : عبد المبين عبد الخالق الندهى
مجمع دار المصنفين اعظم كره

كان مولانا أحمد مصى الدين المكنى بأبى الكلام و المتخلص بآزاد الدهلوى والمعروف " بامام الهند" من الزعماء المسلمين الذين كان لهم دور قيادى فعال فى إيقاظ المسلمين و فى حركة تحرير البلاد من أيدي الاستعمار الفاشم، و كان هو الذى يتولى المقاومات و المبارزات باسم الهند مع الانجليز حتى نالت البلاد استقلالها بعد أن قام من شرح شبايه بحركته الاصلاحية الدينية و التحريرية بين المسلمين، فإنه كان إنسانا واحدا و شخصيات متعددة و متنوعة الجهات لجهوده و خدماته فى مجالات مختلفة، فقد كتب الباحثون و الكتاب كثيرا فى الأردية - و قليلا بالعربية و الأجنبية - حول شخصيته المتنوعة، و أضوا جوانبه العديدة فى مؤلفاتهم .

فإنه كان قد تطلع من العلوم المختلفة بعد ما ولد فى أسرة دينية فى شهر أغسطس عام ١٨٨٨م فى مكة المكرمة، إنه كان رجلا دينيا و مفسرا كبيرا ، و خطيبا مصقعا و مصلحا ناجحا فى جانب، و فى جانب آخر كان رجلا أدبيا و صحفيا ماهرا و زعيما كبيرا و سياسيا محنكا و صاحب أسلوب خاص فى الانشاء و الخطابة، و قد نشرت مؤلفاته العديدة فى طبقات متعددة، و كلها نالت القبول و الاعجاب من الأوساط العلمية، لكن مع هذا بعض جوانبه المهمة لم تزل مختلفة عن الأنظار حتى الآن ألا و هى مساهمته فى مجلة " الندوة " الفراء . فالأسف ما اعتنى الباحثون بها، و خاصة بالعربية، فالمكتبة العربية لاتزال فارغة من هذا الموضوع مع أن مولانا آزاد نال الشهرة و الصيت بها فى مستهل حياته العلمية و الصحفية، فكانت علاقته

لأجل ذلك كان بحوثها تشتمل على التاريخ والفلسفة والحضارة والثقافة والأدب.... وكانت مستواها العلمى رفيعا بحيث أنها كانت تسد متطلبات العصر ومقتضياته، وكانت تنشر فيها مقالات الطلبة الناشئين، والذين كانوا منهم ذوى أهلية ومواهب علمية فهم كانوا يعينون كنائى مدير المجلة فى مختلف مراحلها، وبهذا الصدد فوضت نيابة تحريرها إلى الشيخ عبد الله العمادى (ت ١٣٦٦هـ) فى يونيو عام ١٩٠٥م، الذى كان مديرا لمجلة " البيان " العربية، فإنه كان يملك مؤهلات علمية وإنشائية، وكان يلتقى مرارا مع العلامة شبلى ويستفيد منه أثناء مكوثه فى لكانا، فوقع اختياره عليه أن يكون أول نائب لمدير المجلة (٤) ثم تولى نيابتها صاحبا ومولانا أبوالكلام آزاد ثم شيخنا العلامة السيد سليمان الندوى، واستمر صدورهما إلى عام ١٩١٢م، ثم توقفت لمدة، ثم أصدرت المجلة للمرة الثانية فى يوليو عام ١٩١٤م فى ادارة تحرير الشيخ إكرام الله الندوى، وتوقفت فى ديسمبر عام ١٩١٦م، ثم لما قويت عناية العلامة السيد سليمان الندوى وإهتمامه بندوة العلماء وأراد أن يجدد العهد الراحل عزم على إصدار " الندوة " عام ١٩٤٠م للمرة الثالثة فقد وقع وأحسن ما وقع الاختيار لتحريرها على سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى وزميله الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى المرحوم، فلإنها اعتبرت مجلة علمية ودعوية مؤثرة، تحمل المعلومات الجيدة والفكر الصالح المستقيم وتثير العقل والقلب، ولاسيما عندما بدأت تنشر فيها مقالات العلامة السيد سليمان الندوى والشيخ حبيب الرحمن الشيروانى والشيخ الدربا بادى، والأسف الشديد إنها توقفت مرة ثالثة للخسارة المالية فى شهر فبراير عام ١٩٤٢م، وهذا ما كتب سماحة الشيخ الندوى فى كتابه " فى مسيرة الحياة " (ص: ١٣٥) وهى لاتزال بحاجة إلى إصدارها من جديد، فيا حبذا لو تلقى القبول هذا الرجا ٠ فان ما ظهرت على مكانها الآن أى مجلة شهرية بالأردية من جامعة ندوة العلماء.

مولانا آزاد كنائى مدير المجلة :

يصعب علينا أن نعين ونحدد دور صحافة مولانا آزاد متى بدأ؟ ولكن نستطيع أن نسير إلى أنه استهل حياته الصحفية من جريدة " المخزن " الصادرة ببلاهور، فكانت تنشر فيها مقالاته وفى صحيفة " الوكيل " اليومية

أول منشىء المجلة العلامة شبلى :

لعل أول مرة تخيل العلامة شبلى إنشاءها - الندوة - فى عام ١٩٠٢م لأنه كان ذا خبرة واسعة ومعرفة جيدة فى هذا المجال، بالنسبة لأعضاء الآخرين لندوة العلماء، فإنه كان أول من خطرت له خاطرة إنشاء هذه المجلة (١).... ولما تولى العلامة النعمانى والفاضل الشيروانى رئاسة تحرير المجلة، فأعد العلامة خطتها فى عام ١٩٠٣م وأرسلها إلى المكتب العام لندوة العلماء بلكناؤ (٢) وبعد تأجيل يسير صدر عددها الأول من المطبع " مفيد عام " بآجرة [AGRA] فى جمادى الأولى سنة ١٣٢٢هـ/ الموافق أغسطس عام ١٩٠٤م، فطلعت المجلة على أفق الصحافة العلمية والاسلامية مشتملة على ٣٢ صفحة، وكان هدفها مكتوبا على ناصيتها دائما بالعبرة التالية :

" إحياء العلوم الاسلامية وتطبيق المعقول والمنقول،
والمقارنة بين العلوم القديمة والجديدة " (٣)

تأثير المجلة:

وقد نشر فى أعدادها الأولى المقالات والبحوث العلمية فى موضوع تجديد العلوم الاسلامية وتطبيق المعقول والمنقول وإصلاح المناهج الدراسية للعربية وما إلى ذلك من الموضوعات الحديثة، وكانت جميع هذه المقالات قد كتبها العلامة شبلى وملاها بمقالاته المتنوعة فى البداية. فنالت المجلة قبولا وإعجابا لدى الأوساط العلمية، وهزت المشاعر هذا شديدا وقضت على الجمود الذى كان بين صفوف العلماء المسلمين، وأيقظت شعور المسلمين الجامدين. فالكتاب والباحثون كانوا مشتغلين فى عدة مسائل كلامية وفقهية، وكانوا يضيعون أوقاتهم الثمينة وأوقات غيرهم من المسلمين فى التعليق والتأليف والتحشى والشروح للكتب التى لا فائدة فيها، وما كانت البيئة والعصر فى حاجة إليها، فبعد ما طلعت المجلة - الندوة - فتحت آفاقا جديدة للباحثين والكتاب، وأكبر تأثيرها بأنها أحدثت إنقلابا هائلا فى أفكار العلماء والأوضاع، وألجأتهم إلى الدراسة بطرز جديد وبفكرة واعية.

فالمجلة كما كانت علمية فى جانب، فكذلك كانت مذهبية فى جانب آخر،

التفصيل الدكتور ملك زاده منظور في كتابه " مولانا أبوالكلام آزاد فكره وفنه" بالأردية :

"أول لقاء وقع بين العلامة شبلى و مولانا آزاد هو في عام ١٩٠٤م في بومباي، حينما عاد -آزاد - من رحلته من العالم الاسلامى بعدما مرض في بغداد، وكان حضر العلامة - شبلى - في بومباي لأجل توديعة البروفسور آرنالد (Prof. Arnold) حينما كان هو يغادر الهند إلى بريطانيا وقد جرى الكلام في هذا اللقاء بينهما -العلامة شبلى و آزاد - حول كتاب "محصل الأفكار" للامام الرازي فما كان العلامة حينئذ مطلعاً على نشر هذا الكتاب، ففى خلال ذلك أخبره مولانا آزاد عن ذلك، فقد تأثر العلامة من معادئته وفرح كثيراً" (٨)

كما يقول مولانا آزاد نفسه :

" حينما قدمت النسخة المطبوعة من الكتاب إليه يوم الغد، فإنه أقام حسن الظن بى " (٩)

ثم يضيف الدكتور ملك زاده منظور :

" قبل هذا اللقاء جرت بينهما المراسلة و المكاتبة نحو قبل خمس سنوات، و لما أنشأ العلامة شبلى مجلة " الندوة " فألح عليه نظراً إلى شغفه العلمى أن يلتحق بالسجلة، و فى ذلك الأثناء لما استقال العلامة من وظيفته من حيدرآباد و انتقل إلى لكانا، فكتب إلى مولانا آزاد أن يأتى إلى لكانا و يمكث هناك، و فى نفس تلك الأيام عقد هناك مؤتمر التعليم (Educational Conference) فوصل مولانا آزاد إلى لكانا، لكن قيل وصوله سافر العلامة شبلى إلى وطنه أعظم كره، حيث كانت زوجته مريضة • فزاره - آزاد - و لاقاه فى أعظم كره، ثم انصرف معه إلى لكانا، فعينه العلامة كناىب مدير المجلة" (١٠)

و كان هذا بسبب نزعة مولانا تجره إلى الصحافة من أول عمره، كذلك كتب الشيخ سلمان الشمس فى إحدى مقالاته عنه :

بأمرتسر، كما أنشأ نفسه جريدة "لسان الصدق" ثم أوقفها لأجل نطاقها الضيق .

و بعد مدة يسيرة تولى رئاسة المجلة مولانا آزاد الذى عرفه العالم فيما بعد كصحفى قدير و إمام الهند و رئيس المؤتمر الوطنى و وزير المعارف الأسبق، و كانت علاقته مع المجلة بين فترة أكتوبر عام ١٩٠٥م إلى مارس عام ١٩٠٦م، ففى هذه الآونة القصير- نحو ستة أشهر- أنه ما كان معروفا فى الأوساط العلمية قبلها، و ما كانت شخصيته الفذة مشهورة لدى أصحاب العلم و المعرفة، فإنه التقى مع العلامة شبلى فى بلدة بومباى سنة ١٩٠٥م حسبما كتب العلامة السيد سليمان الندوى فى " حياة شبلى"، و بعض كتب : التمس منه العلامة شبلى بأن يأتى إلى لكتناؤ و يلتحق بالمجلة، و على كل أصبح هذا اللقاء بينهما لقاء تاريخيا بحيث جعل أبا الكلام أبا كلام فى المستقبل، تأثر منه العلامة ببداهته و فصاحته فى الكلام و بسرعته فى الجواب و نبوغه فى الفكرة و الخيال، فجا به العلامة إلى لكتناؤ - ندوة العلماء - و أقامه عنده إلى مدة ترقى وازداد يوما فيوما فى معرفته لأجل مؤهلاته الفطرية (٥) و قريحته الوقادة و ذهنه الحاد ، و عاش هنا مولانا آزاد عدة أيام مع المفسر المعروف الشيخ حميد الدين الفراهى (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) و استفاد من صحبته أيضا . و كان للشيخ الفراهى شغفا زائدا فى القرآن الكريم و لأجل صحبته دب هذا الروح فيه أيضا . و ظهر هذا اللون من قلمه السيل فى صحيفه " الهلال " التى أصبحت سحر احلالا فى تعبير أصح، بعد ممارسته و هنكته الصحافية من مجلة " الندوة " الشهرية . و حقا ما قال سماحة الشيخ أبو الحسن على الندوى عن المجلة و عن مولانا آزاد :

" كان ظهور مقالة فيها - الندوة - و لو كانت بقلم كبار أهل العلم و أصحاب الأقلام مفخرة و وسيلة تعريف و تنويه، فقد كان مولانا أبو الكلام آزاد - قبل أن يصبح البدر المنير على أفق الهند السياسى و الأدبى - هلالا (٦) فى هذا النظام الشمسى كنائب مدير التحرير الذى لفت بعد برهة قصيرة من الدهر - كهلال العيد - أنظار المسلمين من أهل الهند كلهم" (٧)

أما اللقاء فإنه كيف وقع بين مولانا شبلى و آزاد ذكره بشىء من

مولانا آزاد كنايب مدير التحرير لمجلة " الندوة " فى
المبنى القديم كان مكتبتها فى " گوله گنج "
فكان مولانا آزاد يستفيد من فصاحة العلامة شبلى
و من مجالسه العلمية، و كان العلامة أيضا يعجبه
كثيرا لما يرى عليه مخايل الذكاء و الفهم السديد
و لأجل ذهنه الوقاد و سرعته فى الجواب و فصاحته
فى الكلام و براعته فى الانشاء عدا أبية نفسه و نظافته
طبعه و عذوبة كلامه " (١٣)
فكان العلامة يقول عنه :

" إن عقل آزاد و ذهنه أعجوبة من أعاجيب الزمن،
و لابد أن نعرض هذه الأعجوبة فى معرض علمى " (١٤)
ثم نقل الشيخ الندوى قول العلامة السيد سليمان الندوى عن عبقريته
و مؤهلاته العلمية، و قال بأن العلامة حكى مرارا القصة التالية التى تتعلق
بعهد "الندوة" :

" كثيرا ما حدث بأن العلامة شبلى (ت ١٩١٤م) كان
يطلب من أرشد تلاميذه أن يكتبوا مقالا على موضوع،
فهم كانوا يجمعون موادا وافرة من المعلومات،
و بعض تلاميذه كانوا يقدمون بحوثا قيمة إليه، لكنه
لم يكن يرضى من مقالاتهم، و فى أكثر الأحيان حاول
العلامة أن يتجرب هذه التجربة و يختبر عن خبرة
طلابه، و كل مرة ذهبت محاولته سدى. أما مولانا
آزاد فإنه كان يكون مختفيا فى زاوية المكان، و كان
يصفى إلى كلامه، فقد دنى منه و سأل عنه عماذا
تسأل يا مولانا؟ فقد تكلم العلامة شبلى عن الموضوع
و ألقى ضوءاً عليه بالايجاز، فلم يلبث لحظات حتى قدم
المقال مولانا آزاد الذى كان يريده العلامة، فإنه وافق
عن المقال قائلا هذا الذى أريده " (١٥)

" و ربما كانت هذه الموضوعات دقيقة و صعبة
مشملة على الحكمة و الفلسفة و كان قد تيقن
الحاضرون بأن هذا الكاتب البارع الشاب الناهض

" حتى صارت تطبع و تنشر مقالاته فى عدة الجرائد العلمية الشهيرة، ولم يكن فى ذلك الحين إلا فى الحادى عشر من عمره، وفى السنة الرابعة عشر أصدر جريدة " لسان الصدق " و كما نرى يبتدى دوره الصحفى من تصدير هذه الجريدة "

ثم أنه أضاف قائلا :

" وفى هذا الزمان فوض إليه العلامة شبلى النعمانى أن يدير مجلة " الندوة " التى كانت تصدر من ندوة العلماء تحت ادارة العلامة، فقرر مديرا للمجلة و حولها إلى أعلى الدرجة الصحفية حتى بلغت أوجها فى عهده " (١١)

و فى بعض المناسبات بعض أعداد المجلة ملثها - آزاد - بمقالاته مستوعبة، كما قال نفسه :

" كانت صدرت بعض أعداد المجلة وإنى أكملتها مستوعبة " (١٢)

فقد أقام مولانا آزاد فى لكتناؤ نحو ستة أو سبعة أشهر مشتغلا بترتيب المجلة فى الحى القديم " گوله گنج " [Gola Ganj] فى مكان تعرف الآن " بختون منزل " و كانت مقر الشيخ مولانا عبد الماجد الدرا بادی المرحوم والآن يسكن فيها شقيقان الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى والأستاذ الشيخ محمد واضح رشيد الندوى *

ذكاوة مولانا آزاد و نبوغ ذهنه حسبما ذكره الشيخ الندهى :

فقبل أن أذكر الموضوعات التى تناولها مولانا آزاد فى " الندوة " يحلولى أن أقدم عدة أقوال العلماء الجهابذة و معاصريه عن ذكاوته و نبوغ ذهنه و عن بيئته، فقد كتب الشيخ أبو الحسن على الندوى عنه فى كتابه " المصابيح القديمة " :

" فى البيهة التى كنت عشتها و ترعرعت فيها فهى كانت تلائم مع فكرة مولانا آزاد و أخيلته تماما ففى تلك الآنة كان رجال كثيرون رأوه شاهد عيان حينما كان فى ريعان شبابه، و هذا هو العهد الذى كان فيه

بأنها كانت ثلثها علمية وأدبية وربعها مذهبية فلا يكون كذبا، بل هذا هو الحق والصواب، لأن محتوياتها وبحوثها التي كانت تكون دينية فإنها أيضا كانت مصبغة بصيغة التاريخ والأدب والحكمة و.... كما وافق مع هذا الرأي الدكتور محمد نعيم الصديق (نزيل أبوظبي) في رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراة بالأردية حول " شخصية العلامة السيد سليمان الندوي و جهوده الأدبية " (١٩٠) كذلك قول نياز الفتحموري بأنها مجلة مذهبية بحتة، فليس فيه أيضا صداقة، لأن الواقعية لم تكن حسب قوله، فقد تنشر فيها المقالات والبحوث العلمية والأدبية مرجحة على المقالات الأخرى كما تشهد لها المجلة نفسها .

أما مولانا آزاد فإنه عرف و كسب الصيت والشهرة في البلاد مقالاته المذهبية المنشورة في مجلة الندوة - التي كان طعن عليها الصحفي، المذكور - كما يعاضدن الكاتب المعروف الشيخ محمد اكرام بقوله :

" المقالات التي عرف بها مولانا آزاد في أقطار البلاد لم تكن أدبية، بل إنها كانت مذهبية و علمية و هي مقالاته في " الندوة " (٢٠)

أما قول الصحفي نياز الفتحموري : كان انفصاليه - آزاد - عنها بسبب بعض المؤامرات ضده، فليست له علاقة بالصحة، فالحقيقة ما كانت هناك أي مؤامرة، بل لما طبقت العالم شهرة مولانا آزاد بـ " الندوة " فأقبل الناس عليه، وبدأوا يستفسرون عنه من العلامة شبلى نعماني من أقطار البلاد، وازداد طلبه، وبهذا الصدد ألح عليه الشيخ غلام محمد صاحب صحيفة " الوكيل " بأمترسر أن يلتحق بتلك الصحيفة و يتولى مسئولياتها الادارية، بدأت بينهما المكاتبة حول القضية، و حينما ذهب مولانا آزاد إلى لاهور لفرض المساهمة في حفلة " هيئة حماية الاسلام " بلاهور المتعقدة في ٢١-٢٣ من شهر أبريل عام ١٩٠٥م، فالتقى معه الشيخ غلام محمد و التمس منه أن يتولى رئاسة تحرير صحيفته - الوكيل - كما صرح بذلك مولانا آزاد نفسه في كتابه، فبذلك السبب تجرد مولانا عن " الندوة " و التحق بصحيفة " الوكيل " بأمترسر عام ١٩٠٦م (٢١) و قضى هناك نحو سنتين .

فقد طلع مولانا آزاد على أفق الهند السياسى و الأدبى بفضل مجلة (الندوة) و هذا يعرف جميع رجال العلم . كما اعترفت بهذا أحد باحثه باكستانية الدكتوراة مه جبين زیدی في رسالتها (٢٢) و لا ينكر أحد عن

-آزاد -الذى استولى على الناس بطلاقة لسانه
وبراعة علمه وبتعمق نظره ودراسته سيستفضح أمره
فى هذه المرة، ويذهب عنه حسن اعتقاد الناس،
ويكشف على الناس قصور علمه، لكن انقلب الأمر،
ودوما كان النجاح حليفا له" (١٦)

قول الكاتب نياز الفتجورى و التطرف فى رايه عن " الندوة " :

كتب الكاتب الصحفى نياز الفتجورى عن التحاقه بـ " الندوة " بأنه
التحق بالمجلة على طلب مولانا شبلى النعمانى، وأخذ زمام ادارتها بيده
فقد تغير الجو، وتبدلت البيئة فما كان هناك أمره مع عامة الناس، بل
كانت علاقته بالخواص، و هم كانوا العلماء، فما كان بوسعهم إلا أن يعترفوا
بشخصيته الفذة و يقدروا بمؤهلاته الفردية* (١٧) فلا ينكر أحد عن هذا
القول، ولكنه تطرف فى رايه قائلا : ولم يمكث إلا أنه أصبح غرضا وهدفا
لأجل التحاسد فيما بينهم وبدأت المؤامرات ضده التى ضاق بها ذرعاً،
ومع هذا أنه ما كان راضيا بخدماته فى " الندوة " وأهدافها، لأن المجلة
(الندوة) كانت مجلة المتطوعين، كما كانت مجلة مؤسسة تعليمية، هذا
مايزعم الفتجورى، ثم إنه يقول فى نفس المقال : بأن مولانا آزاد تضايق
عيشه بالمجلة فامتنع يده عنها وكف عن العمل والقيام بمسئولياتها،
وبعدده أنه متعارض فى قوله : ومع هذا أنه بذل جل جهوده فى رقية
المجلة وازدهارها فى بيئة غير ملائمة له وقد يعد هذا العهد عهدها
الداخر* (١٨)

أما أنسى فلا أتفق ولايتفق أحد الذى له فكر سليم مع رأى الصحفى
نياز الفتجورى فى البيان المذكور أعلاه، بأن انفصال مولانا آزاد عن مجلة
" الندوة " كان بسبب بعض المؤامرات ضده، وأيضا أنه ما كان مطمئنا
و راضيا بأهدافها لأنها كانت مجلة المتطوعين، ولأجل ذلك كف يده عن
أداء مسئولياته الادارية نحوها، وانقطع صلته معها، فهذا ليس بصحيح،
فإن سألنا الحقيقة فى ضوء الواقعية، كذلك قوله عن المجلة بأنها
للمتطوعين، فهذا واضح على كل من له أدنى المام بـ " الندوة " بأنها
كانت مجلة علمية نصفها أولا، وكانت مذهبية نصفها ثانيا، بل لو يقال

ذخيرة علوم المسلمين و إشراف أوربا عليها : (أكتوبر ١٩٠٥ م - ج ٨/٢ ص : ٢٣-٢٤)

فأول مقالة التي كتبها مولانا آزاد في مجلة " الندوة " كان موضوعها " ذخيرة علوم المسلمين و إشراف أوربا عليها " فكانت هذه المقالة مقالة علمية عرض فيها الكاتب دراسة واسعة عن تخصصات المسلمين في مختلف العلوم العلمية والفنية، و غيرهم فيما كان تحقق لهم السبق و السيطرة العلمية في مجالاتها * ولكن بعدم اعتناءهم إلى هذه الجهة المهمة تخلف المسلمون فيها، و تقدم أهل أوربا في العلم و الدراسة العربية، فإنه نقد المسلمين قاثلا :

" إن هذا لعار للمسلمين بأنهم تركوا المجال للآخرين، فاللغة العربية ليست هي لغة المسلمين الدينية فحسب، بل هي تراثهم المجيد، و هي تحتوي جميع علومهم، و كم الأسف بأن هذا الكنز أصبح اليوم بيد أوربا * و المسلمون بدون شيء ينظرون إليها حيارى، إن هذه لفيلة منهم، و إن أوربا لو لم تقم بحفظ هذا التراث، لضاعت هذه الكتب الثمينة من صفحات التاريخ و الأدب، التي هي الأساس في اللغة العربية و علومها، وإنما حفظت بفضل أوربا، و طبعت بعنايتها في طبعات مضعفة منقحة بدل نسخة معطوبة متأكلة * و هم قد جمعوا المواد العلمية عن اللغة العربية و علومها في لغاتهم ما لم يخطر علماء المسلمين ببال * فهم ألفوا حول علم الألسنة و اللغة و الصرف و النحو و القوافي، كتب كثيرة بالدققة و التحقيق * حتى لو نقلت إلى لغاتنا تصفها لأصبحت ذا ثراء طائلة في المعلومات و لغيت مكتباتنا بها "

فيقول الدكتور لايتنر (Dr. Leitner) مشعرا بفقلتنا المؤسفة هذه : إن المسلمين لكثيرون، و لكنهم ماذا يعلمون ؟ فان احتاجوا اليوم إلى كتاب ذا أهمية في التاريخ أو إلى ديوان شاعر منهم فلم يسع لهم إلا أن يرجعوا

ذلك سوى نیاز الفتحيوري و بعض المتطرفين مثله . فما قصدت لسرد هذا الكلام إلا أنه إذا تطرق أثناء البحث فكان لابد لي أن أستعرضها وأوضحها في ضوء التاريخ والواقعية، كذا استعرضتها في السطور الماضية .

بحوث المنشورة في مجلة " الندوة " :

والآن أتناول أهم جزء من هذا المقال، وهو بحوثه ومقالاته التي نشرت في مجلة " الندوة " وما كانت قيمتها ودورها في الأوساط العلمية وقراءها حينما كان مولانا كنائب مدير تحريرها، فأولا أقدم فهارس الموضوعات التي تناولها مع تعيين العدد والسنة، ثم أقدم تلخيص بعض منها بالايجاز، فالموضوعات والتعليقات على الأنباء التي حررها مولانا آراد كما تلى :

- ١- مسلمانوں کا ذخیرہ علوم و فنون اور یورپ کی سرپرستی (ذخیرہ علوم المسلمین و فنونهم وإشراف أوروبا علیها) المجلد ٢ / العدد ٨ شعبان سنة ١٣٢٣هـ / الموافق أكتوبر عام ١٩٠٥م مشتملا على ١٢ صفحة .
- ٢- المرأة المسلمة في ثلاث حلقات : الحلقة الأولى في المجلد ٢ / العدد ٩ رمضان ١٣٢٣هـ / نوفمبر ١٩٠٥م على ١٥ صفحة .
- ٣- المرأة المسلمة في الحلقة الثانية المجلد ٢ / العدد ١٠ شوال ١٣٢٣هـ / ديسمبر ١٩٠٥م مشتملا على ١٤ صفحة .
- ٤- الأخبار العلمية : المجلد ٢ / العدد ١٠ - نفس المجلة مشتملة على ٥ صفحات .
- ٥- المرأة المسلمة : الحلقة الثالثة المجلد ٢ / العدد ١٢ - ذي الحجة ١٣٢٣هـ / فبراير عام ١٩٠٦م .
- ٦- الأخبار العلمية : المجلد ٢ / العدد ١١ - ذي القعدة ١٣٢٣هـ / يناير ١٩٠٦م مشتملة على ٦ صفحات .
- ٧- القضاء في الاسلام : المجلد ٢ / العدد ١٢ - ذي الحجة ١٣٢٣هـ / فبراير ١٩٠٦م ورتبها بأسرها كاملة .
- ٨- يورپ مين گونگون کی تعليم : (تعليم البکم في أوروبا) المجلد ٣ / العدد ١ - محرم ١٣٢٤هـ / مارس ١٩٠٦م ،

آزاد معربا إلى القراء العربية، فقد أثبت الكاتب المصرى فى البحث مستدلا بدلائل الطبيعية والشرعية بأن " المرأة " لاتساوى مع الرجال كما تكلم فيه على النقاط العلمية والتاريخية والاجتماعية والعمرانية والحكمة بأن حرية المرأة وسفورها مخالفة عن أداء مسئولياتها الطبيعية . ويستحسن أن يلاحظ تفصيل هذا المقال بلسان مولانا آزاد، فانه كتب فى " الندوة " مقارنة بين البيئة الهندية والمصرية فقال :

" اختلاف التعليم و حرية الرأى كما حدث بهما بون بعيد فى البيئة الهندية وزعا الناس فى طبقتين . أحدهما : المؤيد لتعليم القديم، و ثانيهما : المولع بتعليم الحديث، فالبيئة المصرية أيضا كذلك . فالبعد الذى وقع بين الحزب القديم والجديد فى الهند يرى ذلك البعد فى مصر أيضا، لكن مع هذا الشبه الكامل هناك فرق كبير أيضا بينهما، و هو أن التعليم المصرى ليس لكسب العيش فى مصر، بل ظهرت به النتائج المفيدة، و نشأ بذلك فى الناس الذوق الأدبى و الثقافى و المؤلفات الأدبية التى يفتخر عليها اليوم و هى حصيلة هذه الطبقة المثقفة الجديدة . أما فى الهند و لوطلع الطبقة المثقفة على مقتضيات العصر، و تسائر مع أوربا، لكن سلبت منها مادة أهلية الامتياز بين الصحيح و الردى، و لأجل نقصها التعليمية فلا تستطيع أن تميز بين الحسن و القبح على العكس كما تنظر مصر إلى أوربا بنظر الحب و الوله كذلك أهلها ينتقدون أيضا عليها، و كل ما يكتبون ضدها فهو يكون نقدا هادفا و قويا مدلا" ثم كتب مولانا آزاد :

" و من إحدى مباحثها الجديدة هى " حرية المرأة و حجابها " فقد جرت هذه المسألة أيضا فى الأيام الماضية فى مصر كالهند، و أحد أفراد من المجتمع الحضارى هو المستر" قاسم أمين بك " الذى كان من مؤيدى حجاب المرأة فى زمان، و كان يستنكر الحرية الحاضرة لأوربا بشدة . و قد ألف رسالة فى اللغة الفرنسية فى تأييد الحجاب الشرعى الاسلامى، التى أحدثت ضجة و ثورة فى فرنسا لعدة أيام، لكن تغيرت فكرته و وجهة أنظاره فى الأيام الماضية فجأة، فبدأ ينظر إلى الحجاب بنظر البغض و الغضب و المقت و السخط، و استنكف منه عوضا عن حرية أوربا، و ألف رسالتين تلوا بعد تلو و نشرهما فى حرية المرأة و أيدها بقلمه من نار ملتهب، و اختار فيهما موقفا عنيفا تجاه الفكر الاسلامى، فسمى أولهما بـ " تحرير المرأة " و ثانيهما " المرأة الجديدة " و قد ألجأت هاتان

إلى أوربا . فالمسلمون لا يعرفون عن ابن خلدون وابن رشد وابن بطوطة، والحاجي خليفة، وابن الأثير، والمقريزي الذين هم أساطين العلم في الاسلام . وكم منهم قرأوا دواوين تأبط شرا، وإمرى القيس، والبحترى وأبى تمام، ولكن في أوربا مئات من الناس يقرأونها، أما ترجمة القرآن الكريم فيقرأها مئات آلاف (٢٣)

فقد علق مولانا آزاد في البحث بعد نقل هذا القول بأن الدكتور لايتنر (Dr. Leitner) يتأسف على أن المسلمين إذا احتاجوا إلى كتاب عربي مهم فيطلبون من أوربا، لكنني أتأسف على أن المسلمين لا يعرفون ماهي الكتب النادرة التي نشرتها أوربا، فضلا أن يطلبوها منها .

فقد كتب مولانا آزاد هذا المقال لكي يعرف به المسلمين على علومهم وما قامت أوربا بخدمات جليلة من نشر العلوم والثقافة التي يستفيدونها المسلمون بفضلها، فجعل لهذا البحث جزئين، واستعرض في أولها بأن أوربا بذلت عنايتها إلى اللغة العربية ودراسة علومها، و ماهي الكتب المهمة التي انتقلت بعنايتها من العربية إلى اللغات الأوربية من صرف ونحو وأدب ولغة و.....

و في ثانيها قدم فهارس لتلك الكتب التي نشرت بفضل أوربا (٢٤) فكان هذا البحث بحثا علميا قيما مفيدا كذلك . وقد نال القبول والاعجاب في الأوساط العلمية، و كان يستحق أن ينقل إلى اللغة العربية بالأخص، لكي يطالع به علماء العرب على جهود علماء المسلمين في الهند، و في مقدمة هؤلاء العلماء صاحب هذا المقال مولانا آزاد الذي وقف حياته في خدمة العلم والدين والدولة ونشر الثقافة وإصلاح المجتمع

المرأة المسلمة : (ص : ١٥-٢٩ نوفمبر ١٩٠٥م / ج ٢- العدد ٩ و ١٠ و فبراير ١٩٠٦م / ج ٢- العدد ١٢)

و الموضوع الثاني الذي تناوله مولانا آزاد في المجلة - في أعدادها المذكورة - تلقاه الناس بالقبول والاعجاب هو " المرأة المسلمة " للكاتب المعروف فريد وجدي المصري، و كان صدور هذا الكتاب بمصر قبل تسع قرون تقريبا، و كان كتابا قيما في الموضوع، فقد علق عليه مولانا آزاد تعليقا حسنا، و قدم تلخيصه أمام القراء الأردية أول مرة عن طريق مجلة " الندوة " فما تبلى جدته حتى الآن بعد مرور قرون، فأقدم هنا تلخيص قول

فى ثلاث حلقات فى " الندوة " فى شهر نوفمبر و ديسمبر عام ١٩٠٥م وفى فبراير عام ١٩٠٦م، ثم ضمت هذه الحلقات فى كتاب صدر من " روز بازار " بأمر ترست تحت منشورات صحيفة " الوكيل " وتلقى قبولا من قراءه .

القضاء فى الإسلام :

كتب مولانا مقالا آخر حول هذا الموضوع و نشره فى شهر فبراير عام ١٩٠٦م، والأسف لى ما عثرت على هذا المقال، لذلك لا أستطيع أن أخصه أو أقوم عليه بالتعليق .

تعليم البكم فى أوربا : (مارس عام ١٩٠٦م ج ١/٢ ص : ٢٧-٢٩)

ثم كتب مولانا آزاد مقالا علميا مفيدا فى المجلد الثالث و العدد الواحد المذكور حول موضوع " تعليم البكم فى أوربا " ذكر فيه نظام دراسة البكم، و ما هى أسباب البكم الخلقية و بدايتها و تاريخها ؟ و البكم كيف كانوا كلالا و ارثيهم، ثم متى بذلت أوربا عنايتها على دراسة هذه الطيقة البائسة ؟ فقد استعرض الكاتب (مولانا) على هذه الجوانب كلها فى البحث بكل دقة و تحقيق، فقد كتب :

كان قد ظن الناس بأن تعليم البكم أمر محال، كما كان ظنهم بأن البكم لا يستطيعون أن يتعلموا بدون النطق و التكلم، كما كان حسبهم بعض الأمم منحوسين و مشثومين، كما كان الناس يتفاءلون بولادتهم بهلاك الأسرة، كذلك زعمهم الناس فى فرنسا أيضا إلى زمان . حتى قام أحد من أهل أوربا المسمى بـ " كروم كردان " فى القرن السادس عشر الميلادى، و بذل سعيه فى نشر تعاليم البكم و اخترع طريقا لدراستهم و استرعى انتباه أوربا إلى تعاليمهم، و كان قوله :

" الكتابة مربوطة بالكلام و الكلام بالفكرة، لكن هذا يمكن بأن يبدى الرأى بدون النطق بواسطة الأخيلة، و الأخيلة بالحروف و الكتابة " (٢٧)

ثم كتب مولانا :

فقد أثر هذا القول أثرا باثقا فى عامة الشعب، و قد تغير بهذا رأى كثير

الرسالتان إلى التفكير من جديد لأهالى المصر على هذه القضية، فقد قام أصحاب أقلام مصر بالرد على أفكار " قاسم أمين بك " حتى ألفوا خمس رسائل مختلفة واحدة بعد الأخرى و كان ألف احداها أحد الفضلاء من بيروت، و الأربعة الأخرى ألفها الكتاب المصريون، " المرأة المسلمة " للكتاب المعروف السيد فريد وجدى، التى قام بتعريفها مولانا آزاد فى " الندوة " كانت إحدى تلك الرسائل فإنه كتب :

" أريد أن أعرف بها القراء - بالأردية - على مباحثها القيمة، التى تلقى ضوءا مفيدا على " تحرير المرأة " (للقاسم أمين بك) فى جانب، و بجانب آخر يعرف بها الذوق الأدبى و الثقافى الجديد، و يعرف بذلك مدى اختلافه من الذوق الذى يوجد فى الهند " (٢٥)

ففى هذا التأليف الأنيق تناول الكاتب - فريد وجدى - موضوع " المرأة المسلمة " و مسئولياتها الفطرية و مؤهلاتها الخلقية (البدنية) و مشاركتها مع الرجال فى مجالات العمل، كما ناقش الباحث عن الحجاب و ما يتعلق منه القضايا الأخرى، كذلك عرض فى الفصل الأخير من الكتاب ما هو أحسن طريق و أسلوب لدراسة المرأة • فلماذا اختار مولانا آزاد هذا الكتاب للترجمة و التعليق عليه، و كيف وقع بصره عليه، فأحسن أن تلاحظوا هذا الجواب منه فإنه قال :

كان الكتاب قد يؤلفون فى هذا الموضوع منذ عشرين سنة فى الهند، و قد قدموا قدرا طيبا من الأدب المختص بالموضوع و خلاصة هذا الدفتر الكبير : أن الطبقة المتحضرة التى أظهرت النقائص فى التقيد بالحجاب، فليس هذا من رأيها، بل رأيها بمنظار الغرب و أتبعها فيها، فهى لاتستطيع أن تسطر بسطر ما و تعرب عن نفسها ضد الغرب لأجل دهشتها، فالرأى الذى يظهر من الرؤس المتغطية من الطربوش بدلا من قبة، هو رأى الغرب، فالذين قاموا بتأييد الحجاب برسالاتهم كان معظم عددهم من المثقفين القدماء، فما كان لديهم معرفة عن البيئة الجديدة و كل ما كانوا يكتبون فيكتبون فى ضوء الدين معتمدا عليه، أما المذهب فليس له أثر على الطبقة المثقفة المتحضرة • أما الباحث فريد وجدى فإنه كلما كان يكتب يكتب فى ضوء أقوال أوربا مستفادا منها، و راعى فى كتاباته بيئة أوربا، فظهر بناء على هذا بأن " المرأة المسلمة " كما يؤثر على الطبقة المتحضرة فلا يؤثر مثله كتاب آخر من كتبنا المذهبية عليها • (٢٦) فلأجل هذا الغرض اختاره مولانا آزاد للتعريف به و نشر مقاله

العلامة شبلى، و لو لم يسنح له هذه الفرصة الغالية للاستفادة منه، ربما لضاعَت هذه الشخصية العملاقة الناهقة من أيدينا التى أنجبتها الهند و يفتخر عليها العالم كله . فقد طلع على أفق الصحافة بفضل " الندوة " و مؤهلاته الفردية و الشخصية قبل ظهوره على منصة الخطابة و السياسة و الأدب . و لأجل شهرته العلمية و خبرته الصحافية ازداد طلبه من الصحف و المجلات و المؤسسات الهندية و تجاوب على دعوة " الوكيل " بأمريتسر (٣١) كما ذكرت فى البحث .

و قد عرفه العالم فيما بعد كامام الهند، و رئيس المؤتمر الوطنى و وزير المعارف الأول فى الحكومة الهندية، و مدير " الهلال " و " البلاغ " و مفسر القرآن الكريم المسمى بـ " ترجمان القرآن " و مؤلف قدير بطائفة من الكتب العلمية، و خطيب مصقع و ما إلى ذلك من الميزات الأخرى، فالفضل يرجع إلى " مجلة الندوة " و تربية العلامة شبلى، فإنه سعى لصياغة ذهنه و فكرته و إبراز شخصيته المنفردة الممتازة . كما كانت له علاقة قوية مع حركة ندوة العلماء حيث قضى فرصته الذهبية أكثر من نصف سنة فى مستهل حياته العلمية كما ذكرت فى البحث، فإذا احتاجت - ندوة العلماء - إلى مشورته أو نزلت بها نازلة فى زمن الذى كان فيه مولانا وزيرا للمعارف ، فإنه قام بحلها بكل فرح و إخلاص مشعرا بسعادته، و إنه كان كأحد أفراد من أسرة ندوة العلماء، فكم كان يحب أن يرى مستقبلها مشرقا و زاهرا، فلا زالت هذه الحركة التى يقودها الآن العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوى متقدمة، و تلعب دورا قياديا فى صياغة الجيل الجديد كما كان يأمل منها مولانا آزاد، كذلك أنه كان مديونا لحسنات العلامة شبلى طيبل حياته . فلما أسس مجمع دار المصنفين بأعظم كره فإنه حظى بعضويته بصفة دائمة كما اختاره المسئولون كزميل فخرى فإنه تلقاه بالقبول ردا باحدى رسالته :

" لو يكون فيه موضع حمال لأقبله بشرط أن يكون المجمع صحيحا و خالصا " فإنه كان يفتخر عليه . و لما تولى منصب وزارة المعارف فى الحكومة الهندية الجمهورية فكان أحسن إلى هذا المجمع عدا المؤسسات الأخرى .

من الناس، وقد فهم الناس بأن البكم الطبعى والخلقى ليس بأمر محال ولا غير ممكن، وفى عهد " كردان " قام أحد راهب المسمى بـ " بونسى " بهذا العمل المجيد والبطولة، وأراد أن يقدم نموذجاً لدراسة البكم، لكن جهوده كانت محدودة إلى ذاته فحسب، فإنه ما استطاع أن يعلم طريقته وما ألف أى رسالة فى الموضوع، إذ صدر كتاب من " ميدريد " فى عام ١٩٢٠م للعالم الأسبانى المعروف بـ " بونت " فإنه قام بتأليفه بعد التجربة والتحقيق، فكان ذلك حصيلة حياته قدم فيه قصارة دراسته، كتب فيه المؤلف جميع طريق التعليم والتربية للبكم، وأول مرة أسست المدارس والمعاهد فى إيطاليا ثم فى الغرب للبكم * ثم عمت هذه الطريقة فى البلاد المتمدنة الكثيرة * وبعده تكلم مولانا على دراسة البكم فى أوروبا وأمريكا قائلًا :

يدرس البكم اليوم فى أوروبا والأميركا على منهجين *
أحدهما : بإيماء الأيدي
ثانيهما : بواسطة الألفاظ

فقد كان هذا البحث أيضًا نافعا جدا وموضوعا جديدا، فقد نال به الشهرة فى الأوساط العلمية وقدم فى آخر البحث فهارس البلاد التى أقيمت المدارس فيها للبكم مع تعداد الطلبة آنذاك فيها مثلا :
فى فرنسا ٦٢ مدارس، وعدد الطلبة ٣٨٩٦ يدرسون فيها البكم، وما إلى ذلك من الأمثلة للبلاد الأخرى * (٢٨) وعلاوة هذه المباحث التى ذكرتها آنفا ذكر مولانا آزاد محبة العلم والصداقة للعلمى والأضرار فى المقالة المذكورة فى عهد المسلمين *

هذه هى المقالات والبحوث التى نشرت فى مجلة " الندوة " لمولانا آزاد حينما كان نائب مدير تحريرها، فنال بها الصيت والشهرة فى الأوساط العلمية حتى بدأ الناس يستفسرون من العلامة شبل عن هذا الشاب الناهض اليلمع، فأجاب العلامة شبل فى إحدى رسالاته التى أرسلها إلى الكاتب مهدى الأفادى :

" إنك تعرف آزاد عن طريق " مخزن " (٢٩) ورأيت مقالاته بقلمه فيها قبل * أما آزاد فانه ترقى هنا فى المعلومات لأجل مكوثه عندنا " (٣٠)

فلأجل علاقته مع مجلة " الندوة " ومساهمته فيها كنائب مدير تحريرها ساحت له الفرصة الغالية بأن يبدأ رحلته العلمية وحياته الصحفية والكتابية تحت إشراف عالم جليل وأستاذ كامل فى الفنون مثل

- ١٥- براني چراغ (المصباح القديمة) ج : ٤٥/٢ للشهين الندوى، طبع بدلى عام ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
- ١٦- المصدر نفسه :
- ١٧- مجلة " آكل " بالأردية الشهرية الصادرة من دلى عدد ممتاز عن مولانا آزاد، مقالة : العظمة الصفية لمولانا آزاد للصفـ نياز الفتورى ص : ١٨- أغسطس عام ١٩٥٨م
- ١٨- المصدر نفسه : ص : ١٩
- ١٩- " علامة السيد سليمان الندوى شخصيت وأدبى خدمات " (شخصية العلامة السيد سليمان الندوى وجهوده العلمية) للدكتور محمد نعيم الصديق ، ص : ٢٢٤ طبع عام ١٩٨٥م فى لكاناؤ. تلقى المؤلف على هذا المقال شهادة الدكتوراة من جامعة كوركفور (GORAKH PUR) عام ١٩٧٩م
- ٢٠- " شلى نامہ " (المكاتب للشلى) للشهين محمد اكرام ص : ١٢١ طبع فى باكستان
- ٢١- راجع التفصيل " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " ص : ٣١٥ و " حياة شلى " للسيد سليمان الندوى، ص : ٣٤٥ و " مولانا أبو الكلام آزاد فكر وفن " للدكتور ملك زاده منظور، ص : ٩٩- ١٠٠
- ٢٢- سيد سليمان الندوى حياة و تصانيف للدكتوراة مع جبين زبدي، ص : ١٣ نالت الكاتبة شهادة الدكتوراة على هذا البحث من القسم الأردى بجامعة كراتشى عام ١٩٨٤م. ولعل البحث لم يطبع بعد، و عندنا نسخة خطية موجودة فى مكتبة دار المصنفين بأعظم كره.
- ٢٣- مجلة " الندوة " الشهيرة المجلد ٢ / العدد : ٨ شعبان ١٣٢٣هـ / الموافق أكتوبر عام ١٩٠٥م، ص : ٢٣-٢٤ مقالة مولانا آزاد : ذخيرة علوم المسلمين....
- ٢٤- المصدر نفسه، ص : ٢٤
- ٢٥- " الندوة " المجلد ٢ / العدد : ٩ رمضان ١٣٢٣هـ / نوفمبر عام ١٩٠٥م- و " مولانا أبو الكلام آزاد فكر وفن " ص : ٩٧-٩٨
- ٢٦- المصدر السابق نفسه :
- ٢٧- مجلة " الندوة " مارس ١٩٠٦م المجلد ١ / ٣ ص : ٣٢-٣٣
- ٢٨- المصدر نفسه، ص : ٣٩-٣٤
- ٢٩- إشارة إلى صحيفة " مخزن " التى أنشأها الشهين عبد القادر المرحوم عام ١٩٠١م و كانت تصدر عن لاهور تنشر فيها مقالات مولانا آزاد فى مستهل حياته الصحفية، و بهذا الجانب أشار العلامة شلى فى رسالته.
- راجع " حياة شلى " ص : ٤٤٤
- ٣٠- مهدى : ١٩- " حياة شلى " ص : ٤٤٤
- ٣١- المصدر نفسه، ص : ٤٤٥

المصادر و المراجع :

- ١- " حياة شبلى " للعلامة السيد سليمان الندوى، ص: ٤٣٧-٤٣٨ (طبع فى معارف بريس باعظم كره ١٩٨٣م)
- ٢- المصدر نفسه، ص: ٤٣٩
- ٣- المصدر نفسه، ص: ٤٤٠
- ٤- المصدر نفسه، ص: ٤٤٣
- ٥- المصدر نفسه، ص: ٤٤٤
- ٦- إشارة إلى صحيفة " الهلال " الأسبوعية التى أنشأها مولانا آزاد عام ١٩١٢م و كانت تنشر فيها مقالات تكتب من نار و تنتقد السياسة الأوربية الطيبة فى قوة و بلاغة لايعرف لها نظير، و هام بها المسلمون فى أرجاء الهند، و يتهاافت على قراءتها آلاف مؤلفة من المسلمين الوطنيين، و هذه أول صحيفة تنشر بصورة على آلة الكتابة، فقد اخترع فيها مولانا طريقا جديدا، فإنه ما كان مقلد الشئ بل دائما يخرق طريقه فى كل شئ*.
- ٧- كانت المجلة مستمرة فى الصدور إلى ديسمبر ١٩١٢م (راجع " فى مسيرة الحياة " لسماحة الشيخ الندوى، ص: ١٣٤ ط: دار القلم دمشق ١٤٠٧م)
- ٨- " مولانا أبو الكلام آزاد فكر و فن " للدكتور ملك زاده منظور، ص: ٩٥-٩٦ ط: سرفراز بريس لکناؤ ١٩٦٩م*.
- ٩- " آزاد کی کہانی خودآزاد کی زبانی " (قصة آزاد بلسان آزاد) رواية شيخ عبد الرزاق الملمح آبادى ص: ٣٢٨
- ١٠- مولانا آزاد فكر و فن للدكتور ملك زاده منظور، ص: ٩٦
- ١١- " ثقافة الهند " مجلة فصلية بدلهى مقالة الأخ سلمان الشمسي المجلد : ٢٠ / العدد : ١، يناير ١٩٦٩م ص: ٧-٨
- ١٢- " آزاد کی کہانی آزاد کی زبانی " ص: ٣١٥ للملمح آبادى*
- ١٣- برانى چراغ (المصابيح القديمة) للشيخ أبى الحسن على الندوى ج: ٤٥/٢ طبع فى جه . كه بريس بدلهى عام ١٩٨٠م*.
- ١٤- " مولانا أبو الكلام آزاد " (بالعربية) للدكتور عبد المنعم النمر- وزير الأوقاف بمصر سابقا، و إنه نال شهادة الدكتوراة من جامعة إزهر على هذا البحث و لعله أول بحث كتب بالعربية عليه، مع أن الكاتب لايعرف الأردنية إلا ما أخبره الناس* و جميع المصادر عليه كانت بلفستنا الأم ، و لأجل ذلك بعض جوانب المهمة ما تناولها فى البحث* مع هذا أنه يستحق منا الشكر و التقدير فالفضل للمتقدم* ج: ١ / طبع فى مصر عام ١٩٧٣م*.

المسؤولية التى أعتقدها وديعة مقدسة لثقتكم بى * لاشك أننا نواجه مشكلة صعبة فى وقت صعب ولكن إيماننا لم يتزلزل، ولو أننا كنا فى ريبة بطرق عملنا، ولكننا لانشك أبدا فى صدق هدفنا * إن مساعينا المتواضعة هى للحق والعدل، وإننى على يقين أن أحب على عند الله فى أرضه وهذه هى مشيئته * ومن اللازم أن نعترف بضعفنا وعدم قدرتنا، كما يجب أن نكون على حذر من شدائد المشاكل والعقبات، ولكن ينبغى ألا نكون خائفين من النتيجة * ويجب أن تكون على يقين أن رحمة الله التى ساعدتنا فى تلك الحالة الأولى مع قلة أدواتنا هى التى تأخذ بأيدينا فى هذه الحالة من الامتحان والابتلاء، ويكون النصر لنا فى الأخير *

لمحة نظر :

سادتى !

إننى لست على جهل فى حدود البحث والنظر، مهما تكن كثرة الأفكار والمقاصد سببا لإمتحان التمالك والتماسك فإننى سأحفظ نفسى من التقدم إلى تلك الحدود التى يجب أن تضبط رئيس اجتماعكم السنوى وبالأخص فى حال أنكم قد استصنتم الانتخاب للرئاسة * إننى لأعلم أننا فى فترة التغيرات * ومن هذه التغيرات، تغير فى ذلك التصور الذى كان من تقاليد وقواعد هذه القاعة *

فالآن لانتظرون ممن يترأس الاجتماع أن يضيف عملا ضخما فى الأدب السياسى أو يمتحن قوة تحملكم فى السماع بفصاحته المملة * على عكس ذلك تريدون أن يقول لكم، ابدؤا العمل فورا * إن تغير عواطفكم هذا فى الحقيقة نتيجة لذلك الانقلاب الذى حدث فى كفافنا حيث أن قومية الهند بعد أن كملت مرحلة البحث والنظر تحولت إلى الحياة العملية * ويبقى لكم الشئ المرغوب فيه هى الفصاحة، بل السذاجة فى العمل *

فلو غمضت عيونى عن جميع الأمور الثانوية والجانبية متمسكا بالمقصد الأساسى وأعتنى فى ذلك بالسذاجة والاختصار فيكون فى ذلك اجابة إلى رغباتكم أكثر منها إلى رغباتى *

المسائل المحلية :

ولو نظرت فى الأمور التى تتعلق بالوقت الحاضر لكنى أرحج السكوت

كلمة الرئاسة فى الاجتماع الخاص لحزب المؤتمر الوطنى دلهى ، ١٥ / ديسمبر ١٩٢٣م

بقلم : هولانا أبى الكلام آزاد

أيها المندوبون ، سادتى و سيداتى !

فى مثل هذا اليوم العصيب الحاسم من نضالنا الوطنى، قد أجبرتكم الحال على الإجتماع فى هذه القاعة، قبل انقضاء عام * واضطرتكم على ذلك لتبحثوا و استرشدوا لحل المشاكل الحالية * فاذا قلت إنه وقت اجتمع فيه العمل مع مشاكل الأهداف، الوقت الذى لا نظير له فى تاريخ هذه القاعة فيكون ذلك، فى نظرى، أن يشعر به كل واحد منكم * وقد اجتمعتم منذ ثلاث سنوات فى مثل هذا الإجتماع الخاص بكلكتا * فكان ذلك اليوم أيضا يوما عظيما فى التاريخ * وكانت عظمة ذلك اليوم كمثل تلك الأيام التى تعلن فيها الأمم معركة التحرير * و فى أهمية هذا اليوم نرى لمحات من الأيام التى فيها الأمم من الصعوبات الحاسمة للحروب * فى ذلك اليوم كنتم تفكرون فى بدء المعركة و اليوم مضطربون لنتائجها * فى ذلك الوقت تبحثون عن السفر و اليوم عليكم خطر الضلالة، فى ذلك اليوم تتطلبون السفينة ولكن اليوم كما قال الشاعر الفارسى " حافظ " الخالد الذكر قد تحركت السفينة من ضفة، والصفة الأخرى مازالت بعيدة، وبدأت الأمواج تحيط بالسفينة " *

سادتى ! حينما اخترتمونى للرئاسة فى مثل هذا الوقت الحاسم فأشعر برسالة من الاحترام والثقة من جانبكم التى لا أراى مستحقا لها ولايسعنى إلا أن أراها نتيجة حسن ظنكم بى * فاذا استطعت أن أفوز من جانبكم بثقة على خدماتى الوطنية فينبغى أن أتيقن أنها شهادة اعتماد عظيمة من جانب وطنى وأمس * وإننى لأشكركم على ما أظهرتم لى من العزة و الاحترام * لكننى أرجو منكم المعونة و المساندة فى تحمل

الأحوال الحالية لأمر محال، وأنه لا يمكن الاعتماد على الدواعيد البريطانية المقطوعة، وهم أيضا يشعرون أنه لا بد من المقاطعة القومية * ولذلك يرون أنه ينبغي للهند أن تقاطع المعرض الامبراطورى بكل قوة *

أيها السادة !

إننا ف، هذه المناسبة لن نشتكى على أنهم قد تأخروا فى الاعتراف بالحقيقة، وكذلك لنفسى أن الحقيقة كانت منكشفة قبل ثلاث سنوات، كما هى تتراءى لنا اليوم بعد قرار كينيا، فالاعتراف بالحقيقة سواء أكان متأخرا أو مقدما على كل حال، اعتراف * ولنقول لهم إن وطنكم فى حاجة اليكم اليوم كما كان قبل ثلاث سنوات * فاذا كنا فى الواقع نعتقد أن الهند فى حاجة إلى من يصون عزتها فلماذا لا نتحد لغرض واحد و هو صيانة عزة الهند مع بعض الخلافات فيما بيننا *

نصر عظيم لتركيا :

إننى متأكد على أنكم، قبل كل شىء، تتوقعون منى أن أتشرف، نيابة عنكم، باظهار عاطفتكم الفياضة لتقديم التهنئة، العاطفة التى لها صلة عجيبة، ولكنها مفتخرة، بتاريخ كفاحكم القومى، التى تستر فيها قصته العظيمة من تاريخ أعمالكم * إنه كان من مشيئة الله يربط قطران شرقيان بعيدان كل البعد، باسم العدل والاستقلال بحيث أن يتألم الواحد على مصيبة الآخر ويكون للواحد منهما نصر وأمنيات فى نصره ثانيها * فما هما الركنان البعيدان من أقطار الشرق اللذان جعلتهما وحدة العدل والحرية قريبين؟ احدهما الهند، من جانب ، التى حينما كانت فى مرحلة صعبة من مراحل النضال للحرية ، جعلت الخلافة الاسلامية وحرية الحكومة التركية واستقلالها * احدى مطالبها القومية و ثانيهما تركيا، من جانب آخر و ظهور قوميتها الجديدة التى قد شاهد العالم انتصاراتها الثورية كمفجرة خالدة، التى ظهرت روح حبها الوطنى الناصر لعالم الشرق كله فى صورة رسالة جديدة للعمل والحياة *

قبل ثمانية أشهر فى هذه القاعة قد هنيتم الوطنيين فى أنقره على تلك الفتوحات التى حاررتها الجيش التركى فى ميدان الحرب * كانت تلك الفتوحات فى الحقيقة مقدمة نصر عظيم قادم، فكانت تستر فيها رسالة

على التكلم * فما هو الذى يمكن أن يكون لنا جديدا؟ ر الذى يمكن أن نذكره، على أن شكلا جديدا حدث لمعلوماتنا و محسوساتنا؟ قد مضى على احساس القومية الهندية وقت كان ينقد فيه عدم انصاف الحكم الادارى، ثم تبدل النقد إلى الشكوى، ثم أخذت هذه الشكاوى شكل التظلم والمطالبات * إننا بقينا مدة لاتخرج من أفواهنا صيحة على الظلم، و لكن الآن فقد تجاوز الأمر من هذه الحدود و لم تبق سعة لشء غير العمل والعزم * و قد واجهنا الظلم حتى تعودناه كأنه حدث عادى فى حياتنا اليومية، فأصبح ذكر هذه المظالم أمرا غير ضرورى بل صار هذا الذكر بمنزلة الشك فى عملنا وإيماننا * وانكشفت الحقيقة إلى آخر حد اليقين، ولا يمكن فيها الزيادة، ولا انتخا! لرفع ستار جديد عنها * نحن على يقين أنه كل ما نعامل به سيستمر كذلك إلى أن نبذله بنفسنا * لسنا نواجه وقتا أو أشخاصا بل نحن أمام نظام كامل و نعتقد أنه ظالم فى طبيعته، فلو بقى إلى الآن فليس لأنه قوى من ذاته بل لأن اهمالنا قد زوده بالأعمدة * فلما كان الظلم ليس عمله بل خاصته و صفته لا يصح أن نشكى بل ينبغى أن نسعى لإزالته *

— حقيقة قديمة و اعتراف جديد :

إننى أحي بكل رحابة قلب تلك الاعترافات الجديدة للحقيقة القديمة، الاعترافات التى جرت على ألسنة اخواننا الذين كانوا يشتكون الينامن طرق أعمالنا * ليس هناك شء، جديد لنا فى تجارب ثلاث سنوات للمجالس الاصلاحية المزعومة فى ضرائب الملح و تهنيذ الوظائف الحكومية الكبيرة، كما أننا لا نرى ظلما جديدا فى قرارات كينيا، بل انه إعادة من جديد للظلم القديم المتوقع * فيها عاطفة العنصرية والتعصب القومى، و هل لم يكن ذلك موجودا قبل الآن؟ فيها عدم ايفاء المواعيد البريطانية * و لم يعد جديدا قطع البريطانية لمواعيدها، بعد الحوادث التى وقعت خلال خمس سنوات الماضية * فيها انكار عن الشرف الهندى، و حسب ما أعلم ليس هناك نظير فى الماضى لاعتراف عزتها واحترامها * و مع ذلك نفى هذه الأمور لانكشافات لهؤلاء الناس، التى كانت ضرورية لتكميل التجربة وللاعتقاد بالحقيقة * و قد اعترف كثير من هؤلاء " أن الصلات المزعومة كانت مجرد ستائر للخدعة" و أن المحافظة على عزة نفس الهند، فى

تركيا و بريطانيا أو الشرق و الغرب، بل كان هناك أمر أكثر من ذلك، يستتر فيه، انها كانت حرب أصول و معركة مبادئ، متناقضة ، كان من جانب تعنت القوة و من جانب آخر خلويـد الحق و الانصاف* و كانت القوة تدعى أن الضعفاء لا يستحقون الحياة، و كان العدل يعلن بتواضع أن كل أمة عازمت على الحياة تستحق الحياة* واستمر النزاع، كما هى العادة، و فى الأخير أعلنت مشيئة الله النتيجة* فانهزمت القوة بكل ما فى يدها من العدة و انتصر العدل مع كل ما كان معه من الفقر و اليأس* فالنصر التركى فى الحقيقة أكثر من أن تعتبر نصر آسيا أو الشرق بل هو نصر العدل، و العدل أعلى من تفرقات الشرق و الغرب، العدل لا قومية له و لا وطن* و اذا كانت له قومية فهى الانسانية العالمية العليا* فأذنونى أن أقدم التهانى، على هذا النصر إلى العالم الانسانى، وأهنئ كل انسان فى الشرق و الغرب الذى يحترم العدل و الحرية و الانسانية*

الظلم الفاشل :

قد حصلنا فى ميثاق لوزان على جميع ما طالبتـه تركيا و الهند ما عدا استقلال البلاد العربية* و قد اشتمل على شرائط الدكتور ولسن المنسبة و على الوعود الشهيرة التى نقضتها بريطانيا المعقودة فى سنة ١٩١٨م* و كان الشرط الثانى عشر لدكتور ولسن أن تحفظ حكومة تركيا فالحكومة التركية موجودة الآن* و كان رئيس الوزراء البريطانى خال ألا تحرم تركيا من آراضى آسيا الصغرى و آراضى تهريس الزراعية فلم تحرم تركيا من هذه الآراضى و فوق ذلك فالميثاق يشتمل على أمور لم تكن مذكورة فى تلك الوعود* لم تكن الوعود تشتمل على عظمة الاختيار الذاتى لتركيا ولكنها قد حصلت عليها، و لم تكن تشتمل على رفع الامتيازات الأجنبية فى تركيا أو غلق مكاتب البريد الغير التركى اللذان كانا ينفيان الاختيار الذاتى الكامل للامبراطورية العثمانية* قد رفعا الآن* و لانجد فى تلك الميثاق أى اشارة إلى أن المعاملة مع تركيا كانت كما تعامل العدو المنهزم بل عوملت كأنها قوة معادلة* على خلاف ذلك نرى فى الوعود أن يجعل مضيق بوسفورس طريقا عالميا، و لكن الميثاق اعترف بالحكم التركى عليها* و لاشك فى أن كل ما تحقق هو منشأ الوعود و اجابة لمطالبات العدل* و أستسمحكم أن أضيف إلى كل ذلك، لتكميل اظهار

الفتوحات المعنوية و الذهنية فى ميدان السياسة • كانت أول قسط من النصر الكامل الطاهر، و كان للعالم أن يرى عند كماله تعميرا لعظمة جديدة بدلا من العظمة الساقطة التى هى صهوة المريض قبيل الموت، كأنه كان ذلك اعلانا أن تفرش صفوف الأقوام عيونها لاستقبال أمة ستنصرها • وهى كانت قافلة فوز و نتج قد وقفت فى طريقها أكبر قوى على الكرة الأرضية بمشروعاتها الضخمة و عقباتها الثابتة، و لكنها ظلت تتقدم بدون خوف، حاملا للتاريخ رسالة معجزة من عجائب و غرائب عاطفتها الوطنية • و أخيرا جاء الوقت حينما تنفست القافلة فى منزلها • و تقدم التاريخ فاتحا أبوابه ليستقبل أمة ناجحة جديدة • و فى الرابع و العشرين من شهر يوليو الماضى، وقع على ميثاق الصلح، فكان ذلك اليوم يوم ولادة العظمة القومية الجديدة • و كان كمال فتوحات تحتاج كل أمة لحياتها • و عزتها، كان فيه الفوز السياسى أكثر منه الفوز العسكرى، و أكثر منهما النصر المعنوى و الفكرى الذى بدونه لا معنى للفتوحات السياسية و الحربية •

تهنئة عالمية :

أيها السادة !

عند هذا النصر العظيم، مهما تقدم الهند من التهانى الحارة المخلصة، فهو قليل، إن الهند لنعرف من أسرار و معانى الحادثة أكثر من شكلها • انها لا تشاهد فيها انتصار تركيا و نجاحها فى مقاصدها فحسب بل تشاهد انتصار الأرض الشرقية كلها • إننى قبل كل شىء أتشرف بتقديم واجبات التوقير و التبجيل إلى صاحب الجلالة خليفة المسلمين ثم أهنى المجلس الملى فى أنقره على دور فتوحاتها الديموقراطية الجديدة، و فى الآخر ننظر عيوننا أن ترتفع إلى اعظم شخصية فى هذا العصر التى وجودها فى الحقيقة فخطب هذه التهانى،، إننى أقدم التهانى نيابة عن الهند كلها إلى مصطفى كمال باشا • إننى ذكرت الهند و تركيا، و لا أنى أتمكن للآن على أداء واجبات التهنئة الأساسية • إنها فى الحقيقة أوسع من أن تحد بحدود ملة أو قطر • هذا النزاع الذى كان يؤخر الصلح الشامل منذ خمس سنوات، لم يكن مجرد حرب بين الحكومات و الأمم، و لم يكن فى التدبر الفاتح لعصمت باشا و فى التحديات من جانب لورد كرزن تمثل

إلى أن وصلت حداً تشرق فيه الفجر * من يستطيع أن يرى ما يحمله المستقبل القريب فى أحضانه * ولكن ما يحدث الآن تتضح منه مشاهد ثورة الشرق الجديد التى لا تحتاج إلى تكهن أحد * إن يقظة الشرق التى كانت منذ ربع قرن يقظة فقط بدأت تتقدم إلى منازلها * و نتائج مهالك الحرب العالمية ولدت روحاً جديداً للحياة والحركة * إن أيدى مصطفى كمال الساحرة لم توقظ حظ تركيا النائم فصب بل صفقت أيضاً على أبواب الشرق * والآن تنتشر صداها فى آسيا الصغرى من جانب، ومن جانب آخر تعبر أمواج بحر الهند ماراً بصحارى أفريقيا وسواحلها * ومن يستطيع أن يقول صداها لا ترتفع من كل ركن من أركان الشرق *

أيها السادة !

إن الهند لا تستطيع أن تنسى ربطها الطبيعى والجغرافى بهذا الكفاح * وهى حينما يضم كفاحها به يشعر بجميع عواطف الوحدة والارتباط التى ينشئها الزمن والأحوال، و وحدة الهدف بين مختلف الجماعات فى هذه الأرض * فهى ترحب كل أمة تكافح للعدل والحريّة، و تتأسف على كل أمة تأخرت عن أخواتها فى هذا السبيل * وهى تؤكد لجميع محبى الوطن فى مصر والشام وفلسطين والعراق ومراكش وغيرها من الدول الشرقية أن ملايين من الأفقده تضطرب لنجاحهم وأن حبهم لحريتهم واستقلالهم لا يقل عن حبهم لاستقلال وطنهم *

جزيرة العرب :

وبالأخص إنها تجدد عهدها القديم لاستقلال وصون جزيرة العرب * إنه كان بندا هاما من بنود مطالبات الخلافة التى أعلنت فى هذه القاعة فى سنة ١٩٢٠م * إن هذه المطالبات ليست هامة للهند لمجرد أن أكبر عقيدة دينية للمسلمين ترتبط به بل لأن الهند لا يمكن أن تغمض عنها عيونها لاستقلالها وحريتها * إن الحالة الطبيعية والجغرافية للهند ومصر والبلاد العربية كانت حيث أن مقدرات هذه البلاد السياسية قد ارتبط بعضها مع بعض، وأن وجود الهند بدء كل شئ لجيرانها كحلقة أولى و سلسلة، و كان من لوازم ابقاء الهند تحت السيطرة الاستعمارية وجعل

الحقائق أن الوعود قد قهرت فاذا قهرت وعود القوة بالسيف فهي تجود بأكره ما وعدت و هي تعطى القاهر كل شيء * و لكن ليس عندها شيء للعدل *

أيها السادة !

هذا الميثاق سؤال، سيرتب التاريخ في جوابه قصصا فيها عبثة * ولاشك في أن العدل قد اكتمل، و حصل المستحق على حقه، و لكن ماذا حصلت بريطانيا التي ظلت أربع سنوات تدوس قطع وعودها المنقوضة و وقفت نفسها لتكميل الظلم و القهر يعزم صميم لا عهد به للعدل و الحق * إنها أرادت أن تقضى على تركيا و لكن تركيا قويت ضد مشاريعها و قراراتها * إنها امتنعت عن الانحناء أمام العدل، لكنها اضطرت على الانحناء أمام السيف، إنها كتبت القرارات مرارا بالقلم و لكنها كلها مزقت قطعاً بالسيف * إنها رتبت المواثيق كمن يحكم الأمم و يملك التقادير، فتظلمت الهند باسم الحق و العدل و لكنها رفضت باحتقار * و حينما كتب مصطفى كمال ميثاقه بسن السيف فانحنت أمامه كمنهزم لم تستطع أن ترفض ترحيبه، لسنا في حاجة إلى جواب المؤرخ لأن العالم رد على السؤال * في الحقيقة إنها أعطت كل شيء لتركيا، و كل ما حصلت عليها هي لطفة ظلمه الفاشل التي كانت على ظهرها من قبل و لكنها ظهرت الآن، حسب مشيئتها، على جبينها *

الشرق الجديد :

ينبغي أن نتذكر أن الحوادث العالمية التي تظهر على صفحات التاريخ لا تتراءى لمن يشاهدها * نحن نمر من العصر الثوري الذي هو طبق تلك الأزمنة التي بحث فيها المؤرخون أسس التغيرات العظيمة في هذه الكرة الأرضية * إن العالم يميل بسرعة إلى قلب جديد * و جمع الأشياء فيه، التي كان يعتقد عنها أنها غير متزلزلة * صارت في حركة مهتزة * إن الحدود و الخطوط في خريطةها أخذت تتحرك كأصولها و مبادئه فكم من المرتفعات سقطت و صارت منخفضات، و كم من المنخفضات قامت و سارت مرتفعات * إن العروج بعد بلوغه إلى أوجه بدأ في الزوال، و ظلمات اليأس ظلت تتسع

مطالبة الخلافة *

إن المكانة التى حصلت عليها الهند بين الأمم الشرقية و التى اعطتها منزلة هامة فى نظر الطبقة المتبقطة الجديدة فى الشرق * فلو لم يكن هذا الكفاح فما كان مركز الهند فى آسيا و أفريقيا؟ إن الحرية فى تركيا و البلاد العربية قد سحقت بالجنود الهندية فكان من اللازم أن الشرق كله يكرهها * فكل مكان كان يظهر هندی يشار إليه بالبنان أنه من سكان قطر شقى لم يقنع على تعاسته بل صار ذريعة لتعاسة دول الشرق الحرة * ولكن اليوم انقلبت الأحوال * فتستطيع الهند اليوم أن ترفع رأسها قائلة : إن البؤس الذى لطنخ طرف ثوبها قد غسلته بمشيئها و مقدرتها * فماذا حصل أن آلاف الهنود ذهبوا برضاهم و رغبتهم إلى ميدان الحرب ليرفعوا سيوفهم ضد حرية العرب و الأتراك فحصل أيضا أن الأشخاص من الهنود دخلوا السجون برغبتهم و رضاهم مطالبين العدل مع العرب و الأتراك * فاليوم ترتفع أصوات الاعزاز و الاحترام للهند * و يذكرونها فى قسطنطينية كأنها حاملة راية الحرية فى الشرق، و أسواق القاهرة تمتلئ بأصداء " الله ينصرک يا غاندى " ففى الحقيقة إنه مجد الأمم الحرة الذى حصلت عليه الهند المحكومة * و لاشك فى أن هذا كله من نتائج حركة الخلافة * و فوق هاتين النتيجتين يأتى أماننا شىء أكثر من ذلك و هو الارتقاء الذهنى المتحرر للهند الذى حصل عليه بسبب هذا الكفاح * فعلى كل ملء، لتحصل على حريتها، أن تثبت قبل كل شىء، أنها تعرف الحرية و تقدرها * و حينما طالبت الهند أن تركيا و البلاد العربية لا يمكن أن تحرم من الاستقلال فقد أثبت حبها و تقديرها للحرية * الأمم المحكومة لا مشيئة لها و لا رغبة، فماذا كانت الهند ترضى على شىء لتركيا و تسعى لحصوله فانها من سعيها للاستقلال لأن الحصول على الحرية عبارة عن ارتقاء و المشيئة *

أيها السادة !

إننى قد ذكرت فى بدء خطبتى مشاكل العصر، فلكل نضال اجتماعى يشترط الاتحاد فى العمل، و التجنب عن الاختلاف و قد ضعف فيها هذا الشرط لذلك نحن فى خطر، و لكننى قبل كل شىء ألفت نظركم إلى أن تقدروا كمية هذه المشاكل و نوعيتها * فاذا فيها شىء من النقص أو

الحكم الأجنبي فيها دائماً إلا تخرج قناة السويس من يد بريطانيا * والآن يضحى باستقلال البلاد العربية أيضاً على سوء حظ الهند * البلاد العربية التي سحقت حريتها لتشارك الهند، لو صارت مركزاً جديداً في آسيا للاستعمار البريطاني فلا تبدأ حدود استعمار الهند من بحر الهند بل ستقام جدرانها على سواحل الشام من جانب، ومن جانب آخر تبدأ حدوده من موصو و ديار بكر مارا بخليج فارس * إن الهند تؤكد للعرب أن استقلالهم وتحفظهم من الاستعمار الأجنبي، لا يزال هدفها في كفاحها، كما كان في اعلان سنة ١٩٢٠م * وانها مستمرة في كفاحها إلى ما بقيت بقعة من الأراضي العربية تحت السيطرة الأجنبية *

قسطنطينية و سجن برودا :

حينما ترتفع عيوننا إلى قصر الخلافة الفخم في قسطنطينية على النصر العظيم لتركيا فيتوجه تصورنا اضطراريا إلى سجن في الهند الذي سجن في إحدى زناناته شخصية هندية عظيمة * إننى أتيقن أنه اذا كان هناك من يستحق التهنئة على نصر تركيا في خارجها فهو زعيم الهند الأكبر مهاتما غاندى * انه مهماتما غاندى قد رفع صوته لمطالبة هذا الغرض في الوقت الذي لم يرتفع فيه صوت داخل تركيا في سبيل المدافعة المالية * إنها نظرتة العارفة بالحقيقة، التي خمنت من أول وهلة جميع أعماق المسألة، ودعا الهند كلها اليها انها ليست مطالبة المسلمين وحدهم، بل هي مطالبة قومية للوطن كله *

أيها السادة !

إن الكفاح الذي قامت به الهند تحت قيادة مهاتما غاندى في سبيل مطالبة الخلافة هو أهم حادثة في العصر الحاضر التي يبحث التاريخ على نتائجها * ولعل الوقت لم يأت لتقدير نتائجها، مع ذلك فنحن نشعر ببعض ما تنتج اليه بدون بحث و نظر و لكل نتيجة منها عظمة حيث يمكن أن يكافح من أجلها فقط * مسألة الاتحاد بين الهندوسين والمسلمين الذي ما كان استقلال الهند بدونها إلا أضغاث أحلام، و قد استطاعت هذه المسألة المتقلب على المشاكل التي حالت في سبيلها، و كان ذلك من نتائج

أشخاص لا يكون مصدرها شخصياتهم بل يكون مصدرها أحوالهم الذهنية والجسمية • فجميع الأفراد الذين فى حالة جسمية و ذهنية مماثلة تصدر منهم أفعال مماثلة • كذلك فى أعمال الجماعات و أحوالها، تشخص الجماعة و تعيينها أمر غير مؤثر • أن الأحوال و النتائج تتعلق لطبيعة و جو خاص • فكلما كانت نفس الطبيعة و نفس الجو لجماعة يجب أن تظهر فيها نفس الأحوال و النتائج •

نشأة الأقوام و نهايتها، عروجها و زوالها، غفلتها و يقظتها، حريتها و محكوميتها، نجاحها و فشلها كل ذلك يسيطر عليها هذا القانون • و كل ما مرّ بأمة و حدث لها، نفس الشئ، سيمر بأمة أخرى و يحدث لها • هذا هو التوافق المحير فى الحياة الاجتماعية الذى ذكره عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف فى القرن الثالث عشر الميلادى (الذى هو أول من سوّن مبادئ فلسفة التاريخ و أصولها) فى قوله : لو حذفنا قيود الأسماء و الأزمنة فتاريخ أمة أو زمن سيكون نفس التاريخ لكل أمة و لكل زمن لأنه ليس هناك تغير فى أحوال الأمم سوى أسمائها و أشكالها • و قد وضع نفس الحقيقة المؤلف الفرنسى الشهير الدكتور جوستاوى بان على أحسن وجه : لما تكمل تدوين الحياة النفسية كما كملنا للحياة الشخصية فيمكن لنا أن ندون تاريخ أمة و نستعمله لكل أمة و لكل مدينة • إنه يكون مفيدا لنا كما يفيدنا تقويم ألف سنة •

سفر الكفاح الملى و منازلہ :

أيها السادة !

يجب علينا ألا نغفل من الأحكام القطعية التابعة لذلك القانون للحياة القومية • فهذا هو الأمر الذى يمكن أن يحمو عجبنا و تخوفنا الغير المفيد • و يلزم أن نكون عارفين بأن ما يحدث اليوم ليس هو جديد و لا غير معهود، بل هى حالة لازمة و عادة قديمة للمرحلة التى تمر بها الهند فى كفاحها القومى • ففى الحقيقة نحن بما عمل دائما و نرى رؤيا من قبلنا، لسنا نحن إلا ورقة من تاريخ الأمم التى هى نظير أضيف إلى نظائر وحدة القانون الاجتماعى • و قد حدث دائما أن الأمم تيقظت بعد نعاس و بعد ما كمل تغير حالتهم الفكرى و الذهنى، و طرأت تغيرات متتاليات على حالهم

الزيادة فلاعجب لو واجهنا خطرا آخر * نحن الآن فى موقف وسط ، طرفاه الغفلة واليأس * فلو قدرنا المشاكل أكثر من الحقيقة فنكون قد تقدمنا نحو الغفلة و اذا رأيناها أقل من الحقيقة ففيها خطر الأقدام إلى اليأس، فينبغى ألا نكون خائفين ولا غافلين * يجب أن نواجهه ونغلبه ولكن ذلك لا يمكن الا اذا قدرنا المشاكل حق تقدير * ففى هذا الطريق نحن فى حاجة الى الميزان أكثر منها إلى الاسلحة *

وحدة قوانين الاجتماع :

يجب فى هذا الموقف أن نذكر تلك القوانين الطبيعية للحياة الاجتماعية فى العالم التى فى علمنا ولكن أحيانا غلبة العواطف تغمض العيون عما يعلمه الذهن *

نحن مخلوقات على كرة الحياة والحركة هذه، المحيرة العقول، كما تظهر مع حركتها الدائمة الغير متغيرة مخلوقات أخرى غير معروفة المنتشر فى أحضانها * والكرة هذه نفسها جزء صغير من هذه الكائنات الحية التى لاتعرف حدودها ومقدارها، ولكننا عرفنا أن جمع أمورها غير متغيرة ولو أن فيها مظاهر لاتحصى للحياة والحركة * لكنها تابع لقانون حياة واحد كما أن خالقها واحد، لذلك لا يوجد فيها شئ جديد ولا يختلف فيها أمر من أمر آخر * كل ماحدث مرة يحدث دائما، وكل ما كان فيها لواحد يكون للجمع * فهى غير متغيرة ومحيطه بجميع الأشياء، متماثلة وثابتة كما قال الشاعر الفيلسوف الايرانى عمر خيام " قصة حياته واحدة ولو تتكرر دائما باسماء جديدة وصور جديدة " وفى كلمات أكثر اختصارا لشاعر شهير من فرنسا وككتور هيوجو " إن قصة أحداث العالم ولو أنها متسلسلة ولكنها مجرد تكرر " *

كما ابتهج وجدان الشاعر بهذه الوحدة الكاملة فى حوادث العالمية وتجليات الوحدة الغير المتغيرة فى قوانين الحياة كذلك درسها المؤرخ واستدل من نتائجها الفيلسوف * ويلزم علينا أن نفتح لها عيوننا كعامل سياسى * فهذه الوحدة القانونية كما هى للأفراد والأجسام كذلك للجماعات والعصور أجسام وأذهان وكيفيات نفسية التى تتولد من تركيب أمزجتها * إنه من الضروري أن المماثلة فى الطبيعة وفى ما هوالينا تأتى بأحوال مماثلة و نتائج مشابهة فجميع الأفعال الصادرة من

إن النمو الذهنى لأفراد الأمة حينما يصل إلى حد أن يثبت نفسه فى الخارج أيضا فهو ينتظر الأحوال المناسبة* وفى هذه الأحوال المناسبة هو فى حاجة إلى مؤثر قومى يمكنه على جمع العناصر المنتشرة على نقطة اجتماع واحدة، بعد التغلب على جميع الأفكار المنتشرة والمختلفة* وحينما تنقلب أذهان الأفراد إلى ذهن مركب للجماعة فيؤثر فيه عنصر العواطف أكثر من عنصر العقل والادراك، فهذه النقطة أيضا تتولد من العواطف وليس من الادراك* وعندما تظهر هذه الحالة، يبدأ الكفاح العملى وينهض حسب مقدرته ويتصادم بالقوى المضادة* فاما ينجح فى الوصول إلى حد متعين أو يتقدم متمهلا إلى حدما حسب القوانين الطبيعية للطريق* ولهذا التمهل أيضا أحوال مختلفة، ولكن على كل حال انه من اللازم أن قانون رد فعل يظهر أثره إلى حدما* وحينذاك يطرأ آثار يأس واضمحلال، ويظهر أكثر أثره على وحدة التصورات والأفكار ويتراءى كأنها رزمه أوراق كبيرة إما ضعفت عقدتها أو انحلت، وحينذاك تبدأ الخلافات وتهب رياح الانتشار ويواجه الكفاح القومى امتحانا شديدا* ومن حيث أن هذا الحال أيضا طبيعى كجميع أحوال الجماعة فلا تستطيع الادراك والعلم أن يبدل فيها تبديلا كبيرا* إن أفراد الأمة مهما يكونوا ذوى عقل وخبرة بتجارب العالم الماضية فهم لا يستطيعون أن يوقفوا عواطفهم بالتأثر من هذه الأحوال والنتائج* ومع ذلك فإذا كان ذهن الكفاح ورثته سليمان فكل ما يحصل يكون من عوارض الجسم، ولا يكون فيه أى خطر على حياة الكفاح* ويكون ذلك فى أكثر الأحيان توقف مؤقت وفى بعض الأحيان عقدة صعبة وتارة يأخذ شكل التأجيل الخطر* فحينما تنتهى هذه المدة التى كانت لازمة لكيف هذا السكر ترتفع فوق أستار هذا اليأس، ويظهر الكفاح فى روح عمله الملتهب فى أكثر الأحيان أكثر قوة وثباتا* لأن هذا التوقف المؤقت كان سطحيا* والقوى العميقة كانت دائمة العمل، وفى ظهوره الذاتى يحمل مقدارا كبيرا من القوى القديمة مع القوى الجديدة*

إن أعمال الجماعات، كجميع تغيرات الحوادث فى العالم التى إما تنتهى وإما تبقى سارية العمل وإما تتولد مرة بعد أخرى، إنما تكون فى مد وجزر، ونحن نخطأ فى فهمنا حيث نعتبر الجزر نهاية والد حياة جديدة* واعتبار توقف كفاح أمة نهاية خطأ كما أن عند رؤية جزر البحر يعتقد أنه لن يكون فيه مد غدا*

الخارجى فلو استعير استعارة حكيم المانى هرمن فيمكننى أن أقول : إن الروح القومية تنام دائما فى غفلة الأفراد، وتحلم فى تغيرات الذهن وتتقلب على اضطراب العواطف وأخيرا تقدم فى ميدان الكفاح* ثم هذا الكفاح سفر منازل معينة وتقاليد وطرق مقررة التى يلزم أن تحدث لكل أمة ويلزم أن تمر بها كل قافلة، كما أن نجاحه عظيم كذلك عقباته كثيرة وكما أن الفوز يقينى كذلك المشاكل لازمة*

مشاكلها داخلية وخارجية فيها امتحانات للذهن والجسم، فيها طوفان داخلى وسيل خارجى، فيها مزالق فى كل مكان ومزلات عند كل خطوة* ولا يستمر سفرها على نمط واحد* إنه يمشى خطوة خطوة ويتقدم مهلا مهلا وفيها القيام، القيام بعد سقطات والجر مع العقبات* انتصاراتها ليست متسلسلة ولكنها لازمة* النجاح فيها ليس فى كل مرحلة ولكنه فى النهاية لازم ويقينى*

أيها السادة !

إن قانون الله للحياة لا يمكن أن يعطل من أجل تكاسلنا، فإذا سرنا فمنازل له فى استقبلنا، ولا بد أن نعبرها كلها* فإذا توقفت سرعتنا، فأنها تتوقف عموما، وعلينا أن نبدأ الرحلة مرة أخرى بسرعة فمماذا طرأ على حركتنا برهة من التوقف، فيحصل ذلك عموما، فيجب أن نبدأ السفر من جديد* فلو لم نستطع أن نتفق على أمر، أو وقعت عقدة فى رابطة اتحادنا، فلا بأس* فلما ذا لا نتفق من جديد* ولا شك فى أنه امتحان حصل لنا كما يحصل للجميع، ويجب أن نغلب عليه كما تغلب عليه الأمم الجريئة وليس فيه خوف أو يأس أكثر من ذلك* وليس هو برق غريب نزل علينا، إنها حادثة عادية فى هذا السبيل التى حدثت للكثيرين الذين لا علم لنا بهم وسيحدث لكثيرين فيما بعدنا*

منزل الامتحان :

تعالوا نتوقف ونرى، ماهى حقيقة المشاكل التى حلت فى نفسيات الأعمال الاجتماعية؟ لسنا فى حاجة إلى أن نوضح أن المنبع الحقيقى لأعمال الأمة هو الذهن، كما هو الحال فى الفرد الواحد*

الاهمال و عدم الحمية يجعله مهلكا، فالامتحان الذى أمامنا اليوم هو فى الحقيقة وقفة مؤقتة على شرط ألا نتركها تتوسع * كيف يمكن أن نقوم بهذا العمل؟ وما هو علاج صعوبات الوقت الحاضر؟ نحن كلنا نعلم جوابه، ولكن العمل عليه صعب، نحن فى حاجة إلى الاتحاد فقط، و نحن قد اجتمعنا اليوم هنا للبحث عنه *

أيها السادة !

إن هذا اليوم التذكارى قد جاء لأن يعطينا فرصة ثمينة لأن نعبر هذا الامتحان بنجاح، و نحن دعونا عيون العالم كله لتشاهد نتيجة امتحاننا، فهل نستعمل هذه الذكريات استعمالا جيدا؟ علينا أن نجيب على هذا السؤال فى ساعات *

للتعاون سلمى :

لا بد لى أن أبدأ رجائى بجد أولى * نحن قد اخترنا للحصول على مقاصدنا مبدأ عدم العنف و اللاتعاون (ترك التعاون) * وقد وضعنا أساس اللاتعاون على عقيدة ساجدة ولكنها عالمية و هى الات تعافى مع الشر و يجب أن نتركه وحيدا، لكى لا يمكن أن تنمو و تترعرع * و هى حقيقة صادقة فى جميع الأديان و التعليمات الخلقية فاذا بدلنا كلمة الشر بكلمة الخسارة فى هذا التعريف الأساسى (و فى رأى أن كليهما مترادفان) فيكون ذلك عقيدة عالمية للنوع الانسانى بل يكون ميلان عاطفى للطبيعة الحيوانية * و هنا تأتى أيضا نداءات الأديان فى مسامعنا، فالاسلام قد لقن متبعيه مبدأ اللاتعاون الذى غرضه ألا تكونوا وسيلة التعاون و القدرة لأولئك الذين فى أعمالهم خسارة عملية لكم * و حكمت الأديان الأخرى بنفس الأوامر * فاذا نظرنا إلى ميدان الكفاح السياسى للأمم فانهما ليست عقيدة متفقة بل انه عمل متفق عليه * إنه لحقيقة واضحة أنه ليست هناك جماعة فى العالم استطاعت الحصول على حقوقها عن طريق التعاون *

إن المقاطعة و المقاومة السلبية و التمرد المدنى التى هى أسلحته ليست معارف جديدة فان الأشخاص و الجماعات الضعيفة اذا تعذر عليهم النضال المسلح لجأوا إلى هذه الطريقة كذريعة لتحفظ أغراضها

قد طرأ على كفاحننا القومى توقف بعد حركة، فكان يجرى بسرعة و فجأة أحكام المسئوليات الدولية أشارت إلى أن توقفوا فصادفه التوقف * و كان من الطبيعى أن يشعر بصدمة شديدة و نتجت منها كل ما هو يقتضى مثل هذا التوقف و من نتائج ذلك أن حدث اضطراب فى جمعيتنا * و تراءى كأشياء ملفوفا مربوطا بدأ يفتك و ينتشر بسرعة * فما السكوت العام فى الكفاح، و الاختلافات فى داخل الجمعية، و الفتور فى الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين أو الضعف فى مساعى الاتحاد كل ذلك مظاهر لهذه الحالة *

أيها السادة !

لاشك فى أنه امتحان يجب التغلب عليه بعزم ناجح، و ربما نضطر إلى نضال شديد، فعلى كل حال أرجو منكم ألا تأخذوا أثرا فى أذهانكم أكثر مما ذكرت، إنها حالة للمرء الذى يكون عالما بنفسيات الأمم و توارىخها * كحالة ذلك الرجل الذى كان يغدو فتوقف ليتنفس ثم يجرى * و ينبغى ألا نبالى أن من يخالفنا و ينقدنا يرغبون فى الانخداع من حالتنا هذه، لأننا نعلم أنهم فى حالة لا يعترف فيها بالقوة إلا اذا ظهرت أمام العيون * و لكن يجب ألا نقبل أى شك فى حقيقة حالنا * فما هو الذى فقدناه؟ جميع قوى كفاحننا قوية، و للآن لم يتزلزل جذورها و نحن لانشعر ضعفا فى أقدامنا * و هل أن نشك فى محسوساتنا؟ ألا نشعر أنها موجودة فى قلوبنا كعقيدة، و فى عيوننا كهدف و تجرى فى شرايين جسمنا كروح *

أيها السادة !

إسمحوا لى أن أعلن اليوم نيابة عما هو فى الحقيقة عبارة عن يقينكم و احساسكم * إننى أعلن بكل طمأنينة أن كفاحننا قائم و مستمر على حاله و نحن فى حال وقفة التى أجلت المعركة الفاصلة، و لكن لا تأجيل فى الحرب، و قد نشأت لنا مسائل التيقظ و العمل الشاق و السعى، و لكننا نرفض أن هنا مسألة التأجيل أو اليأس، و حينما لفتتكم إلى أن ليس هناك سبب لليأس فأودّ أيضا أن أقول لكم إنه ليس هناك سبب للغفلة * و علينا ألا ننسى هذه الحقيقة فى الحياة : أن المرض مهما يكن بسيطا فان

وبسبب هذا التطرف نحن مضطرون أن نسلم في الكلمات الناقدة للرئيس الأمريكي السابق روزولت (التي كتبها في آوت. لك الأمريكية) أنها (هذه التعليمات) عبرت حدود الاعتدال و العملية بدون موانع * و على كل حال فهذا المبدأ من تعليماته مبدأ معتدل، الذي عملته الساذجة واضحة كل الوضوح، وانه يرشد العالم في بحثه الى طريق واضح سهل * و ان الروح الاساسية في تعليماته كانت أن يقضى على الحروب و القتل الانسانى * وأن القوى التي حالت دون الحقوق الانسانية لاتصح أن تحارب بالأسلحة و لا حاجة الى ذلك * فقوتها في مصانعها التي بثوها في جميع الأطراف فلو لم يتسبب الناس في نموها و ازدهارها باعاناتهم و استثمارهم فليس لها البقاء * و قد دعا إليها تولستاي في كتاباته الكثيرة و قد رتبت مجموعة مقالاته باسم "سوشل ايول"، و توجد صدى تعليماته في كل مكان فيها * و في سنة ١٩٠٠م، حينما قتل الأناركيون الملك همبرت ملك ايطاليا، نشر رسالة إلى جميع الجمعيات و الأمم التي كانت تريد الثورة للحصول على الحقوق و الانصاف، كتب فيها : ليس قتل الانسان بعلاج للظلم و الاستبداد، إنه تسليط مرض لدفع مرض، انما العلاج الحقيقي هو أن نترك التعسـا و التأييد لنظام المجتمع الذي تتولد منه المظالم *

هذا الطريق لسهل و واضح، و لكن لماذا لا يعمل به ؟ إنه يجب بنفسه في التهمة * لأن الحكومة سخرت الشعب ببراعة لدوامها و ثباتها * و الشعب نائم من حيث لا يرى شيئا و لا يفهم، فليس عملنا أن نقتل و نسيل الدماء للقضاء على استبداد الحكومات بل يلزم أن نزيل هذا السحر و نوقظ الناس من نومهم الطلسمى *

مهازها غاندى :

العالم دائما يحتاج إلى الارشاد العملى أكثر منه إلى التعليم، و ليس له شيء جديد من الأمور الحقيقية الصادقة و لكن الشيء الذى يهب عظمة جديدة و نجاحا باهرا هو الايمان بهذا الصدق العمل به * و كل واحد يعلم أنه من واجباتنا، النضال في سبيل الاستقلال، و لكن هذا الأمر أن ينبغى أن نناضل لأجل الاستقلال لا يعلم به الا أفراد قليلون من أمثال واشنطن * فلو أن تولستاي دعا العالم إلى مبدئه و لكن أقدامه كان متوقفة في انتظار شخصية أخرى، تلك الشخصية العظيمة التي اختارته القدرة لهذا

و مقاصدها * فهذا السموت الذى أتفق الذى اتفق عليه الدينى و الخلق القومى لأمر قديم جدا فى العالم و هو أن تحملوا المصائب و لاتنحرفوا عن الحق * و يمكن أيضا أن يقال : إنما هذه الأصول كانت سببا للثبات و القرار فى حالة عدم القدرة و الضعف الأولى لكل دين و تعليمات * و نرى ظله فى كأس السم التى تناولها سقراط، و نجد نقوشه على صليب القدس، و سسمع أصداءه فى أزقة مكة * و إن أزمنة القرنين الأولين فى الدين المسيحى قصة بسبب ذلك الطوفان من الظلم و القساوة القوة الغير المسخرة لهذه الأصول هى التى وطدتها و أثبتتها * و قد احتفظ الى اليوم ماكتبه كاثرولوين أحد أرباب المسيحيين فى ذلك العصر و قدمه الى المحكمة الرومية كبيانه التصبرى * و يمكن أن نقرأ كلامه هذا فى كتاب " النزاع بين الدين و العلم " للكاتب الأمريكى دريبر *

لو أن انشاء جماعتنا لم يكن قديما و لكن أى مكان لا توجد فيه المدن و الجرائر و المقاطعات و الحصون و سكنات العساكر و قاعات القصور و مجالس الشيوخ، فنحن موجودون فى جميع الأمكنة التى هى آيات سيطرتكم، و لم نر لكم مكانا ماعدا معابدكم، تصورا لو نريد ثارة الحرب فما تكون الحالة * و لكن ديننا يعلمنا أن نكون مقتولين خير من أن نكون قاتلين * و لذلك نتحمل و لا نحارب *

فماذا تكون روح المقاومة السلبية أكمل و أكثر تأثيرا من هذا؟ لو شئنا استعملنا هذه الكلمات كما هى التى مضت عليها ألف سبعمائة سنة *

النبيل ليو تولستاي :

و لكن من حيث أنه يستعمل كنظام العمل للحصول على الحقوق السياسية و لإهباط نظم الحكم الظالم و أن يقتنع عليه فقط مكان الثورة المسلمة، تصور قدمه أول مرة للعالم فى هذا الزمن معلم مسيحي صادق فى روسيا فى تعليماته الشهيرة * و كان ذهن هذه الشخصية العظيمة فى الحقيقة بروتستانتى متطرف ضد مادية المدنية الغربية الخالية من الروح، و ضد عدم التساوى فى النظم الاجتماعية، و عدم الاعتدال فى الرأسمالية المندفعة، و استبداد الدين الجامد فى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية *

يتعلق بجزء من طريق عملنا ولكن عند ما بدأت المناقشة، فكما هو متبع نشأت أسئلة جديدة * فأول سؤال واجهنا عن نوعية برنامجنا الحاضر * فقد عومل بهذا البرنامج مرة، وقد حصل على النتائج التى كانت ممكنة الحصول، ولكن الحرب لم تصل إلى نتيجة حتمية، وجميع معاركها لاتزال باقية * والسؤال الآن : ما هى نوعية هذا البرنامج؟ هل كان هذا البرنامج من النوع الذى يمكن أن يعمل به فاذا نجح فيها، وإلا فيلزم أن نبحث عن برنامج آخر * أم هو دعوة دائمة غير متغيرة كالدعوات الهينية والخليجية، والتى يجب أن نكررها دائما، ونحصل على مقصدنا في اليوم الذى يعمل بها كامل العمل، كل البلاد أو أغلبية البلاد، مهما تأخر الوقت لذلك *

أعتقد أن ننظر أولا فى هذا السؤال، اننى أجب بالنفى على كلتي الناحيتين من هذا السؤال * إنه لم يكن مجرد عمل طارئ وقع تحت تجربة واحدة كما يظهر من ناحية فى هذا السؤال، ولا انه دائم وغير متغير كما يتراءى من الناحية الأخرى * وقد اختير المتطرف كلتي الناحيتين، والحقيقة بينهما * فيها استحكام إيمان وتغيير طرق العمل، وهى تراعى الغرض والحاجة كليهما *

ولكن لنصل إلى النتيجة الواضحة يجب أن ننظر فى مراحل طرق هذا البرنامج * اننى أرى أن أقدم أمامكم فى هذا الصدد تلك الأفكار التصورات التى كانت أمام عيونى من أول يوم برنامج اللاتعاون * أن هذا البرنامج قد رتب وصدق عليه قبل هذا فى الاجتماع الخاص بكلكتا * وأول لجنة بحثت فيه اجتمعت هنا فى دلهى فى مارس سنة ١٩٣٠م، وقد اشترك فيه للتشاور والبحث مع مهاتما غاندى لاله لاجيت راي والحكيم أجمل خان وأنا * اننى أريد أن أقول لكم إن من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم يأت لحظة تصورت فيه أنه عبارة عن احدى الناحيتين المتطرفتين لهذا السؤال *

نوعية البرنامج :

إن الأصل الأساسى لهذا البرنامج هو اننا نستطيع أن ننجح فى كفافنا السلمى ضد البيروقراطية الهندية حيث انها تضطر على تسليم أسلحتها * ونحن عبرنا مشيئة الهند فى كلمات الخلافة وبنجاب وسراج * ولكن فى معاملتنا ليست كلمات كثيرة وانما هى مستترة فى كلمة واحدة * فالسؤال

العمل * وقد ظهرت هذه الشخصية بوجود مهاتما غاندى * إن العالم كان يعرف حقيقة اللاتعاون حتى قبل تولستاي و لكنه لم يكن عالما بسر قوته العملية قبل مهاتما غاندى *

برنامج اللاتعاون :

إن الطرق التى اختارتها الهند تحت قيادة مهاتما غاندى، مبادئها وهى التى ذكرت آنفا * ولكنها اختلفت عنها فى بعض الأمور، فكان أولا وعظا خلقيا و الآن صار برنامجا سياسيا * فى تعليمات تولستاي اتساعات كبيرة من العقائد والأصول التى كانت تتضارب بكثير من نظم العمل من جانب و من جانب آخر كانت السيطرة فيها على المصاعب العملية مشكلة كبيرة * ولكن فى الصورة الحديثة قد انكمشت أطرافها، وليس فيها الآن شئ يقتضى أن يغير عقيدة سياسية أو دينية لأى جماعة، أو يكون فيها مشكلة لا يمكن التغلب عليها فى وقت محدود * عدم العنف روحها الأساسية، وهى مقتنعة على أنها لولا يمكن قبولها كعقيدة فيمكن اختيارها كحكمة عملية قوية * ولاشك فى أن من أصولها الأولية أن تقطع جميع العلاقات التى هى من بواعث اقامة السيطرة الادارية فى الهند * ولكنها ضيقت حدود دائرة نفوذها، والذى محاط بها ينبغي أن يعمل بها حيث تصبح شدائدها فى أقل شكل * الايثار و ضبط النفس و علو الروح الخلقى من أسلحتها الحقيقية فى المعركة * و مع ذلك فانه يعامل بالملاطفة، ولا يطالب الناس بأمر يكون القيام به صعبا جدا على الاستطاعة العامة * سوى على تلك الجماعة التى لها مركزية و يكون عليها أن تكون نموذجا للبلاد * و فى الحالات الحاضرة يمكن أن يقال أنه أصبح نظام العمل لجميع الجماعات تطالب بحقوقها * والذى هو واضح و فيه سداجة و لذلك يمكن أن يكون عمليا * و يؤكد للقوى العالمية النصر الغير المسلحة و ليس فيه صدق الأصول فحسب بل قد لوحظت فيه أيضا جميع عواطف العمل *

ترتيب العمل :

أيها السادة !

فى بعض البنود من برنامج اللاتعاون نشأ بيننا خلاف و لو كان ذلك

الادارية و لكفاح القومى كليهما، فهو يدعوهم ليحرم العدو من أحسن عساكره و يكسب لحربه أحسن الجنود* فإذا حصل بهذه الدعوة على عدد من الناس فكأنه أُلّف لنفسه أول جيش، و هذا الجيش هو الجيش الرئيسى و الحقيقى فى كفاحه كله* و جميع أمانيه للمستقبل تنحصر على هذه الجماعة*.

هذا الجيش الأول سيبدأ معركته بدون انتظار من جانب و من جانب آخر يجذب إليه من وقت لآخر جماعات تحت أثر دعوته و نموذج العمل* و قد اختار لغرض ثان برنامج المقاومة السلبية و العصيان المدنى* و هذا البرنامج، هى الحرب الحقيقية و عليه ينحصر الحكم الأخير فى هدفه* هذه الطريقة قد جعلت السؤال غير لازم : هل تستطيع البلاد أن تلبى دعوة اللاتعاون فى وقت محدود؟ و اذا خرجت جماعة كبيرة من المحاكم و الكليات عاملة بهذا البرنامج فهل يمكن أن نمسك بها معنا باستقامة ثابتة فى كل وقت من حربنا المستمرة؟ لو لم تعمل به البلاد كلها، فلا تعمل* و لو لم تستطع الكثرة الكثيرة أن تستمر بعد القيام به، فلا بأس، لا يأسف اللاتعاون على ذلك، ولكنه لا يكون خائفا* لا شك فى أنه يدعو إليه الجميع كعقيدة و فريضة* ولكن كبرنامج لا لكفاح الذى لا يحتاج إلى حالة تامة متحدة* إنه لا يجهل هذه الحقيقة أن أعمال الجماعات لا تتبع الاستدلال و العقل* لأنها كلها تكون من خلق العواطف* أن الجماعة إن تعدو و إما تجلس، و لكن قليلا ما يحدث أنها تسير بسرعة على نمط واحد* فلا بد أن يكون هناك مد و جز* فإذا تهيأ الجو الخاص، تأتى آلاف الأقدام مسرعة بإشارة واحدة، و عندما يتغير الحال فلا يتحرك قدم على دعوات عدة* و كيف يمكن أن ينشأ هذا الجو؟ بالحرب فقط، و حربه هو العصيان المدنى* فإذا كان قلقا فمن أجل جيشه الرئيسى الأول* فانتصاره أو انهزمه ينحصر على انتصار جيشه أو انهزمه الخلق* فيجب فى هذا الجيش، مهما يكن قليلا، أن يولد فيه كيفية قوية، لا كمية* إنه يصنع من نفسه نمونجا كاملا للاتعاون يكون راسيا كالجبال و فياضا كالبحار* إنه يقدم الضحية بعد الضحية و يغلب على سياق البلاد و اغراضه بقوة عمله و جذبه* و يتيقن أنه اذا قامت مثل هذه الجماعة فى البلاد، فطبعا للقانون النفسى لمثل هذا الكفاح، ستسنىح لها فرص المعارك الحربية* و حينما وجد جو لمثل هذه المعارك ستسعى إليه آلاف الأقدام بنفسها و بدون دعوة، فلا تكون هناك قلة فى الجنود* فلو لم يحصل على نتيجة فى الجولة

الذى أمام الهند هو، لكل الأمم، هل الحكومة التى تمثل مشيئة الأمة تكون حكومة حرة أم حكومة سلطت عليها بالقوة العسكرية *

كيف نأتى بهذا الكفاح الغير المسلح فى العمل؟ لاشك فى أن هذا البرنامج يدعونا إلى أمر ليس مجرد حاجة أو مسألة الوقت الحاضر بل هو أيضا عقيدة مستحكمة * انه يقول أن ينبغى لنا أن نتجنب الاشتراك فى أعمال نظام الحكم الحاضر و ذلك لانه لا يصح أن نتعاون مع أمثال هذا الحكم * لأننا اذا تجنبنا عنه استطعنا أن نطرح به حيث لا يبقى قادرا على مواجهتنا * ومطالبته هذه تشتمل على الواجبات والحاجات * انها حقيقة متفقة عليها بين الدين والأخلاق والتجربة والتاريخ * وعلينا ألا نكون أداة عمل المظالم التى تجرى علينا * ومن يستطيع أن ينكر هذه العقيدة، أن الشهادات الثابتة من التاريخ والتجربة تدل على أنه ليست هناك أمة حصلت على استقلالها من السلطة الأجنبية بالتعاون مع المستعمر وتحصل أى أمة على هذه النعمة كهدية * انه ضد السيطرة الحاكمة * ومن يستطيع الانكار عنه؟ فماذا وقع هناك التجنب الكامل عن الشركة فى الأعمال فى وقت واحد فلا يمكن أن يشك أى عقل فى أن يمكن قلب التاريخ فى ما بين اشراق الشمس وغروبه ** إن مشكلة هذه السهولة متدرجة فى هذا السؤال عن نوعية البرنامج، فاذا كان، فى هذه الحرب التى مع كونها حرب، ليست بحرب، هناك أى استعداد، فهو هذا *

إننى لا أذهب فى تفاصيل المصاعب ولكنى أريد أن أقول إنه قد اختار، نظرا إلى هذه المصاعب، طريقا تحل جميع المشاكل، إنه لا ينتظر لنجاحه ذلك الوقت الذى يصبح فيه جميع المتعاونين، غير المتعاونين أو يعمل بهذا البرنامج أغلبية كبيرة، ولكنه اختار طريقا يكفى فيها عمل بكمية خاصة * ولو وجدت هذه الكمية فلا ينتظر بقية الكمية ولو تكون راغبا فيه * وصورة هذا العمل أنه قسم إلى قسمين طبيعيين، الأول حصول الأدوات اللازمة للحرب والثانى الحرب نفسها * إنه يحتاج إلى الرجال كأدوات الحرب وإلى تلك الروح التى يراها ضرورية لحربه الغير المسلحة وفى ميدان الحرب يحتاج إلى تصادم مناسب بين قوته السلبية وبين السلطة الادارية الذى يكون فى الآخر ذا نتيجة لكل المعارك الحاسمة *

و للمقصد الأول اختار برنامجا يدعو فيه إلى مقاطعة الحكومة فى اجتماعاتها الرسمية ومعاهدها التعليمية ومحاكمها القانونية لأنه يتيقن أن فى أحياء التعاون هذه رجال يمكن أن يكونوا أحسن الجنود للسلطة

التعليمية والمحامة، فلا معنى ذلك أنه ضد العلوم الأوربية أو المحامات، بل لمجرد أنه ضد هذا الحكم الذى يضطر الواحد أن يبين تهته و يكون ذريعة لاعنته • وإذا قال أن ألبسوا الأقمشة المصنوعة محليا فليس لأنه يكره الملابس الثمينة أو مودات خاصة بل لأنه يرجح الملابس المحلية على الملابس الأجنبية ولأنه على يقين أن البلاد فى حاجة إلى السداجة فى طرق حياتها، لاستقلالها ونجاتها من السيطرة الأجنبية •

التجربة الأولى :

والآن تعالوا نتأمل فى أى حال نحن الآن؟ طبقا للقسم الأول من البرنامج دعونا الناس و هم جاؤا و نظمت الجماعة الرئيسية الأولى وطبقا للقسم الثانى قد هيأت الأحوال بسرعة جو التصادم وبدأت المعركة • كان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٢١م • والآن فليس لنا، فحسب بل للعالم كله أن يسأل إلى أى حد نجح هذا البرنامج • ولكن ما هو معيار فحص نجاحه؟ هناك أمران، وليس لنجاح كليهما معيار واحد، الأول نظام عمل اللاتعاون والثانى كفاحن الذى حصلنا عليه بالقيام على الأول • فلو لم نستطع الحصول على مقصدنا النهائى فى كفاحننا، فليس من اللازم أن تكون المسئولية على نظام العمل • ونجاحه من حيث أنه برنامج عملى، أن نجد شهادة بالتجربة أنه قابل للعمل ومؤثر و منتج • فإذا وجدنا هذه الشهادة فلم يبق شىء لنجاحه ولو بقى لنا النجاح •

و أما كفاحننا فأنكر أن الحصول على هدفنا الأخير يكون معياره • فالحصول على الهدف الأخير ليس نجاح بل هو نجاح تام • ولا بد أن نحصل قبله على فتوحات عديدة و علينا أن نرى : هل يمكن لنا أن نحصل على تلك الفتوحات أم لا ؟

نجاح التجربة :

أيها السادة !

إننى لأتجرأ أن أقول بدون تردد إننى على يقين كامل أن البرنامج نجح، بل انه حصل على أكثر من النجاح الذى يمكن أن يحصل عليه فى أى برنامج مماثل • فانه إن كان منذ ثلاث سنوات مبدأ واضح النجاح

الأولى، فلا بأس لا يكون خائفاً من ذلك، فقد ذهب الجنود ان مضاجعهم، إنه يمارس عمله و يقتض هذه الوفقة للاستعداد لجولة أخرى * فاذا حال مثل هذا الجو يعلن لمعركة أخرى و هو على يقين أن جميع من رقدوا فى مضاجعهم سيركضون، و على كل حال فبرنامجهم يقتض الحصول على نتيجة فى وقت محدود، لا فى أوقات طويلة، ولذلك قدّر أن نتيجة الجولة الأولى ستظهر خلال سنة واحدة *

إننى أرى أن بعد وضاحة ترتيب العمل هذا قد حصلنا على جواب لهذا السؤال الذى نشأ من المناقشة الحالية * فكلتا الناحيتان من هذا السؤال منحرفتان. فمن الحقيقة * لم يكن البرنامج من ذلك النوع الذى يعمل به مرة ثم يترك، و لا يصح أيضاً أن يفض العيون من الأحوال و النتائج و يطل بمصح كمجرد مبدأ اخلاقى و ليست الحرب نفسها النصف الأول كهذا البرنامج، بل هو الحصول على الجنود للحرب، و إنه يقدم لنا خدمات مرارا كلما اشعلنا المعارك الحاسمة، و النصف الثانى هو أن يهيأ ميدان الحرب الحقيقية، و ليس من اللازم لها أن تكون حاسمة فى مرة واحدة *

ذهنية اللاتعاون :

و من هنا يتضح ضمناً أن كل ما أشيع من الدعايات الكاذبة عن ذهنية اللاتعاون كلها كانت بعيدا عن القياس قبل أنه تحدّ للمدنية الغربية و علومها، إنه وعظ لخلق و دين جديد بدلا من الكفاح السياسى، إنه ترغيب فى الرجوع مكان التقدم، عن طريق الرهبانية و التزهّد فى الدنيا * اننى أقول بكل ثقة إن هذا كله تعبير تصورنا الذى لانسلمه *

فى الحقيقة لعلاقة له رأسا بمسائل المعيشة و التعليم و المدنية * ولاشبهة أن فى الهند آراء مختلفة فيما يتعلق بمحاسن و مساوى المدنية الغربية و ثقافتها * أن ذهن أوروبا و أمريكا نفسه صار يضطرب و فاضت سيول من الأصول و التصورات الجديدة * و هذا أيضا صحيح أن لمهاتما غاندى تصورات خاصة فى هذا الصدد كمثل تولستوى و لكن لا رأى لللاتعاون سوى مقصده * هو لا يعلم متبعيه عقيدة دينية كما أنه لا يريد أن يبنى صومعة للتزهّد و العبادة و لترك الدنيا * إنه فى كل حال نظام سياسى، اساسه الحقيقة و الحق * لذلك نعرفه عيون الدين و الاخلاق و التاريخ بنظر مماثل و تدعو بلغاتها الخاصة * فاذا قال ان أتركوا المعاهد

سنة ١٩٢١م* حينما فتحت السلطة الادارية طريق التمرد المدنى الدفاعى بنفاذ التعديل فى القانون الجنائى* إنها كانت فى الحقيقة هى المعركة الاساسية* فلأذكر هنا هذه الحادثة من تاريخه : فى ٢/ ديسمبر بدأت المعركة ولم يمتض عليها اسبوعان حتى ظهرت على السلطة الادارية آثار الانهزام* إلى أن اضطرت إلى اعتراف بقوة الكفاح* ولم يكن هناك بدلا أن تقبل الهدنة أو الصلح، فكانت مستعدة أن تعامل الكفاح كفريق مقابل* ولم تكن هناك مسألة النجاح و الفشل لأى من الفريقين* وكل منهما أجل أعماله مؤقتا* فكانت الحكومة أن توجل نفاذ تعديل القانون الجنائى و تفرج عن المسجونين* كان حزب المؤتمر أن يوقف مقاطعة زياره أمير ويلز للهند* ثم بعد ذلك ينعقد مؤتمر المائدة المستديرة الذى ينظر فى مطالبات الكفاح* و قد أكد على هذه الشروط صاحب العزة الحاكم العام فى ٢١/ ديسمبر بكلكتا مجيبا إلى بعض المندوبين* و مرارا أظهر فى لهجة الطلب و التمنى و الصلح و الاخلاص، ورغبته الشديدة فى أن تنتهى المعركة إلى صورة من التأجيل و الصلح* لم أذكر هذه الواقعة باعتبارها نجاحا كبيرا للكفاح* إن هدفنا عال و بمناسبة يلزم أن يكون معيار نجاحنا أيضا عال* وليس هذا بشئ عظيم أن وجدت رغبة فى الصلح من جانبهم بدون أى وعد، و لكننى أراه نجاحا ابتدائيا لكفاحنا* فقد أظهر لنا أن طريق عملنا إلى أى حد مؤثر و صحيح، و كيف يستطيع أن يغلب الاغماض و الكبرياء، الاعتراف و الطلب فى مدة اسبوعين فقط*

تغير الحال و توقف الكفاح :

فى تاريخ كل كفاح قومى، اذا كانت أشياء كثيرة تذكارية، كذلك هناك أيضا أخطاء يوجد ذكرها، و وجود هذه الاخطاء فى مثل هذه الأحوال أو طبيعى* و اننى على يقين أن قرار باردولى كان من هذه الاخطاء فى كفاحنا، فليس لنا إلا أن نتأسف عليه* و لكننا نراه أمرا يحدث فى مثل هذه الأحوال و ما كان فى امكاننا تجنبه* و فى الحقيقة أن أول معركة حاسمة فى كفاحنا قد انتهت على قرار باردولى* و من ذلك الوقت نحن فى حالة هدنة* فلم تنتهى الحرب و لكن المعركة قد توقفت*

الاختلاف على المجالس :

عندما أخرج عنى من السجن فى يناير الماضى رأيت أن الخدمة التى

بالاستدلال، فهو الآن ايقان ثبت بالتجربة، أثبتت المشاهدة نجاحه •
 ألقوا نظرة دقيقة على جميع تلك المشاكل والعقبات التى حالت فى طريقه، تصوروا قلة الموقت الذى حصلنا عليه عبور منازل الثلاثة : التعليم والاستعداد والعمل • ولاتسنوا أيضا هذه الحقيقة، أنه كان أول خطوة عملية للبلاد فى سبيل تحريرها • ثم انظروا إلى تلك السلسلة العظيمة من النتائج المحيرة التى موجودة بين أيديكم • فكيف يمكن، ولو فى الخيال، أن نتصور فشله؟ وما هو الشيء الذى فيه ولم يعمل به؟ وأى فيه لم يظهر أثره؟ هل لم يترك آلاف من الناس المعاهد الحكومية؟ وهل لم يرفعوا أيديهم من تلك المنافع والنعم التى كانوا يحصلون عليها؟ وهل لم تر فى البلاد ثورة التضحية والايثار العام؟ وهل لم يدخل آلاف من الناس فى السجون راضين وفرحين؟ وهل لم يعجز نظام الحكم المسلح من أن يستطيع على فتح دكان واحد فى الاضراب العام بمناسبة زيارة أمير ويلز للهند؟ وهل لم يشهد كل صباح وكل مساء منذ سنة ١٩٢١م أن شعب الهند أيضا له إرادته وأنه يمكن أن يظهر فى الميدان ويقوم للمواجهة؟

إن ثورة الأمم لاتنشأ أولا من السطح وإنما يتولد فى اعماق القلب والذهن، إنها قد قلبت ذهن الهند فى خلال اثنى عشر شهرا ورفعت فجأة صلاحية عمل الطبقات والجماعات • وبعثت رسالة الحرية الحرية وحب الوطن إلى كل فرد فى هذه القارة • وطرأ بها انقلاب على حياة آلاف من الناس، وأخرجت خوف العقوبات والآلام فى سبيل تحرير الوطن من قلوب الناس حيث أصبح الاعتقال القوية والمحاكم التى تصدر أوامر العقوبة مشاهد الألعاب • وعلى كل حال لم يبق شيء من أمور الكفاح لتحرير الوطن التى لم تفتح الثورة بابها على البلاد • فإذا كانت هذه كلها حوادث أمس، فإذا نحتاج إليه لنثبت أن البرنامج ناجح وعملى وغير مخطئ • فى التأثير • إن اللاتعاون لم يدعى أبدا سيبدى معجزات التقاليد القديمة • كان اعلامه المتواضع أنه اذا عمل به البلاد فيمكن أن تحصل قوة لاتستطيع السلطة الادارية على تسخيرها •

المعركة الأولى :

فإذا سئل : إلى أى حد نجح كفاحنا؟ فيجب أن تلقى نظرة على حوادث

وانما كان فى هل نختار نفس طريق العمل فى وقت الانتخابات الثانية للمحاماة الاصلاحية الذى اختير فى المرة السابقة، أم نجعل فيه بعض التغير؟ اننى عاجز عن فهم أنه لم لا يكون فى هذا الأمر رأيان مع شدة التمسك باللاتعاون؟ إنه مجرد مسألة التغير فى البرنامج أو عدم التغير. وهل تعتبر هذه المسألة من أصول اللاتعاون؟ إن أصل اللاتعاون، أنه لا يصح لنا أن نتعاون مع السلطة الادارية الحاضرة. فاذا وافق عليه أحد فهو اللاتعاون.بقى كيف تستعمله فى حركتنا القومية؟ فكلما تقرر فى هذا الصدد يكون واجب العمل ولكنه لم يكن، على كل حال أساس، إنه فرع، ولم يكن غرضاً مقصوداً وانما وسيلة. فاذا كان فيه اختلاف فى الآراء فهو لا يستحق هذه الأهمية التى تعطى للخلاف فى الأصول.

الحرية هدفنا، وعد العنف واللاتعاون أصولنا و للوصول إلى هدفنا وضعنا برنامجاً، كل بند منه وسيلة وليس بهدف، لا يمكن أن نغير عقيدتنا ولا أن نترك الأصول، ولكن يمكن تغيير الوسائل كل آنٍ وكل لمحّة. فلو لم نقبل هذا التغير فكأننا ما قبلنا الحرب.

ولكن للأسف قد أخذ هذا الخلاف على أهمية فى الفريقين كأنه خلاف فى الأصول. و صرفت من الجانبين قوة كأن حياة الكفاح القومى و مبادئه منحصرة عليه. فقبل من جانب أنه خلاف فى اللاتعاون نفسه. ولكننى أزيد أن أقول بكل احترام : لو سلمنا أن أصول اللاتعاون ضيق إلى هذا الصدد فلا يمكن أن يحيى أى عمل للاتعاون أكثر من بضعة أيام. ومن جانب آخر شدد فى هذا الأمر إلى أن قبلت التفرقة فى القوى المتحدة لحزب المؤتمر. ولكننى أقول، مع الأسف، إنه اذا قبلت التفرقة، وترتيب الصفوف بسبب مثل هذه الخلافات الجزئية فلا يمكن أن يثبت نظام فى العالم.

على كل حال، إن الأهمية التى أعطيت لهذه المسألة أعارضها أنا. فلم تكن هذه المسألة بمكان حيث أن نخطرن من أجلها باتحادنا وأعمالنا الحماسية وكل مكاسبنا. إننى أرى بكل حزم أنكم لو قررتم أى قرار فى مؤتمر " غيا " (GAYA) فما كان هناك أثر لتلك المشاكل التى تسببت إلى ضياع سنة كاملة قيمة من كفاحنا وهى سنة ١٩٢٣م.

ما هو سبب الفتور فى الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين؟ أقول اختلافكم هذا فقط وبسبب هذا الاختلاف تعطلت أعمالكم. فلما لم يبق العمل الأساس للناس الذى تعلقت به قلوبهم فكان من نتيجته الحتمية أن يتعاركوا بعضهم بعضاً. انكم لما تصرفون قواكم إلى هذا الحد فأذكر

هى أشد لزوماً على أن أسعى لإنهاء هذا الخلاف • وحيث كان من اللازم أن أتجنب عن الانحياز إلى أحد الجانبين بعدم اظهار آرائى الشخصية، فلم أجد فرصة إلى الآن أن أظهر رأيى المتواضع فى هذا الموضوع، و اليوم أول فرصة لأن أفتح فمى فى هذه المسألة • أن الجماعتين اللتين جاءتا فى حيز الوجود، تشتمل كل واحد منهما على أعبائى المحترمين الذين فى قلبى عزة و احترام نحو صلاحيتهم و خدماتهم، كما يلزم أن يكون فى كل هندى • و على كل حال لا ينعنى ذلك من اظهار آرائى بكل وضاحة • فلو لم أفعل ذلك فيكون ذلك إلى جانب عدم أداء الفريضة، الاستعمال الخاطى، لتلك الثقة التى أظهرتم لى اليوم •

إن أول شىء أريد أن أقول فى صدد هذا الاختلاف، اننى أخالف الفريقين قطعياً من أول يوم فى ما أعطوه من الأهمية لهذه المسألة، ولأتجرأ على القول بأن أصل المشاكل الموجودة يستتر فى هذا الخطأ •

إنه من الواضح أن كلما ظهر خلاف، يجب علينا قبل كل شىء أن ننظر فيه هل هو خلاف جذرى أو فرعى؟ و هل يترتب أثره على أصل من أصول الشجرة أو على أحد فروعها فقط؟ فإذا كان الخلاف فى أصل من الأصول فلاشك فى أن يجب علينا أن نظهر فيه تمسكاً و ثباتاً بكل قوة، لا مسامحة فيه و لا ملاطفة، و تراعى فيه مسألة الأغلبية و الأقلية و لا يمكن أن توفه مسألة النظام • ولو كان الخلاف فى فرع من الفروع فتقلب المسألة رأساً على عقب • وهنا أيضاً يجب ألا نكون ضعفاء فى آرائنا، و لكن يلزم ألا نكون أشداء فى العمل حيث لا يقبل الليونة • فإذا احتيج نفض عيوننا عنه فإذا تعرضت مصلحة كبيرة فلا بأس أن تضض بهذا الأمر الصغير من أجلها • و بالتعاون مع الجماعة، و الانقياد للحزب، و الاتباع للنظام كل ذلك يكون فوق هذا، و لا يترك لمثل هذا الأمر البسيط • و لاشك فى أن العزم و الثبات من أوصاف الانسان فى الدرجة الأولى • و لكن فيما اذا وضعت فى محلها الصحيح و تستعمل بكمية مناسبة • و اننى لأقول بدون تردد ان هذا الخلاف لا أهمية له لمسألة اللاتعاون • ما هو اللاتعاون من حيث الأصل؟ اننى على يقين أنه ليس هنا من يستطيع القول به بنود هذا البرنامج التى توجد فيها كلمات الكليات و المحاكم و المجالس، إنه ليس عبارة عن ترك الالتحاق بالكليات الحكومية، أو منع المقترعين عن اشتراك فى التصويت • إنه أمر فوق ذلك كله و هو اللاتعاون، و نحن نعلم أن الخلاف لم يكن فى اللاتعاون و لم يكن فى هل نذهب إلى المجالس للتعاون فى العمل أم لا •

فى الرقى والنجاح كذلك الطاعة شرط لكل عمل اجتماعى * ويمكن أن يخطأ القائد فى اصدار الأوامر فللجندى أن يكون له رأى على خلاف ذلك ولكن لا يصح أن يخطو خطوة على خلاف ذلك * فلو أخطأ القائد فى أمر فيجب أن نضض بأنفسنا بمثل ما عمل جيش سبا سنوبول الذى رثاه تهنى سن على دماره، ولكن لا تخرج من الطاعة، نتحمل خطأ واحدا أحسن من أن ينهار النظام كله *

حزب المؤتمر القومى هو الحزب الحاكم الوحيد اليوم * ونحن فى حال الحرب، فيجب علينا ألا نقلد تقليدا أعمى سواء أكان ذلك فى قرار الحزب أو فى رأى أكبر زعيم من زعمائنا ومع ذلك يجب ألا نحل أنفسنا من الطاعة * الفريق الذى يخالف التغييرات، لا يحتاط فى أنه لا يكون أن يتقدم إلى التقليد والجمود والفريق الذى يصر على التغيير لا يقيم بأنه لا يصح لنا أن نخرج من الطاعة بسبب الاختلافات الجزئية *

برنامجنا فى المستقبل :

أيها السادة !

أرجوكم أن تسمحوا لى أن أعرض لكم آرائى عن الأحوال الماضية وطرق عملنا فى المستقبل * إننى على يقين أن قيادة مهاتما غاندى للهند قيادة حقة، ولو استطاعت الهند أن تحصل على الحرية والنجاح فى قيادته فقط * وللهند اليوم ثلاث طرق فقط ! إما أن يقنع بما هى عليه اليوم وإما تقوم بالثورة المسلحة وإما يعمل باللاتعاون * فلا نستطيع أن نقنع بما نحن فيه * ولا يمكن لنا أن نقوم بالثورة المسلحة، ولا نريدها * فبقى لنا الطريق الثالث، هو اللاتعاون *

أما برنامجى، فلم يأت أمانا شئ * نشعر به ضرورة تغير جذرى * ولكن علينا أن نسلم أن المواجهة الأولى قد انتهت ونحن فى وقفه حربية ويجب أن نستعد للمعركة القادمة * والمعركة الحاسمة لا تأتى إلا عن طريق التمرد المدنى * فلو أغمضنا عيوننا عن التمرد المدنى حاليا، فنحن واثقين بالتمرد المدنى الدفاعى *

نعم نحتاج له إلى أحوال، بعضها يتعلق بتجهيزاتنا، وبعضها يتعلق بطرق أعمال السلطة الادارية، فنحن لا نحصل على الحالة التى نريدها إلا اذا اختارت السلطة طريقا خاصا لعملها فمثلا تمنع حركاتنا بالعنف

لمحة أن النجاح لا يتوقف على الأسلحة و نوعية الطرق بل يتوقف على قوة الجيش نفسه • والسؤال عن كيفية الأسلحة سؤال من الدرجة الثانية • والسؤال الحقيقي هو كيف يكون الجنود؟ وما يكون حالهم الخلقى؟ وفى الأسلحة يكفى أن تكون حادة فلو لم يكن من الدرجة الأولى فلا بأس • والجيش لابد أن يكون فيه الاتحاد و الثبات • فالجيش المتحد يمكن أن يغلب بالأسلحة الرديئة • ولكن أجود الأسلحة لا تستطيع أن تكسب النجاح بالعساكر المنتشرة و الغير المطمئنة، نحن نتضارب منذ سنة على مسألة بسيطة جداً • وهى ما هى تكون نوعية الأسلحة؟ ولكن لأننا ما هى حال العساكر اليوم • فإذا انتشر الجيش فما فائدة أحسن البنادق؟ ولنفرض أن مقاطعة المجالس هى أهم مسألة أو فى استيلاء على المجالس غلبة على أمور العالم كلها، ولكن لو لم تكن لكم قوة متحدة و انقلب نظامكم، ولم تبق مسئولية للمركز القومى، وأهم من ذلك كله اذا تسرب الانشقاق فى الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين، فكيف تقومون بالمقاطعة؟ أو كيف تغلبون على مقاعد المجالس؟

الإفراط و التفریط :

أيها السادة !

إن الأمور التى علينا أن نحافظ عليها ليست هى الجزئيان، وإنما هى الأصول، فلا يصح على أى حال أن ننتعق فى أى مسألة جزئية إلى حيث أن ينشأ منه خطر حدوث أصول جديدة التى يولد لنا فى المستقبل مشاكل أساسية • فلما أخذ هذا الخلاف شكل النزاع و المناقشة بين الجماعتين اللتين جاءتا و الوجود بسببه، فكان لابد من وجود ميلان إلى الإفراط و التفریط • ولكن من واجبنا أن نحفظ منه قلوبنا و أذهاننا • ولاندعو إلى الإنقياد الأعمى، ولكن يجب أن نثبت أنفسنا على طاعة النظام • والمراد بالإنقياد طلب الحالة الذهنية للانسان التى فيها يتجاوز حد الاعتدال فى اتباع من يعتبره عظيماً، وبدلاً من أن يستعمل ذهنه و عقله يصبح قول رجل واحد عنده معياراً للحق و الباطل و الصحيح و الغلط • مثل هذا التقليد سواء أ كان فى سبيل الدين أو فى العلم لأكبر عائق لرقى الانسان و سعادته • ولن ينبغى لنا، أن نعرف به السياسة • وعلى خلاف ذلك المراد بالطاعة هو الاتباع الذى يقوم بالجندى لقائده، فلما كان التقليد عائقاً

على عمل، لأننا نقصد التعاون فى العمل، لو كان للأعمال المفيدة فى الظاهر. ويجب أن يوضح أيضا إلّا نقبل فيها مسئولية منصب مهما يكن بسيطا ولاى مدة تكون وتحت أى آنية كانت.

بقى سؤال : ماذا يكون طريقة عملنا فى المجالس بعد الدخول فيها؟ فتكون له صور مختلفة وكثير منها تكون تابعة للأحوال. على كل حال هناك أمر واضح ولازم، وهو أن يجب على الأعضاء اللاتعاونيين أن يخرجوا منها فى وقت مناسب. فنحن نفتار الدخول فيها لأننا اذا جعلناها ركنا من أركان الحرب فيكون أفيد من المقاطعة. فاذا غلب ظننا أننا لسنا فى هدنة بل فى حالة معركة، فأنا، على الأقل، لا أشير لللمحة إلى التصور بالدخول فى المجالس. ولأجل ذلك وافقت على برنامج "غيا" ولو كنت فى كامل اليأس منه، لأنه اذا كان هنا أقل أمل فى نجاحه يجب أن نسعى له متكاتفين ولا نتصور الدخول فى المجالس. وعلى كل حال اذا شئنا وضعنا اليوم برنامجا لنا بعد الانتخابات أو نوجه للاجتماع السنوى المقبل وربما يكون الشكل الثانى أحسن. وماذا يكون العمل فى الخارج؟ هذا هو أهم شئ، وعلى هذا ينحصر افادة الركن الجديد للحرب. أريد أن الفت أنظاركم فى هذا الأمر إلى الأمور التالية :

- ١- يجب أن نبدأ من جديد عمل التبليغ للاتحاد بين الهنوكيين والمسلمين كجزء لبرنامجنا البنائى وسأقدم حالا تفاصيله.
- ٢- اتحاد نقابات العمال الذى لايمكن أن نقوم بعمل متغافلين عنه.
- ٣- تعليم الشعب كتابة وخطابة. نحن فى نشاط كفاحنا الماضى اضطررنا على أن نعمل للاتحاد. الاستعداد والمواجهة فى وقت واحد، ولكن فى الوقفة الحاضرة ينبغى إلّا نغفل عنه، يجب أن نسعى لننقىش على قلوب الناس أصولنا ومقاصدنا للاتحاد القومى واللاتعاون والتمرد المدنى ولا يكون ذلك كمجرد حسن عقيدة دينية، بل علينا أن نؤمن بوجوبها تحت عاطفة الحب الوطنى فقط. ويجب أن نعد الاعلانات والنشرات بكثرة فى لغات الهند المختلفة ونوزعها، ويقوم المتطوعون والأعضاء العاملون من الحزب برحلات المدن والأرياف وليعلموا الناس بثبات كأن المعاهد التعليمية قد فتحت مؤقتا فى جميع أطراف البلاد ويوضع برنامج لهذا العمل لمدة ثلاثة شهور أو ستة شهور. وفى استطاعتنا أن نعلم البلاد مقصدا خاصا فى هذه المدة. فاذا وضعت الحكومة عقبات فى هذا

و الاستعداد أو تستعمل القانون استعمالاً خاطئاً، كما فعلت في المواقف السابقة* فلا شك في أنه أمر ليس في اختيارنا، ولكن مع ذلك انه موضع اطمئنان أن القوانين الطبيعية للأحوال الحاضرة في جانبنا* لسنا على علم أننا على الصراط المستقيم فنسب بل نعلم أيضاً أن الفريق المقابل على الطريق المخطئ، طبيعة هذه المعركة أن يترك الفريق المضل مراراً* فاليوم ليست المعركة بين السلطة الادارة و بين أذهان الهنود بل هي معركة بين نظام فاسد و بين مطالبة حقّة* فلا بد من أن تصد عنها الأخطاء مرة بعد مرة كما أنه من اللازم أن يجد الكفاح على قوى و فرصاً جديدة* و يجب أن نكون على يقين أنه اذا استمر استعدادنا في مدة قصيرة تنشأ أحوال تساعدنا على بدء المعركة الثانية، بمجرد بدء المعركة ستجذب إلينا الجنود و سنرى أن السرر أصبحت خاوية و الميادين ملآنة*

معركة المجالس :

و لكن كيف نقض هذه الوقفة حيث يتهيأ لنا على أسرع ما يمكن جو مناسب للمعركة؟ و إلى جانب ذلك يكون نافعا لمشغولياتنا الحاضرة فهل يكون نافعا أن نقاطع الانتخاب للمجالس أم لا؟ أم نذهب إلى المجالس حيثما ما استطعنا على الحصول فيها على الأغلبية و نجعلها ركناً مؤقتاً لمعركة اللاتعاون؟

أيها السادة !

بعد النظر في جميع جوانب المسألة قد وصلت إلى رأى و هو أن في الحالات الحاضرة لا يستحسن أن تقاطعها يمكننا في الخارج* كما كانت المقاطعة ضرورية في الانتخابات السابقة، كذلك اليوم ضرورى أن نحصل على المقاعد إلى أقصى حد ممكن و نذهب إلى المجالس التشريعية و الاصلاحية* و نختار طريقاً تجعل هذه الأماكن ركناً من أركان كفاحنا*

ففي رأى المتواضع يكون موقفنا أن تدخل جماعة منا في المجالس من ناحية، و من ناحية أخرى تستمر حركتنا من الخارج و المجلس الأعلى للمؤتمر يراقب كلا الموقفين و يعمل في كل مكان تحت نظام واحد* و يجب أن يقرر قطعياً أن الدخول في المجالس يكون حسب برنامج معين يقرره الحزب و ان برنامجنا يشتمل بوضوح على الأمور التي تصون موقفنا من أوساخ التعاون في العمل* إنه يقيناً أن الدخول فيها لا يمكن الاستمرار

والمسلمين* إنه أول أساس لبنائنا الذى بدونه ليس تحرير الهند فحسب بل جميع تلك الأمور التى ضرورية لرقى البلاد وحياتها، تصبح أصفاث أحلام* ليس اننا لانحصل بدونه على الاستقلال القومى فحسب بل لانستطيع بدونه أن نولد فينا المبادئ الأولى للانسانية* اذا نزل ملك من السحب السماوية ووقف على منارة قطب معلنا أنكم ستحصلون على الشمس فى خلال ٢٤ ساعة بشرط أن الهند تسحب يدها من الاتحاد بين الهندوكيين والمسلمين فاننى أترك الشمس ولا أترك الاتحاد* فاننا اذا تأخرنا فى الحصول على الشمس فتكون خسارة للهند ولكن اذا ذهب الاتحاد من أيدينا فتكون خسارة للعالم الانسانى كله*

ما هى الحالة الحاضرة للبلاد؟ فكل من يكون فى قلبه ذرة من الحب للهند هل يستطيع أن يصبر على رؤية هذه الحالة، منذ أربع سنوات قد اعلنا اعلانا عظيما لعزتنا وشرفنا الملى* وقلنا للعالم أن ينتظر استقلالنا، ولكن فى الوقت الذى هو المنصف ليسمع قصة استقلالنا قد تهيأنا أن نرتب قصة خجلنا المحكومى واسالة الدماء الجنوبية، و صارت الحالة أن قد أخذت حركة " شدهى " (تطهير الناس باجبارهم على قبول الديانة الهندوكية) والمدافعة عنها والتجمع لها مكان "سوراج" (تحرير البلاد من التغلب الأجنبى واقامة حكومة عادلة) والخلافة وبدأ الناس أن يتشاغبوا من أجلها فى كل جانب* يقال من جانب : صونوا الهندوكيين من المسلمين* و يقال من جانب آخر : احفظوا عزة الاسلام من مهاجمة الهندوكيين، مادامت الصيحات تعلو لصون الهندوكيين والسلمين فكيف يمكن أن تحيا العواطف الشديدة لصون الهند المسكينة* من جانب تشعل العصبية الدينية الجنوبية بوسيلة الجرائم والاجتماعات و من جانب آخر الجهلة المخدوعون يسيلون دماءهم بغزارة، ميرت وأجمير و سهارنפור و آغره، و بلول وغيرها من الأماكن الكثيرة تأثرت باضطرابات دموية شديدة* ومن يعلم ماذا يكون فى المستقبل من نتائجها المؤسفة*

أيتها السادة !

إننى أريد أخطب يوضح جميع أولئك الذين يقومون بدعاية عند هذه العواطف بأنه لا يمكن تحمل هذه الأحوال، إننى أتقدم خطوة إلى الأمام وأقول : إننا متقدمون إلى الحرية فلا تقفوا فى سبيلنا، فاذا وقفتم فعلينا أن نزيل من طريقنا جميع العقبات* وأعرض لجميعكم الذين حفروا هنا من كل ركن من أركان الهند و تطلون معكم دماغ الهند و لسانها، اذا كنتم

العمل فذلك يكون أفيد لنا، وليس ببعيد أن ينشأ الجو المطلوب
بوسيلته *

الجزء المتبقى من البرنامج البنائى :

و لكننى أريد أن أوضح كل الوضع أنه لا يصح لنا الدخول فى
المجالس إلا صورة واحدة وهى ألا تسمح لنا المؤتمر بذلك فحسب بل يقوم
بدور القيادة فى هذا الأمر* فإذا كان اليوم قراركم خلاف ذلك، فكما قلت
أنفا بالتفصيل، لا يصح لأى فرد أو جماعة منا أن يخطو خطوة واحدة خلاف
هذا القرار* وإننى لأرفض كل الرفض أنه أمر يستدعى خروجنا من طاعة
النظام* فإذا قررتم اليوم ألا نرشح أنفسنا فى انتخابات المجالس فى هذه
الحالة يكون رأى أن نرجح المقاطعة على الدخول، لأن الأمر الأساسى لنا
هو الاتحاد فى كفاحنا* والطريق الذى نختاره متحدين أحسن من
الخطوات المتفرقة* وكلما لا يكون هناك مسألة الاعتقاد لا يصح أن نخرج
من طاعة النظام*

أيها السادة !

عند اجتماع " غيا " قرر مؤتمر علماء الاسلام أن ينبغى للمسلمين أن
يتجنبوا الترشيح فى انتخابات المجالس، وفى الحقيقة أنهم كانوا يرون
أساس اللاتعاون من الناحية الدينية، فكان من الطبيعى أن يمتنعوا عن
الطرق التى تتسبب الضرر للأساس* إن الدخول فى المجالس نافع أو مضر هو
أمر بيت فيه أولئك الذين لهم تجربة فى هذه الأمور، ولكنهم أنفسهم كانوا
مختلفين فيما بينهم فى ذلك الوقت، فكان من اللازم أن يختار العلماء
الوجهة التى تكون فيها الحيطة، وفى حالة الخلاف كان مقتضى الحيطة
أن يتجنب، ولكنى أؤكد لكم انكم اذا قررتم أمرا فليس هناك سبب لأن
يصروا على شىء فى هذا الأمر*

الإنذار بين الهندوكيين و المسلمين :

أيها السادة !

إننى قد أخذت كثيرا من وقتكم الثمين فى ذكر الشيطان والجدران
ولكن بقيت مسألة أساس كفاحنا* إننى أشير إلى الاتحاد بين الهندوكيين

ذلك لأنهم كانوا أقلية * و اليوم تثير هذه الحركة أولئك الذين عددهم ثلاثة أضعاف، اننى أريد أن أقول بوضاحة إننا اليوم لسنا فى حاجة إلى أى تجمع للهندوكيين ولا للمسلمين فى الهند * نحن فى حاجة إلى تجمع واحد فقط وهو حزب المؤتمر القومى الهندى *

إننى لا أريد أن أناقش تفاصيل هذا الأمر * لأرفض صحة الأدلة التى تذكر فى تأييد هذه الحركات * يقال ان فى سنة كذا كانت الاضطرابات و كانت خسارة أحد الفريقين أكبر فيجب أن ينظم جمعية ضد الفريق الثانى *

وأقول : انه لو سلمنا هذا الطريق فى الاستدلال فكل جماعة تستطيع أن ترتب مثل هذه القائمة لخسارتها * وبعد ذلك تعلن عن نظم الجمعية * فإذا ألقينا نظرة على الحوادث التى وقعت فى بومباى خلال عشرين سنة الماضية، فنجد عددا من الاضطرابات التى حدثت بين طائفتين من المسلمين * و كل واحد منهما قتلت و نهبت كثيرا من الأخرى * ولكنى أريد أن أعلن بوضوح تام أن فى هذه الفترة من الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين ، حدوث الاضطراب فى ملتان و وقوع خسارة كبيرة للهندوكيين ضد المشاغبين المسلمين، لخسارة يجب ينجرح بها قلب كل مسلم * مع ذلك فان البلاد، مثل الهند، التى يسكنها مئات الملايين من الناس، و التى دخلت فى عهدها الجديد منذ قليل من الزمن * و التى فيها عصبية دينية شديدة، و التى فيها ثوران العواطف الدينية، ليس ببعيد أن يقع فيها مثل هذه الحوادث و لا يعتبر ذلك أمرا غير ممكن * و علاجه الحقيقى أن الطبقات الأخرى لا تأخذ أثرا منها و لا تثور فيها مثل هذه العواطف الطائفية * يذم المعتدى و يعطف على المظلوم * و ليس العلاج أن يوسع فى هذه الحوادث المحلية، و يدعى فريق المواجهة جاعلا المسألة هامة للبلاد والطائفة كلها، ثم يجهز الفريق الثانى عدته من جديد و بذلك تقوم الحرب التى لا نهاية لها *

إننى لا أنكر أن لكل جماعة فى الهند أعمال كثيرة لإصلاح نفسها و تنسيقها، و يجب على كل جماعة أن تسعى لتصليح ضعفها بنفسها، ولكنى أنكر قطعاً أن يمكن لحركة إصلاحية أن تقوم فيها اذا هيئت مادتها من الاضطرابات و من دم الحروب الأهلية *

كذلك أقول لحركة " شدهى " إننا لنستطيع أن نضع على الورق الحركة السياسية المتمدة و النزاع الطائفى الدينى فى حقلين مختلفين إلا انه

لاستطيعون أن تقررروا : هل يدخل اللا تعاونيون المجالس، أم لا، فلا هرج *
ولكن لله لا تقوموا من هنا الا بعد أن تقررروا : هل الهند تحتفظ بأمنيتها
الرامية لحريتها أو تدفنها فى آراضى آغره و سهارنפור المملطة بالدماء!
عليكم اليوم أن تصدروا حكمكم فى هذا الصدد واصرفوا جميع قواكم من
أجله * فاذا صبرتم على ذلك اليوم فتيقنوا أن سفركم سيتأخر لسنوات *

تنظيمات طائفية :

أيها السادة !

لم تمض مدة كبيرة كان المسلمون لم يشتركوا فى الحركة السياسية
لحزب المؤتمر * و كانت فكرة المسلمين انهم فى الهند أقلية أمام
الهندوكيين، وأيضا متأخرون عنهم فى الثروة والتعليم، فاذا اشتركوا فى
حركة متحدة فيستحق وجودهم ولأجل هذا التصور ظلت حكمتهم القومية
أن ينظموا أنفسهم منفصلين *

ربما يعرف منكم جميع الذين كانوا يطالبون، فى خلال اثنتى عشرة سنة
الماضية، التغيرات الجماعية للمسلمين أن فى سنة ١٩١٢م كان صوتى
أول صوت ارتفع ضد هذا العمل * و قد نهبت أبناء دينى إلى انهم بهذه
الحركة الانفصالية يستعملون أنفسهم ضد حركة تحرير البلاد و عليهم أن
يتقوا باخوانهم الهندوكيين و يتضمنوا إلى حزب المؤتمر * و يجعلوا الحرية
نصب أعينهم و يتركوا التنظيم الطائفى * كان نداى ذلك قد ثقل فى ذلك
الوقت على جميع أبناء دينى و عورضت بكل شدة، و لكن فى الأخير حان
ذلك الوقت بسرعة حينما اعترف المسلمون بصديق هذه الحقيقة * فحينما
كنت معتقلا فى رانتشى سنة ١٩١٦ كنت أسمع أن المسلمين ينضمون
زرافات إلى حزب المؤتمر *

أيها السادة !

كما أننى قد رفعت صوتى فى سنة ١٩١٢م ضد مسلك أبناء دينى و لم
يتمكن ايقافى خوف اختلافهم من اظهار كلمة الحق كذلك اليوم أرى أول
فريضة أن أرفع صوتى ضد جميع أخوانى الذين يحملون أعلام الجمعيات
الهندوكية * اننى اشعر بحيرة أن تلك الحاكمة الذهنية التى كانت للجمعية
السياسية للمسلمين هى نفسها اليوم لهؤلاء الناس نفس الأدلة نسمع
منهم، نفس العلل و البواعث على ألسنتهم اليوم * كان المسلمون يتخللون

كلمة الرئاسة لحزب المؤتمر الوطنى

نستطيع أن نحصل اليوم على نجاح عظيم و إما نواجه مشاكل كبيرة، فالיום امتحان كبير لعزمنا وثباتنا و هبنا للوطن * فتعالوا نغلب عليه و ننصرف إلى بناء نصيبنا *

تعريب : د/محمد مهدى الأنصارى

لا يمكن مثل هذه التفرقة عمليا • إننا فى حاجة إلى قومية متحدة • ونحن نعلم أنه إذا ارتفعت نداءات المنبوذ من جانب و طبقة الهندوس العليا من جانب آخر فلا يمكن أن يوجد ذلك التسامح الذى بدونه لا يمكن ثبات الاتحاد •

أيها السادة !

إننى أعرض لكل جماعة فى البلاد أنه لا بد أن يقرروا مرة مسير الهند، فماذا كانوا يرغبون فى أن تحصل الهند على الحرية و النجاة فلا بد لهم من أن يؤجلوا من أجل ذلك جميع أعمالهم الأخرى، مهما تكن تلك الأعمال محبوبة لهم • وليس هناك طريق غير ذلك •

إننى اليوم من هذه المنصة التى هى مهد القومية الهندية المتحدة أناشد جميع الهندوكيين والمسلمين ألا يدوسوا أمانيتها بهذه المساواة • وبدون مناقشة، فيما حدث سابقا، يمتنعوا عن كل نشاط له علاقة بحركة "شدهى" و مدافعتها أو بأى حركة طائفية • فإذا لم ينتفوا بكلمة الامتناع فعلى الأقل يؤجلوا • فإذا فعلوا ذلك أداة خدمة عظيمة ليس للوطن فحسب بل للعالم الانسانى أجمع •

أيها السادة !

فى هذه المناسبة دعوتى أذكر لكم أنه ينبغي ألا نتساهل الآن فيما يلزم علينا أن نضع ميثاقا قوميا الذى ليس أن يوضح للأبد هدفنا القومى فقط بل و يصدر حكما على ما يتعلق بالجماعات المختلفة و تنشأ بينها من النزعات كل يوم و آخر • من الممكن جدا أن يتأثر حرية ثلاثة آلاف مليون نفر بمجرد أن موكبا مرّ أمام مسجد ضاربا موسيقاه، أو قطع فرع من شجرة فى الطريق •

مادام هذا هو حال نوعية المصائب فى البلاد فلا ينبغي أن نتأثر فى الوصول إلى قرار دائمى و قطعى لحل هذه المشاكل • فأرجو منكم أن تأملوا أيضا فى هذه المسألة، و الأنسب أن نؤلفوا لجنة من أفراد ممتازين لهذا الغرض، التى تجهز مسودة لقرار تقدم فى الاجتماع القادم •

تتمة :

أيها السادة !

إن نتائج يومنا هذا، كالأيام العظيمة للأمم، تنقسم إلى قسمين، فاما

أقدار القرون الوسطى فى فكرتهم وحياتهم* وكانت حملته عليهم حملة شعواء* وكان مولانا آزاد يوافق به فى هذا الأمر* ولكن سر سيد أحمد خان كان يتعاون بالحكومة البريطانية فى الهند* وكانت حركة عليجر الاصلاحية تميل الى الانجليز وتوافق بهم* ولكن مولانا آزاد كان يخالف الانجليز ويثور عليهم* وكل هذا ساق إلى الإلحاد والتذبذب فى حياته الباطنية أما لفظ الإلحاد الذى استعمله مولانا نفسه عنه، لفظ شديد* ولكن لا يمكن لمنكر أن ينكر الاضطرابات فى قلبه والأحوال القلقة الفكرية فى نفسه التى عاش فيها مولانا آزاد لبرهة من الزمان* وهذه الأحوال القلقة قد تكسرت آراءه وتحطمت نظرياته وانه اختار طريقة حياة راقية وانقطع من القدماء انقطاعا كاملا* وبقي على هذه الحال إلى آخر حياته* وهى مزية واضحة فى فكرته*

وفى سنة ١٩١٢م أصدر مولانا أبو الكلام آزاد مجلة أسبوعية باللغة الاردية بإسم "الهلال" وانه كان قد نال تجربة واسعة فى مجال الصحافة من قبل* وان هذه المجلة نالت اعجابا وقبولا بين الناس حتى بلغت عدد زبائنها ٣٥٠٠٠، زبون* وإنه أنكر التقليد الأعمى فى مسائل الاسلام ونظرياته وانه أورد اعتراضات على سر سيد أحمد خان فى تعاونه بالانجليز فى الأمور السياسية* وإنه اجتهد لكى يعرض أمامنا أخيلة جديدة حسب اجتهاداته* وقد ظهرت هذه الناحية مظهر جميلا فى تفسيره المسمى "بترجمان القرآن"

وان الزعيم الذى يختار سبيله فى الحياة بنفسه لابد له أن يحتمل المحن والمشاق وان يمضى من الطريق الوعر فى الحياة* وهذا من لوازم هذه الحياة التى اختارها مولانا آزاد نفسه* وكان مستعدا لمواجهة هذه الكوارث والآلام* وقد كتب سنة ١٩١٣م فى مجلته الاسبوعية "الهلال":

"وقد يأتى حين من الدهر فى تاريخ الأتوام حينما تصير الحياة معصية وتكون التضحية بها هى الحياة* وفى هذا الوقت لا يبقى أى جرم أشد من أن يستبقى الانسان حياته بل التضحية تعدّان من عزائم الأمور وسمة الحياة، ومثل هذا الوقت يأتى فى تاريخ حياة الأمم ثم ينقض حسب قانون الطبيعة وكل ما جاء بهلاك والفساد والدمار فى هذه الأزمنة، تأتى بفوائد

مولانا أبوالكلام آزاد

شخصية ثورية فذة

بقلم : البرهفيسور محمد حبيب
استاذ التاريخ بجامعة عليج ساقا

إن حياة مولانا أبى الكلام آزاد كانت حياة نشيطة قوية مملوءة بالحياة والفكرة المنطقية* ونجد فى حياته المتطورة مراحل شتى و تجولات مختلفة حينما كان مولانا آزاد فى مقتبل عمره على مفترق الطرق، لأنه كان قد تثقف بالثقافة الاسلامية و درس العلوم الاسلامية التى نشأت فى القرون الوسطى لم يكن فيها أثر للحضارة الجديدة و العلوم و الفلسفة الحديثة* ولكنه وجد سبيلا الى الحياة الجديدة بقوة نفسه و ثقافة ذهنه حتى اعطى منصبا عاليا فى الحكومة الهندية و عالج مسائل الحياة الجديدة والأوضاع الحديثة أحسن معالجة*

و ان والد مولانا آزاد الشيخ محمد خير الدين هاجر من الهند الى مكة* وولد مولانا آزاد فى هذه المدينة المقدسة فى حارة دارالسلام فى نوفمبر ١٨٨٨م* و كان أبوه عالما نحريرا و صوفيا كبيرا* و كان له مريدون فى الهند كلها من أقصاها الى أقصاها* و كان عالما تقيا لايحب التأويلات التى تخالف روايات السلف من العلماء الصالحين* و قد درس مولانا آزاد العلوم و الفنون فى ظل أبيه* و كان أبوه شديدا فى الرقابة عليه* ولما بلغ مولانا آزاد الى السن العاشر من العمر فرجع أبوه الى الهند و مكث فى أكثر الأحيان فى مدينة كلكتا* و قد خرج مولانا آزاد من القيود التى نشأ وترعرع فيها من حيث الفكرة* و اطلق نفسه من الروايات و الأفكار التقليدية التى كانت غالبية على الجو الذى نشأ فيه، لأنه درس كتب النزيم الشهير سر سيد أحمد خان فتأثر بها و أخذ عنها و لكن هذا الأثر لم يبق فى نفسه و فكرته إلا قليلا* و السبب فى ذلك أن سر سيد أحمد خان قد هجم على علماء الاسلام الذين كانوا جامدين و كانوا يتقلدون

أزاه : شخصية ثورية فذة

التقاليد التي ورثها من آباءه وأسرته وتربيته تكون أحب إليه من الدنيا وما فيها، لأنه يزعم أن كل عقيدة وكل عمل وكل رواية ورثها من آباءه هي وراثته مقدسة، ولا بد له أن يصونها ويحافظ عليها ولا يمكن له أن يمسه بسوء* وربما يكون إجبار هذه الوراثة العقائدية شديدا ولا يمكن للتعليم أن يكسرها أو يوتر فيها(٤)•

والاعتراض الثاني الذي أورده أهل التقليد عليه انه يعتقد في وحدة الأديان مع إدعاء اسلامه* وهذا الاعتراض صحيح ولكن نجد فيه سمة البغض، لأن القرآن أعلن بكل وضوح وجلاء* بأن الله قد أرسل رسلا الى كل قوم وملك كما قال الله سبحانه :

"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا"،

(سورة بنى اسرائيل ركوع ٢)

والصفة الجوهرية لذات الله تعالى هي الربوبية وقد قال مولانا آزاد في هذا الصدد :

"إن الله تعالى يخلق الإنسان ثم يحفظه ثم يهيئ له وسائل تربيته ثم يهديه"•

وكان مولانا آزاد ترك طريقة فكرة العلماء في تفسير القرآن لأنهم فسروا القرآن تحت اثر الفلسفة اليونانية وبمثل هذه التفاسير ساقطهم الى الاعوجاج وسوء الفهم والغموض، بل كان مولانا آزاد يقول لابد لنا ان نفهم القرآن كما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم وكما فهمه الصحابة رضی الله عنهم* وكان النبي صلى الله عليه وسلم وارثا لشرائع الأنبياء السالفين حتى أتم الشريعة وكمّلها، وكذلك كانت الصحابة يعتقدون في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فالقرآن يقول : ولا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " (البقرة ركوع-٤٠) وفي هذه المسائل كلها كان مولانا آزاد يكتب بكل وضوح وصراحة فعلينا أن ننظر الى ماكتب هو بنفسه في مجلة "الهلال" وقد كتب مجيبا لمستفسر :

"لا بد أن نفرق بين دين وبين متبعيه، هذان أمران مختلفان ومنفصلان وهما ليسا بأمر واحد* واننا قد أخطانا في فهم هذه المسئلة خطأ كبيرا لأننا ننسى أن بينهما بون شاسع وهذا الفهم الخاطئ هو المصدر لقتوننا من الدين الى حد كبير* وليست هنا اى صداقة يكون متبعوها حجة عليها في بحث الحقيقة* وليست هنا طريقة أخرى للبلوغ الى الصداقة* ولأجل ذلك لابد للقرآن من طريقتين وهما إما ان يصدق القرآن بمتبعي

جديدة وبأثمار متنوعة فى الحياة حينما يتبدل الموسم
و هذه الأثمار تبقى لقوامها و دوامها(١) و ان روح
القومية تنام فى غفلة الأشخاص والأفراد(٢) و قد آن
لهم أن ينتبهوا و يستيقظوا من نومهم السبات*.

و لما صودرت " الهلال " الاسبوعية من قبل الحكومة الانجليزية فأصدر
مولانا آزاد مجلة أخرى باسم " البلاغ " ولكن حكومة بنغال اجلته من ولاية
بنغال و انتهجت الولايات الأخرى الهندية الاستعمارية نهجة حكومة بنغال
و منعت مولانا آزاد من الدخول فيها اللهم الا حكومة بيهار و حكومة ولاية
بومباي* فانتقل مولانا آزاد من كلكتا الى مدينة رانتشى فى ولاية بيهار
و أصبح تحت رقابة الحكومة و فى إقامة جبرية (HOUSE ARREST) و قد ألف
مولانا آزاد فى هذا الزمان تحت حراسة الحكومة كتابين شهيرين هما
" تذكرة " و تفسير ترجمان القرآن الجزء الأول*.

وإن المقلدين من أهل السنة يوردون على مولانا آزاد اعتراضين :
الاعتراض الأول هو أنه غير مقلد لأنه لم يوافق بالروايات و التقاليد
الرائجة بين المسلمين فى بيئتهم لأنها مسلّمة فى الفكرة الاسلامية فى
الهند* و قد اعترف له مولانا آزاد و لم ينكر قولهم* و هو يقول فى كتابه
" تذكرة " فى هذا الصدد :

" و فى حال عشت، تجنبت من النقص و التقصير و تجنبت كذلك من
التقليد و اختيار الطرق المعبّدة لعامة الناس* " و قد قال بنفسه انه أينما
عاش و فى أية حالة مكث، فإنه لم يرد ان يتبع طريقة غيره بل أراد أن
يختار طريقا جديدا لنفسه و يترك أثارا للناس* و ان الله هيا للناس
تسهيلات لا تعدّ و لا تحصى* و كذلك أبواب الهداية مفتوحة لهم* المدد
يأتى من الغيب للذين ييغون الهداية و الارشاد، و الطريق الأيسر و الآمن
أن يبايع الانسان على يد شيخ عالم و هادٍ كبير و لكنى (أى مولانا آزاد)
أقول إن المراحل الصعبة التى مررت بها، لم تكن نتيجة هداية أحد بل
الحق هو كل ما حصلت، و حصلت بنفسى، ليست فيه منة لا على لأحد
و لا أسرة و لا تربية ظاهرة بل كل ما نلت ، نلت بالعشق و الشوق الى
المقصد(٣) و يقول مولانا آزاد فى موضع آخر " إن العقائد التقليدية هى
التى تمنع الانسان من الترقية الذهنية و لا يمكن أية قوة أن تقيد كما
تقيد العقائد التقليدية الجامدة و هو لا يقدر على ان يحطمها تحطيمًا،
و السبب فى ذلك انه لا يريد الانقطاع عنها بل يحبّها حبّا جمّا، لأن هذه

وانها لاتوافق بمقتضيات العصر كلها • ويمكن أن الأمور المسلمة اليوم تكون ضعيفة واهية بالغد حتى يضحك منه الناس • ولأجل ذلك الإيمان لايمكن أن يكون محتويا على مثل هذه الأسس المتغيرة(٦) •

وان مولانا آزاد قد استطرده قائلا فى موضع آخر :
" ومن الأسف أن القرآن يهذى الى طريق آخر والناس يضعون القرآن على رؤوسهم ثم يذهبون الى مذاهب أخرى غير قرآنية • وإن المفسرين والمتكلمين يعالجون المنطق لأرسطو والفلسفة لأهل اليونان فى تفسير القرآن وينسون الصراط المستقيم(٧) •

وفى شهر فبراير سنة ١٩٣٠م انه قال مخاطبا لمجلس الخلافة فى بنغال " ان الأساس للنزاعات والخلافات فى العالم هى ان الحقيقة واحدة ولكن الأسماء والمصطلحات كثيرة ومتنوعة و طلب الصداقة ينتهى على الخصومة مثل الذين كانوا يتخاصمون فى لفظ "الشهد" والعسل" ولكن الخلافات كانت فى التسمية، والحقيقة كانت واحدة، والأشكال تختلف اختلافا كبيرا وان الناس يعيشون بالألفاظ الظاهرة ولايعتنون بالروح مع انهم كلهم يطلبون الحقيقة ولكنهم يختلفون فى الأسماء و واحد يقول "الشهد" آخر يقول " العسل" وليس هنا أحد يوضح الأمر مهما أن هذين اللفظين يعبران عن حقيقة واحدة كذلك كل ماترى من الخلافات فى الأديان، والتقاليد، تجد العلة فيها واحدة فى كل مكان • ولو أن جواهر الأشياء والأسماء توضح وتفسر، لانكشفت الحقيقة أمام الناس حينئذ يفتقد الناس النزاعات والخلافات والمجادلات والآراء المتخاصمة لأن الحقيقة واحدة والأسماء مختلفة •

وانه قد استطرده قائلا :

" هناك دين موروثى يرثه الناس من آبائهم مثل شارع فى مكان خاص يمشى الناس عليه • وكل من يمشى على هذا الشارع هو مقلد، لأنه يمشى على طريق معبد معروف، هذا هو التقليد، لعلك رأيت ان هناك بندا فى استثمار "الاحصائية" عن الدين ويمكن لك ان تكتب فيه " الاسلام " و كل ذلك تقليد ونقل لأن هناك ديناً روائيا وينحصر على عادات و تقاليد معروفة يرثها الرجل من آباءه • ولكن فضلا من ذلك الدين له حقيقة، ليست لها علاقة بهذه التقاليد والرسوم، أما الدين فله حقيقة ولكنها اختلطت وامتزجت بهذه التقاليد والرسوم، فجوهر الدين موجود ولكن الناس لايعرفونه بل انهم يتبعون الروايات القديمة بغير أن يعرفوا روح

المذاهب كلها أو يكذبهم كلهم، والتصديق بالأديان كلها لا يمكن لأن كلا منها يدعى بما هو مضاد لآخر وكذلك التكذيب للأديان كلها لا يوافق بالعقل والصدق، لأن في هذه الحالة، الدنيا تكون خالية من تربية الانسان الروحانية. هذا هو السبب أن القرآن ترك هاتين الطريقتين وأختار طريقة ثالثة وأعلن ان المذاهب كلها حقة ولكن الذين يتبعونها هم المنصرفون من الحق. وكل ما توجد من الخلافات والضلالات والإدعاءات المكشوفة والتعصبات المفرطة والتصادمات بين الأحزاب والملل كلها توجد بين متبعي هذه الأديان لا في تعاليمها، لأن تعاليم الأديان لا تأمر لها ولا تعلن بها. فلو ينقشع الظلام وينعدم الإعوجاج في متبعي الأديان، لبقى الحق عند كل أمة. هذا هو الحق المشترك بين الأديان كلها. وهذه هي الصداقة الروحانية العامة في العالم كله (٥) ويقول مولانا أبوالكلام آزاد في جواب مستفسر آخر:

"إن المشاكل التي تواجه في درس القرآن والتفكير عنه، لأنك لم تكن أمامك الأسس الجوهرية حينما تتفكر عن القرآن. وبالإيجاز عليك أن تعرف أن بعد القرن الأول ابتعد الناس عن فهم القرآن والتفكير عنه لأنهم سلكوا مسالك حسب أهواءهم وأمانيتهم. وعليك أن تعرف ان فهم القرآن له طريقة قرآنية وغير قرآنية والمراد من طريقة غير قرآنية هي جميع الطرق التي نشأت من ادواق المفسرين وأفكارهم. وهي نتيجة للعلوم الوضعية المنتشرة بين الأوساط العلمية لأن هذه العلوم نشأت بسبب الاختلاط بالتمدن الإيراني والرومي والهندي واليوناني والاقتباس من الأفكار الأجنبية وهي حصيلة بالطبع لإختلاط الأمم العربية بالأمم الأعجمية. وكل فرقة من المفسرين رأت الى معاني القرآن ومفاهيمه حسب فكرتها وعقائدها، ولم تزل هذه الحالة حتى بلغ الأمر الى ان ألفاظ القرآن وتراكيبه وأسلوبه وبراهينه ومواعيظه وحكمه كلها اختارت طريقة جديدة حسب أهواء المفسر. ولكن الحق هو ان القرآن يعلم عقائده وأقداره تطابق بالفكرة الانسانية فن اليسر والسذاجة. وأنت تجد أسس العلوم والفنون منحصرة على القوانين الوضعية. وقد كانت النتيجة لهذه الوضعية والتصنع ان الناس افتقدوا صلاحيتهم لفهم الفطرة الانسانية والذوق السليم وتعودوا للبحوث المنطقية والفلسفية حتى انهم جعلوا يكرهون السهولة والسذاجة لأن المقدمات التي كانوا يستنتجون فيها كانت تنحصر على العلوم الوضعية والعقلية المتصنعة ولم تكن حقيقية

أوضحه المصنف يعنى صاحب الكتاب الذى يصرح مافيه * وان القرآن نزل فى مدة ثلاث و عشرين سنة و كلما كان ينزل القرآن كان الصحابة يتكررونه فى صلاتهم * واذا احتاجوا الى فهم كلمة فكانوا يسئلون النبى صلى الله عليه وسلم حتى امتاز بعض الصحابة فى فهم القرآن و شهد بذلك النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه * و فهم الصحابة للقرآن لابد أن ترجع على فهم الذين جاءوا بعد الصحابة ولكن من الأسف ان الذين جاءوا بعدهم و كتبوا تفاسير القرآن (خاصة فى القرون الوسطى) فانهم تأولوا تاويلات جديدة بفكرتهم تحت مؤثرات زمنية فلسفية لآيات القرآن، و خالفوا تفاسير السلف حتى قيل ان إيمان السلف قوى و لكن فهم الخلف أقوى فى العلم و طرقه، و لو أن السلف قالوا عن أنفسهم : أبهرهم قلوبا و أعمقهم علما، حتى بلغ الأمر الى حد احتجت فيه الحقيقة و أصبحت المسئلة معضلة معوجة فى اكثر نواحيها، فلم يقدرُوا على فهمها و حلها *

الدور الأول لتفسير القرآن هو حينما لم تدون العلوم الاسلامية فى الكتب * أما الدور الثانى فهو الذى دوت العلوم و الفنون فى الكتب فيه و نحس أن المفسرين سبعا فى هدوء أن يكتبوا تفاسير تميل الى التأويل ثم لم يزل يزداد هذا التيار حتى بلغ منتهاه بالعلوم العقلية اليونانية و هنا نرى أن الإمام الهمام فخرالدين الرازى (١١٥٠-١٢١٠م) ألف تفسير القرآن و سعى سعيا بالفا لكى يفسر القرآن بالفلسفة و المنطق و التصنع * و لو انه تتبع الفطرة و الطبيعة و ترك الفلسفة لأخرج ثلثى المواد من تفسيره *

وهذه الآفة لم تكن فى الاستدلال فقط بل نشأت هناك مصطلحات منطقية فلسفية فى كل علم و فن * و هذا معروف أن القرآن ليس موضوعه الفلسفة اليونانية * و لما نزل القرآن لم تكن هذه المصطلحات اليونانية موجودة * أما الألفاظ التى استعملت فى القرآن فى أول الأمر لم تكن مصطلحات، فالمفاهيم لهذه الألفاظ التى كانت فى زمن نزول القرآن هى التى تعتبر، أما المفاهيم التى نجدها فى المصطلحات المتصنعة مثل خلود، أحدية، مثلية و تفصيل وحجة و برهان و تأويل قد نشأت فى هذه الألفاظ معانى و مفاهيم لم تخطر على قلب قارى القرآن فى الصدر الاول مثلها قط و كانت لاتحتوى على المعانى التى نراها فى زمن المنطق و الفلسفة *

وان الذين يريدون أن يستنتجوا من القرآن ما ليس فيه فهم يريدون أن

الدين و جوهره • فهناك ينكشف الأمر ان الخلافات كلها بين متبعى الأديان وبين أصحاب الظواهر وبين المتصنعين، اما لو أنهم اختاروا روح الدين وعملوا عليها لبلغوا الى حقيقة واحدة ولو أن السبل تختلف ولكن المنزل واحد(٨) •

وان مولانا آزاد يستلظ الضوء على الخلاف بين الدين والعلم ويقول في ذلك :

" الفلسفة تفتح باب الشك ثم لاتغلق، أما العلم فيعطى الأدلة ولكنه لايقدر على أن يعطى العقيدة، أما الدين فيعطى العقيدة ولكنه لايعطى البراهين • والحياة لاتحتاج الى الحقائق فقط ولكنها تحتاج الى العقائد، لأننا لاثق بالحقائق الثابتة فقط بل نحتاج لقيام حياتنا الى أقدار عالية نعتقد فيها ونؤمن بها ولو لانقدر أن نشيتها بالأدلة"(٩) •

وفى هذا الزمان كانت أمام مولانا آزاد قضيتان لأنه كان يريد أن يفهم القرآن كما فهمه النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك لابد أن يرد على المصطلحات التى استعملت فى التفاسير التى ألفت فى القرون الوسطى • وهو يقول فى مقدمة "ترجمان القرآن" الذى صدر سنة ١٩٣١م :

" القرآن لايجب التصنع والتكلف والعلوم العقلية بل طريقته هى طريقة فطرية نجدها عند الأنبياء عليه السلام • وكذلك لما نزل القرآن، آمن به الصحابة، فأنهم كانوا لايعرفون العلوم العقلية والمنطق والفلسفة والتصوف والمصطلحات العلمية والنظريات المتفلسفة • وان الصحابة كانوا خالفين على الفطرة والسذاجة فى الفكر والعاطفة" •

وان مولانا آزاد ردّ على هذه النظرية ان اللغة العربية هى نتيجة لنشأة الألسنة وتحولاتها بالعوارض الوقتية بل انه رأى أن اللغة لها تاريخ طويل تبتدأ قبل التاريخ وانها ظهرت فى قالب أدبى بعد ما عاشت حياة أدبية بالتوارث والتسلسل فى قرون متطاولة • فالفرق هنا فرق جوهرى وهو أن المصطلحات اليونانية لايمكن أن تفتقد مفاهيمها ولكن المصطلحات التى كانت قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم كانت خالية من المفاهيم المتفلسفة المقررة • وهذا هو السبب أن القرآن دخل فى قلوب الناس كما نزل والصحابة لم يفهموا منه غير ما أراد القرآن ولم يحسّوا الصعوبة فى فهمه • وكانوا اذا سمعوا آية أو سورة فهموا منها حسب ما أراد الله ورسوله أن يفهموا •

أما اذا كانت الخلافات فى مفهوم كلمة فلا بد أن نرجح المفهوم الذى

منها (١٠)

ولو أن في هذه النظرية نقدا لاذعا على المفسرين الجامدين و لكن الحقيقة تلمع فيها، لأن هذا التقليد سبب الجمود في الفكر الاسلامي في الأمم الاسلامية* وقد قال أبوريحان البيروني نفس المقال عن علوم المسلمين جمودها في زمن محمود الفزنوي* ونظرية مولانا آزاد في تفسيره ترجمان القرآن تتشابه بنظرية البيروني عن سبب انحطاط المسلمين* السؤال هو كيف جمد الفكر أو كما قال مولانا آزاد ماهو الأسباب لإنغلاق أبواب الإجتهد في الأمة الاسلامية* فلا بد أن نبحث عن هذا الأمر* وفي زمن الذي مات فيه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٧٤٠م) بلغت حدود الاسلام الى الأندلس من جانب والى الصين من جانب آخر* ولا يمكن لمكران ينكر أن النظم لعامة الناس في حياتهم الاقتصادية كان مفيدا من مركز واحد* وهذا هو السبب أن الدول الاسلامية القوية برزت الى الأمام بالقوة المركزية الوحيدة في الحكم واستحكام الحكومة مثل الخلافة الأموية والعباسية والفزنوية والخوارزمية والتاتارية والتميمورية* وبدأت الحركات القومية القوية في القرن السادس عشر في أوروبا وآسيا* ولما هلكت أسرة بسبب ضعفها، جاءت أسرة أخرى مكانها، لأن في ذلك الزمان، كانت الحكومة المركزية هي التي تقدر على صيانة الطرق للتجارة، لأن التجار كانوا يسافرون على الأبل لثلاثة شهور أو أربعة شهور* وكانت أشياء التجارة لا توجد إلا في بعض الممالك، فان الناس كانوا محتاجين إلى تكميل حوائجهم بالتجارة* ولاشك أن الاسلام جعل الطرق محفوظة للتجارة في جميع الممالك التي سيطر عليها، ولأجل ذلك فشا فيها الأمن والسلام وراجت فيها اللغة العربية كلفة رسمية راقية، فضلا من ذلك ان الاسلام اعطى قوانين ونظما أحسن وأعلى في ذلك الزمان للبلاد التي ساس فيها، وان المدن الكبرى والصغرى التي كانت مركز الثقافة الاسلامية كانت تحتاج الى الطرق المحفوظة للتجارة ولحصول الحبوب، لأن مدن الاسلام كانت بعيدة من البقاع التي تنتج الحبوب* ولأجل ذلك قال بعض المهرة في القوانين ان الاسلام كانت عظمتة وجلالته في المدن*

وإن الأمير معاوية رضى الله عنه، أسس ادارتين سياسيتين، الإدارة الأولى هي الحكومة-الشخصية والثانية هي الجماعة الحاكمة حول الحكومة، وهي التي كانت تحكم البلاد ولكن الملك هو الذي كان يعين

يطبقوا الحقائق العلمية العصرية على القرآن كما أنهم اطبقوا عليه نظام بطليموس من قبل • كذلك أن المفسرين الجدد يريدون أن يطبقوا نظريات علم النجم الحديثة على القرآن والقرآن براء منها • ولا شك أن الفكرة الانسانية المتغيرة قد أثرت في تفسير القرآن كما أنها أثرت في العلوم والفنون • ولكن لا بد لنا ان نعترف بهذه الحقيقة الناصعة البيضاء ان علماء الحق جاهدوا جهدا جهيدا خلاف النزاعات الفلسفية والسياسية ولم يحتملوا أى تغير في عقائد الاسلام و مسائله من قبل الحكومة أو الأشخاص ولكن التأثير لا يأتي من قبل السياسة فقط بل هناك مؤثرات نفسانية أخرى، و اذا انفتحت هذه الأبواب الكثيرة، لا يمكن لأحد أن يغلقها • ويمكن أن يصون علماء الحق العقائد والأعمال في مثل هذا التيار الفكرى كما فعلوا في كل عصر ومصر، ولكن لا يمكن أن تصان الأذهان والعقليات ودخائل النفوس • وقد أثرت هذه التيارات الفكرية الحديثة في النفوس وبلغت كل مبلغ في العصر العباسى وفي العصر الحديث كلاهما •

وبعد القرن الرابع من الهجرة انتهى دور الاجتهاد في علوم التاريخ (والعلوم الاسلامية) • ثم بدأت الطريقة التقليدية • وهذا الداء العضال قد تسرب في جسم تفسير القرآن • وكل من كان يكتب تفسير القرآن، يختار مفسرا له ثم يقلده كالأعمى • هذا هو السبب، لو أن مفسرا أخطأ في القرن الثالث الهجرى فلا بد للمفسرين أن ينقلوا نفس الخطأ حتى في القرن التاسع الهجرى • وانهم قلدوا تقليدا جامدا ولم يصححوا الخطأ ولم يتفحصوا عن المسئلة حتى يعرفوا الحقيقة، (بل كانت الاخطاء تنقل من مفسر الى مفسر في قرون متطاولة) • ثم انحط هذا الفن حتى لم يكتبوا التفاسير الجديدة بل جعلوا يكتبون الحواشى على التفاسير المتداولة ولو نظرت الى الحواشى التى كتبت على البيضاوى وتفسير الجلالين لرأيت انهم ضيعوا أوقاتهم في دار قد أسست وتمت بنايتها من قبل، وانهم لا يكادون أن يجدوا شيئا غير أنهم يأخذون من كتاب ثم يصنعون هذه المواد المنقولة على حاشية كتاب آخر • وان هذا من العجب أن في هذه التفاسير المتداولة انك تجد أقوالا متعددة ولكن هؤلاء المفسرون يرجعون قولا ضعيفا من بين هذه الأقوال الكثيرة الذى لا يطابق بالمحل والموضوع و يكون بين هذه الأقوال قولا قويا مناسبا بالمقام والموضوع ولكنهم يتركون ذلك القول القوى و لا يلتفتون اليه بل يختارون قولا يكون أضعف

العلماء* وفضلا من ذلك، انه كان مجاهدا للوطن و هو يحب الوطن حبا جما، لأنه كان يعتقد أن القرآن لايعلم الناس النفرة بل هو رسالة الرحمة والرأفة بين الناس كلهم، ومع وجود الخلافات الأساسية بين الاسلام والأديان الأخرى، إن الاسلام يجمع بينه وبين الأديان الأخرى ويتحد بها على أساس الاخلاق الفاضلة* وان مولانا آزاد يقول فى ذلك :

" لم أزل اشتغل بدرس القرآن والتفكر فيه منذ سبع وعشرين سنة ليل نهار وإنى قطعت مراحل وأودية فى فهم سورة واحدة وآية واحدة و لفظ و لفظ وقطعت مراحل بعد مراحل حتى حصلت لى النفس المطمئنة فى فهم السور والآيات* وان كتب التفاسير المطبوعة وغير المطبوعة، إنى قرأت أكثرها ولم أترك ناحية من نواحى القرآن إلا فكرت عنها و عالجت مسائل القرآن معالجة علمية"

" وفى هذا الزمان ان الناس يقسمون العلوم الى القديمة والحديثة، فان العلوم القديمة فقد ورثتها من آبائى* أما العلوم الجديدة فقد درستها بنفسى ووجدت اليها سبيلا، فعرفت الطرق القديمة كما عرفت الطرق الحديثة* وإنى جربت الأمور وعرفت القبح والحسن فى كل شىء* وان البيئة والتعليم والتربية والأسرة التى ورثت منها عقائد، فإنى لم أقلد هذه العناصر منذ أول يوم ولم أقتنع بها بل لم أزل أبحث الحقيقة ولم يمنعنى مانع فى الشوق الى طلب الحقيقة حتى وجدتها"

" أما اليقين الذى نلتته فبلغت اليه بعد ما قطعت أودية من الشك والوهم* وليس عندى اعتقاد فى روح غيرأنى ابتلعت غصص الشك والانكار وشربت كأس السم فى البلوغ اليه والحصول له، واستعملت ترياق الشك من كل مكان ممكن* ولما كنت مضطربا قلقا لم يكن اضطرابى وقلقى مثل عامة الناس، ولما حصلت طمأنية القلب فى العقائد فلم تكن فكرتى مثل فكرة الناس* وإنى كل ما عرفت بعد البحث و طلب

الأمراء و يعزلهم* و كانت هناك مؤسسة ثالثة برزت إلى الأمام بمناسبة الأحوال والظروف و هى طائفة العلماء المؤيدة للحكومة* ولا يوجد البحث عن العلاقات والصلات بين هذه المؤسسات الثلاث فى القرآن و لكن الناس تأولوا تأويلات بعيدة و أطبقوها عليها للجواز* و انهم ضيقوا من التأويلات ما كان واسعاً* و لكن المسئلة الهامة فى القرون الوسطى كانت الحصول على الأمن والسلامة* و ان الزعماء و المفكرين فى العصر الحديث يرون أن سبب ترقية التمدن الاسلامى و ترقية الأحوال الاقتصادية هو نتيجة للأمن والسلامة فى الممالك الاسلامية* و ان أسلافنا كانوا يهتمون بالأمن فى المجتمع الجامد* و فى ذلك الزمان لو أن أسرة ملكية انتهت و ماتت فكانت تأتى أسرة حاكمة أخرى مكانها و لكن عامة الناس لا يتعرضون للضرر و الخطر غير أن الأسرة الحاكمة هى التى كانت تقتل و تصيبها المصائب أما الشعب فكانوا مأمونين فى الانقلابات السياسية* أما العقائد و النظريات فأمرها غير الأمر السياسى لأن الأقوام المختلفة لما اختلطت بالعرب و دخلت الأمم العجمية فى الاسلام برواياتها و حضاراتها و تنازعت و تخالفت العناصر المختلفة و الثقافات المتنوعة فظهرت النزعات و الخلافات بسبب دخول هذه الحضارات فى دائرة الاسلام* و ان العلماء أرادوا فى هذا الموقف الحرج ان يصلحوا بين هذه العناصر المختلفة المتصارعة فى العقائد و المظاهر* و ان هؤلاء الجامدين المتقلدين كانوا يعتقدون أن لا يدخلوا شيئاً جديداً فى دائرة الاسلام، لأنهم كانوا يرون أن كل شئ جديد يدخل فى المجتمع الاسلامى سيكون خطراً له*

و هذه النظرية هى التى منعت العلم وشبهته بالسحر و الكيمياء* و إنهم أحرصوا المسلمين بتلاوة القرآن و انهم لم يبالوا هل المسلمون يفهمون معانى القرآن أو يتلونه بغير فهم معناه* و قالوا درس القرآن لهداية النفس و الترقية الروحانية لا هد فيه* أما التفسير فكان أمراً خطيراً عندهم* و إنهم أجبروا المصنفين أن يختاروا مذهباً من المذاهب المعروفة (فى الفقه) و أن يقلدوه*

و ليس هنا شئ جديد فى مذمة نظم العلوم الدينية التى نشأت فى القرون الوسطى لأن قبائحها واضحة و لكن التجدد هو كتابة تفسير جديد لأن مولانا آزاد عرض نفسه آراءً جديدةً فى تفسير القرآن معبراً عن روح القرآن، و هو فى الحقيقة مفكر ثورى، يعتقد فى الحرية الحقيقية للانسانية مع انه يعد من جماعة العلماء* و أنه كان عالماً نحريراً يفوق مستوى عامة

آزاد فلسفة اليونان والأفرنج وقال ان هاتين الفلسفتين هما الأصل في أسباب انحطاط الأمة الاسلامية، وانه ارجع الأمور الى الفطرة ودعا الناس الى فهم كلام الله كما فهم النبي صلى الله عليه وسلم وبالمصطلحات النبوية وبلسانه ثم بالعقل والفطرة.

وقد ترجم مولانا آزاد القرآن من سورة البقرة الى الأنعام من اللغة العربية الى اللغة الأردية ولكن ليست هذه الترجمة فقط بل انه أشمل فيها التفسير أيضاً. ولا يمكن لرجل أن يوافق بالآخر في كل مسألة ولكني أقول صريحا ان الترجمة واضحة حلوة مؤثرة، وهذا التفسير يطابق بمقتضيات العصر، ولا بد ان ينتشر بين المسلمين ويصل الى كل بيت من بيوتهم" (١٢).

وإنى عرضت هذه الاقتباسات لأنها من عالم قديم كان يعتقد في المدرسة القديمة وانه غادر الى باكستان وترك المسلمين في بلاء وشقاء في زمن تقسيم الهند إلى دولتين الهند وباكستان سنة ١٩٤٧م. وهنا نفهم الفرق في عقلية مولانا آزاد وفي عقلية عضوهام عظيم من اعضاء مدرسة العلامة شبلى - اعنى عقلية مولانا سيد سليمان الندوى. وهذا واضح ان هذا المحلل لم يكن مناسباً للتقابل بين فتنة التار وفتنة أوربا، وان الهزيمة التي لقي علاء الدين خوارزم شاه وعماله على يد تشنجيز خان لم تكن لأنه كان قد قرأ فلسفة اليونان وتقلدها ولكن الحقيقة هي ان التتار قد امتنعوا من التقدم الى بلاد الاسلام لأن حكومة مصر هزمتهم وكذلك منحهم علاء الدين الخلجي من الهجوم على الهند. أما العلماء السوء فانهم أطاعوا تشنجيز خان اطاعة كاملة وحصلوا على هدايا ثمينة منه. وكان الإمام ابن تيمية مؤسساً للوهابية كما قال المصنف ولهذا السبب انه ابتلى بلاء عظيماً من قبل عامة الناس لأنهم كالأنعام ومن قبل أمراء المسلمين - لأن علماء السوء اثتمروا بهم خلاف ابن تيمية - واننا نرى أن مولانا آزاد أثنى ثناءً عاطراً على العلامة ابن تيمية ولكنه لم يفسر عقائده ولم يؤيدها. ولا شك أن سر سيد وأصحابه أخطأوا حينما قبلوا عبودية الحكومة البريطانية مع قبول العلوم الجديدة. وكذلك أخطأ مولانا شبلى وأصحابه حينما هجموا على العلوم الجديدة بالأسلحة الدينية هجوماً لا دعا ثم انهم عزلوا عن السياسة وقد أخطأوا في ذلك أيضاً. أما مولانا آزاد فلم يقترف أى واحد من هذين الخطأين. ولو انه اعترض على التفسير الذى كان الفكر اليونانى وتقلده غالباً وسائداً ولكنه أعطى مكاناً عالياً

الحقيقة، كتبت فكرتى فى تفسير القرآن" (١١)

وان " ترجمان القرآن" طبع فى مجلدين و فيه مقدمة و تفسير سورة الفاتحة، و قد بلغ التفسير الى ثمانية عشر جزءا من القرآن • وانه ترجم القرآن المجيد من اللغة العربية الى اللغة الأردية فى أسلوب جميل جذاب • وانه لم يكمل تفسيره ولكنه يعدّ من التفاسير الهامة فى الأدب الاسلامى المعاصر •

وقد كتب العلامة سيد سليمان الندوى عن هذا التفسير :

"إن المسلمين كتبوا تفسير القرآن فأكثرُوا ولكن فى الحقيقة لم يكتبوا شيئا لأن تفاسير السلف لا توجد فكيف عنهم ان تفاسيرهم غير موجودة • أما المفسرون عندى فهم العلامة ابن تيمية وابن القيم ومن الناحية الأدب والاعجاز عبد الكريم الموصلى مصنف " المثل السائر" ومن المتأخرين الشاء ولى الله الدهلوى الذى كان بَحّاثاً فى العلوم القرآنية، و قد قرأت كتاباتهم • أما تفسير الحافظ ابن تيمية وابن قيم فلا يوجدان ولكن تصانيفهما كلها قطعة من التفسير • ونجد من تفسير ابن تيمية تفسير "سورة الإخلاص"، و "المعوذتين" و "سورة النور" فقط • أما ابن القيم فطبع له أقسام القرآن، "مفتاح دار السعادة" و "بدائع الفوائد" و نعرف بهذه الكتب غزارة تفسيرهما •

والحق ان لتفسير القرآن طريقتين، الطريقة الأولى هى طريقة روائية من العلوم التقليدية مثل طريقة جرير الطبرى و ثعالبى و القرطبى و بغوى وابن كثير وغيرهم • والطريقة الثانية هى طريقة عقلية فلسفية مثل التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى وأبى مسلم النيشابورى وراغب الادبى و مدارك و بيضاوى وغيرهم • تفسير القرآن الذى يجمع بين العقل والنقل بالحفاظ على روح الاسلام، أما الروايات فتكون مع الدراية فيه أما العقلاات فتكون حرة من اتباع أفلاطون وأرسطو، بمثل هذا التفسير كتبه العلامة ابن تيمية والعلامة ابن قيم ولم يحصل هذه السعادة غيرهما •

ولا بد لنا أن نعترف للفضل لصاحب ترجمان القرآن حيث انه عرف روح العصر واختار نفس الطريقة التى اختارها ابن تيمية وابن القيم فى زمن فتنة التتار، فان مولانا آزاد اختار نفس الطريقة فى زمن الفتنة الأوروبية (الاستعمارية) وكما انهما ردّا على فلسفة اليونان وأتباعه كذلك ردّ مولانا

الصدق • وإن ذات الله تعالى ما وراء العقل الانساني وفهمه •
وان مولانا أبو الكلام آزاد اقتبس من آراء " سير آيوراج " اقتباسا وهو
كما يلي :

" إن مركز الذرة قد جعل من التيارات البرقية المثبة والحركة البرقية
حول الذرة الى حركة التيارات حول الشمس تشير الى قوانين مقسّدة •
ونظرية مولانا آزاد هي ليست علل ومعلولات مادية فقط بل هي سلسلة
كونية واخلاقية أو في ألفاظ القرآن وهي فطرة الله • ومقصد القانون
الالهى هو الذى يهدى الكائنات الى الطريق السوى • وقبل تخليق
الخلية الانسانية والمخلوقات الحيّة كانت هناك متطلبات للارتقاء الى
الدرجات العليا (١٤) ولكن لما تظهر الحياة أول مرة يمكن لنا أن نفهمها
بطريقة حسنة • والهداية الالهية، هي التى يقال لها " الهدى والوصى "
فى لغة القرآن • وهذه الهداية الالهية تهدى حتى المخلوقات الأدنى
البهيمة وتوصى فى وجدانها • وهذه هي تجربة مكتسبة يمكن أن تتعلم
الأولاد من جيل الى جيل • أما الحيوانات العليا فالهداية الالهية فيها
تتصرف بالحواس الخمسة والمفاهيم العقلية (١٥) أما الإنسان الذى كلّف
أن يعيش حسب العقائد الأخلاقية فأرسل الله إليهم الأنبياء والمرسلين
لهدايتهم • ومولانا آزاد يعترف بنظرية " دارون " التى تعرف بالتنازع
للبقاء أو بالبقاء الأصلى ولكن مولانا يقول لهذه النظرية بالبقاء الأنفع •
ولكنه يعتقد انها تحتاج الى الهداية الالهية، لأن الهداية لا بد منها
للحيوانات وارتقاءها وهذه القوانين الفطرية تطبق على المجتمع
الانسانى كما تطبق على الأنواع الحيوانات كلها، وكما أن الفطرة تبقى
الأنواع المفيدة من الحيوانات وتهلك الأنواع التى لا نفع فيها • كذلك ان
البيئة الإنسانية تهلك اذا لم تبقى فيها منفعة للانسان • وهذه الهلاكة بغير
النافع من الأشياء والأمور هي من رحمة الله • كذلك هو يبقى المجتمع
الانسانى النافع ويهلك غير النافع، ولو لم يكن هذا العمل جارٍ لظهر
الفساد فى الحياة الانسانية وفساد الظلم وحينئذ لا يكون هنا دافع خلاف
هذا الظلم والفساد ولأجل ذلك بقاء الأنفع هو رحمة للناس •

كما يعرف الناس كلهم أن تعاليم الاسلام هي باب تاريخ الانسان
الواسع، وهنا نلخص آراء مولانا آزاد كما يلي :

" القرآن يقول ان الإنسان فى بدء حياته كان يعيش عيشة فطرية
سادجة، ولم تكن هنا خلاقات ولا مفاصمات فيما بينهم وكلهم كانوا

مرموقا للفلسفة اليونانية وعلومه وموسيقاه واعترف ان اليونان لها منزلة رفيعة فى ترقية التمدن الانسانى (١٣)•

ولم يعترض مولانا آزاد قط على العلوم الأوربية كلها من الرياضيات الى علم الآثار القديمة • لأن هذه العلوم تتعلق بترقية الأقدار الإنسانية • وانه شجع الأبحاث فى العلوم حينما كان وزيرا للمعارف فى الحكومة المركزية فى الهند • فهذا الأمر دليل كافٍ على علو مرتبته وعبقريته • وإنى أتعجب كيف يمكن لمولانا آزاد أن يستفيد من ابن تيمية أو من مصنف ولد فى القرون الوسطى • لو أن مولانا آزاد يستنبط الأقدار الأخلاقية والروحانية من القرآن ولكن كان نظره الى الدنيا الجديدة التى توجد فيها الكهرباء والطاقات النووية • ونجد فيها ان الناس اعترفوا بنظرية دارون • وكان مولانا آزاد عالما بتاريخ العالم وكان قد تعمق فى مقارنة الأديان المختلفة • وكان علماء الشرق والغرب فى القرون الوسطى لا يعرفون هذين الموضوعين - اعنى تاريخ العالم ودراسة مقارنة للأديان •

أما سورة الفاتحة فهى خلاصة القرآن • وان سبع آيات تحتوى عليها سورة الفاتحة وان مولانا آزاد كتب تفسير هذه السورة فأطال وأجاد لأنها تحتوى على الأسس الجوهرية من القرآن • وهذا كتاب قيم وأنيق جداً • وقد ترجم ولخصّ هذا التفسير أولاً محمد اشفاق حسين من الأردية الى الانجليزية • ثم لخصّه وترجمه الى الانجليزية البروفسور عبـد اللطيف (رئيس قسم اللغة الانجليزية بالجامعة العثمانية سابقاً) •

وهنا نذكر أهم النكات التى بينها مولانا آزاد عن نظرية وحدة الأديان :

١- وجود البارى هو عقيدة توجد فى جميع الأديان • وهذه وراثـة مشتركة بين أبناء البشر • وعبادة الله وديعة فى فطرة الانسان، الأديان كلها تصدق هذه الحقيقة وتعلّمها •

٢- الفرق الدينية تختلف اختلافا كبيرا فى ثلاثة أشياء فقط :

(الف) هم يصرونّ على صفات الهية مختلفة •

(ب) الفرق بين طرق العبادة •

(ج) اختلاف الشرائع •

٣- هذه الخلافات قد نشأت باختلاف الزمان والمكان ثم ان للأذهان

البشرية لها مراتب ودرجات فى الارتقاء • ولا يمكن لأحد أن يقول شيئاً جديداً فى وجود البارى، ورسالة الأنبياء واحدة فى هذا

فقد أظهر رأيه وفكرته عن الموسيقى حينما قال :

"إنى سأبقى حياً بغير الاحتياجات التى نحتاج إليها فى عيشى هذا، إذا افتقدناها، ولكن لا يمكن العيش لى بغير الموسيقى، وقد اشتكى مولانا آزاد فى هذه الرسالة ان المسلمين لم يأخذوا من اليونان من العلوم والفنون كما كان يجب عليهم* وإن أبا ربحان البيرونى قد ذكر جميع العلوم والعقائد للمهندوس فى كتاب الهند و ذكر تصانيفهم عن سائر العلوم ولكنه لم يكتب شيئاً عن الموسيقى الهندية* وكذلك تغافل العرب عن العلوم الأدبية عند اليونان* فكانوا يعرفون قليلاً عن الشعر اليونانى والمسرحيات اليونانية وإنهم عرفوا هومـر و سوفوكلس وغيرهما من مقالات أرسطو و جمهورية أفلاطون ولكنهم لم يعرفوا فوق ذلك* وابن رشد الذى عرف المهرلة والمآسات فى شرحه فانه لم يعرف شيئاً عن مسرحيات اليونان* ويمكن لنا أن نعرف من هذه الأمثلة أن العرب قد جهلوا علوم اليونان الأدبية* وإن ابن رشد كتب أن المهرلـة هى المدح وأن المآسات هى الهجاء* وهذا أيضاً لم يعرف بالوضاحة إلى أى حد أخذ العرب فن البلاغة من اليونـان لعلمهم لم يعتنوا بها* وقد نقل "كتاب الشعـر" و "كتاب الخطابة" لأرسطو من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية* وقد شرحهما ابن رشد فيما شرح من كتب أرسطو* وإن ائمة العرب لم يفهموا روح هاتين الرسالتين ولم يجدوا فرصة من البلاغة العربية لإستفهام هاتين الرسالتين* وإن أرسطو ملاحظاً بنماذج الخطابة اليونانية والشعر اليونانى* والعقلية العربية كانت لاتعرف شيئاً عن الشعر اليونانى وأدبه*

(غبار الخاطر من صفحة ٢١٦ إلى صفحة ٢١٧)

و هنا يجدر بنا أن نقول إن العرب لم يعرفوا فن العمارة والنقش والفنون الجميلة الأخرى اليونانية، فالنقطة هنا هى أن مولانا آزاد لايعترض على العرب فى دراستهم اليونانية بل يتأسف أنهم اكتفوا بأخذ العلوم من اليونان فقط ولكنهم تركوا الفنون الأدبية والموسيقى*

١٤- "غبار الخاطر" رهالة المكتوبة فى ١٨/ أكتوبر سنة ١٩٤٣م

١٥- لا بد لنا أن نفـسر هنا أن مولانا آزاد استعمل لفظ " الهداية " فى معنى واسع جداً كما ورد فى القرآن ولكن المفسرين قد قصروا فى هذا الأمر و ضيقوا ما كان واسعاً* القرآن يقول فى آية مشهورة "إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى النَّحْلِ أَنْ يَجْعَلْ بُيُوتًا عَلَى الْجِبَالِ " وقد اقتبس مولانا آزاد كثيراً من آيات القرآن فى هذا الصدد* (ترجمان القرآن ج : ٢ ص : ١٧٩) مثل " رَبَّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى " (٢٠-٥) " الَّذِى خَلَقَ فُهو يَهْدِينِ " (٢٦-٨٠) " وَ الَّذِى قَدَّرَ فُهدَى " (٨٧-٢)

فهذا واضح أن الوحن هو بشكل راقى للهداية، الذى أرسل إلى مخلوقات

يعيشون عيشة راضية و كانوا راضين بالاتحاد فيما بينهم، ولكن كثر نسل الإنسان و ازدادت قواعد المعيشة فنشأت الخلافات، و هذه الخلافات ساقتهم الى التطرف والظلم والفساد و ظهرت النفرة والكراهة بين فرقة و فرقة و جعل صاحب القوة يظلم الضعيف* و لما بلغ الحال الى ذلك فاحتاج النوع البشرى الى الهداية والعدل والصدق، فهناك ظهر النور فى شكل الوحي الالهى، فابتدأت سلسلة الدعوة والتبليغ من رسل الله الى بنى البشر* و هؤلاء الذين جاهدوا برسالات الله هم الرسل فانهم يأتون بها من الله ثم يبلّغونها الى الناس بالحق* و معنى الرسول هنا الذى يأتى بالرسالة(١٦)* و يقول مولانا أبو الكلام آزاد اذا نظرنا الى جميع مراحل حياة الإنسان ثم تفكرنا عن وجود البارى ونظريات الإنسان عنه فوجدنا فيها سلسلة ارتقاء عقلية* و كلما يتقدم الإنسان فى قوته العقلية و المادية كذلك انه يتقدم و يتطور فى فهم ذات الله تعالى* و هذا الارتقاء فى العقلية ظهر من الدرجة الدنيا الى الدرجة الأعلى* و لأجل ذلك صعب علينا أن نعرف المراحل الابتدائية لهذا الرقى، لأننا كلما نلتفت الى الوراء، فنجد* ضوء التاريخ ضئيلا و لانجد تفاصيل هذا الرقى فى وحي الأنبياء*.

تعريب : البروفيسور احتشام أحمد الندوى

الهوامش :

- ١- آثار أبي الكلام آزاد لقاضى عبد الغفار ص : ١٤
- ٢- نفس المصدر، ص : ١٠
- ٣- آثار أبي الكلام آزاد لقاضى عبد الستار ص : ٢٠٢-٢٠٤
- ٤- نفس المصدر، ص : ٢٧٣-٢٧٤
- ٥- آثار أبي الكلام آزاد، ص : ١٥٠-١٥٨
- ٦- نفس المصدر، ص : ١٥٦-١٦٠
- ٧- نفس المصدر، ص : ١٦٠-١٦١
- ٨- آثار أبي الكلام آزاد، ص : ٢٨
- ٩- نفس المصدر، ص : ٢٨٢
- ١٠- تفسير "ترجمان القرآن" مقدمة المصنف، ص : ١٠-١٦
- ١١- "ترجمان القرآن" ج : ١، ص : ١٩
- ١٢- أبو الكلام آزاد لعبد الله بت سكرتير لطلاب مسلمى بنجاب، ص : ٨٢-٨٥
- ١٣- " غبار الخاطر" رسالة كتبها فى ١٩ / سبتمبر سنة ١٩٤٣م، إن مولانا آزاد

دعوة أبى الكلام آزاد للتحرير و الاتحاد

بقلم : حبيب ريحان الندهى الأزهرى
معتد التعليم لدار العلوم تاج المساجد
بهقال

ولد أبو الكلام آزاد بمكة المكرمة سنة ١٨٨٨م * و سَمِيَ بأحمد، ولكن والده سَمَّاه باسمه التاريخى "فيروز بخت" (١) ومعناه "صاحب الحظ السعيد" ومما لاشك فيه أنه كان سعيد الحظ جدا * وكان يكتب إسمه فى بعض الأحيان " بخادم العلماء غلام محى الدين آزاد" (٢)، ولقب بأبى الكلام لأنه كان خطيبا مفوها قد أخذ بناصية الكلام *
وتعلم فى بيته تحت إشراف والده، وقد ترك والده الهند بعد ثورة سنة ١٨٥٧م ضد الإنجليز، وتوطن فى مكة المكرمة وهناك ولد أبو الكلام، ثم رجع والده إلى الهند *

عبقريته فى السن المبكر :

و بعد ما تعلم العلوم الإسلامية أراد والده أن يجلس على كرسى المشيخة التى كانت تتوارثه الأجيال، وكان والده من كبار شيوخ الطريقة، إلا أن أبا الكلام قد تعلم من التصوف حبه للإسلام والأولياء ولكنه رفض التقليد والجمود والخضوع وكان يكره أشد الكراهية أن يقبل المريدون والمحبون يديه * وكان رأيه أن النجاة للمسلمين لا تأتى عن طريق التصوف الذى كان موجودا آنذاك *

و كان عبقرىا فرفض التقليد والجمود، ورفض المشى على الدرب القديم الذى مشى عليه أجداده وأراد أن يشق لنفسه طريقا خاصا يلائم طبيعته أولا وأن يوجد منهاجاً جديدا لإصلاح المسلمين وتقديمهم يلائم

الله في وجدانها وحواسها وعقلها • ثم يقول مولانا آزاد إن الآية التالية تخطب كفار قريش : " قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءُكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، قُلِ اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، أَمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " (١٠: ٣٥) •

يقول مولانا آزاد هذه الآية هامة جداً في القرآن ولا بد لنا أن نفهمها فهماً تاماً، وقد وردت في هذه الآية الألفاظ مثل " الهداية و الحق " فظن المفسرون أن المقصود بالهداية هو الوحي، أما المقصود من الحق هو دين الحق • وأما المترجمون الذين ترجموا القرآن من العربية إلى الفارسية أو إلى الأردية فانهم تقلدوا المفسرين تقليداً تاماً في هذا الأمر فافتقدوا روح القرآن في هذا الصدد • وإن أتصّر كلما أرى بمثل هذه المواضع في القرآن لأن المتأخرين يتبعون كالأعمى وقد غمض عليهم فهمهم حتى لم يعرفوا بسبب التقليد ما كان جلياً واضحاً في القرآن • والخطاب هنا في هذه الآية إلى المشركين الذين ينكرون الدين • وهذا هو مقام الإستدلال، ولو كان المراد من الهداية الوحي، كما زعم المفسرون، فمّا الإستدلال فيه؟ لأنهم لا يؤمنون بالوحي فكيف يعترفون بالهداية التي جأت إليهم بالوحي؟ والأصل في ذلك أن هؤلاء العلماء لم يجتهدوا أن يعرفوا أن القرآن استعمل لفظ الهداية في معاني مختلفة وفي أشكال متنوعة • على كل حال فالمقصود هنا ليس الوحي بالهداية بل هي الهداية الوجدانية وهي الحواس والعقل • والمراد بالحق هنا ليس الدين بل هو الصدق والصراط المستقيم (ترجمان القرآن ج : ٣ ص ١٧٩)

١٦- " ترجمان القرآن " ج : ١ ص : ١٨١، إن القرآن أوضح بين حين وحين أن الهداية هي ظهور الوحي في بنى البشر، هي واقعة عامة، وليس هنا أي قوم لم يرسل إليهم رسول • (ترجمان القرآن ج : ٣ ص ٢١٥)

وقد اقتبس مولانا آزاد هذه الآيات التالية من ترجمان القرآن (ج : ٣ ص : ٢١٥) " وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ، قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يَظْلَمُونَ " (سورة يونس ٤٧)

" وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " (١٦: ٣٦)
" أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ قَوْمُ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ " (١٤: ٩)

القرآن يقول : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ " (٤٠: ٧٨)

(هذه الآيات مأخوذة من كتاب مولانا آزاد " تذكرة " تحقيق همايون كبير، ١٩٦١م من ص : ٩٦ إلى ص : ١٢٣)

تحقيق عقيدته حتى يسلم من الأخطاء الفاتكة فى حياته و هنا يوضح أبوالكلام ضرر التقليد الأعمى فى العقائد بقوله " إن أكبر عائق فى تربية ذهن الإنسان و فكره هى العقائد التقليدية الموروثة فإنها ترسفه فى القيود و الأغلال التى لاتنفك عنها أبدا لأنه لايريد الانفكاك منها بل يحفظ عليها كما يحافظ على الحلى و القلائد الثمينة • فكل عقيدة و تفكير و عمل ورثه من أسرته يتحول عنده إلى ميراث مقدس يحفظ عليها و لايفكر فى التخلص من آثارها الضارة أيضا • و فى بعض الأحيان يكون التمسك عليها شديدا إلى حد أنه لايفيره التعليم و المجتمع" (٤)

الجبر و القهر بدل الإقناع و الإقناع :

و كان طريق التربية فى أسرته آنذاك — و فى كثير من الأسر المسلمة فى الهند حتى الآن — مجبولا على القهر و التحكم لا على الإقناع و الإقناع و التعقل و النصح • فكان كل شىء بالأمر و النهى مثل أن يؤمر بالوضوء و الصلاة و حضور الجماعات ، و هذا على كل حال يعفى فيه الحكم قليلا لأنه من أسس الدين و الشريعة و لكن تعدى الأمر من الواجبات و الضرورات الدينية إلى التقاليد و العادات فكانوا يؤمرون بحضور حفلات الذكر و الختم و يذكرون الله على أعداد من اللوز يبلغ عددها إلى خمسمائة لوز • فيختمون التسبيح مرة و التكبير أخرى ، و ختمات " يا مسبب الأسباب " و " يا مقلب القلوب " و " يا مفتاح الأبواب " و غيرها • و كان أبوالكلام يفكر فى سرقة اللوز و أكلها و لكن التقاليد كانت تمنع هذا و قد يشاع أن اللوز ليس حلوا • (٥)

تأثره بالقرآن الكريم و رفضه للتقليد :

و على كل حال فاننا نرى الرجال العظماء العصاميين و العباقرة دائما أنهم يشقون طريقهم الصحيح من الإدراك و الإجتهد الصحيح و ليس من التقليد و التوارث فقط • لأن الأثر الإيجابى للتوارث و العقائد القديمة يولد عند الإنسان التقليد و الجمود و الأثر السلبى لها يولد العبقرية و التحرر كرد فعل للتقليد و الجمود ، فكان أبوالكلام مع تأثره بآراء أسرته و عقائدهم فقد أوجد لنفسه طريقا جديدا و منهجا اجتهدا فى الحياة فى

طبيعة العصر و يحل مشاكل تأخرهم و جمودهم و إنحطاطهم و خضوعهم لأهوائهم، و يبت فيهم روح الجهد و الجهاد و التناصر و الأخوة حتى يتأهبوا جميعا لطرد الاستعمار الأجنبي من الهند و من البلاد الإسلامية كافة *

البيئة التي نشأ فيها :

يصور أبو الكلام عصره بهذه الأقوال " لما بلغت سن التمييز وجدت أمامي من المشائخ الذين يتبعون منهاجا خاصا في القصائد و الأفكار و كانوا متعصبين لها جدا إلى حد أن الخروج عنها قيد أنملة يعتبر عندهم كفر و زندقة، و كل الحكايات التي سمعت في طفولتي عن أسرتي هي أيضا كذلك، فقد ورثت تعصبا و جمودا، و لذلك المدرسين الذين اختارهم لي أبى بعد فحص و تمحيص دقيقين كانوا يمشون أيضا على هذا المنهج الضيق الذي نصب حوله جدراننا سميكة من التعصب و التقليد و لامنغذ منها إلى الحرية و التجدد *

أما الظروف الدينية و السياسية الجديدة فقد كان غافلين عنها مطلقا فكأنني كنت أعيش في الهند ليس في القرن التاسع عشر بل وفي القرن الثامن عشر* و إذا خرجت عن بيئة الأسرة و الأساتذة وجدت جموعا بشرية من المعتقدين و المحبين و المرعدين لمشايع أسرتي قد يقبلون يدي و رجلي، و يقفون أمامي موقف الخشوع و التأدب كالعبيد تماما* و لم يكن أحد يفكر في التعليم الجديد، و تعليم اللغة الإنجليزية، و إن المدارس العربية القديمة مع جمودها كان الجو فيها أوسع قليلا من جو الأسرة المكتوبة إلا أن والدی لم يرض لي بالإلتحاق بأحد المدارس العربية القديمة أيضا خوفا منه على أفكاری و عقائدي *

فكان تعليمي لم يكن ضد عقائد و أفكار أسرتي و مع ذلك فان أول شك و تذبذب وقع في نفسي هو ضد التقليد الأعمى لأن العقائد الموروثة لاتحيى و لاتبقى إلا بالتقليد المطلق* و على كل حال فإنني لا أعرف كيف وصل تفكيري ضد المؤثرات التي من حولي، مؤثرات الأسرة و العقائد و التعليم* (٣)

و نحن نعلم أن التقليد في الفروع يجوز عند أكثرية أهل العلم و لكن التقليد في العقائد لايجوز عند أكثرهم بل لابد لكل إنسان أن يجتهد في

الإسلامى و التحرر من الجمود فى الحياة و المنهج التعليمى و ضرورة عرض الإسلام للإنسانية بثوب جميل و أسلوب جديد يلائم طبيعة العصر الحاضر و لفته بدون تحريف بزيادة أو نقص أو تهديد و تغيير.

خلاصة دعوته لمتبعى الأديان :

فظهر أبوالكلام بمظهر الداعية و المصلح و أصدر فى سنة ١٩١٢م مجلة الهلال الشهرية * و كان لهذه المجلة تاريخ عظيم و كفاح مرير و دعوة نفخت فى الناس روحا جديدا * و لا يمكن لنا فى هذه العجالة أن نقدم الأثر الفعال لمجلة الهلال بالتفصيل * إلا أن خلاصة الدعوة أنها ثبتت فى الناس روح الإصلاح و التعليم و الجهاد و الاتحاد و ايقظتهم من سباتهم العميق و بغضتهم إلى الاستعمار البريطانى، و كان الاستعمار البريطانى خاصة و الأورب عامة يحمل حقدا و حسدا مريرين على الإسلام فى ضوء تعاليم الكنيسة المسيحية ضد الإسلام و تحت آثار الحروب الصليبية التى أثارها العالم المسيحى ضد العالم الإسلامى *

فكان يدعو جميع متبعى الأديان إلى كلمة واحدة و إلى طريق واحد هو طريق الإله الواحد و كان رأيه ان الدين يجمع أشتات الناس و لا يفرقهم أبدا * فاجتمعوا أيها الناس تحت رحمة إله واحد و معبود حق و اتحدوا تحت لوائه و أحبوا و تعاطفوا و لا تتفرقوا و لاتدابروا و لاتخاصموا * و قد نهانا الله عن التفريق بين الرسل و لا يكون الإيمان كاملا إلا بالاقرار بجميع الرسل، لأن الله واحد، فالحقيقة واحدة و التصديق واحد و الدين يشمل جميع الناس لا فرق بين قوم و قوم * فالدين عام و شامل لاتحد القوميات و الأزمنة و الأمكنة و الحدود الجغرافية فالله إله الجميع و رب العالمين و دينه القويم هو دين الناس أجمعين، و هذا هو روح القرآن و تعاليم الإسلام، فالدين هو الوسيلة الوحيدة لطمانينة النفس و سكون القلب * (٧)

و خلاصة دعوته لمتبعى جميع الأديان كما بيّنه الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند السابق و من كبار علماء التربية و التعليم فى الهند هو " أن الدين نوعان النوع الأول مايتولد منه الحق و التنافر، و هو يفرق الناس و يبعدهم و هذا هو الدين الباطل، أما النوع الثانى فهو ما يتولد منه التقارب و التفاهم و الحب الشامل و هذا هو الدين الحق، و هو يعلمنا

ضوء المنهج الذى رسمه الله تعالى للإنسان فى القرآن الكريم حيث دعى إلى التفكير والتدبر فى آيات الله سبحانه ومخلوقاته، فكان لتأثيره بالقرآن الكريم أثر بالغ فى حياته ونظرياته ومنهجه الجديد. بحيث لا يقبل عقيدة إلا إذا كان سائغا فى الفكر والشرع ولا يستسيغ رأيا إلا إذا كان معه دليل مقنع ولا يؤدي عملا إلا إذا طابقت المعقول والمنقول، فكانت نفسه العظيمة تأبى أشد الإباء وتنكر أشد الإنكار التقليد الأعمى والتعصب المحض والجمود القيم والتخلف الممقوت.

وكان تأثره بالقرآن الكريم عظيما فقد تدبر القرآن ومعانيه وأفكاره وروحه من بداية حياته إلى وقت طويل، يقول فى هذا الصدد فى مقدمة الطبقة الأولى لترجمان القرآن "إن القرآن الكريم أصبح مصاحبا لى لمدة سبع وعشرين سنة ليلا ونهارا فكنت أفكر فى كل سورة وآية وأتدبر معانيها وأحوم حول آفاقها الطلق، وراجعت جميع التفاسير المطبوعة والمخطوطة ولم أرض على تقسيم القديم والجديد بل استفدت من المنبعين، والتراث الذى تركها لى الأسرة والتعليم والمجتمع فلم اقتنع عليه من أول يوم حتى لا أستفيد من المنابع الأخرى ولم يستطع التقليد أبدا أن يمنعن من التحرر والتحقيق، ولم أصل أبدا إلى اليقين إلا بعد قطع الأشواط البعيدة فى أودية الشك، ولم أعتقد اعتقادا جازما على أى شئ إلا بعد الإنكار والرفض وصلت بعد كل هذا إلى تصديق ذلك الكتاب الذى " ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (١٢: ١١١) (٦)

تأثره برجال الإصلاح :

أصبحت شجرة التفكير والتدبر عند أبى الكلام دوحة عظيمة بعد ما تعقل وتدبر فى القرآن الكريم ودرس التاريخ القديم للأمم الإسلامية وغيرها وفكر فى الأحوال المحيطة بالبلاد الإسلامية والبلاد الشرقية وخاصة فى مصر والعالم العربى وتركيا والهند وقد ظهر المفكرون والمجددون فى عصره وتأثر فى بداية أمره بالسيد أحمد خان وحركته الإصلاحية فى مجال التعليم ولكنه رفضها بعد قليل ثم تأثر تأثرا بالغا بداعية الشرق جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والعلامة شبلى نعمانى، وقد تلمذ عليه أيضا، وكانت دعوتهم تشتمل على الإتحاد

المقدونى وها نيبال الأفريقى، و لكن الاستعمار قد أوجد عند المسلمين بعض المفرضين والمتفرنجين الذين يدعون إلى دعاوى جاهلية و يصمون آذانهم عن دعوة الإتحاد الإسلامى" (٩٠)

ثم بين أبو الكلام بالتفصيل تلك الأعمال الوحشية و البربرية التى قارنتها الحضارة الغربية المسيحية فى مستعمراتها و فى نفس الوقت تدعى كذباً و زوراً بأن الإسلام و الترك هما رمزان للبربرية (١٠٠)

لماذا نحب تركيا و نضطرب من أحوالها :

و يعطى أبو الكلام آزاد جوابا صريحا و مقنعا للذين يتسائلون لماذا يضطرب مسلمو الهند بأحوال تركيا اضطرابا أكثر من أية بقعة إسلامية أخرى؟ فيقول " إن علاقتنا مع جميع مسلمى العالم هى علاقة الأخوة الإسلامية فقط* أما علاقتنا بتركيا فهى علاوة عن الأخوة الإسلامية علاقة الخلافة الدينية و المركز السياسى الأخير و لأن الخلافة العثمانية هى رمز القوة العسكرية الإسلامية و السيف الوحيد للدفاع عن مصالح الإسلام و المسلمين فإذا إنهارت أية حكومة من الحكومات الإسلامية فكأنما قطع عضو من أعضائنا فننألم و لكن إذا تحيط بتركيا مصيبة من المصائب فتكلم أفئدتنا و تدمى قلوبنا و تجزع أرواحنا لأننا حينئذ نفقد وجودنا فهناك نجزع و نفرع نضطرب لا للمسلمين فقط بل و للإسلام أيضا *

و ما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما (١١)

دعوة الإتحاد بين الهندوس و المسلمين :

و بعد نهاية الخلافة الإسلامية فى تركيا قامت حركة الخلافة فى الهند و اشترك فيها بل و أصبح من أوائل دعايتها المهاتما غاندى مع زعماء المسلمين و ظهر موقف موحد ضد الاستعمار البريطانى، و تطورت مسألة الخلافة حتى أصبحت مسألة قومية و تنورت مسألة حرية الهند فى ضوء مسألة الخلافة و كان لابد لنجاح حرية الهند الإتحاد بين الطوائف الهندية بأجمعها و بالأخص بين الهندوس و المسلمين، لأن حكومة الهند

وحدة بنى آدم* فكل من يريد التفرقة و بث روح العصبية و جعل الناس أحراباً و شيعا متفرقة بالنعرات الجاهلية من وطنية و عرقية و دينية فقد يجرنا إلى التهلكة و الدمار و يريد أن يهدم وحدة جنس بنى آدم* (٨)

مؤامرات الاستعمار ضد الخلافة العثمانية :

كانت الظروف السياسية العالمية فى أواخر القرن الماضى قد اضطرت اضطرابا كبيرا، وبدأ طغيان الاستعمار الأوربى العالمى إلى ذروته بعد المؤامرات المستمرة إلى بسط نفوذه فى جميع مناطق المعمورة، و تدبير الدسائس الدنية للحد من نفوذ الخلافة الإسلامية التركية، فسيطرت الدول الأوربية على بعض مناطق الدولة العلية و جرّتها إلى حروب طاحنة إستمرت حوالى مئتى عام، و فى النهاية إتحدت القوات المسيحية على إنهاء القوة السياسية الإسلامية الأخيرة المتمركزة فى الخلافة العثمانية و وضعت حلاًّ للمسئلة الشرقية و كانت غايته إنهاء الوجود السياسى والعسكرى للإسلام والمسلمين*.

دعوة الاتحاد الإسلامى تحت راية الخلافة :

و ظهرت مع هذا دعوة عارمة قوية عند المسلمين للإتحاد الإسلامى تحت راية الخلافة و كان لجمال الدين الأفغانى مواقف مشرفة فى هذا الصدد، و لكن الاستعمار الأوربى قد نجح فى نشر بذور الشك بين الأخوة المسلمين و فى نفس الوقت أحيا العصبيات الجاهلية من نسلية و قومية و لسانية وغيرها التى اضرت بالإسلام والمسلمين و بمركزهم السياسى* و كان أبو الكلام رجلا مؤمنا صادق الإيمان و مسلما قوى العزيمة، و كان يحب القوة للإسلام والمسلمين فنادى بأعلى صوته فى سنة ١٩١٤م* "إذا ظهر لنا بوضوح أن خنجرا مسموما يصقل ليطعن به فى ظهر الإسلام فلا بد لنا من إيجاد مجن قوى و ترس متين للدفاع عنه، ألا و هو الإتحاد الإسلامى فحسب، و الخلافة التركية تمسك بيدها آخر سيف للدفاع عن الإسلام و لكن كيف يمكن لها وحدها أن تدافع عن مد الإتحاد المسيحي العالمى؟ و لكن لو إتحدت قلوب أربعمئة مليون مسلم فى العالم تحت راية الهلال فسوف يكونون قوة عظيمة لا يهزمها مثات من أمثال الإسكندر

- الهندوس والمسلمين * ولانجاة للهند مع الخلاف والتعصب بينهما *
- ٦- ولابد لنا من ترك موالاة الأعداء المستعمرين *
- ٧- والإتفاق والإتحاد مع متبعى الأديان الذين لم يظهروا لنا العداء والبغضاء وهذا ثابت ومؤكد بصراحة فى كثير من النصوص القرآنية *
- ٨- وأنا أعلنت فى سنة ١٩١٢م عن طريق أول عدد من مجلة الهلال بأن أوامر الشريعة الإسلامية تفرض عليهم عدم ولاية الحكومة البريطانية لأنها أكبر خطر للإسلام والمسلمين وللأقوام والأمم الآسيوية وغيرها فى العالم أجمع *
- ٩- ويجب على المسلمين بنصوص القرآن والأسوة المحمدية أن يتحدوا مع الهندوس ضد الحكومة البريطانية ويكونوا قومية هندية واحدة، وأقول للمسلمين أن نداء النبى صلى الله عليه وسلم يعتبر أعظم نداء بعد نداء الله سبحانه وتعالى، فقد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين مسلمى المدينة واليهود كتب فيها " أنا أمة واحدة " أراد بهذه المعاهدة ووحدة الأمة عرض الصلح عليهم وقيام دولة مطمئنة، وإتحاد الطائفتين ضد دسائس قريش،
- ١٠- وإذا تأملنا هذه المعاهدة ومقاصدها فتبين لنا بوضوح أن مقصد النبى صلى الله عليه وسلم كان عظيما وهو دفاع المسلمين ضد القوة الفاشمة التى تركزت فى قريش مكة، و نرى اليوم أن طغيان الإستعمار البريطانى قد يهدد الإسلام والمسلمين وشعوب العالم بالدمار والفناء فهل ليس من السياسة الشرعية أن نتحد مع الهندوس لدفع ضرر القوة الفاشمة وطردها من البلاد * (١٢)
- و أريد أن أنقل إليكم اقتباسا آخر من خطابه التاريخى فى احتفال المجلس القومى لحزب المؤتمر فى رام كره فى مارس ١٩٤٠م حيث كان يرأسه، ويبين فى هذا الخطاب حدود الاتحاد بين الهندوس والمسلمين وبأن أرض الهند ملكٌ لجميع سكانها بدون أى تفريق دينى أو عنصرى أو عرقى، يقول أبو الكلام آزاد : " أنا مسلم وأفتخر بإسلامى، ورثت حضارة ثلاثة عشر قرنا ولا أرضى أن يضع أى جزء من أجزائها ويجب على أن أحافظ على تراثى المكونة من العلوم الاسلامية من تاريخية وشرعية * ولا أرضى أيضا أن يتدخل أحد فى شئونى الدينية اطلاقا ولكن مع كل هذا يتولد عندى احساس بعد معرفة الحقائق التاريخية الواقعية ولايمنعنى منه روح الإسلام وهو أننى أفتخر بانتسابى إلى الهند وبالقول بأننى عنصرهام من

البريطانية كانت تذيب الهوان للهند و الهندوس كما كانت تجرع كأس النذل للمسلمين في الهند و في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فلاهد للهندوس و المسلمين و سكان الهند جميعا أن يتحدوا لطرد عدوهم المشترك الذي دخل أرضهم و داس كرامتهم، و استطاع بكافة وسائله أن يبيث روح الخلاف و التفرقة بين الطوائف الهندية ليستمر في استعمار البلاد بطريقة القديم على أساس "فرق تسد".

و نتيجة لهذه الدعايات المفرضة فقد ظهرت نظريات متطرفة بين الطوائف الدينية المختلفة التي كانت تعرقل مسيرة الحرية، فهناك من يدعو إلى التعصب و بث روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد، و هناك من يدعو لإقامة الدولة الهندية على أسس دينية قديمة، و ظهرت المشاكل الجديدة حيث نادى بعض الناس ببقاء الاستعمار البريطاني في الهند ليدافع عن الأقليات الهندية و كان هذا التفكير خطيرا و مخطئا من وجهة النظر السياسية و الواقعية لأن الاستعمار لا يستطيع أن يحصن الطوائف الصغيرة مهما كانت قوته و سطوته، بل و لابد من الاتحاد و التعاون و الاعتماد بين الأكثرية و الأقلية و بين الطوائف الدينية المختلفة لتفادي مثل هذه المخاطر، ليحل الوئام بدل الشقاق و الحب بدل البغض و التنافر و يجب عليهم أن يتحدوا على أساس مشترك من الاحترام و التفاهم لأن أرض الهند قدأوتهم فيجب عليهم الدفاع عنها ضد المستعمر القاصب.

و أريد أن أقدم بعض المقتطفات من خطاب أبي الكلام آزاد في سنة ١٩٢١م من مجلس الخلافة :

١- إن من نجاح حركة الخلافة أنها أصبحت حركة هندية بالمعنى الكامل.

٢- و هذه ليست حركة جماعة من الجماعات و لاحركة المسلمين فقط بل هي حركة أهل الهند جميعا قد اشترك فيها مئتان و عشرون مليوناً من الهندوس مع سبعين مليوناً من المسلمين.

٣- و بنجاح حركة الخلافة على أساس الإتحاد بين الهندوس و المسلمين برزت مسألة حرية الهند بقوة، و وصلت إلى ذروته التي لم تبلغ إليها مع جهود أربعين سنة في الماضي.

٤- و المهاتما غاندي كان من أوائل المعاونين و المشتركين في حركة الخلافة.

٥- و أقول بصدق بأن حرية الهند لاينال أبداً إلا بالإتحاد الكامل بين

سيادة و كان أبو الكلام آزاد قد فكر بإخلاص و إجتهد فى هذه المسألة الكبيرة التى تتعلق بسلامة الهند من جهة و بسلامة المسلمين من جهة أخرى فوصل إلى هذه النتيجة : " أنا تفحصت نظرية الرابطة الإسلامية لقيام باكستان من جميع الجوانب والجهات وآثارها المرتبة على الهند و على مسلمى الهند فوصلت إلى هذه النتيجة و هى أنها لا تكون ضرا على الهند فقط بل ستكون ضرا على مسلمى الهند أيضا . و هى فى الحقيقة لاتحل المشاكل بل ستتولد معها مسائل و مشاكل أخرى متعددة (١٥) "

و لم يفلح أبو الكلام آزاد وغيره من الساسة فى إبقاء الهند دولة واحدة متعددة، و وجهت انتقادات لاذعة و سخرية و استهزاء على أبى الكلام آزاد بالذات إلا أنه كان طودا شامخا للأخلاق و حرية الرأى فلم يفضب و لم يشتم بل اصر على رأيه و وضعه بطرق و عبارات مختلفة *

و هناك ظروف و أسباب و خلفيات و أحقاد كثيرة قد أدت إلى قيام دولتين مستقلتين فى الهند و لعل هذه هى الإرادة الالهية لتعيش الدولتان فى أمن و استقرار . و ذهب الاستعمار البريطانى بدون رجعة و أشرق فجر الحرية و ظهرت جمهورية باكستان الإسلامية و جمهورية الهند إلا أن نظرية و آراء أبى الكلام آزاد فى الإتحاد و التفاهم و التعاون لم تذهب سدى، فلا يمكن قيام الروابط المتينة بين الهند و باكستان، و لا يمكن نهضتهما و رقيهما، و لا يستتب الأمن الشامل فى منطقة آسيا إلا بالإتحاد بين الهندوس و المسلمين و التعاون بين الدولتين فى المجالات الإنسانية و العلمية و الاقتصادية *

فالسبيل هو سبيل الحب لسلامة البلدين و حل مشاكلهما و ليس سبيل الحرب و البغضاء و التنافر و الكراهية أبدا . لأنه يولد الدمار الشامل . و هكذا نرى أن مشعل الإتحاد الذى أناره آزاد لا ينطفئ ضوءه أبدا . و يستطيع الهندوس و المسلمون دائما أن يمشوا فى هذا الدرب الذى يوصلهم فى النهاية إلى طريق المجد *

المراجع :

- ١- أبو الكلام آزاد كى تعليمى تصورات : محمد عبد الرزاق فاروقى - ص : ١٢
- ٢- شبلى اور أبو الكلام آزاد : مسعود الحسن عثمانى، من مكتوب آزاد فى سنة ١٩٠٠م، ماخوذ من كتاب أبى الكلام آزاد أحوال و آثار، ص : ٢٠٥

مكونات القومية الهندية فهي لاتزدهر إلا بوجودى، و قد اختارت الارادة الإلهية الأزلية للهند أن تكون مسكنا و موطننا لمختلفى الأجناس و الحضارات و الأديان و قد بدأ هذا فى أوائل التاريخ، و رحبت أرض الهند بجميع هذه القوافل و كان آخرهم نزولا إليها القافلة الإسلامية و استقرت فيها إلى الأبد، و استمرت القافلتان (الهندوس و المسلمون) فيها تجريان فى نهريين و فى الآخر انضما فى بحر واحد هو بحر القومية الهندية فكما أن الهندوس يدعى أننى هندوسى و هندى لأنى سكنت فيها من آلاف السنين فكذلك المسلم يدعى أننى مسلم و هندى لأن الهند و طنى من ثلاثة عشر قرنا* (١٣)

و كان أبو الكلام آزاد واعيا للإتحاد بين الهندوس و المسلمين إلى حد انه قال بالحرف الواحد : " لو نزل ملك من السماء، و أعلن من منارة قطب فى نيودهللى أن الحرية ستمنح للهند فى غضون أربع و عشرين ساعة بشرط أن يتخلّى الهند من الإتحاد بين الهندوس و المسلمين فأنا أرفض الحرية، لأن الحرية لو تأخرت فهذا سيكون خسارة للهند فقط و لكن لو ذهب إتحادنا فستكون خسارة فادحة للإنسانية جمعاء" (١٤)

و هناك من الباحثين من نقدوا نقدا لاذعا على آراء أبى الكلام السياسية و الدينية بل اتهموه أيضا بأنه فسر القرآن الكريم ليطابق به آراء حزب المؤتمر و مثل هذه الانتقادات لاتصدر إلا عن عصبية أو عدم معرفة لتعاليم القرآن، فبدلا من الإتهامات نستطيع أن نقول إن هناك خلافا للرأى و الاجتهاد *

أما أبو الكلام آزاد فقد بينّ قاعدته الدينية و السياسية على أساس من القرآن الكريم فانه دعى بتكريم الإنسان من أجل إنسانيته، و دعا إلى الصلح و التقارب و التناصح و الإفهام و الجدل بالتي هى أحسن و أعلن صراحة بأنه لا إكراه فى الدين، و نظم البيئة الإنسانية على أساس من التعاون و روح التسامح، و لم يعلن الحرب إلا على الأعداء الذين يتآمرون عليه أما غير هؤلاء من غير المسلمين فيعاملهم القرآن معاملة حسنة على أساس من المنافع المشتركة و هذا كله واضح و ظاهر فى آيات القرآن الكريم و أسوة النبى صلى الله عليه وسلم *

و قد تطورت الأحوال السياسية و الظروف الإجتماعية فى الهند و ظهر التيارات الجارفـ لـانستطيع تحليلها فى هذا المقال الضيق لنجاح النظرية الثنائية فى تقسيم الهند إلى دولتين مستقلتين ذات

أول اعتقال لمولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : عبد القوي الدسوقي

كلية سينية - بوفال

لقد بدأ مولانا أبو الكلام آزاد المساهمة فى السياسة العملية مساهمة فعالة بعد انتقال أبيه مولانا خير الدين إلى رحمة الله فى ١٩٠٨م، فتحرر من كثير من المسئوليات والتبعات التى كان لا يرغب إليها طبعاً، ووجد فرصة سانحة لممارسة عاطفته التى كان يجيش بها صدره منذ زمان ورغبته الصادقة فى خدمة الملة والوطن، وإنتمى فى تلك الأيام إلى الحزب الانقلابى لشيام سندر تشكراورتى، وقام بأداء مسئولياته التى فوضت إليه من الحزب قياماً جعله محل ثقة لدى الجميع، ولكن لم يتمكن من الانتماء إلى هذا الحزب مدة طويلة لسفره إلى البلدان الإسلامية : مصر، وتركيا، والعراق، واجتمع خلال زيارته لهذه البلدان بشباب الفكر الثورى وعرف نشاطاتهم وأعمالهم، واطلع على الصحف والجرائد العربية الشهيرة التى كانت تصدر فى تلك البلدان مثل "الهلال" و"النهار" و"اللواء" وتعرف على مقاصدها وأهدافها وفكرها ومستواها.

ولما كان مولانا آزاد يحمل - هو نفسه - عاطفة انقلابية وفكر انقلابى، ويقلقه عبودية الوطن والشعور بالمساوى الناشئة عن هذه العبودية والاستعمار، لما كان كذلك أثرت هذه الزيارة - لهذه البلدان - كثيراً، وأيقظت فيه عاطفة القيام بالتضحية والعمل من أجل الوطن، كما قويت لديه الرغبة فى إصدار جريدة أردية ذات مستوى عالٍ، فجعلت تقلقه كثيراً بعد عودته إلى الوطن هذه الرغبة الشديدة فى التمكن من القيام بإصدار جريدة أسبوعية مصورة مفيدة * فى مستوى جرائد مصر وصحفها

تعارف الہند

- ۳- " غبار خاطر " لمولانا أبی الکلام آزاد، ص: ۹۷-۹۹
- ۴- " غبار خاطر " ص: ۱۰۵
- ۵- ملخصاً عن کتاب " آزاد کی کہانی آزاد کی زبان " (یعنی قصۃ آزاد بلسان آزاد) ص: ۴۱۰
- ۶- " ترجمان القرآن " ج: ۱، ص: ۵۱-۵۳، اکادمیۃ ادبیۃ، دہلی۔
- ۷- اقتبسنا هذه الخلاصة من تفسیره " ترجمان القرآن " و غیره من خطاباتہ نتلخص۔
- ۸- " آجکل " مجلۃ شہریۃ عدد خاص عن أبی الکلام ومعناها " الیوم والغد "۔
- ۹- خطبات آزاد : (اکادمیۃ ادبیۃ) من خطبته بکلکتہ یوم ۲۷ / اکتوبر ۱۹۱۴ م على الاتحاد الاسلامی ص: ۲۶
- ۱۰- خطبات آزاد : من الصفحۃ ۲۲ إلى ۲۵
- ۱۱- ایضاً : ۳۰
- ۱۲- خطبات آزاد : من خطاب الرئاسة لمجلس فی آغره سنۃ ۱۹۲۱ م، ص: ۴۴-۵۱
- ۱۳- خطبات آزاد : من خطاب الرئاسة لمجلس القومی لحزب المؤتمر فی رام کرہ سنۃ ۱۹۴۰ م، ص: ۲۹۷-۲۹۸
- ۱۴- أبوالکلام آزاد کی تعلیمی تصورات : ص: ۱۰۰ نقلاً عن آثار أبی الکلام قاضی عبد الغفار، ص: ۳۴
- ۱۵- أبوالکلام آزاد کی تعلیمی تصورات : ص: ۱۰۰

أولك اعتقال لمولانا أبى الكلام آزاد

الذى نشرت فيه مقالات بعنوان : " حديث الجنود " و " سقوط انتروب " اعتبرتها حكومة بنغال محل اعتراض ومحاسبة، وجئت مبلغ التأمين - ألفى روبية - الذى كان طلب فى سبتمبر ١٩١٣م أو فى نوفمبر ١٩١٤م، فكانت النتيجة أن فرض الحظر على " الهلال " بعد صدور عددها الذى ظهر فى ٨ / نوفمبر ١٩١٤م، واعتبر هذا العددُ العددُ الأخير من الفترة الأولى للهلال .

لم يقبع آزاد بعد فرض الحظر على الهلال فى زاوية جالسا مستريحاً، بل لم يزل يبذل جهده فى إصدارها، ليتمكن من إيصال كلمته إلى الناس، وتحقيق أهدافه التى يتوخاها، فأثمرت الجهود المتواصلة - عبر ستة كاملة صدور " البلاغ " فى ١٢ / نوفمبر ١٩١٥م، وكانت الحكومة غير واثقة طبعاً بمولانا آزاد منذ عصر الهلال، فما تفاقلت عنه فشددت الرقابة عليه. بعد صدور " البلاغ " فما أن مضى إلا ثلاثة شهور حتى اتهمت الحكومة مولانا آزاد بأنه يمالئ أعداء الملك المعظم، فأمر بمقادرة بنغال خلال أسبوع، كما فرضت الحكومات الإقليمية الأخرى الحظر على دخول مولانا آزاد فى حدودها، وما فرضت حكومة بيهار فقط الحظر على دخول مولانا آزاد فى حدودها .

لم يبق - الآن - لمولانا آزاد إلا طريق واحد، وهو أن يختار بلداً يقيم فيه، فوقع بصره على مدينة رانشى (RANCHI) الجميلة الآمنة من ولاية بيهار، فتوجه إلى رانشى - وحيداً - فى ٣٠ / مارس ١٩١٦م، كان بعض الأقرباء والأحبة لمولانا آزاد أيدوا رغبتهم واستعدادهم لمصاحبتة إلى رانشى (١)، ولكنه ما أحب اصطحابهم معه، وحذر مولانا آزاد الحكومة من رانشى بأنه لايجوز للمسلمين أن يقبلوا الوظائف فى الحكومة الانجليزية للحظة واحدة (٢) . وهكذا احتفت " البلاغ " للأبد لمقادرة مولانا آزاد إلى رانشى، وتضررت كثيراً " دار الارشاد " التى كان تم تأسيسها، كما اضمحلت نشاطات "كلكتا" الأخرى السياسية والاجتماعية التى كانت موجودة بفضل وجوده فيها . اختار مولانا آزاد لإقامته قرية " مورابادى " القريبة من رانشى، التى كان يسكن فيها قبائل " كول " و " اراون " و " مندا " .

أضخ مولانا آزاد - يلققه فكر " البلاغ " - إنه كان غادر كلكتا إلى رانشى بعد إعداد عدد ٨ / إبريل " للبلّاغ " بعد وصوله إلى رانشى، أرسل رسالة - فى ٨ / إبريل إلى العلامة السيد سليمان الندوى، ورسالة إلى الشيخ عبد السلام الندوى، رجا فيهما منهما أن يرسلتا مقالة على الأقل فى

ممتازة بمكانة فريدة عن الجرائد الأردنية من حيث الأهداف والترتيب والتزيين والشكل والهيئة، لقد كان يريد أن يشعل في الهند شعلة الحياة عن طريق هذه الجريدة، ويعرفهم بمسئولياتهم، ويجعلهم يقومون على طريق الثورة، فلم يزل يجتمع بأولئك الرجال من وطنه الذين كانوا يحملون هذا الفكر وهذه العاطفة ويستعد استعدادات لازمة لإصدار الجريدة.

لو أراد مولانا آزاد لنجح في إصدار جريدة أسبوعية، ولكنه كان لا يحب التنازل عن المستوى الذي حدده للجريدة التي كان يريد إصدارها، فانتظر - لذلك - أكثر من ثلاثة أعوام، ولم يزل خلال هذه المدة - يمد الطريق ويذل الصعاب لإصدار الجريدة، حتى نجح في إصدار جريدته الأسبوعية الشهيرة (في ١٣ / يوليو ١٩١٢م) التي رحب بها الناس من جميع الطبقات ورجال الفكر والاتجاه والانتماءات المختلفة، ونالت من القبول - لدى الطبقة الأردنية - ما لم تنله أي جريدة أردنية لحد الآن.

مرت هذه الجريدة في حياتها بثلاث مراحل هامة، المرحلة الأولى : كانت لدى حادث هدم مسجد "كانبور" التي أوجدت الشدة والصرامة في الهلال، فنشرت على صفحاتها مقالات ملتهبة مشعلة نار الثورة " كالمشهد الأكبر" الأمر الذي أدى إلى فرض الحظر على العدد الذي نشرت فيه مقالة " المشهد الأكبر" لأن الحكومة شعرت بخطر وقوع الفتنة وانتشار الفوضى، فطلبت الحكومة الكفالة في ٨ / سبتمبر ١٩١٣م من الجريدة، فقدم صاحبها آزاد مبلغ الكفالة - ألفي روبية - إلى الحكومة.

وجاءت المرحلة الثانية حينما نشرت " الهلال " مقالها الافتتاحية في ١ / أكتوبر ١٩١٦م - بعنوان " مجلس الدفاع عن المطابع والجرائد الهندية" التي لفت فيه الأنظار - لأول مرة - إلى تأسيس مجلس للدفاع عن جرائد الهند، كما اتخذت الإجراءات والتدابير اللازمة في أوقات مختلفة للحفاظ على حقوق الصحافة.

وجاءت المرحلة الثالثة حينما اندلعت نار الحرب في أوروبا في الأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٦م فنشرت مقالة بعنوان : " الاحتلال العالمي لعفريت الحرب" في " الهلال " في عددها الصادر في ٥ / أغسطس ١٩١٤م ثم بدأ آزاد ينشر مقالاته - عموماً - عن الحرب، التي يلقي فيها الضوء على سوءات الحكومة وشروطها، الأمر الذي جعل الحكومة تفكر في اتخاذ إجراء حاسم ضد " الهلال " وأتاح لها ذلك حينما صدر عدد ١٤ و ٢١ أكتوبر معاً،

لو أن اعتقال مولانا أبي الكلام آزاد

والمجالس والمهافل، وخاصة ما سعدت به من خير
ليالي العشر الأواخر وأيامها وبركاتها وأفضالها،
لا يعبر عن ذلك لسان من ألسنة العالم، ولا الأذن
تطيق سماع ذلك، وتمنيت أن لو حصرت مدة الحياة
كلها في هذه الليالي العشر، وانقضى العمر كله في
هذه الكيفيات " (٦)

ولكن ظل الناس يبذلون جهودهم لتحرير مولانا آزاد من هذا الاعتقال،
وقدموا محضرا بأكثر من ستين توقيعاً إلى الحكومة، يكتب مولانا آزاد :
" جاءت رسائل من بعض المسؤولين في حكومة بنغال
خلال الشهور الماضية، و علم بأنه يوجد اعتراف بسوء
الفهم، وقد أبدى - أخيراً - المستر لارد كاماثيل،
نفسه مثل هذا الشعور، و رجا أن يصدر الأمر بإلغاء
الاعتقال " (٧)

ولكن ضاعت كل هذه المحاولات و ذهبت سدى، و مارضيت الحكومة
بتغيير موقفها، وأرض آزاد نفسه - كرها - أن يقضى حياته في مثل هذا
الجو، ونجح في شغل نفسه بالأشغال، ذهب مولانا لأداء صلاة الجمعة إلى
مسجد المدينة، فلم يعرفه أحد، ولكن رجوا منه أن يؤمهم لما توسموا منه
الفضل والعلم، فرض مولانا بذلك، فلما ألقى الخطبة تأثر الناس كثيراً،
كانوا يظنون أن مولانا يقرأ الخطبة من الكتاب، يكتب مولانا :

" ذهبت في رمضان يوم الجمعة إلى المسجد الجامع،
لم يكن عدد المصلين متجاوزاً صفوف، فألح الناس بي
على الإمامة وإلقاء الخطبة إلحاحاً، فاضطرت للإلقاء
الخطبة، لقد عرفوا من الخطبة أن يقرأ شيء مطبوع
من العربية، إن عدد المسلمين هنا وإن كان مما
لا بأس به، ولكنهم مهتلون بغاية من سوء الحال
والانحطاط لوقوعهم في خمول وم عزل عن الناس،
وأشعر برغبة شديدة من بعد صلاة الجمعة في أن أبدأ
عمل هنا إذا اقتضت الظروف لإطالة الإقامة " (٨)

كان يقول :

" إن العالم قد رأى نماذج من أعمال الحرية والفراغ،
فينبغي، أن يرى - أيضاً - بعض النماذج من أعمال

أسبوعين إلى البلاغ •

"لقد وصلت إلى رانشى، وسوف يستمر صدور البلاغ،
أنتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً، فافعلوا - على الأقل
- أن ترسلوا مقالا مشتملا على ثمانية أعمدة - على
الأقل - كل أسبوعين إلى البلاغ، وقولوا للشيخ
عبد السلام أن يرسل - هو أيضا - مقالا - بهذا القدر -
كل أسبوعين" (٣)

لقد شغل مولانا آزاد نفسه - فى رانشى - بأعمال مختلفة يتحدث عنها
هو بنفسه قائلا :

" لا يُخَلّ مغل من الصباح إلى المساء، و من المساء
إلى الصباح بذوق السماع، و لا يعوق منظر عن
الأشغال فالحمد لله، يمضى معظم الأوقات فى تأليف
الكتب و تصنيفها، التى كلها عبارة عن شرح كتاب
الله العزيز والسنة المطهرة، فما يبقى دون ذلك من
الوقت، لا يضيع هو الآخر أيضا، تمتد الميادين إلى
الأبعاد الطويلة، والجبال فى كل جانب" (٤)

و هنا و خلال الإقامة فى رانشى - صدرت الأوامر باعتقال مولانا آزاد،
كتب مولانا آزاد و هو يتحدث عن أحواله و ظروفه فى رانشى :

" خرجت من كلكتا مطمئنا كل الاطمئنان، واستقر
بى المقام فى رانشى فى مكان غير معمور ... خارج
المدينة، ولكن كلما مضت الأيام، زدت قلقا
واضطرابا وألما، فكان هذا هو الوقت الذى واجهت
فيه الحال الانفعالى من طبيعتى" (٥)

جاء شهر رمضان خلال اعتقاله فى رانشى، فكيف كانت تنقضى أيام آزاد
وليا ليه؟ يقول :

" جاء رمضان ببركاته ونعمه، وإن كنت حرمت - لأول
مرة فى حياتى - من صلاة الجماعة، و جماعة التراويح
ولذة سماع القرآن الكريم الآخذة بالألباب، فانقضت
أيام أولى من رمضان فى انقباض و يأس و ألم لكن
بدأت - فيما بعد - ألتذ و أستأنس بِلذات القلبوة
و البعد عن الناس بحيث أغنى ذلك القلب عن المجامع

أول امتقال لمولانا أبى الكلام آزاد

ليلاحظ أن المولانا حينما بدأ بتأليف " تذكرة " فلم يكن عنده من الكتب إلا " تذكرة الواصلين " و " أخبار الأخيار " و " طبقات أكبرى " و " منتخب التواريخ " فقط، فكتب جميع الأحوال اعتماداً على ذاكرته .
ظهرت الطبعة الأولى من " تذكرة " عام ١٩١٩م، و مولانا لا يزال فى معتقله برانشى، ولما كانت الأوساط الأدبية فى انتظار و تشوق شديدين لهذا الكتاب أقبل عليه الناس و تساقطوا عليه بمجرد ظهوره .
كتب فضل الدين فى مقدمة الكتاب و هو يبشر الناس بالجزء الثانى من " تذكرة " : هذا جزء أول، و الشطر الأول من الجزء الثانى يشتمل على باقى الأحوال الأسرية لمولانا آزاد، و الشطر الثانى منه يحوى ترجمة مولانا نفسه التى رتبها هذا العاجز، و معظمه إجابات أملاها مولانا عن الأسئلة التى أعدتها (١٠) .

يعلم من المقدمة أيضاً أن كان مولانا لا يبيح - آنذاك - التصوير و لا وضع الصور شرعاً، يقول فضل الدين :

" و لكن لم يدر بخلد - قط - أن مولانا لا يستبيح التصوير و وضع الصور، فأصدر الهلال مصورة، و صور نفسه أكثر من نفسه، و لكن لما قلت له بالنسبة للصورة، كتب : إن إلتقاط الصور و وضعها و نشرها كل ذلك لا يجوز، و قد كان منى خطأ شديد أن صورت، و أصدرت " الهلال " مصورة، و قد ثبت من هذا الخطأ، و لتستر أخطائى الماضية لا تنشر و تداع " (١١)
فى بداية الكتاب " اعتذار " بقلم مولانا آزاد، يقول فيه عن " تذكرة " :
" حينما كتبت هذه الأجزاء، لم يكن بحسبان أن تنشر بمثل هذه السرعة و قبل المؤلفات الهامة، و عدة أجزاء كانت بحاجة إلى إعادة النظر فيها، و طالت المطالب الفرعية، لا أعلم فيما إذا وضع الكتاب بعد إعادة النظر فيه، و لكن بدأ المرزا أفضل الدين أحمد ينشر المسودة الأصلية بدون علمى و مشورتى، و علمت بذلك حينما كان نشر ثلثان منها، و إن استعمال المرزا إن دل على شئ فإنما يدل على حبه و شوقه، أنا شاكر له، و عيوب الكتاب تنم عن عيوبى و ضعف قلمى، فأنا نادم أرجو العفو، لما أُلغى الكتاب قد طبع

الاعتقال والمنفى، لأن ذلك هو موضع ابتلاء العمل" (٩)

كان يذهب مولانا كل يوم إلى مركز الشرطة لتسجيل حضوره، الذى كان بعيدا نحو كيلومتر من دار إقامته، كان يذهب "بركشا (Rickshaw) ويصلى العصر والمغرب - فى رجوعه - فى المسجد، ويلقى درسا - بعد صلاة المغرب - فى تفسير القرآن الكريم يستغرق نحو ساعة ونصف، وكانت هذه عادته كل يوم تقريبا *

كان يأتى الناس من البلد للإجتماع بمولانا آزاد، ولكنهم كانوا يحذرون ويخافون لحراسة البوليس الشديدة لكن تعودوا - فيما بعد - على ذلك، وكانت تبدأ هذه السلسلة من الساعة الثامنة صباحا *

لقد وقع فى خاطر مولانا فضل الدين الذى كان مديرا "للبلال" ثم "للبلانج"، أن يكتب ترجمة لحياة مولانا آزاد، وقد ذكر ذلك لمولانا أيضا، ورجا منه أن يتولى مولانا - نفسه - هذا العمل، فلم يبد مولانا رضاء بذلك أولا، ولكن لما جاء مولانا فضل الدين إلى رانجى للإجتماع بمولانا آزاد فى مايو ١٩١٦م، فعرض عليه رغبته القديمة، مرة أخرى عرضا ملحا، وأرضاه هذه المرة بكتابة أحوال حياته، ووقع الاتفاق على أن يرسل مولانا كل أسبوع حلقة من ذلك *

فأرسل مولانا - حسب ما اتفق عليه - حلقة مشتملة على ١٦ صفحة، فشعر بعد قراءة هذه الحلقة الأولى من أحوال حياة مولانا بأنه يريد أن يكتب أحوال أسرته بتفصيل وإطناب، فخطر بهاله أن مولانا ربما يشغل بهذا التفصيل عن صميم الموضوع ومقصده، فالتمس منه أن يختصر ذلك اختصارا، ولكن مولانا رد ذلك قائلا: "لا تحدوا من فيضان قريحتى" *

استمرت هذه السلسلة من يونيو ١٩١٦م إلى أكتوبر ١٩١٦م إذ جرى التفتيش فى أكتوبر عن مولانا آزاد، وقبضت الشرطة على جميع الكتب والمخطوطات والمسودات بحجة أنها خطيرة مخربة، ولكن لم يزل مولانا - مع هذه الظروف الحرجة - يرسل كل ما يكتب - أسبوعيا - إلى فضل الدين، حتى سكت بعد كتابة أحوال والديه، فلما أصر عليه فضل الدين، استطاع أن يرسل ٣٠ صفحة فقط *

قصد فضل الدين مرة ثانية فى فبراير ١٩١٦م إلى رانجى، فأقام بها ستة أشهر، وأعد خمسة عشر سوألا، وأعطاه مولانا آزاد، فأملى عليه الإجابة عن الأسئلة، فجمع عند فضل الدين مادة كبيرة من حياة مولانا، ثم توجه إلى رانى فور حيث اشتغل بترتيب أحوال حياة مولانا آزاد *

أول اعتقال لمولانا أبي الكلام آزاد

لتيسيرها التبرعات والاعانات، وقد أرسل مولانا نفسه أليف حسين إلى أصدقائه ومحبيه لجمع التبرعات، وعندما حصل مبلغ معقول تم بناء مبنى للجمعية والمدرسة.

يقول السيد بهاء الدين أحمد أنه تم فيما بعد إقامة "مدرسة مولانا آزاد" في هذا المبنى، ولم يكن بناء الدور الثاني منه تم إلى زمن إقامة مولانا في رانشي، وعندما رجع مولانا إلى كلكتا أكمل بناءه من نفقته وعلى حسابه، كتب السيد عظيم الدين أن مولانا أرسل هذا المبلغ بعد أن باع مطبوعته، وتقوم هذه الأيام "كلية مولانا آزاد" في هذا المبنى.

سافر العلامة السيد سليمان الندوي إلى رانشي في مارس ١٩١٩م يكتب في رسالة له إلى الشيخ عبد الماجد الدريه آبادي :

"لقد ظللت غائبا شهرا كاملا عن مقرى، ووصلت إلى رانشي، وتشرفت بزيارة مولانا آزاد بعد ثلاثة أعوام، فتلقاني بترحاب، وأهدى سرورا عظيما بهذا اللقاء، وطابت المجالس معه، إنه - هو الآخر - ضاق ذرعا بالممارسة القديمة لتطبيق المعقول والمنقول، ويغلب عليه هذه الأيام طابع ابن تيمية وابن القيم، ويسلك مسلك الظاهرية في الفقه والعقائد، لقد صارت أرض رانشي الصلبة الجرداء ماء زلالا بسمير بيانه وطلاوة لسانه، إن مبنى المدرسة صغير ولكن رائع جميل، الناس يعترفون بفضل كثير، وقد ألفت أنا - أيضا - أكثر من محاضرة خلال إقامتي في رانشي" (١٤)

إنعقد الاحتفال الثاني للجمعية الإسلامية في أكتوبر ١٩١٩م، فحاول مولانا آزاد أن يحضره علماء خارج رانشي أيضا، فوجه الدعوة إلى العلامة السيد سليمان الندوي لحضور الاحتفال بالحاح شديد، فكتب يقول :

"لقد قرر عقد الاحتفال الثاني السنوي للجمعية الإسلامية في الفترة : ٢٤/٢٥/٢٦ من أكتوبر ١٩١٩م، ومشارككم فيه هذا العام لضرورة جدا، مهما يكن ... ولكن لا مناص لكم من الحضور، إن لم تضرروا أصابن الهم والحسرة كثيرا، وضع "بهار" وحالها

معظمه، فما مالت الطبيعة إلى إعادة النظر في بقية
الأجزاء وتنقيحها وتهذيبها، وقد ترك الناس آثارا
وذكرها لإطمئنان قلوبهم وسكونها، فلا ترك لى أثرا
وذكرا لتشتت البال واضطراب خاطر.... " (١٣)

كان سكان رانشى فقراء وغير متعلمين، والذين كان منهم أصحاب مال
و ثراء يتجرون بالخمر، فأثرت عليهم محاضرات مولانا تأثيرا طيبا، فتاب
كثير منهم، واشتغلوا بالأعمال الأخرى *

كان من مساوىء المسلمين هناك أنهم كانوا يتخاصمون بالحنفية
و الوهابية، فأصلحتهم - أيضا - محاضرات مولانا وأرشدتهم إلى الحق،
فزالت منهم خلافات الحنفية والفقهاء، ومما سمع فى ذلك أن بعض الناس
كانوا بدأوا مخالفة مولانا لما كانوا يظنون من الوهابيين ولكن عندما
عرفوا مولانا صاروا مواليين له *

يكتب مولانا - وهو يلقى الضوء على عصر اعتقاله فى رانشى - فى عدد
٢٣ / سبتمبر ١٩٢١م من صحيفة " بيفام " (الرسالة) الأسبوعية :

" فى أواخر ١٩١٨م عندما كانت دنيا الآمال
والأمنيات قد انقلبت، وسيل الحوادث قد مضى على
خربائها ودمارها بكل شدة، فكنت أرى - جالسا فى
معزل رانعى - أدوات بناء عالم جديد من الأمل، وإن
الدنيا وإن كانت سمعت أصوات انفلاق الباب، ولكن
كانت أذنأى تسمعان صوت انفتاح باب جديد *

" كان الأسبوع الأول و لياليه العامرة الحية من
رمضان، حينما خططت بأيدى هاتين خطوطا على
خراط جديدة من الآمال والعزائم، اليدين اللتين
مزقت بهما الخراط الماضية كلها تمزيقا " (١٣)

خلال اعتقاله فى رانشى أسس مولانا آزاد " الجمعية الاسلامية " التى
كانت تهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين وتطوير التعليم ونشره، وإصلاح
النظام الاجتماعى، ونشر الأدب والدين والثقافة الاسلامية، وقد كونت
لإدارتها لجنة كان رئيسها الضابط أطفاف حسين، ومن الطرافة أن
أطفاف حسين كان رجل المخابرات، وكانت الحكومة قد عينته لمراقبة
مولانا، ولكنه اشتغل بمثل هذه الأعمال الإصلاحية الخيرية *

و كان مولانا قد أقام مدرسة تابعة لهذه الجمعية الاسلامية، تجمع

والأصل أنني بنفسي احتاط في ذلك، إن حالة العصر غير مواتية، الناس ينفرون حتى من ظلهم أنفسهم، وإن كانوا يطلبون للإيمان اليقين والإثبات، ولكنهم يعتبرون الوهم والخيال كافيا للخوف والدهشة، فإرسال الرسالة - في هذه الحال - إلى رجل لم يرسل هر، يعني تصميله ما لا يحتمل، بعد صدور الأمر بالاعتقال تركت الاعتقال من نفسي، فمن يكتب أرد عليه، ومن يسكت لا أجبره على النطق" (١٦)

ومما وقع في رانشي أن بعض غير المسلمين كانوا يحضرون المسجد للاستماع إلى خطبة الجمعة ومحاضرات مولانا، فكره ذلك على بعض الناس، واعترضوا وقالوا إن الإسلام لا يسمح بدخول غير المسلمين في المسجد، فكتب مولانا مقالا بعنوان: "جامع الشواهد في دخول غير مسلم في المساجد" نشر أولا في مجلة "معارف" (التي تصدر عن دار المصنفين بأعظم كره) في مايو ويونيو ١٩١٩م، ثم نشر في صورة كتاب مستقل (في ٥٠٠ عدا) يكتب مولانا آزاد عن هذا الكتاب في رسالة أرسلها من رانشي إلى السيد سليمان الندوي في ٢١/٢ مايو ١٩١٩م:

"ينتشر - اليوم - جهل شديد ببعض المسائل، ولو لم يستدرك ويزل لانفلق باب مفيد بعد انفتاحه، وأردت أن أنشر عن ذلك مقالا في الجرائد فجلست أكتب فطالت الكتابة، ولم تعد الجرائد - الآن - متحملة عن نشر هذه الكتابة الطويلة، فأرسلها إليكم مضطرا، وأرجو أنها ستجد طريقها إلى النشر بصفة عاجلة وبمعنوان مناسب."

"ولذلك صورتان: أولاها أن تنشر في "معارف" إذا أحببت ذلك، ولكن المشكلة في ذلك أن عدد هذا الشهر يكون ماثلا للطبع، ولا يتسع لها، وإن أجل نشرها إلى الشهر القادم يكون التأخير كثيرا، والمقصود - نظرا إلى المصالح وبعض الوجوه - هو العجلة وعدم التأخير، بل كان لا ينبغي التأخير في إكمال الكتابة، فإن أمكن نشر هذه المقالة في عدد هذا الشهر فأنشروا - على الأقل - النصف الأول منها،

لا يخفى عنكم، لقد جاء الناس (العلماء) حتى من رنجون، ولكن لم يوفق أحد من هذه الولاية (بهار) فاجعلوا أنتم فرض الكفاية هذا فرض عين! يا حبذا لو تلقون محاضرة على حياة " بهار " الماضية العلمية والتعليمية (بعد ذلك امتت الألفاظ) واستصحب معك الأستاذ أبا الحسنات، و الشيخ العمادى من حيدرآباد، ولكن لاتمكن دعوتهم، فوا أسفاه! وقد مضى زمن طويل على حادث كانفور.

و خصص يوم من الاحتفال للبحث فى أمور الولاية العلمية والتعليمية، ويسرنى كثير من العلماء أن يدعوا لحضور الاحتفال ويهتموا بهم اهتماما خاصا، أنا أعلم - من سابق - أنكم لاتكتبون عن أحد، ولكن هذا الجواب يمكن للبلاد كلها بل للعالم أجمع " (١٥)

يبدو أن السيد سليمان الندوى حينما أبلغ مولانا ردأ على كتابه - بحضوره فى الاحتفال، فكتب (مولانا) إليه :

" وعلى كل حال، أحضرنى إلى ٢٤ بل قبله، واستصحبن معك الأستاذ أبا الحسنات "

يعلم من رسالة - أيضا - أن المراسلات انقطعت مدة بين العلامة الندوى وبين مولانا آزاد، و كتب السيد سليمان الندوى وهو يرد على رسالة لأزاد لم يكن يعلم بالسماح باستمرار المراسلات زمن الاعتقال، فردّ عليه مولانا آزاد ردأ، لايخلو من الطرافة، كما يلحق بعض الضوء على حياة اعتقال مولانا آزاد، يكتب مولانا :

" و صلتنى رسالتكم الكريمة، كتبتم فى رسالتكم أنكم كنتم لاتعلمون بالسماح بتبادل الرسائل، إن اليأس من ذى اطلاع و علم مثلكم يدعو إلى العجب، و قد اعتقل رجال قبلى، و تعلمون عنهم كل العلم أنهم كان يمكن لهم المراسلات تحت المراقبة، و لو منع بالفعل من كتابة الرسائل لتمتنعون عن إرسال الرسالة إلى قطعيا، كما لم ترسلوا حتى الآن لمجرد الوهم بمنع ذلك "

كتبت هذه الحملة الأخيرة على سبيل المزاح فقط!

" كانت "رانشى " منطقة مسلموها يعيشون عيشة
الذل والمهانة، وكانت الجهالة والمخاضات الأهلية
تحول دون اطلاعهم على الأوضاع المعاصرة، وكانت
الرساليات التبشيرية منتشرة كالأسلak الكهربائية فى
كل مكان، أما العالم الدينى فلم يكن له عين ولا أثر
فى هذه المنطقة، وكانت روح الشعـور الاسلامى
واليقظة الدينية ميتة، ولكن تغيرت سماؤها وأرضها
خلال أعوام بفضل وجود مولانا فيها، فنسمع الآن هناك
أسماء الجمعيات الاسلامية، و نرى قيام مدرسة
إسلامية، و المحاضرات القيمة لكبار العلماء والدعاة،
كما نرى أن روح الدين والملة قد بدأت تتحرك فى
الأجسام، وأن الفقراء يعززون على إقامة أول كعبة
للعلم فى هذه المنطقة التى كان لا يوجد فيها عالم من
علماء الدين، فى مثل هذه المنطقة تبذل جهود مكثفة
لأن يخرج منها مئات العلماء فينوروا ترابها بنور العلم
و القرآن، إن المنطقة التى كانت مساجدها بدون
مصابيح أشرقت ربوعها كلها بشمس واحدة، فتقام فيها
صلوات الجمعة والعيدى" (١٩)

إن فكرة تأليف " ترجمان القرآن " كانت نشأت لدى مولانا آزاد عندما
أصدر " الهلال " فى ١٩١٢م، ويمكن أن يكون قد نظر فى ذلك من قبل،
ولكنه كان أبدى فكرته هذه - فى ذلك الزمان - بعدة مناسبات وبأساليب
مختلفة •

فقد كان بدأ كتابة الترجمة قبل أن يذهب إلى رانشى، واستمر ذلك
- أيضا - خلال اعتقاله فى رانشى، ولما صدر الحكم باعتقاله - فجأة - فى
رانشى فى ٨ / يوليو ١٩١٦م شغل آزاد نفسه بالأعمال التصنيغية التى منها
تأليف " ترجمان القرآن " ولكن ما كادت تمضى ثلاثة شهور إذ فتش عن
مقر إقامته، وضبطت الشرطة على الكتابات المطبوعة وغير المطبوعة،
منها مسودات التفسير والترجمة، و كان آزاد قد أكمل ترجمة الجزء
الثامن من القرآن الكريم، أما التفسير فقد كان وصل منه إلى سورة النساء،
ولم يضعف ولم يفتر آزاد فى مثل هذه الأوضاع الحرجة، فقد بدأ ترجمة
الجزء التاسع، وفرغ منها فى أواخر ١٩١٨م، وكان بدأ كتابة ذلك على

ثم ينشر النصف الأخير - إن شاء الله - فى العدد القادم، فإن لم يكن ذلك فهناك صورة أخرى وهى أن تنشروا هذه المقالة - بقلم خفيف و سطور زائدة - كضميمة لهذا العدد، ويؤجل إصداره لأيام، ويتمقق - فى هذه الصورة - المقصد الثانى أيضا وهو أننا أريد نسخا لهذه المقالة فى صورة رسالة مستقلة" (١٧) ويقول فى رسالة أخرى :

" رأيكم صحيح، اليوم تلقيت رسالتكم عن طريق الأستاذ سلطان الذى أرسلها من بوفال، ووصلتنى رسالتكم الأخرى أيضا، أشكركم على تعجيلكم بنشر المقالة، وخاصة أنكم رضيتم بتأجيل إصدار " معارف " وآمل أن تكون المقالة قد جعلت فصلا مكان الحلقات، وأنا أوافقكم على أن تسمى المقالة بعنوان آخر عند صدورها فى صورة الرسالة، ولتقترحوا أنتم عنوانا لها، أما العنوان الذى ذكرتموه فسجعه الثانى رافع جدا، ولكن فى " ردّ الجاهد " إساءة إلى المبالغين والمانعين، فتدخل الرسالة فى حدود المناظرة والجدال، وذلك ليس بمقصود، فغيروه بقافية أخرى نحو: " الشاهد " أو " الشواهد " أو " الفوائد " أو " جامع الشواهد " و العنوان الأخير قد ساء استعماله كثيرا، حتى إن البعض أسموا كتابهم " جامع الشواهد فى إخراج الوهابيين عن المساجد " و ما أروع محاولة إخراج الوهابيين عن المساجد إزاء محاولة ادخال المشركين فيها ! فنحن بواد و العذول بواد، فلتقترحوا قاضية أخرى" (١٨)

لقد أثمرت جهود مولانا الإصلاحية هذه و أشعلت أمل الحياة فى مسلمى هذه المنطقة الذين كانوا - بصفة عامة - فقراء و غير متعلمين، متغلغلة فيهم العادات و التقاليد الإجتماعية المنكرة و غير الاسلاميية، و أيقظت فيهم روح التعليم و الحنين إلى تحصيله، و بدأوا يشعرون بالخبث من الطيب و الشعارات الإسلامية من غيرها، يقول العلامة السيد سليمان الندوى :

أول اعتقال لمولانا أبي الكلام آزاد

الكريم" ورسائل مختلفة مثل: " الصلاة " و " الحج " و " الزكاة " و " النكاح " و من تراجم المجددين أكمل تأليف: " شاه ولى الله " و " العلامة ابن القيم " وغيرها من كتابات أخرى يرجع فضلها إلى زمن اعتقاله *

لقد كتب العلامة السيد سليمان الندوى مقالة مختصرة حول اعتقال مولانا آزاد فى رانشى بعنوان " يوسف الثانى " يقول :

" إذا كان فى معتقلينا من اتسسى بالأسوة المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام - ففينا شخصية أخرى - امتازت بالأسوة اليوسفية، شخصية تبلغ - حتى إلى الأحياء - رسالة: " يا صاحب السجن أُرِيَاكَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِد الْقَهَّار " فقد قضى مولانا آزاد هذا العصر - عصر الاعتقال - بقدر عظيم من الهممة والشجاعة والبطولة والإيمان واليقين، مما يذكرنا بالسلف الصالح، ولعل الجميع لا يعلم بأنه رفض قبول راتب حكومى، ولم يقبل شيئاً من " هيئة مساعدة المعتقلين " وابتلى بأزمات مالية شديدة مستورة فى سر " عبادى الشكور "

تعريب: محمد نعمان الدين الندوى

الهوامش:

- ١- مكاتيب أبى الكلام آزاد لمرتبها أبو سلمان الشاه جهانپورى ص: ٩٩
- ٢- خطبات آزاد ص: ٧٢-٧٣ طبع ساهاتيا اكاديمى - دلهى *
- ٣- مكاتيب أبى الكلام ص: ١٠١، طبع: أدبستان لاهور *
- ٤- " تذكرة " طبع ساهاتيا اكاديمى ص: ٢٢٤
- ٥- " غبار خاطر " طبع ساهاتيا اكاديمى ص: ٣٦
- ٦- " تذكرة " طبع ساهاتيا اكاديمى ص: ٢٢٣
- ٧- " تذكرة " طبع ساهاتيا اكاديمى ص: ٢٣٥

الآلة الكاتبة، ولما أطلق سراحه في ٢٧ / ديسمبر ١٩١٩م كان أتم كتابة نصف المسودة •

إن الرجل الذي أهدى إليه آزاد " ترجمان القرآن " و القصة المتعلقة بذلك حدثت خلال إقامته في رانشي ، يقول :

" لعل ذلك كان في ديسمبر ١٩١٨م وأنا معتقل في

رانشي - فبينما خرجت - يوما - من المسجد بعد صلاة

العشاء إذ شعرت بأن رجلا يتبعني، فعطفت وجهي فإذا

برجل قائم يلتحف كساءاً من الصوف فقلت له هل تريد

أن تقول لي شيئاً؟

قال : نعم! لقد أتيت من مكان بعيد جداً •

قلت : من أين ؟

قال : من وراء الحدود

قلت : متى وصلت هنا؟

قال : وصلت مساء اليوم؟ وأنا رجل مسكين فقير، قطعت

المسافة من قندهار إلى كوئته مشياً على الأقدام،

ووجدت بـ " كوئته " تجارا من وطني، فاستأجروني

وأوصلوني إلى آكره، ووصلت من آكره إلى هنا مشياً

على الأقدام •

قلت : لماذا تكبدت كل هذه المتاعب؟

قال : لكن أتفهم منك على بعض المواضيع من القرآن

الكريم، وقد قرأت " الهلال " و " البلاغ " حرفاً حرفاً

وكلمة كلمة •

أقام هذا الرجل أياماً، ورجع - فجأة - و لم يلقيني عند

عودته لما كان يخشى من أنني أزوده ب زاد السفر،

وكان لا يصب أن يثقلني بذلك، وإنه يكون قد قطع

- في عودته أيضاً - جزءاً كبيراً من الطريق مشياً على

الأقدام " (٣٠)

و هكذا بذل آزاد كل لحظة من لحظات إقامته في رانشي لتحقيق

مقاصده وأهدافه، فلما خرج من رانشي في أوائل يناير ١٩٢٠م كان ألف

- بالإضافة إلى " ترجمان القرآن " - " جامع الشواهد في دخول غير مسلم

في المساجد " و " البيان " و " تفسير ثلاثة وعشرين جزءاً من القرآن

النزعة السياسية فى حياة مولانا آزاد و أفكاره

بقلم : د / سيد احتشام احمد الندهى
قسم اللغة العربية - جامعة كاليكوت - كيمالا

هذه حقيقة لا تنكر أن مولانا أبأ الكلام آزاد كان وزير المعارف فى الحكومة المركزية الهندية و إنه قد ابتلى بلاء حسناً فى سبيل استقلال الهند • وانه ساهم فى مقاومة الإنجليز مقاومة قوية و حارب الاستعمار الإنجليز بكل طاقاته و نشاطاته حتى انتهت إليه الزعامة فى الحرب خلاف الإنجليز ولكن هذه الحرب لم تكن حرباً بالمعنى المعروف بهذا اللفظ بل كانت الهند كلها تجاهد و تكافح و تسعى لنيل الحرية • و قد حصلت لمولانا أبأ الكلام القدح المعلن فى هذا الميدان فانه تضحى بأمواله و أوقاته و قضى دهماً من السنين فى السجن • حتى أنه ألف ثلاثة كتب فى السجن ألا هى تفسير "ترجمان القرآن" و "التذكرة" و "غبار خاطر" و إنه ألف " تذكرة " فى مدينة رانجى و لم يكن فى السجن ولكنه كان قد أسر فى بيته •

و لو خضنا غمار التحقيق لوجدنا انه تأثر فى نزعه السياسية من العلامة شبلى نعمانى لأن العلامة شبلى كان من العلماء الذين خالفوا مسلم ليح • و إنه نظم قصائد كثيرةً خلاف مسلم ليح و جلّ هذه القصائد قد طبعت فى المجلة الأسبوعية " الهلال " التى أنشأها مولانا أبأ الكلام من كلكتة • و كان العلامة شبلى ينظم القصائد و يرسلها بين حين و حين إلى هذه الأسبوعية و كانت تطبع فيها و كان العلامة شبلى ينقد نقداً لاذعاً على مسلم ليح لأنها كانت فى ذلك الزمان تحت سيطرة الإنجليز فكانوا لا يعملون شيئاً إلا بحكم الإنجليز لأن الموظفين الكبار من الدوائر الرسمية كانوا يديرون أمور مسلم ليح • ثم ان مولانا أبأ الكلام آزاد كان يمثل

- ۸- أيضا،،،، ص: ۳۳۶
- ۹- أيضا،،،، ص: ۳۳۶
- ۱۰- "تذکرۃ" طبع ساهاتیا اکادیمی ص: ۲۳
- ۱۱- أيضا،،،، ص: ۲۴
- ۱۲- أيضا،،،، ص: ۵
- ۱۳- "بیغام کلکتہ" ج: ۱، عدد ۲۳ ستمبر ۱۹۲۱م ص: ۲
- ۱۴- مکتوبات سلیمان لمولانا عبد الماجد الدریا بادی ج: ۱، ص: ۱۱۵
- ۱۵- مکتیب اہی الکلام آزاد خط: ادہستان لاہور، ص: ۸۷
- ۱۶- أيضا،،،،،،،،،، ص: ۱۰۳
- ۱۷- مکتیب آزاد، ص: ۵۸
- ۱۸- مکتیب آزاد، ص: ۷۹
- ۱۹- مکتیب آزاد اہی الکلام (ادہستان لاہور) ص: ۷۲
- ۲۰- اہو الکلام آزاد لعبد اللہ بت، ص: ۶۰

الندوة *

وقد أوضحت كل هذه الوقائع لكى أثبت أن مولانا آزاد أخذ النظرية السياسية من العلامة شبلى النعمانى لأنه كان مخالفاً لمسلم ليچ و كان موافقاً بنظرية كانجرس و بالنزعات التى كانت مجلة الهلال تمثله فى السياسة * وكان العلامة شبلى قد أرسل العلامة سيد سليمان الندوى لكى يعمل فى مجلة "الهلال" لأن هذه المجلة كانت صوت العلامة شبلى النعمانى * و لما ظهرت الخلافات بين اساطين ندوة العلماء و بيــــن العلامة شبلى و استقال العلامة من منصبه و بدأ الطلاب الإضراب و طال الإضراب حتى مضت ستة أشهر وانفلقت دار العلوم لندوة العلماء فى هذه المدة حيثئذ نهض مولانا أبو الكلام آزاد جعل يكتب مقالةً تلو مقالة فى تأييد العلامة شبلى النعمانى حتى اجتمع العلماء والأساطين فى دلهى و صالحوا مصالحة فيما بينهم و كل ذلك حدث بسبب مقالات مولانا آزاد فى تأييد استاذة و مربيه و لو لم يكن العلامة شبلى أستاذاً له بمعنى الكلمة المعروفة ولكنه كان استاذاً له فى الجوهر و الحقيقة * فلنى أريد أن أثبت العلاقات الودية القوية و الصلات القريبة الوطيدة بين العلامة شبلى و بين مولانا آزاد * و هذه العلاقة أصبحت سبباً لتأثر مولانا آزاد بنظرية العلامة شبلى النعمانى السياسية *

و هناك نكتة لطيفة لابد أن تلاحظ و هى أن العلامة شبلى كان يأبى أن يقلد أحداً و خاصةً إنه لم يقلد السيرسيد أحمد خان مع أنه عاش فى جواره ثمانى عشرة سنة، فانه إتخذ له آراء خاصةً مستقلةً و لم يأخذ شيئاً فى ذلك من نزعات السيرسيد أحمد خان السياسية * و هذا من العجب أن مولانا أبا الكلام آزاد الذى اعتسرف إنه تأثر تأثراً بالغاً من آراء السيرسيد أحمد خان فى بدء حياته و لكنه لم يأخذ منها شيئاً فيما بعد * أما العلامة شبلى فإنه خالف مسلم ليچ بكل صراحة و أيد كانجرس (المؤتمر الهندى القومى) و كذلك نجد أن مولانا آزاد خالف مسلم ليچ و انخرط فى كانجرس حتى انتخب رئيساً له و أصبح من أعيانها و أساطينها * فهنا نستنتج أن مولانا أبا الكلام آزاد تأثر بنزعة العلامة الشبلى السياسية و ترك مسلم ليچ و انخرط فى كانجرس *

و هذه المجلة "الهلال" كانت تطبع فيها المقالات خلاف الإنجليز و خلاف الحكومة و خلاف مسلم ليچ * و كان مولانا آزاد يؤيد تأييداً واضحاً لنظريات كانجرس * حتى صودرت المجلة و أرسل مولانا آزاد إلى السجن * فهذه

المؤتمر الهندي القومي في "الهلال" وفي مقالاته وكتاباتة * وهذا التجاه إنه أخذه من العلامة شبلى، لأن كل من له إلمام بأفكار السير سيد أحمد خان هو يعرف أنه كان يخالف المؤتمر الهندي القومي مخالفة قوية و كان يقترح على المسلمين أن لا ينخرطوا في هذا الحزب السياسى * والسبب في ذلك كان واضحاً، لأنه كان يظن لو أن المسلمين اشتركوا في هذا المؤتمر الهندي الذى يخالف الإنجليز و يخالف الحكومة فهذا يكون مضراً لهم و وبالآ عليهم * وكان هذا العهد قريب من الحادثة الكبرى حرب استقلال الهند الأولى سنة ١٨٥٧م * وقد خسر المسلمون فيها خساراً مبیناً و قد قُتل آلاف من المسلمين و أخرجوا من ديارهم و ذهب الحكومة من أيديهم * ثم إنهم قاطعوا تعليم اللغة الإنجليزية و العلوم الجديدة في المدارس التبشيرية خوفاً على دينهم و حفاظاً على ثقافتهم الإسلامية * و أسس السير سيد أحمد خان كلية إسلامية و حرض المسلمين على التعليم الجديد الإنجليزي فكان لا يجب للمسلمين أن يشتركوا في المؤتمر الهندي القومي و يقاطعوا الإنجليز و السبب الجوهرى في ذلك هو أن المسلمين كانوا يحصلون على الوظائف الحكومية و كانت اللغة الرسمية في العهد الاسلامى اللغة الفارسية و لكن الانجليز بدّلوا نظام الحكم و بدّلوا اللغة الرسمية؛ أولاً إنهم جعلوا اللغة الأردية لغة رسمية لمدة قليلة ثم انهم جعلوا اللغة الانجليزية لغة الحكومة و لغة الدوائر، و أن المسلمين لم يتعلموا اللغة الانجليزية فتخلّفوا في الحياة و في تحصيل الوظائف و لكن الهندوس لم يتأثروا بانقلاب الحكومة لأنهم كانوا أصحاب التجارة و الدكاكين في العهد الاسلامى و لما جاء الانجليز فانهم حصلوا اللغة الإنجليزية و نالوا الوظائف الحكومية * و في هذه الخلفية خاف السير سيد أحمد خان أن المسلمين لو اشتركوا في كانجرس (المؤتمر الهندي القومي) لازداد تخلف المسلمين بسبب مخالفة الانجليز *

و هذا معروف أن مولانا أبو الكلام آزاد قرأ كتب السير سيد أحمد خان و تأثر بها تأثراً عظيماً و لكنه لما طالع كتب الشاه ولى الله الدهلوى، ذهب تأثر السير سيد أحمد خان * ثم حدث أن مولانا آزاد زار العلامة شبلى في مدينة بومبائى في حفلة و كان مولانا آزاد حديث العمر فأخذه و جاء به إلى دار العلوم لندوة العلماء بلكناو و عينه نائب رئيس التحرير لمجلة " الندوة " التى كانت تصدر عن ندوة العلماء و قد أنشأها العلامة شبلى * و قد بقى مولانا أبو الكلام آزاد لمدة ست سنوات في لكاناو، و كتب مقالات كثيرة لمجلة

الخنزعة السياسية في حياة ازاد

والجهاد لاستقلال الوطن هو فرض على المسلمين هذا هو الجهاد الحقيقي، ثم أنه بعد ما تأثر الناس بأسلوبه وأسيوعيته الهلال و خطبه، أعلن لتأسيس حركة سياسية و دينية وانه لم يبين أغراض حركته ولكنه مزج الدين بالسياسة وكتب لأول مرة في مجلته الهلال " من أنصارى إلى الله " وقال للذين يعتقدون في آراءه ونظرياته أن ينخرطوا في " حزب الله " لأنه سمى حركته الإسلامية والسياسية باسم " حزب الله " ثم طلب منهم أن يرسلوا إليه أسماءهم وعناوينهم فأرسل إليه ثمانمائة رجل أسماءهم * وإنه سكت لشهر ثم أعلن أن استثماره خاصة قد طبعت وترسل إلى من يطلبها وترسل معها " رسالة الدعوة والتبليغ " * ولا بد أن يلاحظ أن مولانا آزاد اختار طريقة الصوفياء للبيعة * ولم يعرف هل طبعت هذه الرسالة أم لا ؟ ولكن مولانا آزاد لم يفسر مقاصد هذه الحركة غير أنه كتب مقالة في مجلة الهلال ٣ / ديسمبر سنة ١٩١٣م (ص : ٤١٧) عن دستور حركة حزب الله وخصائصها فقال فيها ان الآية التالية من سورة التوبة هي قطب الرض لهذه الحركة :

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة التوبة الآية ١١١)

أما استثماره الانخراط في حزب الله فكانت كما يلي :

نحن أنصار الله

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ لَأَشْرِيكَ لَهُ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ ۝

(القرآن ٦ : ١٦٢)

الإسم المهنة العمر

العنوان

و كان الأمر قد بلغ إلى هذه المرحلة حينما قبضت الحكومة الإنجليزية على مولانا آزاد وأرسلته إلى السجن وتوقفت المجلة " الهلال " من الصدور " فماتت الحركة قبل أن تولد وتنشأ (٣)

الحقائق تثبت جيداً ان النزعة السياسية بين مولانا آزاد وبين العلامة شبلى كانت تتشابه بل هى واحدة فيما بينهما* وإن مولانا آزاد هو واحد من العلماء الذين كانت لهم صلة قريبة وطيدة به* وإننا ندعى ونقول جهاراً أن مولانا آزاد سلك فى السياسة مسلك الإسلام واختار سياسة الاسلام الدولية (PAN ISLAMISM) وكان العلامة شبلى قد اعتنق هذه النظرية من قبل، وان السيد جمال الدين الأفغانى كان أول من تمثل هذه النزعة السياسية فى العصر الحديث* وان مولانا آزاد عرض فكرة الاسلام السياسية ثم تدرج إلى المؤتمر الهندى القومى لأن حزب مسلم ليغ كان يخالفه العلامة شبلى فلم يشترك فيه، فان مولانا آزاد جمع بين الاسلام والسياسة وجمع بين الدين والدنيا* وكان من صفاته انه اختار هذه النظرية السياسية فى حداثة سنة ومقتبل عمره فثبت عليها وتضحى لها حتى ماتت زوجته وكان فى السجن ولكنه لم يكتب شيئاً إلى الحكومة وكانت الحكومة الإنجليزية تريد أن تطلقه لو طلب منها أو كتب إليها* ولكن مولانا آزاد ثبت فى موقفه طول حياته* ولاشك انه فاز فى مراده حيث ان الهند نالت الحرية وساهم مولانا آزاد فى تطوير هذه الجمهورية العظمى فى العالم وعين أول وزير المعارف لها وبقي على هذا المنصب حتى قضى نحبه وترك قدرة حسنة للأجيال الآتية فطوبى لمساعيه فى سبيل الوطن والحرية ولخدمة الإسلام*

وان مولانا آزاد ذكر فى كتابه " التذكرة " العلماء العظام الذين تضحوا حياتهم لإعلاء كلمة الحق وجاهدوا جهداً جهيداً فى سبيل الحق وفى قمع الباطل* وإنه سلك سبيل الحسين بن على رضى الله عنهما والامام أحمد بن حنبل والامام ابن تيمية الحرانى وغيرهم من العلماء الذين واجهوا الباطل بكل طاقاتهم ونشاطاتهم وثبتوا على الحق واحتملوا المحن والمشاق فى سبيل الله وفى سبيل الحق* وهذه هى الدعوة التى قام بها مولانا أبو الكلام آزاد واختار أن يتصادم ويتقاسم ويجاهد خلاف الإنجليز المستعمر وثبت فى هذا السبيل* (١)

وقيل إن مولانا آزاد تعلم السياسة من زعماء بنغال الذين كانوا يأترون خلاف الحكومة الإنجليزية وانه ساهم معهم برهة من الزمان وكانت هذه الحركة الثورية سرية ثم انه انقطع منها وجعل يصدر مجلته الأسبوعية الهلال* ولعله أراد أن يجرب نفس الحركة بين المسلمين ويحرّض عواطف المسلمين خلاف الإنجليز* (٢) وقد أعلن ان الكفاح

كحركة سياسية محضة فلا يقبلونها فتوسّل إلى الإسلام فكانت الحركة في الظاهر حركة دينية ولكن كانت في الروح حركة سياسية (٦) هذه هي نظرية، لانتفق بهذه النظرية لأن مولانا آزاد لم يتخذ الدين وسيلة للسياسة بل كان الإسلام يجري في لحمه ودمه وروحه وحدث هذا أنه دعا الناس إلى تحرير الهند ثم أنه انضمّ في كانجرس ثم أصبح من أهم أعضاءه لم يكن منافقاً في أفكاره ودينه قط*

أما مسألة امام الهند فهي مسألة خطيرة في حياته* وإنه كتب مقالة وحرص المسلمين على انتخاب أمير في الهند وقد عرضت هذه المسألة للبحث في حفلة جمعية العلماء في لاهور سنة ١٩٢١م ولكن لم ينتخب أحد لأن العلماء لا يرضون على إمارة واحد منهم بسبب التنافس والانانية وحدث هذا فعلاً حيث جرت الأبحاث عن مسألة أمير المسلمين في الهند ولكن العلماء تجنبوا من انتخاب أمير لهم ولكن قال عبد الرزاق المليح آبادي ان شيخ الهند مولانا محمود حسني و مولانا عبد الباري الفرنجي محلي اعترفوا الإمامة لمولانا أبي الكلام آزاد مع كل شيء ان العلماء لم يتخذوا قراراً لانتخاب أحد منهم في هذا الصدد ولكن الناس يكتبون هذا اللقب له ويدعون له امام الهند مولانا أبو الكلام آزاد* (٧)

الهوامش :

- ١- مجلة " الجامعة " الأردنية دلهي الجديدة يوليو سنة ١٩٦١م، ص: ٤٥٨-٤٦٩
- ٢- " استقلالنا " لمولانا آزاد ترجمة بروفيسور محمد حبيب ص: ١٥
- ٣- المواد عن حزب الله مستعارة من مقالة البرفيسور مشير الحق " السياسة الدينية لمولانا آزاد " مجلة " الجامعة " دلهي الجديدة، ص: ١٨٢-٤٨٨
- ٤- المواد مأخوذة من مقالة أبي سلمان شاهجهانغوري، "مولانا أبو الكلام آزاد و حركة نظم الجماعة " برهان " دلهي فبراير سنة ١٩٧١م، ص: ٨١-٩٣
- ٥- السياسة الدينية لمولانا آزاد في مجلة " جامعة "، ص: ١٨٩-١٩١
- ٦- نفس المصدر:
- ٧- " الجامعة " ابريل ١٩٧٣م، ص: ١٩٩-٣٠٠

عين وأرسل مولانا آزاد خلفاءه إلى ولايات هندية مختلفة وأسماءهم
مذكورة أدناه :

| أسماء الولايات | أسماء الخلفاء |
|----------------|------------------------------|
| بنجاب : | مولانا عبد الله القصورى |
| | مولانا سيد داؤد الفزنوى |
| | مولانا غلام رسول مهر |
| سندھ : | بیر سید تراب علی |
| اتراپردیش : | عبد الرزاق مليح المليح آبادى |
| دلهى : | مولانا عبد الحى الفاروقى |
| بيهار : | مولانا أبو الحسن سجاد |

أما محمد أجمل خان و همايون كبير فهما ليسا من خلفائه ولكنهما كانا
من أقرب الناس إليه و كانا من معتقديه و لكنهما لم يكونا من الخلفاء
و لم يكن لهما الإجازة لأخذ البيعة* و كان من أهم خلفائه مولانا
عبد الرزاق المليح آبادى* قد أرسله إلى عاصمة اترابرديش لكتاؤ لأخذ
البيعة له و كتب له هذا الكتاب المذكور أدناه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أخى عبد الرزاق قد بايع على يدى فهو ماذون لكى يأخذ البيعة
لنفسى و أن يعلم الناس و يهديهم إلى السنة و ان طلاب الحق الذين
يبايعون على يده فكاُنهم بايعونى و العاقبة للمتقين* (٤)
و كان من شروط البيعة أن يقاطع البايع الإنجليز و لا يشتري المصنوعات
التي جأت من انجلترا إلى الهند* و على المريدين أن يتركوا استعمال
الألبسة الانجليزية تركاً باتاً و ان يختاروا الثياب التي تصنع فى الهند*
كان هذا الشرط الأول لكل من يريد أن ينخرط فى هذه
الجماعة* (٥)

و قد كتب الدكتور مشير الحق ان هذه الحركة كان حركة سياسية
و لكن مولانا أبو أبا الكلام كان يخاف لو أنه عرضها على المسلمين

و مع كون تلك المخاوف تناقض تعاليم الشريعة السمحاء، و تعاكس روح الدين الاسلامي الحنيف.

في غمار هذه الأوضاع المدلهمة، نهض المولانا آزاد، و بقلمه و لسانه كسر الأصنام، و بدد الأوهام و الخرافات عن الدين و السياسة. و خروج المسلمين رافعين اعلام الجهاد ضد المستعمر و حكمه الفاشم، أتى يدل على أن غيوم اليأس قد تبددت، و على أن المولانا كان موفقا في قيادة الأمة المسلمة و توجيهها توجيها سليما.

لم يكن المولانا آزاد من قادة طلائع جيش التحرير في أرض شبه القارة و صانعي الهند الحديثة فقط، و انما الحركات الاصلاحية و التحريرية في شرق العالم الاسلامي و غربه في القارتين الآسيوية و الأفريقية أيضا تأثرت به، و بجهاده في سبيل الاستقلال أسوة بالزعيم جمال الدين الأفغاني.

لقد استمر المولانا آزاد يكافح لحقوق الشعوب المضطهدة الراححة تحت أغلال العبودية، مستنيرا في ذلك من مقولة الخليفة الراشد عمر الفاروق لوال من ولاية البلدان المفتوحة :- إن الله خلق الناس أحرارا، و لا يحق لأحد أن يستعبدهم. و أفكاره تلك تجلت في الخطب و الكتابات التي يستوحي منها قوافل الأحرار في كافة انحاء العالم.

رغم المحاولات المستميتة لم تتمكن قوات الاستعمار المستبد من اسكات صوته، فانه أصدر مجلة " الهلال " في عام ١٩١٢م و من خلالها سعى لإيقاظ أمة الإسلام من غفلتها، و على صفحاتها القراء أنشد أغنية الحرية، و لقن المسلمين دروسا في الجهاد على أنه فريضة دينية، و ليس فقط واجبا قوميا كما هو عند الهندوس، و راح ينادى من اعماق قلبه :

" هل هناك أحد ينقذ الهند من الرجفة التي أصابها؟ هل يمكن لأحد أن يمسك بيدها و هي تتناول؟ و هل من نصير ينصرها، أو مفيت يستغيث لها. المسلم يولد، ليحيا حرا أو يموت، و التضحية و الاستشهاد من أعرق ما توارثه هذه الأمة جيلا تلو جيل و أبطال معركة الحق و الباطل هذه، يحملون رؤوسهم على أكفهم أيقن الاستسلاميون أن الضعيف دائما يخرج مهزوما في صراعه مع القوى. لكن المولانا أصر على أن الحق قوة، بها يتمكن الضعيف من القوى و يحطم سيطرته و هيمنته. و من خلال كتاباته الثورية خلق في قلوب المسلمين نفس الحماس الذي دفع مظلومي طرابلس للوقوف في وجه القوى التي مثلت الضيم و الطغيان على وجه المعمورة. و بهكاءه على الشهداء الأتراك، هز نفوس الأمة من أعماقها،

مولانا أبوالكلام آزاد :

الرائد فى حركة تحرير الوطن

بقلم : خورشيد مصطفى رضوى
مكتبة جامعة دلهى

مع مرور قرن على ميلاد القائد البطل المولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله، نتوجه لإحياء ذكره آمليين بهزوغ الفجر وتتشع الظلمات التى تخيم حياتنا، خاصة جوانبها الايمانية والعملية، ذلك مع الاعتراف بما عليه أمرنا من قلة البضاعة، وبأن شأننا فيه شأن عجوز مصر التى همت أن تشتري يوسف *

لحياة المولانا آزاد ألوف من الألوان، وكل لون ماث من الظلال يتعسر تمييز الداكن منها عن الشاحب * ففى شخصيته تجسّد الثبات والصمود بجميع معانيهما، وبه تعرفت الصحافة والخطابة على انسان قدر على تسخير القلوب بقلمه ولسانه، ومنه أصبحت السياسة تمثل الصدق والحق، وهو الذى خاض العلم والأدب والتاريخ، فلم يترك وراءه من يماثله فيه * وأخيرا فانه كان من أبطال جهاد الحرية والاستقلال، وفى ضلائع الحركة التى جعلت من ذلك الكفاح معركة بين الحق والباطل، واجبا دينيا بالنسبة للمسلمين *

لقد انضم المولانا الى الحركة الثورية فى البنغال وهو مازال فى وسط العقد الثاى من عمره، وفى السن الثامن عشر،(فى عام ١٩٠٦م) إتجه الى اخوانه فى العقيدة والدين، يوقظهم من السبات، ويحذرهم من مناورات الاستعمار الذى سعى الى افقاد الأمة المسلمة تحمسها للتحرر، وينبهم الى دور العملاء - من أمثال السر سيد أحمد خان - الذين خدموا الأهداف الاستعمارية بطرق وأساليب شتى كالإيحاء بأن الحكومة الانكليزية ظل الله فى الأرض، وأقوى سند للمسلمين فى كفاحهم ضد الهندوس لأجل استعادة الحقوق المقتصبة، و حماية وجودهم - كأقلية - من طغيان الغالبية الهندوسية، مع كون الغالبية نفسها ترزح تحت نير الاستعباد،

بعثوا لكسر أغلال العبودية و الاستقلال والاضطهاد
ايضا ترزح البشرية تحت نيرها • رقابهم لاتخضع
للسلاسل أبدا • لهذا و لكون الاسلام دين الإقدام،
يتوجب على الأمة المسلمة أن تكون فى طلائع
الجهاد، وتقود الشعوب رافعة علم الحرية عاليا خفاقا"

و عن الوسوس و الأوهام التى سعى العملاء إلى خلقها فى نفوس
المسلمين بهدف زحزحتهم عن طريق النضال، فقد بددها المولانا مناديا :

" لا يكون للتعاداد وزن فى حسابات الأمم..... و انما
الطاقات تستمد من روح المعنوية والاتحاد
و الفضائل الخلقية التى يكون مصدرها الاعمال
المسنة و خشية الله • القلة و الكثرة اعتبارات لم
يراهن عليها الاسلام فى وقت من الأوقات، و لم يكن
لها وزن عند المسلمين الراسخين فى عقيدتهم
و إيمانهم • فإلام هذه الوسوس و تلك الأوهام؟ منذ
اثنتى عشرة سنة أعدكم للجهاد، و حتى الآن لا
أستطيع أن اسلم ان المؤتمر الوطنى أو أية جماعة
أخرى بإمكانها أن تدرأ تلك الأخطاء المفتعلة • وأياما
تكن القرارات التى تتخذها هذه الجماعات اليوم
بتأمين حقوق المسلمين، المكسب الحقيقى لأمة
أو طائفة سيكون فى نهاية الأمر، ما تحققه بعزميتها
و ثباتها على الحق • و ذلك لايغنى اننى أوافق على
أن الأمة المسلمة يمكن لها أن تواصل المسيرة
فى ظلام الريب والخلافات • و انما الايمان هو النور
الذى ينير الطريق و يهذى الى سواء الصراط • -
نورهم يسع بين أيديهم وإيمانهم"

ابان ظهور قضية الخلافة الاسلامية، بادر المهاتما غاندى للاعلان بأن
الهندوس على استعداد للوقوف الى جانب إخوانهم المسلمين اذا لم يتم
حل مشكلة الخلافة وفق مرضياتهم • مما أسفر عن ظهور لجان الخلافة فى
كافة انحاء البلاد، و انضمام الهندوس وقادتهم الى نضال المسلمين فى
جميع مراحلهم • فى نفس الفترة قابل وفد للمسلمين بقيادة المولانا آزاد
الحاكم الانكليزى، و أنذره بالعصيان لو لم تقم الحكومة البريطانية بتنفيذ

وأثار فيها مشاعل الثقة بالذات.

مع ظهور " الهلال " على مطلع السياسة الهندية، تهيأت الظروف لصدام الضعيف المظلوم بالقوى الجائرة. لكن قوات الاستبداد البريطاني سحبت الأذن بعد مرور سنتين فقط على صدورهما، دون أن تتمكن من النيل من الحق وقدرته على الصمود في وجه الباطل فنهض المولانا وأصدر في مكانها مجلة " البلاغ " في عام ١٩٢٥م. بيد أن وقوعه في الأسر ثم نقله من كلكتا إلى معتقل رانشي، تسبب في توقف " البلاغ " بعد ستة أشهر فقط. (تم الإفراج عنه في شهر يناير ١٩٢٠م).

عاشت الأمة المسلمة منهارة منهوكة القوى بسبب دعايات الموالين للحكم الانجليزي حول الإصلاح والتعليم. لكن المولانا بنى على انقاض طرابلس وبلقان، منارة، وأعلن من فوقها رسالته للجهاد في سبيل تحرير الوطن، فأيقظ الملة الاسلامية من نومها، ونفخ في جسدها روحا هزّ كيان الاستعمار في أسسه.

تولى المولانا آزاد قيادة حركة التحرير الوطنية في وقت حيث لم تكن أية جريمة أكبر من تلك الجريمة. ثم انضم إلى الحركة الأخوان محمد علي وشوكت علي. و تلاهم في القائمة المهاتما غاندي (بعد عودته من جنوب أفريقيا)، والزعيم جواهر لال نهرو (في اعقاب اكمال دراساته في انكلترا). في أواسط العقد الثاني من القرن العشرين ألقى المولانا آزاد في السجن، وإفراجه في عام ١٩٢٠م تزامن انتهاء الحرب العالمية الأولى ... الفترة التي ابتلى بها الوطن بمحن، وشهد موجات قلق عارمة من جراء تنفيذ القوانين ضد التمرد، والتي أدت إلى سقوط المئات من المواطنين في مجزرة جليا نوالا باغ الشهيرة (ابريل عام ١٩١٩م).

وفي الفترة نفسها أصبحت الخلافة العثمانية ماثرا اهتمام المسلمين أكثر من أي شيء آخر. فانهم أسوة بغيرهم من مسلمي العالم، شعروا بمرارة ما لم يتركيا نتيجة المؤامرات البريطانية والفرنسية، ومهاجمة الإغريق على الأناضول، و وقوع مدينة اسطنبول تحت احتلال القوات البريطانية، وفرض الانتداب البريطاني على بلاد العرب. في هذه الظروف الحرجة كانت الأمة المسلمة بأمس حاجة إلى قائد يقدر على اثاره القضايا الاسلامية والعربية من موقف القوة. وبالفعل وجدوا في شخصية المولانا آزاد من يستطيع ملأ ذلك الفراغ، ويعلن من اعماق قلبه :

" للمسلمين تاريخ حافل بالأمجاد والبطولات. انهم

بيانا جاء فيه :

" نفتتم هذه العرصة للاعلان بأن كل مواطن، جندى فى الجيش الوطنى، اذا ما يرفض القدمة لنظام أوقع البلاد فى الذل والهوان سياسيا واقتصاديا وخلقيا، واستعمل الجيش (الهندى) لقمع الحركات الوطنية، وبه هاجم مصر وتركيا والبلدان العربية، وقضى على استقلالها، رغم انها لم تضر مصالح البريطانيين فى الهند بأى وجه من الوجوه* و من واجب كل موظف حكومى - مدنيا كان أو عسكريا - أن يقطع صلاته مع هذا النظام"

و من أبرز القادة الوطنيين الذين وقعوا ذلك البيان، كان المهاتما غاندى، المولانا آزاد، الحكيم أجمل خان، لالا لاجپت راي، موتى لال نهرو، سروجنى نايدو، عباس طيب جى، راج غوبال أشاريا، الدكتور راجيندر براشاد، الدكتور أنصارى، مولانا حسرت موهاني، رام داس دولست رام*
بصودر هذا البيان بادر آلاف من الطلاب فى كافة أنحاء البلاد للانضمام الى حركة الاستقلال بعد مهاجرة المدارس والجامعات، و فى مقدمتهم كان طلاب الجامعة الملوية الاسلامية وقائدهم الدكتور ذاكر حسين (رئيس جمهورية الهند الثالث)* هذه التطورات أتت متزامنة مع اعلان العلماء بأن الهند دار الحرب، و مهاجرة ثمانية عشر ألف منهم الهند الى بلدان أخرى رافضين الخضوع للاستعمار البريطانى*

فى هذه المرحلة من الكفاح كان المهاتما غاندى و المولانا آزاد يفودان حركة التحرير من موقف نضالى فذة، و عندما ألفت سلطات الحكم البريطانى القبض على المولانا آزاد، انه رفض التعاون مع الاستعمار قائلا :
" لا يمكننى أن أكون من حماة هذا النظام ومؤيدى فكرة استمراره والحال أننى أراه نظاما جائرا"

لقد تولى المولانا آزاد قيادة حركة التحرير بعد انتخابه رئيسا للمؤتمر الوطنى الهندي فى عام ١٩٢٣م* و تعليقا على قيادته فى تلك الفترة من الزمن قال أشاريا كيريلانى :

" كلما تعرضت المنظمة (المؤتمر الوطنى الهندي) لمشاكل الانقسام والتشتت، تقدم المولانا قبل غيره، فرأب الصدع و صان المنظمة من الانشقاق على

مطالب الأمة الاسلامية حول الخلافة •

فى أغسطس ١٩٢٠م تيقظ الشعب الهندى بكافة طوائفه و ملله، فعددت الاجتماعات العامة، وأقسم المواطنون بتضحية كل غال و ثمين فى سبيل الوطن • والمهاثما غاندى بدوره أعلن مشاركته فى الحركة بارجاع الأوسمة و الخطابات الى الحكومة، و فى كتاب بعث به الى الحاكم الانكليزى بتلك المناسبة ذكر أن تلك الأوسمة و الخطابات، غدت بدون قيمة بسبب التعديتات التى يبررها الاستعمار البريطانى ضد الإخوة المسلمين • و فى نفس الفترة دعا المهاثما الأمة الهندية للعصيان المدنى الذى كان المولانا آزاد اقترح باللجوء اليه فى مجلة " الهلال " و قد أفتى بذلك ٥٠٠ من العلماء المسلمين الذين اختلفوا عن غيرهم من علماء العالم الاسلامى، و بجانب انشغالهم فى أمور الدين، شاركوا فى الجهاد والحركات السياسية أيضا • و فى طليعة هؤلاء العلماء كان المولانا آزاد الذى لقب بـ " إمام الهند " فى عام ١٩٢١م، و تحدث عنه شيخ الهند المولانا محمود حسن، فقال انه ذكر العلماء واجههم المنس • هذا الصوت قرع الآذان، ووصل دويه الى كل زاوية من زوايا الوطن النائية، واستجابة له خرج ألوف من الأبطال و هم على استعداد لفداء أنفسهم فى سبيل الوطن • و من بينهم كان القائد البطل جاى براكاش نارين، الذى اتجه بقيادة قوافل الحرية بعد أن اطلع على أفكار المولانا آزاد من خلال خطابه •

فى خضم هذه الوقائع نهض المولانا آزاد، إماما لقافلة الحرية، فأعلن أنه يتوجب على كل هندى يحب وطنه العمل على احباط المقططات لتهريب أموال البلاد، واستخدامها لمدّ غطسة الاستعمار • و قال ان الهندوس كفاحهم يهدف الى كسب الاستقلال لبلدهم - الهند، بينما المشاركة الاسلامية فى هذا الكفاح موجهة الى تحرير أرض الاسلام من مشارقتها الى مغارها، و الى التخلص من براثن الاستعمار البريطانى الذى لا يهتم عدا النيل من شرف الاسلام، و تشويه تاريخه المجيد الممتد على ١٣ قرنا •

و أضاف المولانا " بأن الهند بمثابة مركز الانطلاق بالنسبة للمستعمر، و من هنا تنفذ المقططات الاجرامية ضد المسلمين فى سمرنا و الباسفورس، و الشام و فلسطين •

هذه الانتفاضة بلغت أشدها عندما أصدر المشاركون فى اجتماع بومباى

من القادة الوطنيين يحذرون من أخطار الطائفية و لكن بدون جدوى • فالعناصر من اليمين الرجعي غدت تشجع على التفرقة والتوتر، و بتحفيز الانجليز تلقى كلمات تثير شكوكا في نفوس عامة المسلمين • والقيادات الاسلامية الطائفية بدورها استغلت تلك المخاوف لاثارة الكراهية • والقادة من أمثال المولانا آزاد تعرضوا لانتقادات و تساؤلات، ولا وجهوا بانواع من المطالب والشكوك خاصة حول الحركة التي تمثلت في منظمة المؤتمر الوطني • وبالرغم منه فان المولانا آزاد راح يقول للمسلمين :

" هل يتصور أن يكون المسلم بضاعة تباع و تشتري في سوق السياسة مقابل إزالة شكوك و أوهام، لاسيما و الحال أن أجداده اشتروا قسما من الأمم في السوق ذاتها • ألا يوجد فينا من يقدر على منع هذه المزايدة البزينة، و احباط تلك المحاولات الرخيصة اذا لم يكن بإمكانه شراء همم الشعوب بثمن مطالب"

" العالم كله يعترف بالدور الذي لعبته الأمة المسلمة على مدى ثلاثة عشر قرنا • فهل من اهانة أكبر من أن تتوجه الأمة نفسها الى المؤتمر الوطني أو غيره من المنظمات السياسية، فتقول ان انضمامها الى الحركة الوطنية مرهون بازالة الريب المفتعلة • الحقيقة أن الأمم تحافظ على حقوقها بالاعتماد على النفس بدلا من الشكوك أو المخاوف"

" المشاكل الخلافية بيني وبين القادة الآخرين، ناشئة عن خلافنا على بناء مستقبل الأمة أن يكون على أسس الايمان والعزم أو على التشكيك والخوف"

لكن هذه النداءات لم تجد اسماعا صاغية بين أذنان المسلمين الذين تصوروا أن استقلالية الأمة المسلمة عن غيرها من الطوائف والجاليات الهندية مرهونة بالانفصال التام، و طالبوا في نهاية المطاف بتقسيم البلاد كاعتراف منهم بأن الاسلام في شبه القارة أخفق في استلطاف الآخرين، و هم أتباعه الوحيد هو تقسيم الأرض، و إيصال القادة الى عرش الحكومة ليكونوا دمي في أيادي قوات الاستبداد البهريطاني •

نفسها، وأعاد توحيدها وتنظيمها من جديد. وكثير
من الشواهد تبرهن بأن المولانا قاد الأمة قيادة
سليمة"

حركة الخلافة الإسلامية في الهند انتهت بنهايتها في تركيا في
٣/ مارس ١٩٢٤م حيث أعلنها مصطفى كمال باشا دولة علمانية. لكن
الحركة قد أوجدت في نفوس المسلمين حماسا، والمتهم بمكان من القدرات
التي تستطيع أن تصنع المعجزات إذا ما توحدت كلمتهم مع الغير من
الطوائف والجماعات الأخرى. بذلك الطريق أصبحت حركة الخلافة حضا
تنشأ وتنمو بين جنباة الحركة التي نعرفها بحركة استقلال الهند. ودور
حركة الخلافة هذا قد تناوله المهاتما غاندي في جريدة "ينغ انديا" قائلا:
"لو كنت نبيا أعرف مسبقا ماسيول إليه حركة الخلافة،
لانضمت إليها، وأسهمت فيها بنشاط وتحمس أشد،
فالحقيقة أن الفضل في تيقظ الشعب يعود الى هذه
الحركة"

بيد أن الصحو العامة هذه أتت مقرونة مع نزعات طائفية خطيرة
لاقضاء، والتي استمرت في نمو مشثوم خلال السنوات التي تلت انتهاء
حركة الخلافة. فقد كان الاستعمار يتطلع لأية فرصة سانحة لتحويل مسار
الظروف، ويدبر من وراء الكواليس مخططات لاثارة الخلافات بين مختلف
الطوائف. من جانب جرت المحاولات لإغراء حلفاء الاستعمار من بين
الهندوس على ارجاع المسلمين إلى ديانتهم الأم (الهندوسية) التي
تخلوا عنها اثناء فترة حكم المسلمين، ومن جانب آخر شجع الاستعمار
مواليه المسلمين على تكثيف نشاطات الدعوة، و جلب أكبر عدد ممكن من
الهندوس الى الاسلام. وفي نفس المرحلة بادرت السلطات الى الإفراج
عن أحد قادة الهندوس الذي شن حركة لتهنيد المسلمين بعد إجراء لقاء
مع الحاكم الانجليزى. وفي الفترة ذاتها تولدت المنظمة
الهندوسية (آر-أس-أس) التي اشتهرت بأفكارها الرجعية اليمينية
المتطرفة. هذه العناصر دبرت الاضطرابات الطائفية بين الهندوس
والمسلمين في عدة مناطق، وتمكنت حتى من زرع بذور الخلاف في
صفوف القيادة الوطنية، وضرب أهداف الحرية والاستقلال عرض
الحائط.

في خضم هذه التطورات استمر المولانا آزاد والمهاتما غاندي وغيرهما

أول الأمر على الحقائق البهتة* و مع الاعتراف بأن
الجو مقبر، أدعوكم للعمل على اجلاء الغيار، و النظر
في الموضوع بجميع الجوانب قبل اتخاذ قرار نهائي"

للمرة الثانية القى المولانا آزاد مع عدد من رفاقه في درب الكفاح في
السجن عند ما تولى قيادة الحركة التي طالبت الانجليز بمغادرة الهند في
عام ١٩٤٢م* و لما طرحت الاقتراحات حول استقلال الوطن عن الحكم
الأجنبي للنقاش في عام ١٩٤٥م، ارتضى عملاء الاستعمار في أحضان
مستعبدتهم، يتضرعون اليهم بتقسيم البلاد إلى دولتين لا إسلامية
وهندوسية لكي يتسنى لهم العيش في مأمن بعد مهاجرة الملاك الانجليز
الى بلدهم*

في هذا الاثناء استمرت المباحثات بين الجهات الوطنية وسلطة الحكم
البريطاني المتمثلة بلجنتى كريپس و كابينت حول الاستقلال التام عن
بريطانيا* و في وجه تزايد القوى الطائفية اصرارا على مطالبتها
الانقسامية، عرض المولانا آزاد خطة لتأمين حماية حقوق المسلمين اذا ما
وافق قادتهم على معاشة الهندوس في بلد موحد، و لكن بدون جدوى*
وفي نهاية الأمر تمزقت البلاد الى كيانين، بعد أن أعطى الزعماء حتى من
أمثال المهاتما غاندى موافقتهم على ذلك بحجة أنه لا يمكن منع إراقة
الدماء الا بذلك الطريق* و لشد ما كان الشعور باليأس و خيبة الأمل عند
المولانا آزاد وقتما وجد أنه و زملاءه من القادة الوطنيين- مثل المولانا
حسين أحمد المدنى، و خان عبد الغفار خان و المولانا حفظ الرحمان-
فشلوا في احباط مخطط التقسيم*

لقد كان داهية الاستعمار البريطاني زرع نفس البذر في قلب فلسطين،
و وزعها بين اليهود و العرب تاركا وراءه الولايات التي لازالت شعوب
المنطقة تعيش تحت نيرها*

بعد هروب صانعى مخطط التقسيم الى قطعة أرض وهبها الاستعمار
مقابل خدماتهم، ضاقت أرض الهند على المسلمين رغم رحابتها، و في ١٥
أغسطس- يوم استقلت الهند عن حكم الاستعمار- غدوا يتهمون في أرضهم
و أرض أجدادهم بالخيانة و القدر* ثم أتت سلسلة من المجازر الرهيبة
التي لم تحصن منها حتى العاصمة، و في وجهها لاذ ألوف منهم بالفرار تحت
ستار الهجرة* في هذه الظروف العصيبة وقف المولانا آزاد يخاطب
المسلمين من منبر جامع دلهى قائلا :

الأحداث التالية أتت وفق المخطط الاستعماري، فتحققت أمانى أعداء الدين و البلد، و تهيأ الجو للتفرقة و الاضطراب و الانقسام، و أثمرت الشجرة التى غرسها ولاة الحكم الانجليزى بالتأمر مع أذناهم المحليين منذ خمسين سنة *

قام حزب المؤتمر الوطنى باعادة انتخاب المولانا آزاد رئيسا له فى اجتماع رام جره عام ١٩٤٠م. و بتلك المناسبة خاطب المولانا الاجتماع قائلا :

" منذ بزوغ فجر التاريخ قدر لأرض الهند أن تكون مهدا لديانات و حضارات متنوعة و جاليات و اعراق مختلفة * هذه الأرض استقبلت قوافل الواردين برحابة الصدر، و احتضنت الشعوب على اختلاف أجناسها * و قوافل المسلمين كانت آخر حلقة فى سلسلة القوافل التى اتجهت اليها و اتخذت منها مستقرا لها، تولت قوافل المسلمين على عاتقها اعادة بناء هذا البلد، وسخت بجميع ما حملته من قيم و فنون، و على رأسها الدين الاسلامى الحنيف، و رسالته السماوية التى كانت أرض هذا البلد بأمس حاجة اليها "

" فى كفاحنا هذا (ضد تقسيم البلاد على الأسس الدينية) نرى وجه الاستعمار بنفس القدر من الوضع الذى رأيناه فى كفاحنا السابق * و لكننا لانود أن نقف إلى جانبه فى انتصاراته، أو نشد ازره فى تمديد فترة الاستعباد "

ثم توجه إلى المسلمين يتاديهم :

" لبت الأمة المسلمة لندائى فى عام ١٩١٢م، لكن ابناء ذات الأمة يعارضوننى الآن فى أفكارى و آرائى * ليس من همى أن أوجه اليهم اللوم على ذلك، بيد أننى أود أن أقول و بكل صراحة ان الموضوع- الاختيار بين التقسيم والوحدة- يرتبط بمصير الشعب و الوطن، و لا يجوز أن نبت فيه من منطلق عاطفى * و للعلم بأن مثل هذه القرارات لا يمكن اتخاذها و الفاءها كيفما نشاء، فمن المفروض أن نتأسس من

فردية مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : السيد شهاب الدين الدنوي

عميد كلية صابو صديق بومبانى سابقاً

الفراغ من تعلم الفارسية فى السنة الثالثة عشرة من العمر و تكميل مناهج التعليم النظامى فى السنة الرابعة عشرة من عمره و رئاسة تحرير مجلة " لسان الصدق " القراء فى السنة الخامسة عشرة من العمر ثم العمل كمدير تحرير مجلة " الندوة " الشهرية على إيماء العلامة شبلى النعمانى و إلقاء الخطبة أمام ألوف من الناس فى إجتماع عقده جمعيّة حماية الإسلام بلاهور أيام شبابه بحيث يسحر المستمعين و الحضور و فى السنة الرابعة والعشرين من عمره إصدار مجلة " الهلال " التى بلغت شعبيتها فى عدة أشهر إلى خمسة وعشرين ألف مشترك كل هذه الخصائص كانت توجد فى تلك الشخصية السحيرة للعقول التى كانت تدعى أبى الكلام آزاد و التى قال عنها العلامة شبلى مخاطباً إياها بالذات :

" إن ذهنك من عجائب الزمان، ينبض أن تعرض أنت

و تقدم فى معرض عملى كأعجوبة"

أُحق أن القادر الخلاق أظهر فى تشكيل أجزاء شخصية العلامة أبى الكلام سقاءً بالفاء و غير عادى حيث وهبه ذهنًا و ذكاءً و ذاكرة تليق بها و بقدر لا يوجد له مثال إرتفع بفضلها إلى مستوى العبقري و لإظهار هذه العبقرية تولدت فى طبيعته انفرادية غير محدودة * انفرادية لا يكاد يوجد لها مثال * يعبر بعض من درس حياة و مآثر مولانا أبى الكلام آزاد بامعان النظر عن انفراديته هذه بكلمة " الأنانية " و البعض الآخر "بالايفو" و بعضهم "بالاجتهاد" و بعضهم يقولون بأنها "الاعتماد الذاتى" و البعض يقولون بأنها "ثورية" * و الحق أن انفراديته أو فرديته

" أشتكى اليكم مما لاقيته من معاملة الجفاء •
 أحاسيس جريحة وقلبي ممزق • انظروا في أمركم •
 أين وصل بكم الطريق الذي اتخذتموه لأنفسكم؟ •
 أعود فأقول من جديد • اتركوا التشكيك و التردد،
 أنفضوا عنكم الكسل والتوان • وانظروا الى منارة
 هذا المسجد، انها تتسأل عن أوراق تاريخكم أين
 فقدتم إياها • هذه النقوش والزخارف الزاهية ذكريات
 ماضيها المجيد - أتت بها قوافل أجدادكم الى أرض
 هذا البلد • لاتنسوا إياها و لاتنبذوا بها نبذا •
 تمسكوا بها وريثة لها • تعالوا نتعاهد أن هذا البلد،
 بلدنا، وبدوننا لن تكتمل مسيرته نحو المستقبل "

بعد الاستقلال استنار الوطن بأفكار أبي الكلام، و بخدماته الجليلة
 حصل على مكانة العز بين الشعوب، و في ظل قيادته واصلت القوافل
 الوطنية زحفها على طرق الانجازات، و بلغت ذروتها • انه صنع مجد الهند
 الحديثة العلمانية، و كان آخر من تحدث عن ضمير آسيا بعد الزعيم
 جمال الدين الأفغانى، و آخر من تجسدت في شخصه بصيرة ابن تيمية
 وحركة ولي الله و عظمة مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي • انه
 نفخ صورا قامت به القيامة، و كسر الأصنام الزائفة التي ظلت تعبد على
 مدى السئات من السنين • انه هو أبو الكلام آزاد الذي لا يكفى العمر
 للكتابة عن شخصيته الممثلة بدوره القيادي أروع تمثيل •

تعريب : راشد على

عندما كان محبوبا فى قلعة أجمد نجر وتوفرت له الخلوة والهدوء و هو فى شكل الرسائل التى لم تُرسل إلى مخاطبيها • لقد إتخذ فى هذا المؤلف أسلوبا فريداً وسلط الأضواء على حياته وعلى الجوانب المختلفة لفكره ونظره •

• تربي مولانا آزاد فى أسرة كانت متدينة وتؤمن بتقاليد وقيم الزوايا والخانقاه • فكانت العزة والشهرة تنتظرانه لتقبلا قدميه فى هذه البيئة كانت طائفة كبيرة من أتباع والده المحترم تريد أن تكرم نجل مرشده الروح وتطه محل الإجلال والاحترام وكانت تتمنى أن يخلف هذا النجل والده المرشد الكريم ولكن نفسية مولانا آزاد المنفردة كانت متضاثقة من هذه البيئة • إن ذهنه الموهوب وذكاءه المنقطع النظير وعبقريته كانت تريد أن تبحث عن تحديات سبل الحياة والعقل والفكر • إنه تجنب عن إرثه العائلى بل وبغى منه • وبرزت فرديته فصار مشغولا فى البحث عن العقيدة الواقعية لا العقيدة التقليدية • وتعرضت عقيدته التقليدية للاضطراب الأول • طرأت هذه الحالة عليه عندما كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاما فقط ! إنه يعترف بذلك حيث يقول :

" إن جميع الأسس التى أرسيتها الأسرة والعائلة والتعليم والتربية والبيئة والظروف كلها تزعزعت وانهارت مرة واحدة ثم حان الوقت الذى هدمت فيه هذا الجدار المترنزل بيدى وبنيت جدارنا جديدة مكانها " (غبار خاطر)

ولما تحرر هو من القيد التقليدى والورائى أضاف إلى اسمه " محى الدين أبو الكلام " لقب آزاد الذى يعنى " الحر " كانت خطوة مولانا أبى الكلام آزاد هذه فى الهند المحبة للقدم والقديم والتى يعتبر فيها المثل والتقاليد أصل الإيمان خطوة مليئة بالجرأة والإرادة الكبيرة • ماذا عمل لصياغة عقيدته فى قالب جديد يكتب عن هذا قائلا :

" إلى أى طريق إنطلقت، إبتعدت فيها عن منازل الوقت إلى حد بعيد حتى أننى لما التفت إليهم — ونظرت ملويا رأسى، ما وجدت شيئا سوى غبار الطريق وهذا الغبار أيضا كان قد أثارت سرعة سيرى • فطفت اخماس قدمى بهذه السرعة ولكن لأعجب إذا كانت بعض الكناسة والتبن قد أزيلت

كانت تشمل جميع هذه المميزات • نستهدف في هذا المقال الوجيز البحث عن هذه الفردية في العلامة أبي الكلام آزاد •

لقد كتب مولانا آزاد في " التذكرة " و " غبار الخاطر " وهما من أهم مؤلفاته كل ما كان يريد أن يخبرنا عن نفسه و لكن الامكانيات الكثيرة الموجودة فيه لم تستطع أن تظهر أمام العالم على حسب قول الباحث و العالم الباكستاني غلام رسول مهر الذي كان على علاقة ودية خاصة معه •

إن الفردية تختص بكل طبيعة إلى حد ما و لكن نموها مثل المحسوسات المعنوية تكون له أنواع مختلفة في أحوال شتى كما يصح أيضا أن الانفرادية التي تظهر في شكل الأنانية تعكس صورتها في المرأة الداخلية لكل فرد و إن الصورة التي تنعكس في امرأة بعض الناس يبدو وجودها كبيرة و لكن تبدو هذه الصورة بالذات في مرآة الخارج مفاكسة يعنى أن هذه الصورة تبدو أصغر فأصغر • يعبر مولانا آزاد عن هذه الحقيقة بكلمات أخرى هكذا :

" إن الأنا الذي يكون ذا أهمية كبيرة لشخص يصبح نفس الأنا في أنظار الآخرين بدون أهمية "

إن نوعا من إظهار الأنانية هو الذي يقدم فيه شخص " أنانيته " على شكل معرض أمام الآخرين بدون تكلف و الذي يفهم فيه شخص أنانيته عظمة جدا غير أنها تكون صغيرة جدا في أنظار الآخرين و لكن العالم لا يستطيع مع ذلك أن ينكر قبوليته لدى القلوب و أن العالم لا تتوفر له مهلة ليقيس مقدار أنانيته •:

و النوع الثالث للأنانية عند مولانا أبي الكلام آزاد هو الذي لا يكون قدره إضافيا و لكن يكون من النوع العام • يعنى أن أنانية مثل هذه الشخصيات تبدو كبيرة عند الآخرين بقدر كبرها في الظاهر • إن أشخاصا كهؤلاء لا يمكن وزنهم في الموازين العامة للفكر و الرؤية • يضطر العالم إلى أن يعترف بحقهم في أن يلفظوا كلمة " أنا " متى شاءوا و حيث شاءوا فإذن كل " أنا " من جانبهم يكون أحسن وقعا في القلوب من كل " هو " و " أنتم " من جانبهم •

(غبار الخاطر)

إن أنانية مولانا آزاد يمكن أن توضع في هذه الخلية الثالثة للفردية أو الانفرادية • و برهانه يوجد بكثرة و وفرة في كل جانب من حياته خصوصا في مؤلفاته " التذكرة " و " غبار الخاطر " •

" غبار الخاطر " هو المؤلف الذي كتبه مولانا آزاد أيام حركة الاستقلال

فى السنة الرابعة العشرين عندما تبدأ فى الناس
نشوة و سكر حياة الشباب و يبدأون التمتع بها كنت
قد أتممت سفرى و بحثى عن الأماكن و المواضع
المقفرة و قد بدأت اجتنى الأشواك من أخصى قدمى *
كانت سيرتى فى هذه الحالة أيضا معاكسة للزمن *
ففى تلك المرحلة من الحياة التى يشمر فيها الناس
عن ساق الجد كنت قد وضعت عن نفسى أثقال هذا
الجد و استعد للراحة و الإستجمام

(غبار خاطر)

ليس هذا المقتبس نموذجا لأسلوب كتابة مولانا آزاد السامى و المنفرد
الذى انتهى به فحسب بل هو مرآة لمحاسبة النفس التى يشاهد فيها مثال
غير عادى للجرأة و الشجاعة الكلامية * إن الغلبة و السيطرة على الذات
و الطبيعة الإنسانية ثم تلويحهما حسب مرضيات النفس لا تتحقق إلا لتلك
النفوس التى وهبها الله من القوة و الإرادة ما لا تحصى * و هذه هى القوة
التي ظل مولانا آزاد يستخدمها طوال حياته *

سلم مولانا علبة السجائر المليئة إلى السجن الموجود على باب سجن
أحمد نجر خلال حركة الاستقلال فى عام ١٩٤٢م و تجنب تدخين السجائر
تجنباً كاملاً و لم يطلب السجائر لثلاثة أعوام أى حتى وقت إطلاق سراحه *
لم يكن ذلك إلا بفضل تلك القوة الإرادية * فلما أطلق سراحه أخذ من يد
السجان نفسه أول سيجارة و أشعلها يدخن كما أنه لم يحدث أى انقطاع فى
دأبه و عادته *

لقد ساعدته قوة ذاكرته الطبيعية و المنفردة كثيراً فى إيصاله إلى
منزلته السامية العلمية التى كان يتمتع بها مولانا آزاد فى الأوساط
العلمية و الأدبية * فقد كتب الأديب الشهير نياز الفتخبورى أن محادثة
جرت ذات مرة عن الفلاسفة المسلمين جاء خلالها ذكر مؤلفات ابن طفيل
و ذكر من ضمنها مؤلفه المشهور " حى بن يقظان " فسرده مولانا آزاد
قصته الكاملة فى جلسة واحدة كأنها كانت محفوظة فى ذاكرته طبقاً
لما ورد فى هذا الكتاب *

صحب الزعيم السياسى الشهير الدكتور السيد محمود مولانا أبى: الكلام
آزاد فى قلعة أحمد نجر أيام حركة الإستقلال، يقول الدكتور السيد محمود
أن مولانا ذكر ذات يوم عن لقاء كان قد تم بينهما قبل ستة و عشرين عاماً

أيضا

كانت إنفرادية طبيعته قد أوصلته إلى مكان عال في البحث عن الطريق
يذكر عن ذلك في رسالة له بهذه الكلمات :

" إن أية حالة عشتها، عاش قلبي بعيدا عن النقص
وعدم الكمال وتجنبت عادة التقليد * أينما كنت وفي
أى لون عشت، لم أبحث عن أثر أى شخص آخر * بحثت
عن طريقى بنفسى وخلفت أثرا لغيرى * وإذا كنت في
عالم الخلعة والحرص والهوس فلم أترك هذا العالم
أيضا ناقصاً * وإذا غشيت عالم انكار الذات في الهيام
فلم تكن قدماى جاهلتين في واد أو زاوية من هذا
العالم "

قمت بأداء عمل سنة في لحظات، وثوان كما قال الشاعر :

" كانت هناك أشغال كثيرة في العشق والهيام
ولكننا نحن يامير فرغنا من القيام بها بسرعة "

والآن أى طراز ولون نعيش، نتمنى لهما الكمال ها هنا أيضا •
(التذكرة)

إن أمنية الكمال توجد لدى الجميع ولكن القدرة الإلهية لا تختار إلا
الأفراد القلائل ليكملوا يحققوا أمانهم * ولاشك أن مولانا أبى الكلام آزاد
كان أحد هؤلاء الأفراد القلائل * لذا لما انقلب الزمان به عادت قدماء إلى
الصراط المستقيم بنفس السرعة التي اختارتها بطريق الفواية إنه يبين
هذا الاتجاه الفريد لحياته كما يلي :

إن اليد التي كانت قد جذبتني من حضن الزمن
أرشدتني وهدتني آخر الأمر إلى الصواب من جميع
غواياتي وفي جميع متاهاتي * ولو أننى واجهت
عثرات في كل خطوة من خطواتي واضطرت أن
أشتبك مع العوائق والموانع في كل مكان ولكن
الطلب قادني دائما إلى الأمام ولم تقبل طبيعة
التفحص في أبدا أن تقف في المداخل المتوسطة وأن
تستريح * واسترحت آخر الأمر في وقت كان المنزل
المطلوب قد لاح أمام العين وكانت العين الراغبة
والمتمنية تستنير بفبار الطريق الموجود فيه •

الجديدة ونظرة رئيس تحريرها العميقة فى العلوم الاسلامية*
كان مولانا آزاد يحس بنفسه وقت كتابته المقالات لهذه المجلة أن
البحوث الاجتماعية والفلسفية التى يتناولها قلمه تحتاج إلى أسلوب
وطراز جديدين للكتابة والإنشاء*
لم تسمح الظروف لمولانا آزاد أن يبقى فى عالم الصحافة لمدة مديدة
لأن الحكومة البريطانية اعتقلته فزعة من تصريحاته وكتابات الملتهبة على
صفحات مجلة "الهلال" أرغمته الحكومة على الإقامة الاجبارية فى
مدينة رانشى لمدة أربع سنوات و خلال هذه المدة وضع مولانا مؤلفه
الممتاز والرائع "ترجمان القرآن" يكتب مولانا آزاد عن الدراسة العميقة
التي كانت وراء هذا المؤلف مايلى :

"لقد ظل القرآن موضوع تفكيرى ودراستى ليل نهار
ولقد بذلت غاية جهدى فى فهم هذا الكتاب العظيم
فى فهم سوره سورة فسورة وآياته آية فأية وكلماته
كلمة فكلمة وموضوعاته موضوعا فموضوعاً - كلها على
انفراد وبالتفصيل* وقد تحملت الشدائد الكثيرة فى
فهمه كأنتى قطعت وديانا ومرت بمراحل عديدة*
تناولت جميع مواضيع القرآن وكلماته ولم أهمل أية
ناحية من هذه النواحي وأية كلمة من الكلمات
القرآنية بفضل اليقظة والوعى العقلى وبفضل
التفحص والاستيعاب الدراسى" (ترجمان القرآن)
ثم يقول فى مجلة البلاغ :

"لوقلت إن الهداية إلى حقائق القرآن ومعارفه
لفضل ومنه خاصة من عند الله وقد اختار الله تعالى
هذا العبد الفقير البائس القلب لكشف معانيه وعلومه
لصدقت حقاً" (مجلة البلاغ)

وأى مثال يكون أحسن من هذا لأنانية مولانا أبى الكلام آزاد وهذا هو
السبب الذى راعاه العلامة السيد سليمان الندوى عندما وصف شخصية
مولانا أبى الكلام آزاد من حيث المجموع بالكلمات التالية :

"إن أمرى يلتبس علىّ إذ أنا أكتب هذه الأسطر هل
أنا أكتب سير ومآثر ابن تيمية وابن القيم أو شمس
الأئمة السرخسى وأمية بن عبد العزيز الاندلسى

و أعاد جميع ما دار من محادثات فى تلك اللقاء بالتفاصيل و الذى أدهشنى كثيرا هو أنه لم يكن يتذكر هذا اللقاء فحسب بل و يتذكر أحداثا أخرى وقعت بعد ذلك و لمحات كانت ذكرياتها قد امحت تماما عن ذاكرتنا لكنها كانت محفوظة و مضبوطة لديه كما أنها وقعت أمس فقط .
يقول مولانا آزاد بنفسه :

" لما كنت أبلغ السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر كنت قد حفظت الفقه الأكبر و التهذيب و خلاصة كيلانى وغيرها من الكتب عن ظهر القلب و أن متون هذه الكتب محفوظة فى ذاكرتى كلمة فكلمة حتى يومنا هذا " (غبار الخاطر)

لقد صور مفسر القرآن و كاتب الأردو الشهير مولانا عبد الماجد الدريابادى ذاكرة مولانا آزاد تصويرا دقيقا و صادقا حيث يكتب :
" كم من خرائن للعلوم و الفنون العديدة كانت قد اجتمعت فى الذاكرة لا يعلمها إلا الله • كل هذه العلوم و الفنون كانت تحت إرادته يحضرها حيث يشاء و متى يشاء • سواء كان الموضوع موضوع الطب أو اللاهوت • موضوع الفقه كان أو الكلام أو كان موضوع الشعر و الأدب أو الموسيقى • تاريخا كان أم سياسة أيا كان الموضوع و أيا كان الفن • كان هذا الموضوع أو الفن يحتاج إلى من يثيره و يطرحه للنقاش • فكان يبدو أنه ليس أمامنا عالم عادى بالموضوع أو الفن بل هو خبير هذا الموضوع • فكان يحاضر حول ذلك الموضوع المطروح و كانت محاضراته ممتعة و منسقة و مليئة بالفصاحة و البلاغة معا • كانت ذاكرته عجيبة للغاية • و كان ذكاؤه محيرا و مدهشا للعقل و النفس معا "

(جريدة "الصدق" الأسبوعية)

أصدر مولانا آزاد فى السنة الرابعة و العشرين من عمره مجلة " الهلال " الأسبوعية • كانت صورة و سلوك هذه المجلة تنم عن انفرادية مولانا آزاد و فرت هذه المجلة لعالم الصحافة منعطفا جديدا تماما • فقد كتب الراحل جواهر لال نهرو أن إمتياز مجلة الهلال و ميزتها البارزة كانت فى لغتها

الغير محدودة و كان حادثا تذكاريا في حياته •
و هناك حكايات كثيرة لعبقرية مولانا آزاد و لسلوكه الممتاز و الأمثل
في الحياة لا يمكن لى أن أسرد جميعها لكم في مقال وجيز كهذا نود
الاختصار فنورد ما كتبه القاض عبد الفقار عنه في سيرته بقلمه :
"لو لم يكن هو أديبا و كاتبا كبيرا كما هو الآن لكان
رساما و مطربا كبيرا و شاعرا مبدعا • ولو لم تتقيد
رومانسيته بقدسية الدين و طهارته من جانب وجدية
السياسة من جانب آخر لكانا نرى في بلادنا تصورات •
شوينهار و أفكار نيتشه أو تخيلات عمر الخيام تتولد
من قلمه السلسال"

تعريب : محمد رضا خان الندوى

رحمهم الله جميعاً"

إن المجلات العلمية مثل مجلة " لسان الصدق " و مجلة " الهلال " و مجلة البلاغ و " الرسالة " و نشر سيرته الذاتية بقلمه فى مؤلفى " غبار الخاطر " و " التذكرة " كلها كانت من الأشياء البديعة النادرة فى الأردن و لم يحصل له هذا الابداع إلا بفضل قدرته الفائقة و الكاملة على الكلام و أساليبه كما أشار إليه المفكر الشهير الدكتور السيد عابد حسين :

" إن جانباً مهماً لإنفرادية مولانا أبى الكلام آزاد كان أسلوبه الخطابى • فإنه اختار لكتاباتاته و خطبه نفس الأسلوب الخطابى الذى حصل له بفضل دراسته العميقة لكتاب الله المعجز "

كما يقول ذلك الاستاذ رشيد أحمد الصديقى :
" نفس الأسلوب فى البيان و نفس القوة فى الكلام و نفس السياط للترهيب و التهديد التى تحدث فى الجبال إرتعاش زئبق • إعادة موضوع واحد مراراً مثل الذكر الحكيم • و بهذه الاعادة و التكرار فى كتاباته و خطبه يستطيع أن يحدث الصاعقة كما يستطيع أن ينثر الآلى و أن يمطر الأزهار و الجمرات أيضاً "

نجد مثالا لقوة مولانا آزاد فى الكلام فى خطبة ألقاها فى عام ١٩٢٧م عندما اشتعلت الهند بالكرهية الطائفية • و ذلك أن بعض الناس إلتمسوا إليه خلال تلك الأيام فى كلكتا أن يلقي خطبة فى إجتماع عام ليزيل بها مخاوف الرجل العادى و شكوك الجماهير • كان جو المدينة السياسى آنذاك لم يكن يسمح لأى مسلم يؤمن بنظرية القومية الهندية أن يذكر الوحدة و الوثام بين الهندوس و المسلمين لأن ذلك كان يعنى تعريض نفسه للخطر • ولكن مولانا آزاد قبل هذا العرض و أظهر استعداداه له • و من ناحية أخرى دبرت المجموعة المعارضة مؤامرة لإحداث الفوضى فى الإجتماع و لإفشال هذه الجلسة فجمعت الأوغاد و المشاغبين و كلهم وصلوا إلى مكان الإجتماع • و هنا ظهرت انفرادية مولانا آزاد و برز اعتماده الذاتى إذ خاطب الإجتماع لمدة ساعتين تقريبا من دون أن يحس بخوف و خطر لحياته حتى أن الأوغاد و المشاغبين و المعارضين الآخرين الذين جاءوا لشن الهجوم عليه بدأوا يبيكون من خطبته • كانت كلمات مولانا آزاد تمطر عليهم سهاما و خناجر، كان هذا الحدث اختبارا لإنفرادية مولانا آزاد

تجتمع فى نطاق شخصية، قال مرة عن نفسه ان الشاعر الأردوى "أسد الله الغالب" نعى' على نفسه بأن دقائق الشعر تدفن معه عند موته ولكن لا أدري كم من الفضائل والفنون تذهب ادراج الرياح أو تدفن معى فى قبرى".*

وحقا قال فيه العلامة شبلى : ان ذهن آزاد متحف العجائب يمكن أن نعرض ونضعه فى معرض علمى*.

شاهدنا فيه ما قرأنا عن نبوغ العباقرة اليونانيين والرومانيين وعظماء العرب والفرس فنشأ مبكرا فى صغرسنه حيث لم تمط عنه التماثم ونال شهرة وقبولا مالا يوجد به نظير* وطلع "الهلال" من سماء فضله فى ٢٤ عاما من عمره فغير مجرى التاريخ وأثار السيل* وأثار ثورة عارمة ارتجت لها الهند واستيقظت من سباتها العميق، وانقلبت الأحوال الاجتماعية والسياسية رأسا على عقب وتبدلت أرضها وسماؤها واشمأزت النفوس من عبودية الانكليز وجاشت الصدور بالحرية وعزة النفس والغيرة الدينية والنخوة القومية والحسيات الاسلامية، فمثل العروة الوثقى، للأفغانى أثرت "الهلال" فى المجتمع الهندى أثرا بعيد المدى وطويل الأمد فى عامين ونصف وأقام حركة عامة شملت أرجاء الهند وسمعت فى العالم الاسلامى صداها ونادى بأعلى صوته باندعوة الاسلامية والى إحياء علوم القرآن والسنة وتجديدها واتباعها والاعتصام بها فى الحياة اليومية، والتوحيد الخالص، والإيمان الراسخ والصبر والصمود فى الأوضاع الدقيقة الحرجة ومواقف بطولية وعزائم صادقة فى معركة حاسمة، مصيرية بين الحرية والاستبداد والاستعباد، وآمن الناس من جديد بحقائق الاسلام وازدادوا إيمانا مع إيمانهم لما سمعوا صوته الجمهورى يندبهم ويناديهم بأن "وَلَا تُهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ".*

ودعا من منبر "الهلال" دعوة اسلامية صريحة وصحيحة خالية عن شوائب التقليد ورسوب التبعية والتطفل، حافزة الى التجديد والاجتهاد، وسعة آفاق الفكر والذهن والعلم الصحيح والعمل الصالح الجاد، والسعى الحثيث المثمر، فتفتحت القلوب وتنورت العقول، وتهيأت النفوس وتأكدت العزائم والهمم لصالح الدين والدنيا ونجحت دعوته وأثمرت واينعت وبلغت غايتها التى قلما تيسرت للحركات الاسلامية* فرجع الناس الى القرآن فى شئون الحياة كلها* ورأوا فى القرآن بنظرة

جوانب من عبقرية مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : د/ شمس تبريز خان

محاضر فى قسم العربى بجامعة لكناؤ

إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد عصامى و عبقرى بمعنى الكلمة و نابغة عصره و فريد دهره، من الطراز الأول * فهو لم يتأثر بعصره بل أثر فيه و لم يقلد زمانه و لكن الزمان قلده و تابع سيره و اقتفى أثره، فكان حقا له أن يتمثل بشعر المتنبى :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فهو مثل كبار العالم الانسانى و عظماء التاريخ أنشأ حركة شاملة اجتماعية و ثقافية من مجلته الشهيرة فى الآفاق "الهلال" و ألهب النفوس الخاملة بمجامر قلبه و لهيب قلمه و خطب خطبات رنانة ايقظت النائمين و انهضت و أثارت الهمم و العزائم من الغافلين و زعزع بحركة قلمه و لسانه أركان الامبراطورية البريطانية الفاشمة التى قيل فيها أن الشمس لاتافل و لاتغرب فى سماء دولتها و سلطتها الواسعة، و أقام بكتاباته و خطبه الملايين من الجماهير الهندية تجاه الانكليز و استعمارهم و اشتدت حركة تحرير الهند و اسرعت فى مسيرتها و ايدعت و نجحت أخيرا و فازت الهند بحريتها و استقلت البلاد و استعاد الجمهور حريتهم و كرامتهم و حقوقهم الانسانية المسلوبة *

قد رأينا فيه سياسيا خبيرا و محنكا و خطيبا مصقعا بليغا، و كاتباً موهوبا، و ناقدًا بصيرا، و ترجمانا قديرا و مفسرا كبيرا للقرآن العظيم و عالما مجتهدا و شخصية فذة عبقرية، جامعة الجهات و الجبهات، كثيرة الأبعاد و الأركان و متنوعة الألوان، جمع بين الأضداد و الأشتات التى قلما

فقام مولانا آزاد فى هذا الموقف الحرج والبيئة الحديثة والجو القاتم خير تيام ودافع عن الاسلام والقرآن أحسن الدفاع و جادل عصره بالجدال الحسن وبالحكمة والموعظة الحسنة و فسر القرآن الكريم مخاطبا للذوق السليم والفطرة المستقيمة والوجدان الصحيح والضمير الحى والعقل الحر. وخالف طريق المفسرين المتأخرين بعد المائة الرابعة من الهجرة ونهج منهاجا جديدا فطريا وسير أغوار الفطرة الإنسانية واستشهد بدلائل الآفاق والأنفس تبعاً لقوله تعالى "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" ولقوله عز وجل "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" * (فصلت : ٥٣)

وانتقد نقدا لاذعا على الذين يجعلون القرآن تابعا لأذواقهم وأفكارهم وميولهم والأفكار السائدة فى زمانهم من الشرق والغرب ويقولون فيه من عندهم ويعجبهم آراؤهم فعدّ هذا الطريق من الأسباب والمؤثرات المانعة لفهم الحقيقة وقال : " ان القرآن فى وضعه وأسلوبه وبيانــــه وخطابه وفى طريق استدلاله وفى كل شىء لا يتقيد بالأوضاع والتقاليد الدنيوية والصناعية وماكان ينبغى له ان يتقيد بها وفى كل الأحوال له أسلوبه الفطرى الخالص وهذه الميزة التى تميز سنن الأنبياء عليهم السلام فى الهداية من التقاليد الوضعية للعلم والحكم" (١)

وأصر على هذا المبدأ ان الدين واحد والشرائع مختلفة والقرآن يدعو العالم كله بأن يأتى الى كلمة سواء للتوحيد الحقيقى والعقيدة المشتركة للرسالة والآخرة والأمر المتفق بين المعروف والمنكر فان فعلوا هذا وتحروا من تقاليدهم الوضعية ورسومهم القومية وعصبياتهم وتخريباتهم فيجتمعون حول الدين الفطرى الحقيقى الذى هو الاسلام، فان القرآن لايدعى لنفسه انه كتاب جديد بل يعد نفسه مهيمنا على الكتب ومصدقا لما بين يديه ومؤيدا بسلسلة الأنبياء ومعتزفا بها فى كل زمان ومكان ويقول : ان الانسان الذى يضعه القرآن هو المسلم الموحد المؤمن برحمة الله وجماله فى الكون كله ولا يكون متعصبا لقوم أو متحزبا بالحزب الخاص بل يكون انسانا عالميا معتقدا بالانسانية العالمية وهذه هى الروح الحقيقية للدعوة القرآنية * (٢)

فالتفسير " ترجمان القرآن " تفسير عصرى ظهر فى شاكلة عصره وطبق مستوى فكره، وعواطفه وأمياله فى أسلوب أخاذ وجذاب، ومشحونا بالمواد العلمية والتاريخية، مستفيدا باكتشافات أثرية حديثة ومستندا

عبرة و بصيرة و كدستور شامل للحياة و منارا غالبا يهdy الى شاطئ النجاة، و وجدوا فيه دواء علتهم و رواء غلتهم و انجاح حاجتهم و وجدوا في السنة النبوية أسوة حسنة و قدوة مثالية* و نهجا نجيبا و رسالة خالدة و نظاما شاملا للحياة و المجتمع و ازداد إيمانهم بالاسلام كدين أبدي صالح لكل مصر و عصر و قوى اعتمداهم و اتكالمهم بتاريخ الاسلام المجيد و التراث الاسلامي القيم الخالد، و نظروا الى مشاهير الاسلام بالاعتزاز و الافتخار فعم الوعي الاسلامي بين الأوساط العلمية و الاجتماعية و بدأت النهضة الاسلامية تسيطر النفوس و اليقظة الثقافية تأخذ بمجامع القلوب و خابت الثقافة الغربية و السياسة الافرنجية و خسرت في تسخير العقول، و علاوة على هذا فقد خدم " الهلال " اللغة الأردنية خدمة لاتنسها هذه اللغة، فكمن من ألفاظ جديدة و تراكييب حديثة و محاورات لطيفة و طريفة ظهرت أولا في صفحاتها و نالت الرواج و القبول بين الأوساط العلمية فتوفرت و تنوعت الأساليب البيانية في هذه اللغة الحديثة* و فوق كل ذلك اخترعت " الهلال " أسلوبا قويا و صوتا غالبا، و لهجة حيوية تحرك كوامن النفوس و تؤثر في اعماق الضمائر و الصدور، و تنادى العقل و القلب معا، حتى قال أديب شهير سجاد الأنصاري " لو أن القرآن نزل في الاردية فنزل في أسلوب الهلال " و كذلك أياد جميلة لكتابه " تذكرة " و " غبار خاطر " في الأدب و الإنشاء و الترسل* قد ترك فيها نفسه على سجيته و حرّيته و أثار البحوث العلمية و الأدبية و الاجتماعية في طبائهما، و أفاد الأدب الأردوي بافادات قيمة من حيث المفاهيم و الأساليب البديعة و الرائعة*

و كذلك ظهرت عبقريته و تجلت في تفسيره " ترجمان القرآن " الذي شاهدنا طق لفضيلته العلمية و الفكرية و لاصابة رأيه و سعة آفاق فكره و علو مستوى ذهنه و المعية طبعه و لطافة ذوقه و تنور وجدانه و ضميره فكان قد مضى قرن كامل لما فسر القرآن الكريم حكيم الإسلام ولى الله الدهلوي و أبناؤه العظام حسب مقتضى عصرهم و زمانهم*

و قد تغيرت الأحوال الاجتماعية و السياسية و تبدلت متطلبات العصر و سيطرت العلوم الجديدة و الآراء الفلسفية على الأذهان و سادت الثقافية الغربية و تسلطت على ثقافات الشرق الغرب و بدأ الفارات العلمية و الهجوم الثقافي للمستشرقين و الحرب الشعواء ضد مبادئ الاسلام و أصوله و الافتراء عليه بأنه دين السيف و القتال و الاعتقاد الاعمى و أنه لا يسير ركب الحياة و لا يرافقه العلم و العقل و لا يوافقه التقدم و الرقى و التطور

و العالم الاسلامى بالجور والاعتساف و ألقى مرافعته التاريخية أمام المحكمة الانجليزية بجراءة نادرة و شهامة فائقة و استقام على مبدأ اللاعنف والمقاومة السلبية مع قواد الحركة التحريرية للهند: غاندى و نهرو، و مولانا محمد على و مولانا حسين أحمد المدنى، فحسب و صودرت مطبعته و جرائده واضطهد فى سبيل الاسلام و الحرية بيد الانجليز المستعمرين صابرا محتسبا و ترأس حزب المؤتمر الوطنى عشرينين و أجرى المفاوضات مع وفود الحكومة البريطانية باللباقة و اللياقة *

و ظهر نبوغه المدهش و ذكائه المفرط و بصيرته النافذة و حكمته العملية فى الإجتهد و تقديم خطة سياسية للمسلمين حيث دعاهم ليشتركوا فى حزب التحرير الوطنى مع إخوانهم الهنادك جنبا بجنب و سواء بسواء لينالوا الحرية و الكرامة بسعيهم الذاتى و بذل جهودهم المالية لكن يبقى لهم الاستحقاق السياسى فى الهند المتحررة و أصر كذلك على مبدأ القومية المتحدة الهندية التى تجمع بين الهنود و المسلمين و المواطنين الآخرين فى القارة الهندية فى الاتحاد السياسى مع البقاء على دياناتهم و ثقافتهم المختلفة و عدّ هذا التنوع من محاسن الثقافة الهندية المشتركة التى تظهر كألوان الجميلة تفتخر بأزاهيرها المتنوعة الغاتنة *

و قد استدل مع جمعية علماء الهند بالسنة النبوية بعد الهجرة الى المدينة المنورة حيث عاهد النبى صلى الله عليه وسلم مع اليهود و القبائل المجاورة و عدّهم أمة واحدة فى مقابلة الآخرين و رأى فى تقسيم القارة الهندية بين دولتى الهند و الباكستان تهلكة سياسية و دينية بعيدة المضار للاسلام و المسلمين حيث تنشأ الخلافات الوطنية و السياسية و التنافس المستمر و العداوة و البغضاء بين الهنادك و المسلمين التى تكون خطرا مستقلا للأمن و السلام و خسارة فادحة لدعوة الاسلام فى الهند و يصير مسلمو الهند كرهائن سياسية، مستضعفين غير مكرمين، مطعونين و ملومين *

و لكنه لم ينجح فى منع التقسيم لدهاء الانجليز و التنافس السياسى بين زعماء حزب الرابطة الاسلامية و حزب المؤتمر الوطنى و الاصرار على مواقفهم المختلفة * و قسمت الهند على أشلاء و جثث المستضعفين — والأبرياء من الجانبين و اشتعلت نيران الحروب و الاضطرابات الطائفية فقام مولانا آزاد لإخماد هذه النيران الملتبحة *

" ابتعدوا عن التذهذب و الشك و تسلحوا باليقين و قوة الارادة و اجعلوا

من كتابات غربية و شرقية و بحوث علمية جديدة، فسعى المفسر سعياً مشكوراً و موثقاً ان يقوم لنا حقائق القرآن و رسالته كما هي في أصلها و في ضوء العلوم الجديدة و الأفكار الحديثة التي هي نتائج الفكر الانساني عبر تاريخه الطويل و مبلغ العقل البشري حتى الآن.

كان يقتضى عصر أبى الكلام آزاد (الذى اكتوى بنار الحرب العالمية الأولى) بالسلام العالمى و الإخوة الانسانية و رفع تنازع الأديان و المذاهب و الملل و النحل، و كلمة سواء بين الأقوام و الشعوب و الأمور المشتركة و المتفق عليها و الأقدار الانسانية العالمية و نظام شامل كافل تسعد به الانسانية البائسة المضطهدة، فقام مولانا آزاد ترجمانا للقرآن و داعياً الى الاسلام حسب مقتضى و مستوى عصره راعياً لذوق زمانه و متطلباته فأتى بشيء جديد فى أوانه و مكانه و ملاً الفراغ الفكرى و سدّد الخلل العلمى و أجاد وأفاد.

قال فيه معاصره السيد سليمان الندوى : لا شك ان مجلتى " الهلال " و " البلاغ " لآزاد قد كونتا الذوق القرآنى لدى الشباب المسلمين و فتحتا نوافذ جديدة امام الجيل الجديد و عرضتا الآيات القرآنية بأسلوب بلاغى يتسم بالحكمة و جودة الصياغة و القوالب الفنية التى انارت القلوب بنور الإيمان و اليقين و فتحت أبواب البيان و التبیین و كشفت معانى القرآن و سمو قول الرحمن و روعة بيانه (٣)

و تجلت عبقرية مولانا آزاد فى ناحية أخرى مهمة أعنى السياسيات الملية و الوطنية فساند حركة الخلافة الاسلامية بكل طاقاته و وسعه و جاهد فى سبيلها بنفسه و نقيسه و بلسانه و بنانه و نيه زعماء القومية العربية من خطرهما و مضارها و تفرق شمل المسلمين و الخلاف بين كلمتهم و وحدتهم و تضامنهم و أرسل صديقه الشيخ رشيد رضا المصرى فى هذا الشأن فكتب فى إحدى رسائله بشأن احياء القومية العربية واستقلال البلاد العربية " ان هذا الرأى رزين و اننى معكم فى هذا القول لكن علينا بالتأنى و التأمل فان الطريق ذات غور و نجد و أن يمر من مجاهل سياسية يجول فيها أغوال أوروبا و يفتكون بالرباب الحذر (الجمع الكثير) فكيف بالبسيط الغرير و لاسيما ان المسلمين قد بلغت منهم الغرة و البساطة و الجهل و الخيانة الى حد أنهم كلما قاموا للاصلاح ازدادوا فساداً أو حاولوا أغلاق باب للأجانب فتحوا الآخر (٤) ثم توجه الى السياسيات القومية فنادى بترك الموالاة و اللاتعاون مع الانجليز المستبدين بالهند

والتنبه إلى الظروف فقطعتم يدي (أي لم تقبلوا نصي) ونهيتكم إلى المخاطر التي كنت أراها منتشرة إلى رأيي ولم تلبوا دعوتي فوقع ما كنت أتوقّع واضطربت الأحوال و تأزمت الأمور و كاد الزمام أن يفلت من الأيدي و ها أننا الآن بين ظهرائكم بقلب حائر و صدر محزون*
أيها الاخوة المواطنون لا تتركوا للخوف ثغرة يتسرب منها إلى نفوسكم فانه داء عضال و لاتسمحوا للباس بفجوة ينفذ منها إلى قلوبكم فانه قاطع للأوصال و مثبط للهمم فاصبروا و أثبتوا فان ماترون الآن ليس إلا نتائح أعمالكم فلا يلومن أحد منكم إلا نفسه لقد قلت لكم مرات من قبل هذا*

الهوامش :

- ١- " ترجمان القرآن " ٦٦/١ (دلهي ١٩٣١م)
- ٢- " ترجمان القرآن " ١٧٤/١
- ٣- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ عبد المنعم النمر ١١٠/١
- ٤- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ عبد المنعم النمر ١٣٩/٢ و الرسالة كتبت في مايو سنة ١٩١٢م*
- ٥- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ النمر ١١٩/٢ - ١٣٠

العزم رائدكم و الحزم قائدكم و سيروا الى الأمام بخطى ثابتة و تقدموا الى ميدان العمل و النجاح بقلوب مليئة بالأمل و الرجاء و استاصلوا من عقولكم الخمول و الكسل فان الخوف مجلبة المصائب و اليأس منبع الهزائم*

أيها الإخوة لابد ان تطوروا وجهات نظركم تطويرا اساسيا و ان تتسلحوا بعقول ثابتة و أنكار صائبة فان اسلافكم العظام قد ركبوا البحار و عبروا الجبال و تحملوا المشقات في سبيل المجد و الكرامة و لم ير اليأس أو الخوف سبيلا الى قلوبهم و لم يفتروا و لم يضجروا و لم يفشلوا في الوصول الى أهدافهم النبيلة*

و أنتم أبناء هؤلاء العظام فكيف تسمحون لأنفسكم بالفرار خوفا من المصائب و جزعا من الأهوال، تاركين وراءكم تراثكم التاريخي و أمانتكم التي تحملتموها على عاتقكم فان فعلتم ذلك و لذتم بالفرار فان ذلك يكون جريمة لا تغتفر في حق أجدادكم العظام و وصمة عار في جبين تاريخكم و نقطة سوداء في مستقبلكم"(٥)

و نجح في استعادة الهدوء و الطمأنينة في أوساط المسلمين و ايجاد الثقة و الاعتماد على النفس و التوكل على الله في نفوس المسلمين و سعى سعيا مشكورا لبقاءهم في الهند، و تحفيظ المعاهد و الآثار الاسلامية و الثقافة المسلمة التاريخية في الهند و اتخاذ خطة مدروسة ايجابية لهم و دافع عنهم دفاعا مجيدا في الأوساط السياسية المتغيرة، و خطابه في المسجد الجامع بدلهي، نموذج رائع لخطابته و رسالته فنقدمه ههنا شاكرين للاستاذ عبد المنعم النمر لترجمة هذا الخطاب التاريخي :

" أيها الاخوان المواطنون ان هذه البقعة التاريخية ليست جديدة علىّ فقد ساعدنى الحظ و سمح لى القدر أن ألقى بين ظهرانيكم خطبا عديدة هنا من قبل يوم ان كان الفرع يهزل وجوهكم و الغبطة تثلج صدوركم و الكرامة ترتفع رؤوسكم، و بينما الآن أرى آثار الفرع بادية على وجوهكم و مظاهرا لقلق ظاهرة على اساريركم،

اعدد بذكرتى إلى الحوادث الماضية، و الأيام السابقة حين كنت أدعوكم إلى شاطئ النجاة فقطعتم لسانى، و كنت أناديكم بملء قلبى إلى التعقل للحوادث

المؤلفات المذكورة • فترجمان القرآن - كما يتضح باسمه - كتاب يتناول موضوعا دينيا بحتا، والأمر كذلك بالنسبة " لتذكرة " التي تتركز على الدين أكثر من أي شيء آخر • أما عن " غبار خاطر " فإنه يعرف بقيمته الأدبية، لكنه يتضمن في ذات الوقت رسائل تتطرق إلى " التوحيد " و " الحاجة للدين " و تلك تعالج المواضيع معالجة تفوق حتى الكتب المؤلفة حولها • هذه المؤلفات تتفاير أسلوبيا • وموضوعا بحسب الأزمنة، وشأنها في ذلك شأن السور القرآنية التي يمكن تمييز المكية منها عن المدنية بالنظر في الأسلوب والموضوع • وبالرغم منه فإن جملة مؤلفاته حلقات في سلسلة ترتبط بمجموع شخصيته ارتباطا عضويا، وفيها دلالة على أن المولانا عاش حياة فكرية أصيلة و متماسكة أبعد ماتكون عن الشذوذ والشroud • إنه ألف كتابه " تذكرة " عن عمر ثلاثين سنة، و " غبار خاطر " و قتما بلغ وسط الخمسينات • المؤلفان - كما ذكرنا سابقا يختلفان بعضا عن بعض اختلافا جوهريا، ومع ذلك إذا القينا نظرة فاحصة في محتوياتهما، فنجد أن " غبار خاطر " ينطوي على نفس التفكير والزرعة التي تعكسه " تذكرة " و تماثلية الأفكار والاتجاهات بعينها تتجسد في المؤلفين - في دعوته لمعرفة الذات، إصراره على الحق والصدق والانابة إلى الله، وحتى في اختياره للشعر •

إتجه المولانا آزاد إلى كتابة " تذكرة " عندما تم زجه في سجن رانجس (١٩٢٠-١٦م) و طلب منه صديقه الميرزا فضل الدين أحمد أن يسجل وقائع سيرته الذاتية • لكن المولانا خصص الفصول البدائية لأحوال أجداده، و في آخر الكتاب اكتفى بالإشارة إلى بعض جوانب سيرته • و من بين السلف وقع اختياره على الشيخ جمال الدين الدهلوي، وابنه الشيخ محمد، و الشاه محمد أفغزل و المولانا منور الدين (الأخيران من أجداد المولانا آزاد) • قام الميرزا فضل الدين أحمد بتقسيم الكتاب إلى جزئين، يتضمن الجزء الأول المطبوع أحوال الشيخ جمال الدين الدهلوي و المولانا آزاد نفسه • و الجزء الثاني لم يتم طبعه، أسوة بعدد من مؤلفات أخرى اشار إليها المولانا في " تذكرة " •

يقول المثل الإنكليزي ان المرء يعرف بأصدقائه • لكنني أعتقد بأن الأبطال الذين يتخذهم أحد قدوة له، هم خير وسيلة لمعرفة اتجاهاته وأفكاره، وسلوكه وعاداته • وبمطالعة " تذكرة " يتوضح أن المولانا آزاد اختار رجالا من التاريخ الاسلامي، كان الثبات على الحق والصدق،

المولانا أبوالكلام آزاد فى مرآة مؤلفاته

بقلم : رياض الرحمن الشيرهانى

استاذ اللغة العربية بجامعة عليجرام الإسلامية سابقاً

اخترنا ثلاثة مؤلفات لمولانا أبى الكلام آزاد تذكرة، ترجمان القرآن، غبار خاطر، - لتناول سيرته شابا وكهلا وشيخا * لقد ألف " تذكرة" وهو مازال فى مقتبل شبابه، ممثلثا بالحيوية والنشاط * واتجه الى التفسير عند مانضجت أفكاره وترسخت تجاربه * وبوصوله الى عتبة الشيخوخة كتب " غبار خاطر" * هذه الكتب الثلاث من مؤلفاته العدة، على اختلاف مواضيعها وأساليبها، تعطى فكرة جلية عن خصائص شخصيته فى المراحل المذكورة *

إن الدعوة والاصلاح من الأنشطة التى تستدعى قدرا كبيرا من التحمس والطموح والحيوية والاندفاعية * هذه الخصائص تتوفر فى الشباب أكثر من أية مرحلة أخرى من حياة الانسان * والكتابة حول المواضيع الدينية تتطلب الجهد والتعمق وعلو التفكير.. الصفات التى تتحقق بالوصول الى مرحلة النضج * أما عن الأدب والإنشاء، فانهما يتطلبان وفرة المعارف ونمو الذوق والوجدان بجانب الهدوء فى الفكر، والمرء لايمكن منها الا بعد أن جرب الحياة بطلوها ومرها * كما ان الكتابات - دينية كانت أو أدبية أو أخلاقية - بمثابة مرآة لشخصية الكاتب، تنعكس فيها سيرته بنواحيها المتعددة * والكتب الثلاث سابقة الذكر، مع اختلاف المواضيع والأزمنة، تسفر النقاب عن سمات المولانا آزاد الشخصية، عن أنانيته وتفرد، وعن مكانته الفكرية المميزة بين المعاصرين *

يستمد المولانا آزاد أفكاره ونظرياته من القرآن وتعاليم الدين الاسلامى الحنيف * وميوله ونزعاته الدينية نفسها وجدت انعكاسا فى

بالرأى فى أمور الدين، و حب الدنيا و التجاوز على الحق * و بعد أن ذم هذه المساوى بأشد الكلمات، قال ان من اتصف بها من بين العلماء، و اعجبه الدنيا بزینتها و أموالها، انه أسوأ حتى من فاسق غير مهال بأمر دينه * و فى ذلك احتج بأن فاسقا غير عالم، لا يعدو ضرره إلى غيره من الناس، بينما يؤدي انصراف العالم عن طريق الحق و انغماسه فى الفجور إلى تضليل كثير من عامة الناس * و هذه المثالب تزداد ضررا عندما تأتي مقرونة بالعنجهية و التعالى بالنفس * الأمر الذى يتناوله المولانا آزاد فى " تذكرة " فيقول : الفرق بين عالم و فاسق تستويهما الدنيا بمافيها من وسائل ترفية و تسلية، أن الأخير تمارس اللهو و هو عارف بذنبه، و الأول يتستر بالتدين و يحتال على الشريعة لتبرير اعماله * الحقيقة ان الباحثين عن مكائد النفس و خدع الشياطين فى الملاهى، يجدون هدفهم يتحقق بسهولة لو اتجهوا بدلا منه الى المدارس و الصوامع *

أما عن الفضائل التى تميز العالم الحق عن أشرار العلماء، فهى - كما ذكر المولانا آزاد فى تذكرة - الاقتصاد و الاعتدال، الثبات على الحق، عزيمة الدعوة، التجديد و احياء الدين، الترفع الى مكانة الصديقين، الحكمة و العمل على هدى السنة، الانابة الى الله، و الحياة بعيدا عن الطمع و الخوف * فى هذه الفضائل يتمثل الصراط المستقيم، و بالاتصاف بها يصبح العالم عالما بالحق و من حملة تراث الأنبياء بالمعنى الواقعى للكلمة *

المولانا يفرق بين الدعوة و عزيمة الدعوة و يطالب من العالم اتخاذ بالعزيمة التى كان الحسين بن على رضى الله عنه أفضل مظهر لها * يرى المولانا آزاد أن اتباع سنة النبی عليه السلام شفاء للعقل الروحية برمتها * و بدراسة " تذكرة " يتبين أيضا ان المولانا وجد فى حب النبی عليه السلام شفاء لفعله، و كان من أكثر الناس اجلا و احتراما لمكانته * الحقيقة أن الحب عاطفة سامية تعلقو قدرا بعلو مكانة المحبوب، و له مظاهر عدة أسماها الاقتداء بأسوته * و على هذا يركز المولانا أكثر من أى شئ آخر *

هنا يتوجب علينا أن نوضح بأن المولانا آمن بختم النبوة - على صاحبها أفضل الصلوات و السلام - و بدونه يعتبر الإيمان غير كامل * و القرآن عنده مفسر (بفتح السين) فى سيرة الرسول، و من أمنياته أن يقوم بتدوين السيرة النبوية على أضواء القرآن * فيقول فى مكان :

و الصمود في وجه المكاره، قاسما مشتركا بينهم جميعا • منهم الامام أحمد بن حنبل، ابن تيمية، الشيخ أحمد السرهندي ، الشاء ولي الله الدهلوي - كلهم رموز الحق والصواب، و متمسكون بهما أمام التحديات مهما تكن شديدة • ولو استعرضنا حياة المولانا آزاد، فنجد أنه بدوره ظل ثابتا على الحق، آمنا به، وفي سبيله تحمل جميع الأنواع من المتاعب، سواء أ كان الأمر اتصل بالدين أو السياسة، بالعلم أو الأدب، بالصحافة أو الخطابة • و من ميزات شخصيته أنه في قراراته حافظ دائما على العدل والتوازن بعيدا عن الافراط والتفريط كما يتجلى ذلك في رأيه بأن الشيخ داود لم يكن يتفق مع مرشده سيد محمد حول ادعائه بالمهدوية رغم أنه اعترف بتقواه • (الشيخ داود كان من مسترشدى سيد محمد جونغوري، ولأجله واجه مصائب وآلاما شديدة) •

إن الكتاب " تذكرة " اصلا حكاية طريفة للصراعات التي كانت ولا تزال تدور بين العلماء الذين وزعمهم المولانا - بحسب مصطلحه - إلى علماء الحق وعلماء السوء ، وأعاد معاناة المحققين منهم إلى الزمرة التي لم يكن همها عدا كسب منافع دنيوية • علاقة الجدلية هذه بين الزمرتين من العلماء المسلمين تجسدت في استئثار احداها بالفقر والجوع، الاسر والمحن، في سبيل اعلاء كلمة الحق، واشتغال الأخرى في كسب رضى الملوك والأمراء، ابتغاء للنفوذ والقوة والمتعة الدنيوية • وان كان ذلك على حساب مصالح العلماء أنفسهم • وهذه الظاهرة لم تكن تفص زمنا أو مكانا معيننا، وانما استمرت تتكرر في جميع العصور والأمكنة باوجه مختلفة •

والمولانا آزاد نفسه انتمى الى المسلسل الذهبي الذي كانت حلقاته الرئيسية الشيخ جمال الدين الدهلوي، والحلقات الأخرى تألفت من الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية والشيخ داود والشيخ نيازى و مالك بن أنس، والشيخ أحمد السرهندي والشاء ولي الله الدهلوي • و من نفس السلسلة الشيخ علائى الذى تناول المولانا آزاد سيرته في تذكرة، فذكر كيف تغيرت أحواله من العناد والكبر الى التواضع والاستخفاف من نفسه بعد أن قابل الشيخ نيازى •

و تصديا لعلماء السوء والمساوى • التي تلتصق بهم هذه الصفة، ذكر المولانا خاصة البدعة والتقليد الأعمى، وضمن القاشمة ايضا المغالطة في التأويل والاعتراار بالعقيدة والقياس بها على خلاف ما فيه الخير، والكلام

أزاد : فى مראה مولفاته

و مع ذلك فانه يكرم السلف الصالح على الاتصاف بصدق القول و ملازمة الحق و الصواب، و الاستغناء عن الدنيا و احترام النفس، و يستوجب اتباعهم فى تلك المكارم • وفى بداية " تذكرة " يقول :

" أشد ما كرهته أن اتاجر بالنسب فى سبيل الشرف •
المقياس لمعرفة قيمة الانسان من ناحية الكرامة،
يجب أن يكون مواهبه الذاتية و مبلغه من العلوم
و المعارف، بدلا من الامجاد التى يكون قد توارثها
من آباءه "

و يرى المولانا أنه ليس من الرجولة أن يعتمد الإنسان على أمجاد من سبقوه، و إنما خليق به أن يكون معلما يتعرف الناس به على سلفه • فأولو الهمة من كبار الأبطال شقوا طريقهم دائما بالاعتماد على النفس، و بوسائلهم الذاتية وحدها بنوا قصور الأمجاد •

بجانب ذلك فإن المولانا يركز على العمل أكثر منه على العلم، فيقول :
" كثير من الأصاغر أصبحوا بفضل العمل أكابر،
و بدونه تحول الكبار من الناس إلى صفارهم •
و بذلك الصدد يستدل بشخصيات الصدر الأول من
تاريخ الاسلام مثل بلال الحبش و سلمان الفارسي
و صهيب الرومي رض الله عنهم أجمعين "

لقد عاش المولانا مثالا حيا للمبادئ التى تبناها، و النظريات التى دعا الناس إليها • و لعالم بعبقريته لم يكن من الممكن أن يتخذ من النسب عمدة له، و على أساسه يبحث عن مكانة الشرف فى مجتمعه، فانه ظل جامعا بين العلم و العمل طيلة السنوات التى تخللت وفاته عن عمر ٧٢ سنة، و قوله بأن من واجب الانسان أن يكون معلما يتعرف به الناس على نسبه و هو شاب من ثلاثين سنة •

ذكرنا فى مستهل المقال أن " تذكرة " يتطرق الى بعض جوانب سيرة المولانا الذاتية عن طريق الاشارة و فى أسلوبه الشعرى القامض • و بالرغم منه فان هذه الاشارات تكشف الستار عن جوانب هامة تعين على بناء فكرة عن شخصيته • و ربما تعتمد القموض ليزيد الطالب بحثا عن المراد •

فى الفصول الخاصة بسيرته الذاتية تطرق المولانا إلى " علاقة الحب " بوجه عابر دون أن يتمعن فى التفاصيل • هذا الاكتشاف هام جدا من ناحية

"لئن فـى سيرة من انزل عليه القرآن، وحياته الشريفة،
دواء لكل داء القلب، وشفاء لعلل الروح • القرآن
والسنة النبوية، وحدة متكاملة بعضها لبعض..
فالقرآن متن، والسنة شرحه، القرآن علم والسنة
صورته العملية • البشرية لن تجد أحدا غيره يستحق
أن يتبع، فهو إنسان باسم مفاهيم الانسانية، و عبد
بأشرف معانى العبودية، و خليف أن نؤمن برسالته
دائما كمن نؤمن به برأى العين • الصحف والألواح
التي انزلت لهداية الناس فى أزمنة غابرة، مرت
جميعها بالتغيير والتحريف، ومن أعظم الدلائل على
عظمة محمد صلى الله عليه وسلم وعصمته
ومصونيته، و سمو مكانته بين الرسل، و رفعة سيرته
المقدسة انه لم تمح نقطة من ألواحها المحفوظة •
فانه فى كنه ذاته غاية الغايات قديمها وحديثها،
مصدر الروح والحياة ونقطتهما النهائية "

هذه الاسطر تبين وراء الشبهة أن المولانا على حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم، لم يتعد الحدود فى وصفه، و اعاد عظمته الى إنسانيته
و بشريته و عبديته، و ان تكن هذه المفاهيم قد تجسدت فى شخصه
باسم معانيها • كثيرا ما يخطئ الناس فى فهم هذه النقطة، و يقع
معظمهم فى مهاوى البدع والضلال •
القرآن لا يفرق بين الرسل و بهذا الخصوص اشار المولانا الى نقطة فى
غاية الأهمية، فقال :

"التفريق بين الرسل شئ • و فضل بعضهم على بعض
شئ آخر "

وفى موضع آخر فى كتابه " تذكرة " يقول :

" الأنبياء كلهم من أصل واحد "

و يتناول نفس الموضوع فى مكان آخر قائلا :

" بأن آخر حلقة فى هذه السلسلة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ، خاتم الأديان، مكمل الشرائع، متمم
النعم، والجامع بين كافة الحلقات التى سبقته "

مكانة المرء و قيمته عند المولانا تتعين بكماله و مواهبه، لا بنسبه •

ازاد : فى مراة مولاناه

سوى ضيق النظر* كم من حجب اسدلتها العقول
الزائفة المنقسمة بين التعدد، أمام حقيقة سرمدية
ذات وجه واحد ولون واحد"

إن الوصول إلى هذا المقام فى الحب الالهي يتطلب عبور كثير من
الصعاب وتجاوز العقبات* والمولانا بدوره لاقى فى هذا الطريق ما يلاقيه
غيره* وإنه بين فى أسلوبه المميز متاعب السفر فقال :

" القرية غاية، ادراكها يكون مرهونا بقطع مسافات
شاقة و طويلة* لقاء الواحد الأوحد، انفصال عن غيره
كله، فتح هذا الباب، يستوجب اغلاق جميع الأبواب
الأخرى"

الحقيقة الاسمى- خالق الكون بمافيه من موجودات- هى الغاية
المنشودة ، و غاية الغايات كلها، و للوصول اليها يمكن أن تكون ثمة
دروب شتى^١ و طرق مختلفة، لكن الطريق الوحيد الكفيل بالايصال إلى
المقصود، هو- كما يقول المولانا- المحبة و الجذب :

" قائل من عارفى الطريقة يقول إن أسوأ ما يبلى به
المرء فى هذا الدرب، خير ألف مرة من الحريرات التى
لا يقارنها ألم ولا احتراق* الانهزام فى هذه المعركة
ليس أقل قيمة من الانتصار"

و المولانا بدوره وصل إلى الغاية بعد أن جرب السلوك بجميع مشاقه
و معاناته* و التقمقر عنده فى هذا الطريق اثم لا اثم أكبر منه، و حرمان
لا يوازيه أى حرمان* انه ينصح بالمضى قدما فى هذا الدرب حتى نيل
المقصود* و يقول :

" الفوز فى هذا الطريق لا يتوقف على المراحل و لا
على تعدد السبل و المناهج* و انما المطلوب هو
الاقدام و التحرك بعزيمة* اينما تتوقف الخطى، يصبح
نفس المقام صنما، و السالك المتوقف عنده، من
عبدته.. من شغلك عن الله فهو صنمك* المداومة على
السير، هى النجاح فى هذا الطريق، و الارهاق أو
التوقف هو الفشل* و سالك هذا الطريق شأنه إما
شأن العنادل و القمرى، يشرذم* يتأوه، أو أمره
كالشمع يحترق بهدوء..."

أنه يسلط الأضواء على رؤيته ازاء الحياة بعد أن أخفق في حبه وهو مازال في مقتبل الشباب * لم يكن المولانا ممن تعوزهم الهممة، ومعنوياتهم تتحطم بمثل هذه التجارب، فيعيشون مضطربين فاترى العزيمة طوال سنوات حياتهم * في اعقاب ذلك الحدث واجه المولانا الحياة بهمومها وآلامها بقوة أكثر، وبدلاً من الغياب في مجاهل اليأس والحرمان، اندفع بالمزيد من القوة الى العمل ومعالجة آلام البشرية *

بمطالعة الأوراق ذاتها نتعرف أيضاً على الأشواط التي قطعها المولانا آزاد في سن الثلاثين من عمره * فانه يعترف بضلاله الفكرى والعملى الذى لم يدم طويلاً * ويقول :

" ضلال العمل والعقيدة يؤدى في نهاية المطاف الى
الفسق والالحاد "

خرج المولانا من ظلمات الجهل والضللال الى نور الهداية والايمان، بصفاء طبيعته وسلامة ذوقه * والفضل فيه أيضاً يعود الى مايعرف في مصطلح الصوفية (على حد اعتراف المولانا) بالعشق المجازى * فانه ذكر :

" طلع وجه التوفيق من وراء ستار العشق المجازى
عن طريق صدفة * الأواء والمهاترات ارتادت به
تلقائياً الى طريق الحب الحقيقى * لم يكن ذلك
الازلة، لكن بماذا نسمي الزلة التي تتماثل فتتهوى بنا
على أقدام الصيب، غاية كل موجود * الزلة والسكر
إذا ما يهدى بالمرء الى سواء الطريق، فانه أفضل من
الثبات بألوف أشكاله * وانما الأجدر أن تكون آلاف
الصحات فداء لها "

في نفس الصفحات يتصدى المولانا للعشق، ويكشف الستار عن اسراره
قائلاً :

" إن العشق هو الأول وهو الآخر، ليس في الكون
شئ غيره، فانه عماد السماوات ومحور الأرض، وبه
كل ما هو ظاهر، ومنه جميع ما هو مخفى ومستور *
والخلاصة أن العشق أصل الوجود "

العشق عند المولانا وحدة خالصة لا تقبل الكثرة * وانه يعيد الكثرة إلى
ضيق النظر، فيقول :

" ثمة حقيقة واحدة تعرف بتسميات متعددة لا لسبب

إبداعية أبى الكلام آزاد فى علم الالهيات

بقلم : اصغر على المهندس

مدير معهد الدراسات الاسلاميه بومبانى

لم يزل ولا يزال المسلمون يؤمنون بأن القرآن المقدس هو كتاب منزل من السماء* ولم يرتاب أحد منهم أبداً فى هذا الأمر مع أنهم قد اختلفوا فيما بينهم حول المفهوم الحقيقى لكلمة أو آية معينة و حول كيفية نزول هذا الكتاب*

على أى حال انه جدير بالملاحظة ان المسلمين اختلفوا اختلافا شديدا حول فهمهم للقرآن الكريم، ولاغرو لذلك فى واقع تعدد و كثرة التفاسير* والحق يقال ان هذه التفاسير تكثر وتعدد بعدد يوجد به المفسرون (١)* و لذلك خطأ فى الاعتقاد بأن الحروف الأصلية لا تفاسيرها منزلة من السماء* و هناك مشكلة كبيرة فى هذا الخصوص تتعلق بالتفسير بالرأى، فقد رفض واستنكر التفسير بالرأى مخافة من أن المفسر الذى يعتمد على رأيه الشخصى فى تفسير القرآن قد يضل سواء السبيل ولا يبقى مخلصا و ملتزما تجاه الارادة الالهية* و ان مولانا أبو الكلام آزاد هو من بين من تهجموا على التفسير بالرأى (٢)*

بيد أنه من الصعب أن يتحاشى المفسر تماما عن التفسير بالرأى حيث لا يوجد مانع لتسرب الآراء الشخصية الى التفسير* فكل مفسر يحاول أن يقدر ويضمن المفهوم السماوى لما ورد فى القرآن* و لذلك لا يمكن رفض وادانة التفسير بالرأى بالجملة، بل ينبغى ادانته عندما يبدو أن المفسر قد انحرف كثيرا عن جادة الصواب* على أى حال فان الرأى الانفرادى مازال جزء لا يتجزأ لكل تفسير، و هذا الأمر مسئول عن كثير من الخلافات بين المفسرين مهما كان مستواهم من العلم و التقوى* و اننا بهذا الصدد

فى ضوء تجارب عارفى الطريق استنتج المولانا بأن الاحتراق كالشمع بهدوء أصعب كثيرا من التملل والتشرد الذين يؤديان عادة إلى سوء الأدب و عدم الضبط دونما رعاية للحدود التى يستلزمها الاحتراق . المعلوم أن الاندلاع كاللهيب أهون من الاضطرام من الداخل مثل التنور ومايتطلبه من الآداب والمراسيم . والمولانا اختار لنفسه الطريق ثانى الذكر، فاتبع العارفين الذين اتخذوا من الاحتراق تدريجيا مسلكا لهم، وصارفى آخر سنوات عمره كتتنور محترق من الداخل .
أما عن ميادين السياسة والصحافة والأدب وغيرها من نواحي الحياة عامة كانت أو شخصية، فقد اتخذ المولانا من الكمال والاتقان نصب عينيه، وأشار إليه فى سياق التعرض لتجارب أوائل سنوات عمره :

"عشت نفورا عن النقص، وأتخاشس التقليد ومحاكاة
عامة المسالك، كارها اقتفاء غيرى فى آثاره . دائما
حاولت أن أشق طريقى بنفسى و أجعل منه مثالا
للآخرين . مارست السكر والأهواء، فانقمست فيها إلى
قرارتها، توغلت وأدى المحبة والعشق فلم أترك
حجرا إلا و قبلته . وأمنيته الآن أن أحقق نفس
الكمال وأطوى نفس المدارج فى الطريق الذى
اسلكه حاليا "

لقد كان المولانا بطبيعته يحب الحرية، و يرفض القيود، مما عرضه
لكثير من المشاكل والمصاعب، ولكن ميوله ونزاعته نفسها، تكمن فيها
عظمته وتفردة .

تعريب : راشد على

اللاهوت لأمغزى له ما لم يكن مترسخ الجذور فى وضع خاص و متجاوزا له فى نفس الوقت* و ان هذا التضارب بين كونه مترسخ الجذور فى وضع خاص و بين تجاوزه لذلك الوضع هو الذى يجعله ابداعيا *

هذا و ان علم اللاهوت يجمع بين ميزتين فهو فى آن واحد معيارى و ذو صلة بقرائن الأوضاع و لا يمكن أن تفوته احدى هاتين الميزتين فان كان يخلو من صلته بالقرائن فسوف لا يبقى مفيدا للعناصر البشرية لعصر معين و منطقة خاصة و ان كان يخلو من الميزة الثانية فسوف يكون دائما مؤيدا للوضع الراهن و لن يتنجح فى احياء الانسانية الا فى وضع خاص دون آخر و هكذا نرى أن اللاهوتية الابداعية ليست الا استجابة الانسان لوضع متغير لا خالق له الا الله و يجب ان تكون هذه الاستجابة ديناميكية لكى تكون غنية بمفهومها و فى هذا تكمن أهمية ابداعية علم الالهيات* نشأ مولانا أبو الكلام آزاد فى بيئة متحفظة للغاية و كان أبوه متصوفاً عمليا و لكنه لم يحدث أى تغيير فى الأفكار والآراء التقليدية و لا يعرف بأى نظرة جديدة نجاه أية مشكلة و تلقى آزاد تعليمه فى هذه البيئة المتحفظة حيث تشبع من كافة القيم القديمة و سيكون من الممتع ابراز بيئة طفولته على أساس المفكرات التى قد سجلها آزاد نفسه :

" من مفكراتى الأولية ما يتعلق بجو للحداثة و القداسة حيث وجدت أسرتى مشرقة و مبللة و بدت كأنها صنم من أصنام و تمثال من التماثيل، و رغم كونى طفلا كان ألوف من الناس يأتوننى و يقبلون يدى و قدمى باعتبارى ابنا لمرشدهم الروحى و فضلا عن أعضاء أسرتى لم أر أى شخص إلا انه كان تجسيدا للاحترام و التقدير و من هؤلاء الزوار كان رجال ذو كفاءة و متقدموا السن فكانوا يأتون و يجلسون جلسة الاحترام و التقدير كأننى كنت شيئا جديرا بالعبادة و التقديس بالنسبة لهم، و ما من كلمة تخرج من شفتى مهما كانت سخيفة الا و أنهم كانوا يستمعون اليها برووس منحنية و بتمام الثقة و الاحترام و ما كانت استجابتهم الا بكلمة نعم دون سواها" (٤)

و من أجل التخلص و التحرر من هذا الجو الخانق و الفاسد قام آزاد ببذل جهود جادة و ضخمة، و الحقيقة ان الكفاح الفكرى الذى خاضه آزاد

نجد أن أبا الكلام آزاد قد قدّم أسهاماً ممتازاً في مجال التفسير عن طريق كتابه المعروف "ترجمان القرآن" (٣) يتميز عن غيره من التفاسير بسبب واحد على وجه التحديد، وهو الطابع الشخصي الممتاز لرأى صاحبه وروياه ومستواه العلمي.

و في البداية نود أن نقول شيئاً عن ابداعية علم الالهيات • ما هو المفهوم من هذه الابداعية؟

هل هي مماثلة للابداعية الأدبية أو مختلفة عنها؟

هل أنها تحمل عنصراً من المعقولية؟ وربما يندفع البعض الى رفضها في أول وهلة مؤكداً أن الابداعية في علم الالهيات هي من الأمور المستبعدة • الحقيقة أن هذه الابداعية هي مجموعة محددة من ذى قبل لمبادئ سماوية •

بالنسبة لي فاعتقد أن الابداعية في علم الالهيات هي أمر ممكن وهي مماثلة للابداعية الأدبية ومختلفة عنها معاً فهي مماثلة لها في العمل وتختلف عنها من ناحية أن الأولى من وظائفها استيعاب الاستجابة السماوية المحتملة ازاء تغيرات الأوضاع البشرية •

فالوضع الانساني كما يعترف به الجميع ليس من الأمور الجامدة بل انه يخضع للتغيرات والخالق لا يتوقف أبداً عن ابداع أوضاع جديدة فقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ • كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٥٥ : ٢٩) -

وهكذا فإن الله يبدي نفسه دائماً في مظهر جديد للمجد والعظمة وبشكل أكثر غرابة من المظاهر والأشكال السابقة وبتعبير آخر فإن ابداعيته ليست جامدة ويرى الشاعر والفيلسوف الابداعي المعروف محمد اقبال أن الانسان شريك لله في الابداع وهذه هي المرتبة الأعلى والاسمى التي بإمكان الانسان أن يصل اليها •

ما هو علم اللاهوت أو الالهيات ياترى؟ انه في الواقع عبارة عن السعي لمعرفة الله والاطلاع على ما قد هدى اليه والفرض الحقيقي وراء الهداية والارشاد • وبما ان الله مبدع فيجب أن يكون هذا العلم أيضاً كذلك، فهو يتناول الأغراض السماوية وطرقاً جديدة لمظاهر الخالق المبدع وأشكال مجده وعظمته وقدرته على خلق أوضاع جديدة فكيف يمكن أن يبقى الباحث عن حقيقة الله كائناً جامداً وغير مبدع؟ فالباحث عن الحق مضطر لاستيعاب الأوضاع المتغيرة وفهم الأشكال الجديدة لمظاهر الله وان علم

حتى عام ١٩١٠م أى من الرابع عشر الى الثامن والعشرين من عمره"

انتعش آزاد من إلحاده و عاد الى إيمانه وعقيدته فى عام ١٩١٠م عندما كتب مقالة المعروف حول الشاعر الشهير " سرمد " و يجب أن يعتبر هذا نقطة تحول فى حياة أبي الكلام آزاد، وكما ذكر آنفا كان آزاد نشأ وترعرع فى جو صوفى وبالثانى أصبح خاضعا لنفوذ العقلانية والمادية ومع انه خرج من هذه المرحلة فيما بعد بقيت آثار لها فى ذهنه أثناء المراحل الأخيرة لفكره وفى الوقت الذى خلق التصوف نظرة إنسانية عميقة فى نفسه عملت العقلانية على توسيع أفق تلك النظرة و يجب أن ننظر الى مقاله حول السرمد فى هذا السياق فقال وهو يكتب على هذا الشاعر الشهير :

" فى بحثه عن الهدف اهلل سرمد التمييز بين المسجد والمعبد الغير الاسلامى فأصبح يبدى الثقة والعقيدة تجاه النساك الهنادكة بقدر ما كان يحسن رأسه مع التواضع والاحترام أمام المتصوفين المسلمين . هل يعترض أحد ممن قد رزقوا بتجربة صوفية حقيقية وخالصة على هذا المبدأ ياترى؟ فاذا كنا نصر فى هذا المجال أيضا على ضرورة التمييز والفرق بين العقيدة واللاعقيدة فهل سيبقى هناك فرق بين الاعمى والبصير؟ على أى حال أن الفراشة هى التى عليها أن تبحث عن السراج و ان كانت الفراشة تعشق سراج البنايات المقدسة لمكة المكرمة فقط فان سعيه للاحتراق ليس بكامله * (ثم ينقل بيتا فارسيا معناه أن العاشق ليس نصيبه إلا الخسران من ناحية الاسلام وأيضا من ناحية الكفر والفراشة لاتميز بين مصباح المسجد وبينه لمعبد غير الاسلامى "(٥)

وقال أبو الكلام آزاد أيضا أن العشق من أى نوع كان يمثل دائما الخطوة الأولى فى اتجاه الحق بل الأخرى أن يقال ان العشق هو الباب الذى يجب أن يمر به المرء قبل كونه انسانا بالمعنى الحقيقى للكلمة، فالذى لم يجرح قلبه ولم تبلّ عيناه بالدموع لا يستطيع إن يدرك مفهوم الانسانية (٦) *

بدأ من أوائل طفولته وانه لم يعد متأثراً بعلم الألهيات التقليدي لمدة طويلة حيث باشر مطالعة الكتب و من خلال دراسته و مطالعته لكتب كثيرة أصبح متأثراً و معجبا بكتابات المصلح المعروف السيرسيد أحمد خان و كانت هذه تجربة لتحريير الذات بالنسبة له فوجد في شخص السيرسيد أحمد خان شخصية مثالية و حتى انه أصبح يدعو المجتهد المطلق (المفسر الابداعي المطلق) و أصبح يطمح لاقتداء أسلوبه في كتاباته .

و مما يجدر بالملاحظة ان السيرسيد أحمد خان كان متأثراً لحد كبير بالفلسفة خاصة منهم المسلمون المتأثرون بالأفكار اليونانية و أفكار المعتزلة . و من المعلوم ان المعتزلة حاولوا تطوير علم لاهوتى عقلانى و تأثر كثير منهم بالفلسفة و الأفكار اليونانية . و هكذا فان المعتزلة هم أول من حاولوا ابداع علم لاهوتى تحت وطأة متطلبات الوضع الجديد السائد حينذاك . و كانت الكوفة والبصرة و بغداد مراكز معروفة لهم في عصر الدولة العباسية حيث كان التيار الفكرى الاسلامى يمتزج بدون مانع مع التيارات الفكرية الأخرى اليونانية منها و الايرانية و الهندية و من هنا ظهرت تحديات جديدة عديدة . حاول المعتزلة الردّ عليها باستخدام الأدوات اليونانية و ايجاد علم لاهوتى ابداعى غير أن هذا العلم لم يتمكن من اكتساب الشعبية و القبول في العالم الاسلامى .

قضى مولانا آزاد أيام طفولته بمدينة كلكتا التى كانت العاصمة البريطانية في الهند حينذاك و هكذا شهد و عاش بعض الابتكارات و الابداعات العصرية التى قام بانجازها البريطانيون و منها سكك الحديد و شبكات البريد و التلغراف و ما الى ذلك، و هكذا ازداد اتصاله و اعجابه بالعلوم العصرية و تصوراتها و مبادئها و حتى أنه خطط تأليف كتاب حول موضوع العلوم الجديدة و الاسلام و ازداد هذا النفوذ و التأثير للعلوم العصرية في نفسه لحد أنه صار ملحدا في مرحلة من مراحل عمره مع أنه استمر في الظاهر في اتباع المراسم و الأركان الدينية و قد كتب آزاد نفسه :

" لقد أصبحت حتى ذلك الوقت ملحدا كاملا يفتخر و يعتزّ بإيمانه بالمادية و العقلانية و لا يشهد في الدين الا الجهل و دامت هذه الفترة من عام ١٩٠٣م

إبداعية أبى الكلام آزاد

بينهم القاضى ثناء الله العثمانى البانى بتى (م / ١٨١٠م) صاحب تفسير مظهرى، ففى معرض تفسيره للآية رقم ١٣٠ من سورة الأنعام يقول إن مبادئ الديانة الهندوكية تماثل مبادئ الدين الاسلامى الحنيف و لكن الخلافات بينهما هى من صنع الشيطان (٧) وهناك أمثلة أخرى كثيرة بهذا الصدد *

والسؤال الذى يبرز هنا هو : ما هو الفرق بين نظرة مولانا آزاد وبينها لغيره من المفسرين؟ الحقيقة ان الفرق لا يختص بالنظرة و لكنه يختص بالتوكيد فأبو الكلام آزاد على عكس غيره من المفسرين قد جعل من وحدة الأديان الموضوع الرئيسى لمجلده الأول و أكد على أهميته لاقصى حد ممكن و لاشك ان هذه كانت نظرة ابداعية اختارها آزاد استجابة للوضع الهندى الجديد، الوضع الذى لم يعد منحصرًا فى الهند حيث بدأت بلدان جديدة تظهر الى حيز الوجود فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وكانت المجتمعات فى معظم تلك البلدان متعددة الأديان و هكذا فان موضوع وحدة الأديان كان يهم تلك البلدان الجديدة أيضا بقدر ما كان يهم الهند *

بالاضافة الى هذا علينا أن لاننسئ ان أبو الكلام آزاد لم يكن عالما فقط يكتب تفسيره محصورا فى غرفة و لكنه كان زعيما سياسيا نشيطا أيضا و فى عام ١٩٢٣م كان رئيس حزب المؤتمر الوطنى الهندى الأمر الذى كان قد أثقله بمسؤوليات ضخمة و معلوم ان هذا الحزب كان حزبا علمانيا و لذا كان عليه أن يحظى بتأييد الهنادكة و المسلمين على السواء * و بحكم كونه رئيسا لمنظمة كهذه كان من الطبيعى أن يعير آزاد اهتماما كبيرا للاتحاد بين الهنادكة و المسلمين و ان نظرية وحدة الأديان أتاحت له أساسا فلسفيا و أيولوجيا لذلك *

فى خطابه الذى القاه كرئيس حزب المؤتمر الوطنى الهندى فى ديسمبر ١٩٢٣م أشار آزاد بوجه خاص الى الضرورة الملحة للاتحاد بين الهنادكة و المسلمين، فقال ان هذا الاتحاد هو الأساس الأول لبناء كياننا القومى و بدون ذلك فان حرية بلادنا بل و كل ما نحتاج اليه للعيش و التقدم ليس الا حلما و خيالا بل و اننا لن نحقق الحرية بدون هذا الاتحاد و لن نستطيع ان نستحدث المبادئ الاساسية للانسانية فى داخل أنفسنا *

و مضى يقول " اذا نزل ملك من السماء و أعلن من رأس منارة قطب

هذه الكلمات تحمل رسالة للحب العالمى، الحب للإنسانية و ليس للمعتقدات المعتمدة على تقسيم المذاهب والمسالك * ويجب أن ننظر الى كتابات آزاد الأخيرة حول الالهيات فى هذا الضوء و أيضا فى ضوء الموقف الجديد الذى نشأ اثناء كفاح التحرير الذى كان من مقتضياته الائتلاف بين الهنادكة والمسلمين بغية اخراج العدو المشترك- الحاكم البريطاني- من البلاد *

و كتب آزاد تفسيره المعروف " ترجمان القرآن " فى الفترة بين ١٩٣٠م و ١٩٣٦م فكانت هذه فترة خطيرة للغاية فى تاريخ كفاح تحرير البلاد حيث كانت الحركات مثل حركة الدعوة والتبليغ لدى المسلمين و حركة " شودهى " (الارتداد التى شنتها العناصر الهندوكية المتطرفة) قد أقامت حاجزا قويا للحقد و الكراهة بين الهنادكة والمسلمين * و المجلد الأول لتفسيره " ترجمان القرآن " كان قد صدر حتى عام ١٩٣٠م و يعنى هذا أنه ظل مشغولا فى كتابته طوال العشرينات و هى نفس الفترة التى شهدت بداية التوتر فى العلاقات بين الهنادكة والمسلمين ذلك على أثر ظهور حركة الخلافة و الحادث الطائفى فى بلدة " تشاورى تشاورا " (CHAURI CHAURA) و جاءت حركة " شودهى (الارتداد) و حركة التبليغ كعاملين لتصعيد هذا التوتر *

الواقع ان آزاد كان يكتب استجابة لوضع خاص اذ أن فهم الكلام السماوى لدى أحد لا يمكن ان يبقى غير متأثر بالوضع الذى يعيشه هو نفسه و لذا لاغرو فى ان آزاد خلال تلك الفترة اختار موضوع وحدة الأديان كموضوع رئيسى للمجلد الأول لتفسيره و فى مجلده الثانى اختار موضوعا هاما آخر و هو المساواة بين الجنسين و ان كان ذلك أدنى أهمية من موضوع وحدة الأديان *

غير أنه لايعنى هذا ان آزاد هو أول من تناول موضوع وحدة الأديان بل الواقع ان الشاه ولى الله الدهلوى (٦٣-١٧٠٣م) كان قد تناول هذه الفكرة بالاشارة الى بعض الآيات القرآنية * و منها الآية رقم ٥٢ و الآية رقم ٥٣ من سورة المؤمنون :

" وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ- فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا- كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ "

و كان المفسرون الآخرون أيضا واعين بموضوع وحدة الأديان و من

إبدامية أبى الكلام آزاد

بالاشتراكية (الاسلامية) على أهمية حقوق المستضعفين على الأرض في ظروفهم الخاصة، أكد مولانا آزاد وزملاؤه من المفسرين الذين تمثلهم جمعية علماء الهند على ضرورة الاتحاد بين الهنداكة والمسلمين في اطار مبدأ وحدة الأديان *

و في هذه الخلفية يجب أن ننظر الى التطبيق الابداعي للعلوم القرآنية من قبل أبى الكلام آزاد *

يعلق أبو الكلام آزاد الأهمية الكبرى على سورة الفاتحة و يرى أن كافة المبادئ الأساسية الواردة في القرآن مستنبطة من هذه السورة و لاغرو اذا في أنه يخصص المجلد الأول لتفسيره لهذه السورة القصيرة التي لا تشتمل على أكثر من سبع آيات و لكن كل واحدة من هذه الآيات حافلة بالمعاني و المدلولات و قد اجمع المفسرون المتقدمون منهم و المعاصرون على أن هذه السورة تعكس فلسفة القرآن بالجملة *

تمشيا مع فلسفته لوحدة الأديان يؤكد أبو الكلام آزاد على أهمية تصور رب العالمين و يلقي ضوءاً على ذلك فيقول "أن التصور بالله باعتباره رب العالمين أو رب المخلوقات كلها هو في الواقع التصور به ليس كخالق كل شيء في هذا الكون و إنما كمصدر للتغذية و قدرة البقاء أيضاً و ان النظام الذي قد وضعه الله لبقاء و نمو كل شيء وضعه في اطار خطة ممتازة و كفيلة بتزويد كل كائن بما تتطلبه طبيعته الخاصة لبقائه * و في الوقت ذاته يتم كل هذا بكامل المراعاة للظروف و الحاجات المتغيرة *

و قد أثار آزاد نقطتين هامتين يمكن تقديمهما كمثالين لتفكيره الابداعي - أولاً: الله رب العالمين بمعنى أنه يوفر الغذاء و القوة للبقاء للكائنات جمعاء و هكذا فان تصور رب العالمين عنده لا يؤكد فقط على وحدة الانسان و إنما يؤكد على وحدة الكون بالجملة و من ثم تقترب هذه النظرية من نظرية وحدة الوجود لصاحبها محي الدين ابن العربي * الحقيقة ان فكره متأثر بالتأكيد بخلفيته للتصوف * ثانياً : انه يؤكد أيضاً أن الربوبية تشمل الرعاية بمتطلبات أو ظروف الحاجات المتغيرة - و هذه النظرية أيضاً في رأي لا تقل أهمية فعلم الالهيات يجب أن يكون مرتبطاً بالظروف و الحاجات المتغيرة * فالربوبية بهذا المفهوم هي من صفات الله رب العالمين * وعندما توجد كل ذرة من هذا الكون مجهزة بقدرة التكيف في الأوضاع المتغيرة فما هو المانع في كون علم الالهيات مجهزة بهذه الميزة ياترى؟

أن الاستقلال يمكن الحصول عليه في ظرف ٢٤ ساعة اذا تخلّت الهند عن الاتحاد بين الهنداكة والمسلمين فأننى لن أتعجل الاستقلال بهذا الشرط ولن أتخلّى عن الوحدة الهندوكية المسلمة لأنه اذا تأخر الاستقلال فسيكون ذلك خسارة للهند فقط ولكن اذا خسرنا الوحدة فانه سيكون خسارة الانسانية جمعاء"

و هكذا نرى ان الاتحاد بين الهنداكة والمسلمين لم يكن احتياجا عمليا فقط وانما كان مبدأ من مبادئ الانسانية وعليه فان آزاد لم يكن راضيا بأن يتقبل حرية البلاد على حساب هذا المبدأ، والوحدة الانسانية هي أكثر أهمية لديه بالمقارنة مع حرية البلاد، ومن هذا المنطق تناول آزاد موضوع وحدة الأديان ليس كاستجابة لإقتضاء الظروف وإنما كمبدء من مبادئ علم الالهيات الثابتة والراسخة في قضية هذا العلم كما أنه بعكس غيره من المفسرين قد جعل من هذا الموضوع مبدأ أساسيا لعلوم القرآن الكريم ولهذا السبب قد خصص مجلدا كاملا تقريبا من جملة أربعة مجلدات لتفسيره لهذا الفرض.

و هنا نود أن يلقي ضوء على المناقشة التي تدور حول مبدأ علم الالهيات وعلاقته بسياق الظروف عند المقارنة بين اقتضاء سياق الظروف والمبدأ من ناحية الأهمية يجب أن نأخذ بالاعتبار أنه لايمكن التفاضل عن أى واحد منهما. الحقيقة ان المفسر يختار من بين المبادئ الكثيرة أساسية كانت أو ثانوية مبدأ يكون أكثر ملائمة لظروفه ولكن هذا الاختيار لايعنى عدم اعترافه بأهمية المبادئ الأخرى. ولكن هذه مشكلة متطلبات القرائن أيضا وهنا اكتفى بمثال واحد لايضاح هذه النقطة. ان الفكرة القرآنية الرئيسية التي أكد عليها آية الله الخميني وأتباعه في ايران أثناء نضالهم ضد الشاه هي النضال بين "المستضعفين والمستكبرين" وهكذا فان الآية رقم: ٥ من سورة القصص أصبحت ذات أهمية أساسية لدى علماء الالهيات الايرانيين وعلى رأسهم آية الله الخميني حيث قال الله تعالى :

"وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"

هنا أيضا اجتمع كلا الأمرين أى سياق الظروف والمبدأ. الحقيقة أن ابراز مبدأ في ضوء احتياج السياق لايمكن أن يوصف بالانتهازية بل انه في الواقع تطبيق ابداعي لمبدأ مهم لعلم الالهيات. فكما أكد الخميني وأتباعه (وأيضاً عناصر منظمة " مجاهدين خلق ايران" التي تؤمن

إبداعية أبى الكلام آزاد

تستحقه ولكن لم تنله أبدا قبل الآن * وهذه الكلمات تنقذها من مذلة الحرمان والشقاء * وهذه الكلمات أخرجتها من غبار الحرمان والشقاء وجعلتها تجلس على عرش الكرامة والمساواة فهذه الكلمات فى رأيه جاءت تحمل بشرى للمساواة بين الرجل والمرأة *

وأوضح آزاد وجهة نظره مزيدا بالإشارة الى الآية القرآنية الأخرى وتفسيرها تفسيراً ابداعياً وتتعلق الآية بمكانة الرجل والمرأة، يرى آزاد أن القرآن يعلن بكون الرجل قواماً (مسئولاً عن وقايتها) ليس بسبب تفوق جنس طبيعى بل لأنه كان مسئولاً عن اكتساب لقمة العيش بحكم طبيعة الصيغة الاجتماعية لذلك الوقت وكانت تلك الصيغة الاجتماعية لا تسمح للمرأة بأن تتولى هذه المسؤولية وهكذا فإن تفوق الرجل على المرأة كان مشكلة اجتماعية محضة لا علاقة لها بالدين فيقول آزاد " ان هذا التمييز لا يعطى أى تفوق للرجل بحكم الولادة بل إنه نظام خاص للحياة الاجتماعية قد اعطاه هذه المكانة الاجتماعية - ولو افترضنا ان النظام العائلى للشعوب المتحضرة يتحول يوماً ما الى حالة تسيطر فيه المرأة على النظام الاقتصادى فان هذا الامتياز أو التفوق سيكون للمرأة لا للرجل * ومما يلاحظ أن هذه الآية كانت ولا تزال موضع استدلال لاثبات تفوق الرجل على المرأة * وان كافة المفسرين تقريباً قد اتفقوا على هذا ولكن آزاد يبدع طريقاً جديداً ويفسر الآية تفسيراً ابداعياً لاثبات أنها تعطى الرجل التفوق الاجتماعى لا التفوق الجنىسى وانه قد نقل آية قرآنية أخرى أيضاً لاثبات هذه النقطة *

لم يكن آزاد مفكراً ابداعياً فقط بل كان شاعراً ومبدعاً لأسلوب خاص فنثره أيضاً يعكس ابداعيته الفكرية وكان يملك ملكة خيالية شعرية ربما لاتبدو ميزة جيدة لعالم اللآهيات وربما تكون هذه الميزة مصدر ضعف لدى مفسر آخر دون آزاد * فانه يبقى على أوج الكمال مثل أى مفسر * وان بحثه فى " ذى القرنين " أيضاً يثبت انه كان باحثاً جيداً الى جانب كونه مفسراً ابداعياً * وانه كان من أصحاب الرؤيا فالخلق السماوى عنده ليس بمقصور على عصر أو فترة معينة بعكس رأى المفسرين الآخرين وهو يؤمن بالدينامية والتغير المستمر للكون الأمر الذى دفعه للتطبيق الابداعى للكلمة السماوية فى كل الظروف والأوضاع المتغيرة وأفضل اشادة لهذا العالم والمفسر والمفكر الابداعى هو مواصلة تقليده

إبداعية أبى الكلام آزاد

وأكد آزاد على أهمية هذه النقطة فقال ان الانسان اذا نظر الى نفسه فلاحظ أن حياته فى كل لحظة تكتشف عالما حافلا بالنشاط والحيوية تحركه ربوبية الله فقال الله تعالى :

" وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۚ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ (٥١ : ٢٠ و ٢١)

وهكذا يرى آزاد أن الربوبية تغطى التغير وهو عبارة عن عالم للنشاط والحيوية تحركه ربوبية الله . وان هذه الفكرة الدينامية والعالمية للربوبية تمثل أسهما ابداعيا من قبل أبى الكلام آزاد . ولايستطيع عالم الآ اذا كان يرتبط بحركة أن يتقدم بمثل هذه الأفكار . ولم يكن آزاد عالما للالهيات جالسا فى كرسية فقط بل انه كان عالما نشيطا . وان علمه متأثر بنشاطه وحيويته وأيضا بمتطلبات حركة التحرير الوطنى . وفى هذا الخصوص قد سبقه أسلاف مثل مولانا قاسم النانوتوى فانه أيضا قد أكد على ضرورة الاتحاد بين الهنادكة والمسلمين . وأشار الى ان الكتب الدينية للهنادكة (الفيدا) ربما تكون كتبا مقدسة ، وان رام وكرشنا ربما كانا من أنبياء الله فى عصرهما ، ولكن آزاد قد تميز عنه فى التاكيد على الاحتياج للتغير والنشاط الذى تحركه ربوبية الله .

وجدير بالذكر ان ابداعية آزاد فى علم الالهيات قد تناولت المساواة الجنسية أيضا . ومعلوم أن قضية حقوق المرأة قد ازدادت أهمية فى عصرنا هذا . وعلى الرغم من عدم تواجد حركة نسائية قوية فى عصر آزاد الا أنه ادرك أهمية المساواة الجنسية . والمفسرون فى القرون الوسطى فسروا القرآن بمراعاة مقتضيات عصرهم وجعلوا المرأة خاضعة للرجل ففرضت عليها قيودا شديدة يبقى الكثير منها حتى الآن فى الدول الاسلامية ، ولكن ابداعية آزاد شقت طريقة مختلفة ومن ثم انه أصبح داعيا للمساواة الجنسية ولم يواجه أى صعوبة فى تأييد نظريته بالآيات القرآنية - واستند فى هذا الخصوص على تلك الآيات التى اهملها المفسرون المتقدمون أو فسروها تفسيراً مختلفاً . فلنأخذ مثلاً هذه الآية القرآنية :

" وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ "

هذه الآية فى رأى مولانا آزاد ليست قليلة الأهمية حيث تشير فقط الى التعامل العادل مع المرأة وإنه يرى ان هذه الكلمات تمثل ثورة اجتماعية فيقول ان القرآن باعلانه لهذه الكلمات " لهن مثل الذى عليهن " قد أعلن بأكبر ثورة للحياة الاجتماعية . فهذه الكلمات الأربع تعطى المرأة كل ما

مولانا أبو الكلام آزاد :

شخصية ذات أبعاد متعددة

بقلم : تارا تشاند رستوجي
بيروباري - جووا هاتى (آسام)

إن الدهر يخلق عظماء و هؤلاء يخلقون المستقبل؟ يوجد لدى هؤلاء القابلية لمواجهة الصعوبات و للإبحار ضد تيار الريح * كان أبو الكلام آزاد أحد تلك النجوم اللامعة التى تكوّن المجرة الهندية للمفكرين و الزعماء و الرسامين و الشعراء و الماهرين فى المجالات الأخرى و الذين لمعوا بكل جمالهم منذ بداية القرن العشرين * كان مولانا أبو الكلام آزاد يعرف من قريب كبار الهنود من أمثال فيفيكا ناندا و المهاتما غاندى و البانديت جواهر لال نهرو و سوبهاش تشاندرا بوس و أورويندو و رابيندرناث طاغور و سرفا باللى رادا كريشنان و عددا كبيرا من العظماء الآخرين و إن مولانا نفسه كان من ذوى فضل عظيم فى مجال العلم و السياسة، كان رجلاً ذات خبرة واسعة فى الدين و زعيما وطنيا، كان عالما باللغة العربية من ذوى معلومات واسعة النطاق فى العلوم الاسلامية، كان كاتباً باللغة الأردوية يكتب النثر مع النغمات الشعرية، كان رائداً فى مجال الصحافة الأردوية يكتب النثر مع النغمات الشعرية، كان رائداً فى مجال الصحافة الأردوية و شارحاً للثقافة الهندية * كان مولانا أبو الكلام آزاد زميلاً قريباً للمهاتما غاندى و الحكيم أجمل خان و أخوى على (محمد على و شوكت على) كان السيد جواهر لال نهرو يحترمه كثيراً و يعتبره ناصحاً له مخلصاً * و حتى نعرف أكثر عن هذا العالم الكبير و عن قابلياته عديمة النظير فلنتحول إلى مقاله المعنون بـ " حكاية برق و خرمن " (أى حكاية البرق و كومة المحصول الزراعى) ظهرت هذه الحكاية فى مجلة " الهلال " ٢٤ يونيو ١٩٢٧م * نورد فيما يلى أجزاء من هذا المقال مترجمة فى اللغة العربية :

"إنما حالة مكونات أنكارى غريبة للغاية وكذلك هى

للابداعية فى علم الالهيات بما يلائم مقتضيات الظروف والأوضاع المتغيرة.

تعريب : د/ زبير أحمد الفاروقى

الهوامش :

- ١- أصغر على المهندس - " مفسر القرآن " معهد الدراسات الاسلامية بومباي
المجلد : ٤ العدد : ٣ (فبراير ١٩٨٨) انظروا أيضا محمود أيوب -
" القرآن ومفسروه " مطبعة جامعة نيويارك ١٩٨٤م)
- ٢- يرى ج ١ / (إين هندرسون دوغلاس) أن أبو الكلام آزاد نفسه يتورط فى
التفسير بالرأى ويعد ذلك من سلبيات تفسيره " ترجمان القرآن " - أنظروا
كتابه " أبو الكلام آزاد " - سيرة حياة فكرية و دينية اعداد غاثل مينولث
و كرستيان دبلو ترال (مطبعة جامعة آكسفورد ١٩٨٨م) ص : ٣١٨
- ٣- فى هذا البحث جميع الاشارات موجهة إلى " ترجمان القرآن " (ساهتيا
اكادمى دلهى ١٩٨٠م و الترجمة الانكليزية لمجلده الأول من قبل سيد
عبد اللطيف ، دار آسيا للطباعة والنشر ١٩٦٥م)
- ٤- عبد الرزاق مليح آبادى - " ذكر آزاد " (كلكته مكتب صحيفة " آزاد هند " -
١٩٦٠م) ص : ٣٥٣
- ٥- انظر ملاحظة المحرر فى " أبو الكلام آزاد " ص : ٥٦
- ٦- " آزاد - " سرمد شهيد " ص : ١٦-١٧ ، " أبو الكلام آزاد " ص : ٣٢٨
- ٧- أيضا - ص : ١٤

و ثلاث مرات فى كالكوٲا . كانت تجرى هذه التفتيشات تحت اشراف الضباط البريطانيين من رجال الشرطة البنفاليين الذين كانت لهم المعرفة السطحية للغة الأردوية (اذا وجد بينهم مسلم) . و بالنتيجة، إن كل سطر كتبته شكل لهم لغزا و سرا سياسيا ... كانوا يجدون هذه الكتابات و يأخذونها معهم إلى مخافر الشرطة ... لم أستعد و لا مرة هذه الكتابات سالمة ... و حصل مرة أن نشب الحريق فى مكتب مفوض الشرطة حيث كانت وضعت المواد المصادرة، و بالنتيجة احترقت كتاباتى أيضا مع أشياء المكتب الأخرى ... كان ضمن هذه الكتابات التى ذهبت ضحية الحريق ، عدد من الأعمال التى كنت أنهيها و أعطيتها الشكل النهائى، منها : تاريخ معتزلة (تاريخ المعتزلين) " سيرة شاه ولى الله (سيرة الشاه ولى الله) و " تبصره برديوان غالب اردو " (ديوان الشاعر غالب مع الدراسة النقدية باللغة الأردوية) و خصائص مسلم و أمثال القرآن و "مقدمة تفسير كى ناتمام أجزاء" (الأجزاء غير الكاملة لمقدمة التفسير) و ترجمان القرآن و تفسير البيان — سورة النساء و مقالات و مجموعات الملاحظات . كنت بدأت أكتب، خلال اقامتى برانشى كتيبىين : أحدهما فى موضوع القوانين، الضابطة للعالم و الثانى فى موضوع إفادية العالم . و كان هذان الكتيبان أيضا ضمن هذه الكتابات

"إن الذين توجد لهم الدراية بالأمور التى تتعلق بالكتابة و التأليف يدركون أيضا بالاجهاد الذى يعانى منه الكاتب عندما يجلس ليعيد كتاباته من جديد كان لى أن أستسلم للحقيقة أن لا ضرورة لى لأخاف من نتائج أساليب حياتى ... أحسن حيث قال الصوفى سرمد :

حالة أوراق تخيلاتى المنثورة • الحب للمعـرفة
والالتزام بالاعمال السياسية أـمران متناقضان
ولا يمكن أن يتواجد الاثنان سوياً • كلما أحاول أن أقوم
بـعمل الاثنين فى وقت واحد فأننى أواجه مشاكل
كثيرة • (كيف يمكن أن نضع قطعة قطن فى مكان
حيث وقعت جمرة!).... لقد رسم العالم خطابين الفكر
و العمل..... ربما متابعة العلم و ممارسة السياسة
أـمران لا ينسجمان أبدا إلا انهما قد تعادلا لى، اذا كان
الأول قد أحبه الذهن فإن الثانى يشـتاق إلىـه القلب
(سطح النهر جنة و قعرها نار ملتـهبة) أما فيما
يتعلق بى، فوجدت لى هناك اضطرابات سياسية و فى
أكثر الأحيان كنت أجدنى فى السجن ولكنه على الرغم
من ذلك استمررت فى متابعة العلوم.... لا يمكن للعالم
أن يلفى الصفات الأساسية (للمادة) • يجب أن يظهر
البرق و يحرق كومة المحصول الزراعى • و النتيجة
كانت أننى استمررت فى الكتابة و استمرت الأحداث
السياسية فى إحراقها... استمرت هذه العملية من
١٩١٦م حتى ١٩٢١م وما كان أى مفر من ذلك • كانت
المثابرة هى حصن الحصين.... عندما نفيت من البنغال
ذهبت إلى رانشى و كان ذلك حوالى نفس الوقت
الذى كنت فيه مدير تحرير "البلاغ" و "دار الارشاد"
أن بدأت أدون أفكارى وأشـذب كتاباتى • كانت هذه
الأفكار و الكتابات تتعلق بمختلف الأمور و الأشياء
و كانت تظهر من وقت إلى وقت الجوانب و الزوايا
الجديدة للأفكار فلذا لم يمكن لى جمعها كلها فى
مجلدات • خلال هذه الفترة ظهر للوجود عدد من
المخطوطات و الأوراق و الملاحظات الوجيزة فيما
يتعلق بوجهات النظر الهامة • عادة، كنت أدون هذه
الملاحظات باللغة الفارسية أ) باللغة العربية • و ذلك
لأن اللغة الأردوية قلما تقدر على إحتواء هذا الإيجاز •
كانت مساكنى أغيرت و سلبت مرتين فى رانشى

(العاشق بغض النظر عن كونه مسلماً أو غير مسلم فدايماً تجدونه مسكراً بالحب، إن حشرة لا تفرق بين شمعة الحرم و التي تضاء في الكنيسة)•

إن سرمدحين أمر بضرب رأسه قال : يا الهى، إننى أستطيع أن أعرفك في كل صورة تظهر فيها • يرى أبو الكلام آزاد أن سرمداً لم يكن مخطئاً فإن الخطأ كان يكمن في الأسلوب غير الاسلامي الذي كانوا تبنيوه في ذلك الوقت •

كان مولانا أبو الكلام آزاد صديقاً حميماً لبانديت جواهر لال نهرو، و كان ناصحاً له مخلصاً • خلال حبسه من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥ وجد البانديت جواهر لال نهرو وقتاً كافياً للاستفادة من علم مولانا آزاد • في عدد من رسائله التي كتبها إلى ابنته انديرا غاندي و التي توجد في صورة كتاب باسم، " الكتابات المنتخبة لبانديت جواهر لال نهرو"، إنه يصف مولانا أبا الكلام آزاد بأنه " موسوعة " • كان أبو الكلام آزاد يتمتع بذاكرة مذهشة • كان يذكر الأحداث التاريخية عن ظهر قلبه و كان يتحدث عنها بطريقة تجعل البانديت جواهر لال نهرو يشعر بأنه يرى الماضي يتراقص أمامه حياً • علاوة عن ذلك فإن مولانا ساعد البانديت جواهر لال نهرو على تعلم اللغة الأردوية و اللغة الفارسية • كما كان جواهر لال نهرو يعتبره معلماً مثالياً • كان مولانا أبو الكلام آزاد ينفخ النشاط في المناقشات و المباحثات • كان مولانا محبوساً متى وصله نبأ وفاة زوجته و طبعا شعر مولانا بالألم البالغ • خلال فترة الحبس هذه ألف مولانا " عبار خاطر " و نّقح " ترجمان القرآن " • كان جواهر لال نهرو مشغولاً بمولانا للغاية و ذلك يتضح من حديث بدر الدين طيب — و هو كان موظفاً في الخدمة المدنية الهندية (ICS) و سفيراً سابقاً، في مقابلة له لتلفزيونية (برنامج الصباح) • مرة خرج نهرو مع عدد من الناس بمن فيهم طيب هذا و لكن بعد قليل أفلت نهرو بدون اشعار • فتفرق الناس إلى هنا و هناك باحثين عنه و وجدوه واقفاً بجانب قبر مولانا آزاد، كان حزينا كئيباً منهمكاً في التفكير • كان وثّق لماسينيون (MASSIGNON) و هو مستشرق فرنسي ذوسمعة عالمية، ان اجتمع مع مولانا آزاد لمرات عديدة، كانا التقيا لآخر مرة في باريس في ١٤ يوليو/ تموز ١٩٥٥م •

قال "ماسينيون" في مقال له في كتاب " مولانا أبو الكلام آزاد " من تأليف همايون كبير إن مولانا كان يرغب بشدة في أن يظهر المسلمون في

(إما أن يضض الانسان بحياته على إيماء الصديق
أو يجب أن لا ينظر الانسان إلى محبوبه البتة)

إن الاقتباسات المنقولة هنا مترجمة باللغة العربية بالرغم من كونها خالية من جمال أسلوب مولانا ولكنها تقدم شهادة كافية إنه كان مولعاً، بإكتساب العلوم. الحقيقة، أن مولانا كان بدأ يصدر مجلة "الهلال" الأسبوعية عن كلكتا بهدف إحاطة قارئى اللغة الأردوية، بالأحوال السياسية الحاصلة فى الهند فيما يتعلق بالشؤون الوطنية والدولية وهكذا حاول إشراكهم فى محاولات تحرير الوطن من القبضة الأجنبية. كان مولانا بهذه الطريقة قد أدخل عصرا جديدا فى الصحافة الأردوية والحقيقة أنه كان الرائد فى هذا المجال. من هنا بدأت الصحافة الأردوية تعالج المشاكل الوطنية والفضل فى ذلك يرجع إليه فقط. فيما بعد، أنه أصدر مجلة "البلاغ"، بنفس الأهداف والأغراض.

تظهر ميول و نزعات مولانا أبى الكلام آزاد — تأليفه الشهير "ترجمان القرآن". فى خالص مقدمة كتابه هذا يؤكد مولانا على ضرورة فهم الروح المعنوية لكتاب المقدس، إنه يؤكد على ضرورة إزالة الأسرار و رفع الستائر الخارجية. كان مولانا يخالف بشدة استخدام الأساليب البروكروستانية لشرح الآيات القرآنية حيث يسود على ذلك عنصر الأغراض الأنانية. (Procrustes) كان لصا قطع أعضاء ضحاياه أو مددها طبقا لطول سريره — المترجم)، إن القرآن يحوى كل شئ. و يحيط بكل جوانب الحياة وليست هناك أية ضرورة لتقديم شروح و تفاسير له إضافية. كان يرى مولانا أبو الكلام آزاد أن التعليمات الاسلامية تحت على الحب للوطن، الدين الإسلامى الحنيف هو دين سلام يعلم الحب لكل البشرية ويناشد هذا الدين الكريم جميع المؤمنين على محاربة الظلم والجور و على حماية المنكوبين. تقديم المعونة للمنكوبين والضعفاء هو العنصر الأساسى للتعليمات الإسلامية، حياة الصدق والحق لاحتاج شيئا دون الصدق والحق.

إن مولانا أبى الكلام آزاد فى مقدمته لرابعيات سرمد يتحدث باختصار عن الظلم الذى عوقب به الصوفى سرمد الذى كان أسكره حبه للرب العظیم. كان ضرب عنق سرمد بموجب مرسوم القاضى. ياليت، كان عرف الحقيقة الكامنة فى الشعر الفارسى الذى يقول :

لقاءات مع مولانا آزاد

بقلم : كنور مهندر سينغ بيدى

شخصيات تظهر على وجه هذا الكوكب المادى يكونها التاريخ، وشخصيات تأتى لتكون التاريخ، وتحمله ليسجل عن أحوالها، وأولئك هم الرجال الذين يعرفون بعد بهنة التاريخ، ولا شك فإن العلامة آزاد كان من تلك الشخصيات الفذة الهامة التى يتندر نظيرها فى التاريخ.

دار أول لقائى معه حين زرت مقرّه فى وفد فلما تمت المحادثات معهم وكاد الوفد أن يخرج، منعنى من الذهاب فلما انفض الوفد ذهب بى إلى غرفة الاستقبال، دعا الخادم وطلب منى أن أجلس بازائه، وكنت إذا أريد أن أجلس جانبها عنه، وذلك بمقتضى الاجلال والتكريم، ولكنه أبى إلا أن يجلسنى بجانبه، حتى جاء الخادم وقدم الشاي وإننى بطبيعتى أعاف الشاي، ومن الممكن أن يعتبر قولى من باب المجازفة والمبالغة أننى لم أشرب الشاي أكثر من أربع أو خمس مرات طيلة حياتى، فحارت نفسى، وقعت فى مشكلة و صراع، ولكننى أخذت الكأس فى طواعية بمقتضى الاحترام وحتى تناولت رشقات بحكم جلالته، وكنت مطلعاً قبل ذلك بأنه يحب الشاي كثيراً، حتى إن نفسه خبير فى صنع الشاي، وفى أثناء ذلك التفت إلى مولانا قائلاً : إنه وإن لم يتيسر لى لقاءك عن كتب حتى الآن، إلا أننى سمعت عنك كثيراً يذكره الناس . فقلت : أبعدك الله من الجهة الأخرى للصورة، فبدأ يتبسم على ذلك وقال : إننى على علم من كافة جهاتك وجوانبك وليس عليها أى عيب ولا شائبة، وكانت هذه الكلمات التى خرجت من لسان مولانا مبعثاً كبيراً لسرورى وغبطتى، وكان من طبيعة مولانا أنه كان يظل صامتا رغم كونه خبيراً بكل شىء، وكان كل شخص يعرف طبيعته هذه، ولما قدم الخادم الشاي قال : كلّ شىء موجود

ثقافة الهند

العالم كقوة روحانية عظمى •

أما فيما يتعلق بالسيد ج - ب - كريبلانى فكان يعتبره مولانا " صوت المعقولة "، كان يعتقد مولانا آزاد أن مسلمى آسيا لن يأمنوا من براثن الأمبريالية حتى تتحرر الهند من نير الحكم البريطانى • كان مولانا عالما متبحرا وهذه الحقيقة تظهر أيضا من الكتب التى تركها خلفه، هذه الكتب المتعددة الموضوعات تجذب الاهتمام بصورة دائمة •

عانت الهند الخسارم الفادحة فى وفاته عام ١٩٥٨م لأنه كان أحد الزعماء الكبار الذين حاربوا بحماس و اخلاص شديدين حرب الاستقلال الهندى، إنما وفاته عصرت قلوب أولئك الملايين الذين يؤيدون الثقافة الهندية المركبة من مختلف العناصر والديانات • وأخيرا وليس آخرا، فان وفاته سوف يندبها دائما أولئك الذين يودون كل خير للدراسات الإسلامية •

تعريب: سيد احسان الرحمن

المصادر :

- ١- أبو الكلام آزاد : "غبار خاطر"
- ٢- أبو الكلام آزاد : "ترجمان القرآن"
- ٣- أبو الكلام آزاد : "رباعيات سرمد"
- ٤- ملفات الهلال والبلاغ :
- ٥- همايون كبير : مولانا أبو الكلام آزاد : ذكريات (العدد الخاص، فبراير ١٩٨٨م)
- ٦- الجامعة :
- ٧- أبو الكلام آزاد : (India Wins Freedom)
نهر و الطائفية
(Nehru on Communalism)
- ٨- غوبتا، ن . ل :

حساب غاية من الجهد والالاحاح والضراعة، ولكن بعض الناس شكوا إلى مولانا بطل. سير العمل، فطلبت عند مولانا، فلما وضعت أمامه سائر الأحداث أقنعهم بأن العمل يمضى على غرار الصميح، لأن الاسراع به يمكن أن ينتج أثراً معاكساً حتى لما توصل ذلك إلى النهاية دعانى مولانا وشجعتى وأخبر غاندى جى عن التفاصيل كلها.

ظلت الأيام ماضية، وانتقلت من دلهى إلى سونى بت روهتك ثم إلى غور غاؤن كهاكم للمديرية، حيث كانت كذلك قضية اسكان اللاجئين الميواتييين من جديد. وكان لابد من ايجاد حل لها، وقد تم ذلك بجمال وكمال، وكنت إذ أمتنع بثقة مولانا، وكان ذلك يبعثنى على الافتخار، وبعد ذلك بقليل كان من المقرر انعقاد انتخاب المجلس الشعبى فدعانى مولانا وقال خلال محادثاته بأنه عرض عليه أن يترشح للانتخاب من عدة مديريات، ولكنه يريد أن يترشح من غور غاؤن، وفعلنا ترشح للانتخاب من غور غاؤن.

و خلال الانتخابات بدأت الأحزاب السياسية المعارضة تحكى دعايات ضده على أساس أنه يريد كسب الصوت بالعديد والنار، وإلا لكان عليه أن يزور الناس ويطلب منهم الصوت وسألنى أجمل خان عن رأيى فى هذا الأمر، فقلت أما الناس فإنهم كما أدركتهم فى تأييد مولانا، وإن لم يكن له إلا أن يزور فليفعل ذلك بعد الانتخاب ليوجه إلى الجمهور كلمات الشكر. وفعلًا تم الانتخاب على انتصاره الزاهر الباهر، وذهبت جميع محاولات الأحزاب المعارضة أدراج الرياح ولم تكلل بالنجاح، وبعد الانتخاب بأسبوع زار مولانا مديرية غور غاؤن وخطب الجمهور فى حفلات كبيرة فى بالوال وفريد آباد وغور غاؤن، وغيرها وشكر الجمهور فيها، ومن العادة أن الناس ينسون جميع الوعود التى يعتقونها خلال الحملة الانتخابية، ولكن مولانا راعاهم مراعاة كاملة، ولم يزل يمد إليهم يد المساعدة فى كل مناسبة واجبة.

إنسى قد كنت قرأت بعض أعداد مجلة "الهلال" و قرأت كذلك "غبار خاطر" فكنت أعلم أنه كان فى الواقع صاحب طراز منفرد فى كتابة النثر، يكتب مسجعا ولكن بلفة سهلة نقية مؤثرة للغاية، ويبدى فيها كل ما يريد، وكانت خطبته كذلك تحمل نفس هذه الخصائص، كان يحفظ آلافاً من الأبيات الأردية والفارسية ويستعملها عامة فى كتابته، وقد اشتهرت ذاكرته، بأنه إذا رأى أحداً أو شيئاً انتقش فى ذاكرته كنقش الصورة فى آلة

فى بلادنا، لقد حققنا الاستقلال أيضا، ولكننا الآن فى أمسّ حاجةٍ إلى الجهد والايثار والتسامح والسلام والوئام للحفاظ على هذا الاستقلال، إنه تعدد علينا مسئوليات مع الاستقلال، فإذا لم نقم بها فستحيط بنا أوضاع أسوأ من التبعية والعبودية، ثم قال : نحن فى أشد حاجة إلى عاملين يمنعون العناصر الطائفية المتعصبة من الامتداد واتخاذ الجذور وإنك حسن وذو ثقة فى أعين الناس، فإننى مسرور وسعيد بلقاءك أياى، فوجهت إليه كلمة الشكر، وأيقنته بأننى سوف أسعى بقدر مستطاعى لخدمة البلاد*.

كان هذا أول لقاءى معه، وظلت الأيام تمضى على منوالها، والأوضاع تتغير، حتى أتى حين تعكر فيه جو البلاد بسبب التقسيمات بين الهندوس والمسلمين، ويمكن ارجاع واحد من أسباب ذلك إلى الجروح العنيفة التى أصيبت بها كلتا الطائفتين نتيجة المجازر والنزف الهائلة خلال فصل البلاد وإثره، التى كان من الصعب اندمالها فى وقت قريب، والآخر يمكن إرجاعه إلى أن الحكومة لما أحرزت الاستقلال وقامت مستقلة بذاتها، بدأت جميع الطوائف تطالب أن تتولى وحدها زمام الأمور، ومما زاد الطين بلة أن السياسيين والزعماء الانتهازيين كانوا يوقظون فيهم هذه العواطف عمداً لإرضاء مصالحهم الشخصية، فكان من السهل جدا الاندفاع مع هذا التيار، إلا أن ذلك جعل مستقبل البلاد مظلماً أكثر من قبل، فكان مولانا آزاد فى ذلك الوقت الحرج من الشفصيات العديدة التى أصبحت مشهلاً للطريق، وصمدت فى وجه كل طوفان كالصفرة، وكان من بينها غاندى جى ونهرو، و سردار باتيل والقادة الآخرون الذين تناولوا الشعب بالتوجيه والقيادة فى مثل هذه الساعة الحاسمة*.

لقد أتاحت لى لقاءات كثيرة مع مولانا آزاد، فلم أصادفه قط فى حالة القضب، كان طليم الطبع، يبدى رأيه فى كافة القضايا بعد دراسة جميع جوانبها بالجدية* ولأجل ذلك، فإن غاندى جى ونهرو كانا يقدران رأيه ويحتفیان به*.

وعقب فصل البلاد فوراً ثارت قضية إسكان اللاجئيين الذين كانوا قبضوا على بيوت المسلمين التى أجلوها، وألقى المحليون أفعالهم على بعضها، وكانت الحكومة تطالب بإجلاء هذه الدّور، فطبعاً كنت أنا وآخرون مسئولين عن إجلاء تلك البيوت والمساجد كذلك التى احتلها اللاجئون، حتى نجنبنا فى إجلاء كثير من البيوت والمساجد، وإن كان ذلك على

للقاءات مع مولانا آزاد

آزاد، و ذات يوم سئلت جوش مليح آبادى عن سبب سكوته أمامهما عامة، فأجاب : بأننى أشاهد فيهما فاضلين مثقفين جليين، واذن بعافية فس أن لا أنيس بهنت شفة عندهما •

كان أسلوب تدخينه عجيبا للغاية، كان يأخذ السجارة بين ابهاميه وسبابته ويدورها بنعومة ويدخن مع ذلك، وذلك كان لا يحوجه إلى اعطاء هزة لإسقاط رماد السجارة •

و لم ألبث إلا وانتقلت إلى سنفرور، بعيد بقليل من دلهى، كحاكم للمديرية، ولكن لم يحل ذلك دون زيارتى لدلهى مرة فى أسبوع أو عشرة أيام، وخلال ذلك زرتة مرة فسألنى عما أفعل بعد التقاعد؟ فقلت وإن كان أوان معاش التقاعد قد اقترب، إلا أننى لم أفكر حتى الآن فى هذا الصدد، فاقترح علىَّ بالنزول فى ساحة السياسة • وقال : سوف أعينك فى مجلس الشيوخ بعد التقاعد، وإن شئت أحصلك على تذكرة المؤتمر الوطنى، وبعد مدة أصيب مولانا بفالج وكنت إذ استخبره فى دقائق من سنفرور عبر الهاتف، وكان أجمل خان يتصل بالهاتف ويتحدثنى، فيقول : هو الآن أشد احتياجاً إلى الدعاء منه إلى الدواء، فدعونا وآلاف الناس كذلك لحياتة، ولكنه دعواتنا لم تحل دون مشية الله فيه • فالتحق بالرفيق الأعلى، وكل من أتى على هذه الأرض لابد أن يذهب فى يوم من الأيام، كلٌّ من عليها فاني، إلا أن وفاته أحدثت فراغاً فى سياسة البلاد لم يملأ حتى الآن •

فيا مرحبا بأبى الكلام آزاد، إنه سيبقى ذكراك إلى يوم القيامة، انك قضيت أعواماً طويلاً خلف قضبان السجن، وحررت البلاد من القيد والعبودية •

تعريب : مجيب الرحمان الندوى

التصوير

ذات يوم زرته أنا والشاعر جوش المليح آبادي، أما جوش فكان حضوره لضرور تتعلق به وصحبته أنا فقط وكان مولانا مشغولاً بالزائرين، فتوقفنا قليلاً ولم نحظى بلقائه، فاقترح على جوش بالرجوع. فحاولت كثيراً افهامه بأن ما جئنا به بدون إعطاء وقت من مولانا. فلنترقب قليلاً، ولكن جوش مليح آبادي كان بطبيعته ذوى حساسية زائدة فى مثل هذه الأمور، فكتب فور ساعته بيتاً، وقدمه إلى الخادم، وانطلق خارجاً وكان مفهوم البيت :

"لا ينبغي أن تضيقونا بكثرة الانتظار فللى وقت آخر"

ولم نذهب قليلاً إلّا وجاءنا أجمل خان، وهو يلهث، وقال إن مولانا على الآن بقدمكم، تعالوا يدعوكم، فرجعنا، ودعانا عنده، واعتذر أيضاً على انتظارنا له، قال : إن صحبة السياسيين تستغرق معظم وقتى، وأشتاق أن يتيسر أحياناً لقاء عليم، فلو تشرفتما بقدمكما فى أيام فإن ذلك يسعدنى كثيراً، فوجد جوش بذلك، وبما أننى كنت معه وجه إلى الدعوة كذلك، والواقع أنى كنت ضيقاً أمامهما .

وبهذا الصدد حضرنا خدمته مساءً فى الساعة الثامنة، ولم نكد نجلس إلّا وجاء أجمل خان، وقال متوجهاً إلى مولانا أن بندت جواهرلال نهرو أخبر عبر مكالمة هاتفية أنه قادم عندك لمشورة طارئة، فقال اتصل بالهاتف وأخبر إننى مشغول الآن، وهناك لم تمنعه جميع تأكيداتنا بأننا لم نأت لأمر ضرورى من الاصرار فى موقفه، ولم نلبث إلّا وجاء أجمل خان وقال إن نهرو قد خرج عن بيته وربما يمكن أن يحضر فى دقائق، فأردنا القيام، ولكنه أبى إلّا أن نجلس، حتى جاء نهرو. فأمر الخادم أن يجلسه فى قاعة الاستقبال، ورغم ذلك ظل معنا ساعة ربما تكون خمس أو سبع دقائق، لكنه لما شعر بغاية ما كنا نتألم قام وقال : لاتذهبوا حتى أفرغ من المحادثة مع نهرو، وأرجع إليكم، وفعلّا عاد إلينا بعد نحو خمسة عشر أو عشرين دقيقة، ولم يزل يتجادب معنا أطراف الحديث نحو ثلاثين أو خمس وأربعين دقيقة تقريباً، وفى ضوء هذه الواقعة يمكن التقدير الصحيح لمدى جلالته وأنفته، وضيافته ومكانته، وإلا فمن ذا الذى يمنع نهرو من الحضور .

كان جوش مليح آبادي، ملك الشعراء الاردية، كانت عنده ذخائر للألفاظ والكلمات التى قلما يحملها أحد، ولكن كانت هناك شخصيتان، كان جوش يؤثر الصمت أمامهما، مولانا عبد السلام نيازى ومولانا أبو الكلام

دخولنا حجرته حينئذ بقولنا "السلام عليكم" وهو ردّ علينا بـ "وعليكم السلام" مع هيئة بين الوقوف والجلوس. وما إن عرف أننا طلاب العربية والفارسية، حتى تخلى عن حديثه العادى بالاردية وبدأ يتحدث فى الفارسية الفصحى الرصينة نحن ما إستطعنا أن نجيب بالفارسية حيث أننا لم نكن متمرنين على التحدث فى هذه اللغة. فإلتفت إلى طالب العربية وسأله عما دفعه إلى تعلم اللغة العربية ولكنه هو الآخر إنهار أمام الهجوم المفاجئ بالعربية وتأثير شفصيته الرهيبة. نحن اعتذرنا له بالاردية عن تقصيرنا ولكنه شجعنا على تعلم التكلم وقال: "إن الأوان لم يفت أبداً".

من البدايه أنه لقلة الوقت لم يستطع المولانا أن يستجيب لرغائنا لإلقاء كلمة فى كليتنا إلا أنه دعانا إلى إجتماع عام كان من المقرر أن يخطب فيه فى ميدان رام باغ غارى كهات فى قلب المدينة.

خرجنا من عنده فرحين مبتهجين بفوزنا بلقائه وعاقدين العزم على إتقان اللغة تكلماً أيضاً وفى نفس اليوم اتصلت بصاحب مطعم إيرانى من "يزد" ليعلمنى التكلم بالفارسية مقابل تعليمى له الأردية. تلك المقابلة مع المولانا مازالت ماثلة أمام عيني.

فى الخمسينات أبرمت اتفاقية ثقافية بين الهند وإيران. قبل توقيع الاتفاقية كان السفير الإيرانى قد ذهب لمقابلة وزير التعليم الهندى "المولانا أبو الكلام آزاد" للاستعدادات التمهيدية. إننى فى تلك الأيام كنت أساعد السفير الإيرانى فى اعداد و نشر الجريدة الرسمية للسفارة الإيرانية فى نيودلهى "إيران إمرور" أو إيران اليوم. فى تلك المقابلة كنت مع السيد حكمت. رغم أن كلا منهما كان يعرف الفارسية، فإن المولانا اختار أن يتكلم بالاردية. أنا قمت بمهمة الترجمان. كان ذلك بالنسبة لى عملاً شاقاً لمعرفة أن المولانا يتقن اللغتين. إلا أننى لمست منهما كل الشفقة والعطف حتى ذهب عنى الرعب وقمت بواجبى براحة تامة. عند اتهاء المقابلة هنأنى المولانا على تأديتى ظناً منه أننى موظف إيرانى فسألنى "أنت تتكلم الاردية جيداً، أين تعلمتها؟" أجبته منحنيها رأساً أمامه باحترام "إننى تعلمت الاردية من الصف الأول فى المدرسة إلى الماجستير فى الجامعة".

أنا هندى بالولادة. فابتسم المولانا وقال: "إذن علىّ أن أهنتك على معرفتك للفارسية، وأين تعلمت التكلم بالفارسية على هذا النحو الجديد".

مولانا أبوالكلام آزاد :

بعض الانطباعات الخالدة

بقلم : د/ س - ن - جاوا

مدير مدرسة اللغات الأجنبية لوزارة الدفاع سابقاً

كان مولانا آزاد شخصية فذة عملاقة و مهيبة بالنسبة لنا نحن، الطلبة الشباب، فقد كنا قرأنا الكثير عنه • قرأناه بالاردوية فى مقالاته و رسائله المقررة علينا فى الجامعة فى مجموعة " مقالات آزاد " و " غبار خاطر " • إن تدريس كتابات هذا العالم العبقرى ذات الصيغة الفارسية مع ألفاظ عربية وافرة، كان يتطلب من المدرس أن يكون ملماً بالعربية و الفارسية و عالماً بأدائيهما و إلا لواجه صعوبات قصوى فى شرح ما تحتويها من معان عميقة •

قد حدث أن زار المولانا كراتشى فى الأربعينات فى رحلة سياسية لتسوية مشاكل وزارية تهم بعض البساسة المعروفين بإقليم السنده و هم غلام حسين هداية الله و الله بخش و خسرو و غيرهم • كنت فى ذلك الوقت فى كلية أدرس الفارسية و الاردية • لم يكن الطلبة آنذاك إلا القليلون منهم يرغبون فى ان يتخصصوا فى هاتين المادتين • إلا أن مجموعتنا مع صفرها كونت جمعية باسم " بزم أدب " - الجمعية الأدبية - كنا نعقد مرة فى الشهر اجتماعاً لنقدم فيه ما كتبناه من مقالات أو قصص قصيرة أو نلقى فيها الأبيات و الخطب • كنا من المعجبين بالمولانا • فطبعاً كان يؤدنا أن ننتهز هذه الفرصة لنتلقى به • فذهب ثلاثة منا - منهم أنا كسكرتير الجمعية و طالبان آخران، واحد من القسم العربى و الثانى من القسم الفارسى - لزيارته فى مقر إقامته • كان الوقت المحدد لنا الساعة السابعة صباحاً حيث انه لم يكن لديه وقت آخر بعد ذلك • فلما دقت الساعة السابعة، كنا أمام المولانا فى حجرة أنيقة مع جريدة صباحية فى يده و الشاى على طاولة أمامه • أشار المولانا إلى الخادم للمزيد من الشاى • أحضر الشاى • نحن ذقنا لأول مرة فى حياتنا الطعم اللذيذ لذلك الشاى النادر • قبل

Thaqafat al-Hind: Statement of ownership and other particulars.

FORM IV

(See Rule 8)

- | | |
|---|---|
| 1. Place of Publication | Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110002 |
| 2. Periodicity of its publication | Quarterly |
| 3. Printer's Name | Lalit Mansingh |
| (Whether citizen of India?) | Yes |
| Address | Director General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi. |
| 4. Publisher's Name | Lalit Mansingh |
| (Whether citizen of India?) | Yes |
| Address | Director General, ICCR, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi. |
| 5. Editor's Name | N.A. Faruqi |
| (Whether citizen of India?) | Yes |
| Address | Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi. |
| 6. Names and address of individuals who own the newspaper and partners or share holders holding more than one per cent of the total capital. | Lalit Mansingh, Director General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhawan, I.P. Estate, New Delhi. |

I, Lalit Mansingh hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Dated: 27.2.88

Lalit Mansingh
Publisher

استذكرت في ذلك الوقت مقابلتي الأولى معه في كراتشي ثم دراستي الفارسية وبعد ذلك تعييني بالسفارة الهندية في إيران ك مترجم وأخيرا وليس آخرا نصيحته وتشجيعه في كراتشي للتمرن على التكلم بالفارسية • سرّ المولانا وقال في ظرافة للسيد حكمت " أنت جئت به ك مترجم لك • هذه خسارة لي ومكسب لك " •

في يوم عصيب وحزين لم يكن فيه المولانا في حالة جيدة، كان ينفس أنفاسه الأخيرة في نيودلهي • استدعتني الاذاعة الهندية لإعداد حديث عنه في الفارسية • بقلب مثقل بالهموم وحزن عميق اعددت حديثا لأقرأه بنفسي في الاذاعة، وبعد وفاته قرأت الخبر أيضا في الاذاعة بالفارسية • عملت ذلك بعيون باكية والدموع تتساقط على خدي ولكن على غير مرأى من الناس •

تعريب : شميم الحسن أمانة الله